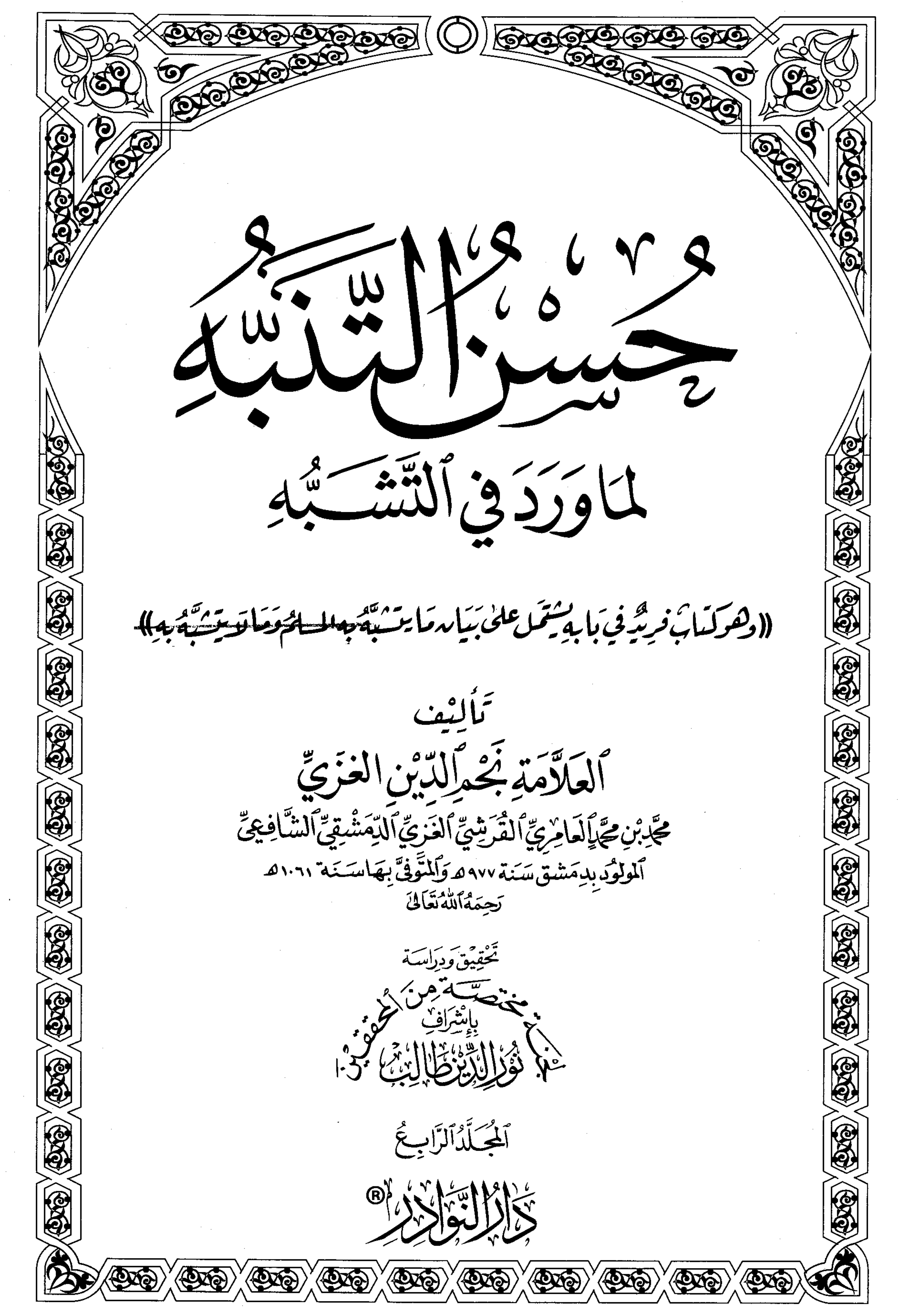


حسن التنبه
لما ورد في التشبه

«وهو كتاب فريد في بابه يشتمل على بيان ما يتشبه به المسلم وما يتشبه به»

تأليف

العلامة نجم الدين الغزي

محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي

المولود بدمشق سنة ٩٧٧ هـ والمتوفى بها سنة ١٠٦١ هـ

رحمه الله تعالى

تحقيق ودراسة

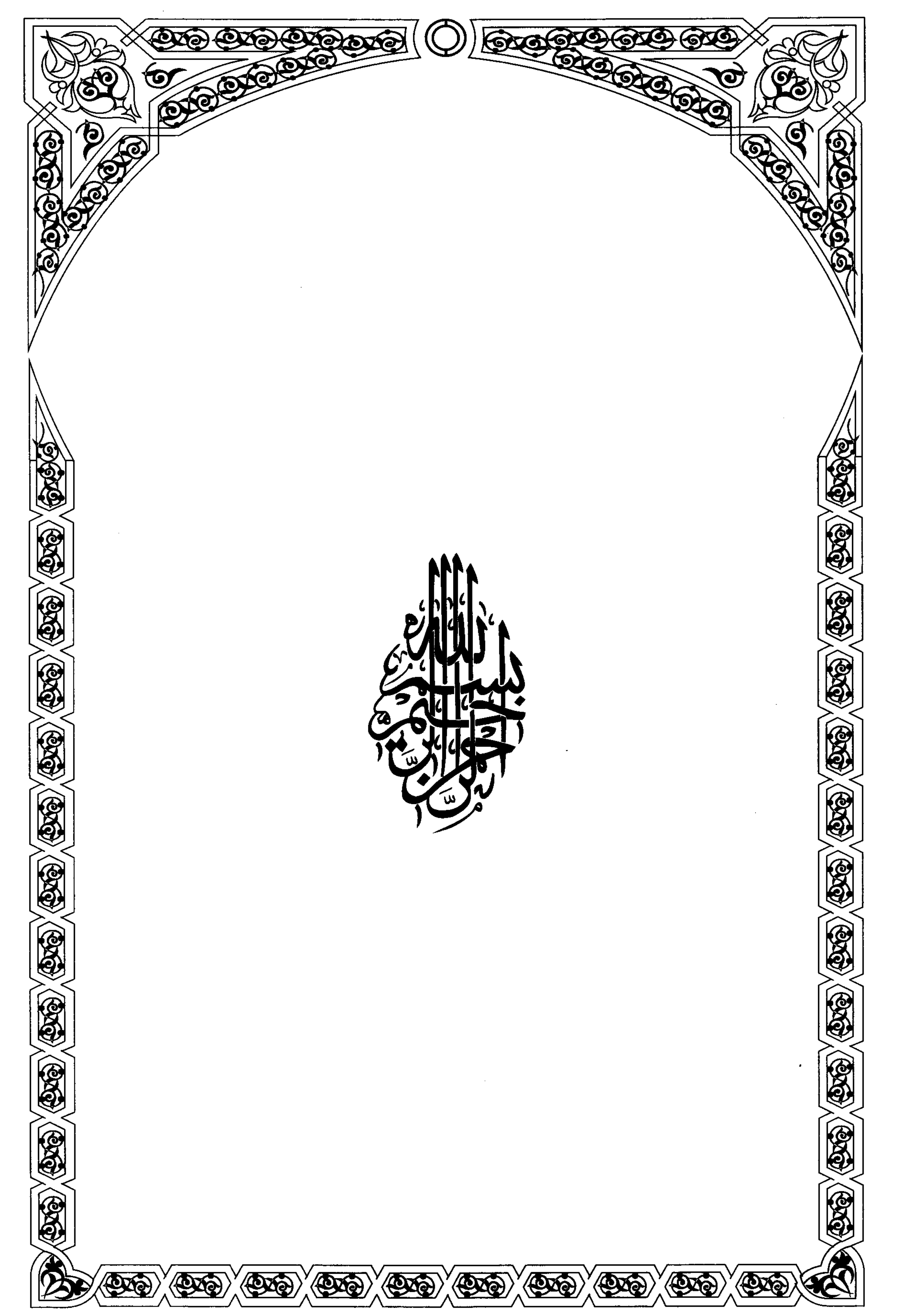
لجنة مختصة من المحققين

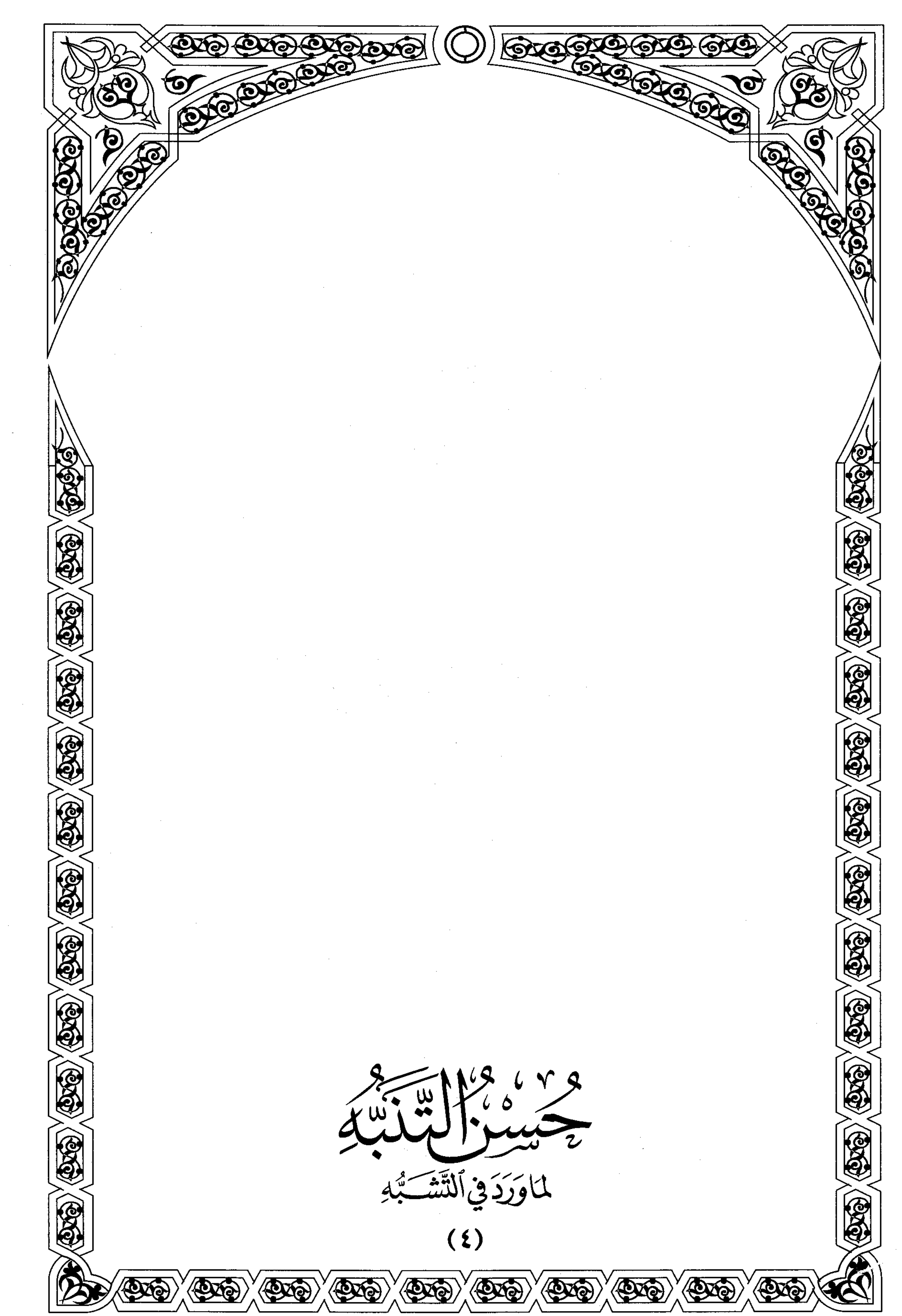
بإشراف

نور الدين طالب

المجلد الرابع

دار النوادر ®


بسم الله الرحمن الرحيم



حُسْنُ التَّنَبُّهِ

لِمَا وَرَدَ فِي التَّشَبُّهِ

(٤)



جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَة

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

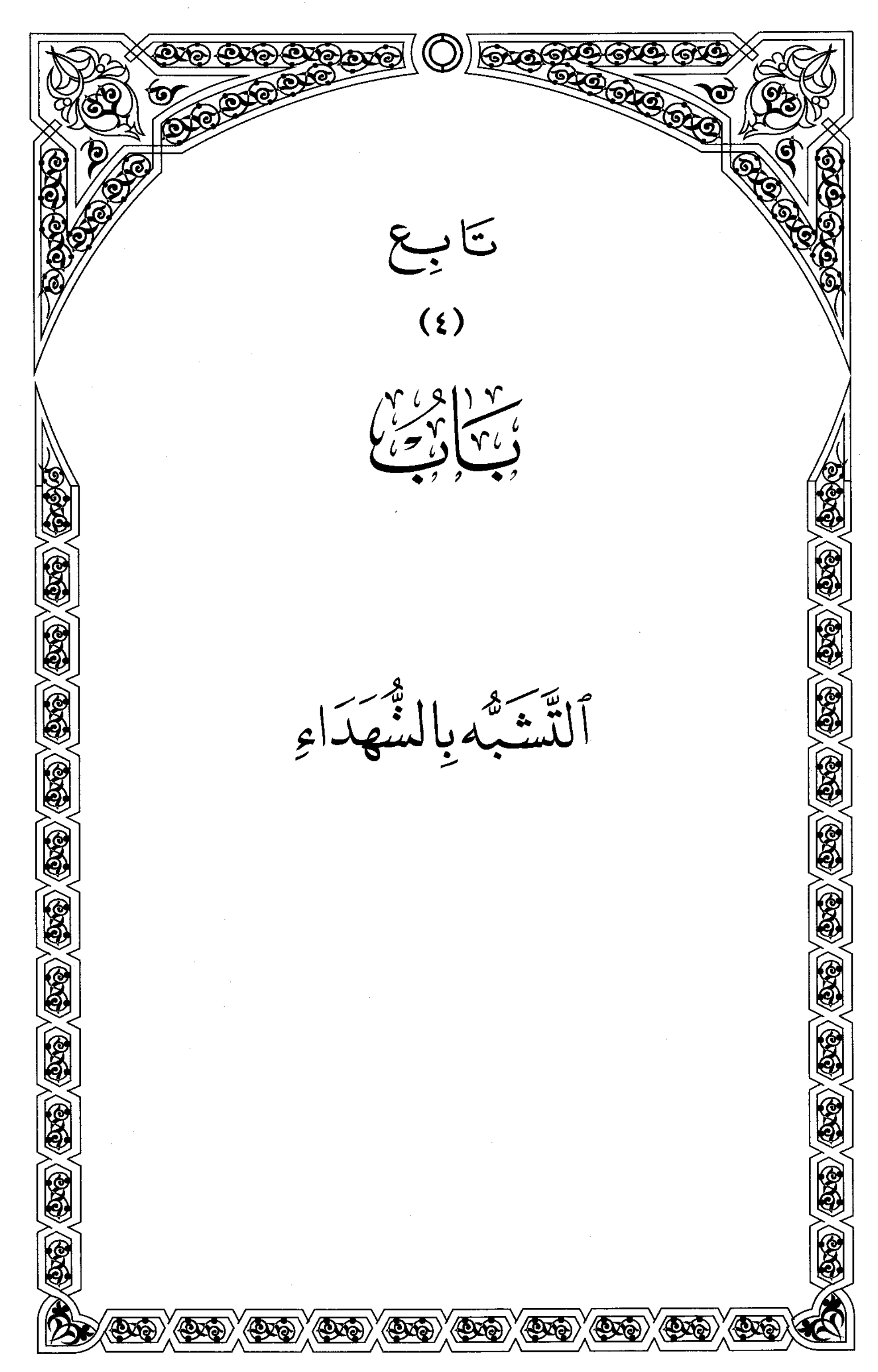
ردمك : ٧ - ٨٤ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ : ISBN
9789933418847

دار النوادر
سورية - لبنان - الكويت

مُؤَسَّسَة دار النَّوادِر م. ف - سُورية * شَرِكَة دار النَّوادِر اللُّبْنانيَّة ش. م. م - لُبْنان * شَرِكَة دار النَّوادِر الكُوَيْتيَّة ذ. م. م - الكويت

سورية - دمشق - ص. ب : ٣٤٣٠٦ - هاتف : ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس : ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان - بيروت - ص. ب : ٥١٨٠/١٤ - هاتف : ٦٥٢٥٢٨ - فاكس : ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت - حولي - ص. ب : ٣٢٠٤٦ - هاتف : ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس : ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)
www.daralnawader.com info@daralnawader.com

أسسها سنة : ٢٠٠٦م نور الدين طالب المدير العام والرئيس التنفيذي

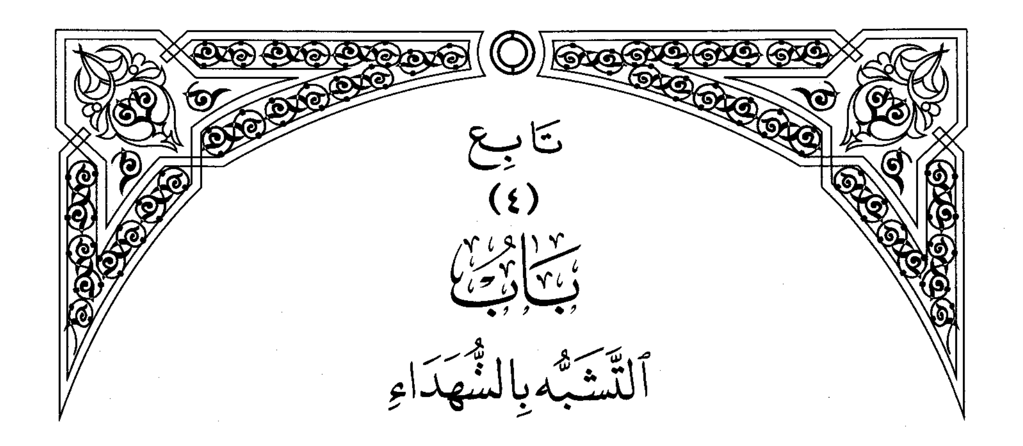


تابع

(٤)

بَابُ

التَّشَبُّهِ بِالشُّهَدَاءِ



تابع
(٤)
باب
التشبه بالشهداء

* **تَنْبِيهٌ:**

مهما أخذ الإنسان بحظه من العلم الشرعي بحيث يقدم الأهم فالأهم ـ كما تقدم ـ فلا بأس بالنظر في غير ذلك من العلوم التي لا تذم؛ فإن الإنسان إذا تفنن في العلوم عَظُم قدره، وزكَى طبعه، واتسعت معرفته.

وروينا في «الحلية»، وغيرها عن الربيع بن سليمان رحمه الله قال: قال لي الشافعي رضي الله عنه: يا ربيع! رضى الناس غاية لا تُدرَك، فعليك بما يصلحك فالزمه؛ فإنه لا سبيل إلى رضاهم، واعلم أنَّ من تعلم القرآن جَلَّ في عيون الناس، ومن تعلم الحديث قويت حجته، ومن تعلم النحو هيب، ومن تعلم العربية رق طبعه، ومن تعلم الحساب جزل[١] رأيه، ومن تعلم الفقه نبُل قدره، ومن لم يضر نفسه لم ينفعه علمه، وملاك ذلك كله التقوى[٢].

---

(١) في «حلية الأولياء»: «جلَّ» بدل «جزل».

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٢٣).

وأراد الشافعي ﷺ بالعربية كل علم يتعلق بكلام العرب؛ كاللغة، والشعر، والفصاحة، والبلاغة، وتوابعها، والتصريف، والهجاء.

وأمَّا ما رويناه في «الحلية» ـ أيضاً ـ عن أبي محمد ابن بنت الشافعي قال: سألت أبي ـ يعني: الشافعي ـ، فقلت له: يا أب! أيُّ العلم أطلب؟ فقال: يا بني! أمَّا الشعر فيضع الرفيع ويرفع الخسيس، وأمَّا النحو فإذا بلغ صاحبه الغاية صار مؤدباً، وأمَّا الفرائض فإذا بلغ فيها صاحبها غاية صار معلم صبيان[1]، وأما الحديث فباقي[2] بركته وخيره عند فناء العمر، وأما الفقه فللشاب وللشيخ فهو سيد العلم[3].

فإنما أرشده في هذا الكلام إلى البداءة بالأهم، وهو كذلك كما علمت، ولم ينهه عن أصل تلك العلوم، بل عن الاكتفاء بها عما هو أهم منها، والتبحر فيها، والأمر كذلك.

وأمَّا العلوم المهمة ـ وهي علوم الشرع تفسيراً، وحديثاً، وفقهاً ـ فإنَّ الاستكثار منها خصوصاً ما ينفع منها في الآخرة كعلم السلوك، ومعرفة طريق الآخرة، وتهذيب النفس من أخلاق المؤمنين؛ قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه: ١١٤].

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح، عن جابر ﷺ، عن النبي ﷺ

---

(١) في «حلية الأولياء»: «حساب» بدل «صبيان».

(٢) في «حلية الأولياء»: «فتأتي» بدل «فباقي».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٩/ ١٢٥).

قال: «النَّاسُ مَعَادِنُ؛ فَخِيَـارُهُمْ فِيْ الجَاهِلِيَّـةِ خِيَـارُهُمْ فِيْ الإِسْلامِ إِذَا فَقُهُوْا»[1].

وروى الترمـذي وحسنه، وابن حبـان وصححـه، عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «لنْ يَشْبَعَ المُؤْمِنُ مِنْ خَيْرٍ يَسْمَعُهُ حَتَّى يَكُوْنَ مُنْتَهَاهُ الجَنَّةَ»[2].

وروى البـزار عن ابن عبـاس ﷺ، وابن عـدي عـن أنــس ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: «مَنْهُوْمَانِ لا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ، وَطَالِبُ دُنْيَا»[3].

وروى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود ﷺ موقوفـاً قال: منهومـان لا يشبعان: صاحب علم، وصاحب دنيا، ولا يستويان؛ فأما صاحـب العـلم فـيـزداد رضـى الـرحـمـن، ثـم قـرأ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر: ٢٨]، وأمَّا صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[العلق: ٦ ـ ٧][4].

وأخرجه الطبراني في «الكبير» مرفوعاً، ولفظـه: «مَنْهُوْمَانِ لا يَشْبَعُ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٦٧). وأصل الحديث عنـد البخاري (٣٢٠٣)، ومسلم (٢٥٢٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه الترمذي (٢٦٨٦) وحسنه، وابن حبان في «صحيحه» (٩٠٣).

(٣) رواه البزار في «المسند» (٤٨٨٠)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٩٥).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٤٥٠).

طَالِبُهُمَا: طَالِبُ عِلْمٍ، وَطَالِبُ دُنْيَا»[1].

* تَتِمَّةٌ:

وليكثر من مجالسة العلماء ـ سواء فتح عليه بالعلم، أو لا ـ؛ فإنه إذا داوم على مجالستهم يوشك أن يفتح عليه شيء من العلم، وإلا تخلَّقَ بمثل أخلاقهم، وإلا رحم معهم، ونال الشرف بمجالستهم، وسَلِم بها من الآثام.

وقد روى الديلمي في «مسند الفردوس» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مُجالَسَةُ العُلَمَاءِ عِبادَةٌ»[2].

وروى الطبـراني بإسناد حسن عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: أنَّ لُقْمانَ قالَ لابْنِـهِ: يا بُنَيَّ! عَلَيْكَ بِمُجالَسَـةِ الْعُلَماءِ، وَاسْتَمِـعْ كَـلامَ الْحُكَماءِ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعالَىْ يُحْيِـيْ الْقَلْبَ الْمَيْتَ بِنُوْرِ الْحِكْمَةِ، كَما يُحْيِـيْ الأَرْضَ الْمَيْتَةَ بِوابِـلِ الْمَطَرِ[3].

وروى أبـو يعلى بإسنـاد حسـن، عن ابن عبـاس رضي الله عنهما قال: قيل:

---

(1) رواه الطبراني في «المعجم الكبيـر» (10388). قـال الهيثـمي في «مجمع الزوائد» (1/ 135): وفيه أبو بكر الداهري، وهو ضعيف.

(2) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (6486).

(3) رواه الطبـراني في «المعجم الكبيـر» (7810). قال الهيثمي في «مجمـع الزوائد» (1/ 125): فيـه عبيدالله بن زحـر عن علي بن يزيـد، وكلاهمـا ضعيف، لا يحتج به.

يا رسول الله! أي جلسائنا خير؟ قال: «مَنْ ذَكَّرَكُمُ اللهَ رُؤْيَتُهُ، وَزَادَ فِي عَلمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَذَكَّرَكُمْ بِالآخِرَةِ عَمَلُهُ»[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن عبيد بن عمير رحمه الله تعالى قال: قال لقمان عليه السلام لابنه وهو يَعِظه: يا بني! تخير المجالس على عينك، فإذا رأيت المجلس يذكر الله فيه فاجلس معهم؛ فإنك إن تكُ عالماً ينفعك علمك، وإن تكُ غبياً يعلموك، وإن يطلع الله إليهم برحمة يصبك معهم، يا بني! لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر الله ﷻ فيه؛ فإنك إن تك عالماً لا ينفعك علمك، وإن تك غبياً يزيدوك غياً[2]، وإن يطلع الله إليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم[3].

وروى الإمام مالك، وغيره عن أبي واقد الليثي ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، قال: فأما أحدهما فوجد فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الثَّلاثَةِ النَّفرِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى

(١) رواه أبو يعلى في «المسند» (٤/ ٣٢٦). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٦٣): رواته رواة الصحيح إلا مبارك بن حسان، وهو لين الحديث.

(٢) في «حلية الأولياء»: «غبياً يزيدوك غباءً» بدل «غبياً يزيدوك غياً».

(٣) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٥٥).

إلى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّـا الآخَرُ فَاسْتَحْيَى فَاسْتَحْيَى اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّـا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ»[1].

وأما التشبه بالعلماء في النهايات فيحصل بأمرين:

- العمل بالعلم.

- وتعليمه لمن لم يعلمه.

وأما العمل بالعلم فإنما يُراد العلم لأجله.

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعبدالله بن سلام رضي الله عنه: من العلماء؟ قال: الذين يعملون بما يعلمون، قال: فما ينفي العلم من صدور الرجال؟ قال: الطمع. رواه الدارمي[2]، وغيره.

وروى الطبراني في «الصغير»، والبيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً [يومَ القيامةِ] عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ»[3].

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٦٠)، والبخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).

(٢) رواه الدارمي في «السنن» (٥٧٥).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٥٠٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٧٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٨٥): فيه عثمان البري، قال الفلاس: صدوق لكنه كثير الغلط، صاحب بدعة، ضعفه أحمد والنسائي والدارقطني.

وروى ابن عساكر في «تاريخه» عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ أَمْكَنَهُ طَلَبُ العِلْمِ فِيْ الدُّنْيا فَلَمْ يَطْلُبْهُ، وَرَجُلٌ عَلَّمَ عِلْماً فَانْتَفَعَ بِهِ مَنْ سَمِعَهُ مِنْهُ دُوْنَهُ»(١).

وروى ابن ماجه، وأبو نعيم في «رياضة المتعلمين»، والبيهقي في «الشعب» عن جابر ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «سَلُوْا اللهَ عِلْماً نَافِعاً، وَاسْتَعِيْذُوْا بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ»(٢).

وروى الترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ كان يدعو: «اللَّهُمَّ انْفَعْنِيْ بِمَا عَلَّمْتَنِيْ، وَعَلِّمْنِيْ مَا يَنْفَعُنِيْ، وَزِدْنِيْ عِلْماً، وَالْحَمْدُ للهِ عَلى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ النَّارِ»(٣).

وروى أبو نعيم في «الرياضة» عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ إِيْمَاناً دَائِماً؛ فَرُبَّ إِيْمَانٍ غَيْرِ دَائِمٍ، وَأَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً؛ فَرُبَّ عِلْمٍ غَيْرِ نَافِعٍ»(٤).

قال الأستاذ الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى: العلم

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ١٣٨) لكن عن ابن عباس ﷺ.

(٢) رواه ابن ماجه (٣٨٤٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٨٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٨١).

(٣) تقدم تخريجه، وهذا لفظ الترمذي (٣٥٩٩).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٧٩) بلفظ: «اللهم إني أسألك إيماناً دائماً، وهدياً قيماً، وعلماً نافعاً».

الذي لا ينتفع به صاحبه أن يكون الرجل عالماً ولا يكون عاملاً. انتهى[1].

قلت: دليله ما رواه أبو نعيم، وأبو الشيخ، والخطيب عن معاذ ﷺ، وابن عساكر عن أبي الدرداء ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: «تَعَلَّمُوْا مَا شِئْتُمْ أَنْ تَعَلَّمُوْا؛ فَلَنْ يَنْفَعَكُمُ اللهُ حَتَّى تَعْمَلُوْا بِمَا تَعْلَمُوْنَ»[2].

وروى الأصبهاني في «ترغيبه» عن حبيب بن عبيد رحمه الله تعالى قال: تعلموا العلم، واعقلوه[3]، وانتفعوا به، ولا تعلموه لتجملوا به؛ فإنه يوشك إن طال بكم عمر أن يُتَجَمل بالعلم كما يتجمل ذو البزة ببزته[4].

وروى الطبراني، والخطيب في «اقتضاء العلم العمل»، والأصبهاني في «الترغيب» بسند جيد، عن جندب بن عبدالله البجلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ العَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الخَيْرَ وَلا يَعْمَلُ بِهِ[5] كَمَثَلِ

---

(١) انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣٢/ ١٥٤)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٤/ ٢٢٦).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٣٦)، والخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل» (ص: ٢٠). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤٠) وقال: ورواه الدارمي موقوفاً على معاذ بسندٍ صحيحٍ.

(٣) في «م»: «وأعطوه».

(٤) ورواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣٨٦).

(٥) في مصادر التخريج: «وينسى نفسه» بدل «ولا يعمل به».

السِّرَاجِ يُضِيءُ عَلَى النَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ»[1].

وروى الأولان عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ، كَمَثَلِ الفَتِيْلَةِ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَتُحْرِقُ نَفْسَهَا»[2].

وروى الخطيب في «الاقتضاء»، وابن النجار في «تاريخ بغداد» عن جابر ﷺ، [عن النبي ﷺ][3] قال: «اطلع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار، فقالوا: بم دخلتم النار وإنَّما دخلنا الجنة بتعليمكم؟ قالوا: إنا كنا نقول ولا نفعل»[4].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن ابن مسعود ﷺ قال: ويلٌ لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه، وويل لمن يعلم ولا يعمل ـ سبع مرات ـ[5].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٦٨١)، والخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل» (ص: ٤٩). وحسن إسناده المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٧٤).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل» (ص: ٥٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٨٤): رواه الطبراني في «الكبير» وفيه محمد بن جابر السحيمي، وهو ضعيف لسوء حفظه واختلاطه. قلت: كلاهما عن أبي برزة.

(٣) زيادة من «اقتضاء العلم العمل».

(٤) رواه الخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل» (ص: ٥٠).

(٥) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٥٨).

وروى هو، وابن سعد في «طبقاته»، وابن أبي شيبة عن أبي الدرداء ﷺ: ويل للذي لا يعلم ـ مرة ـ ولو شاء الله لعلمه، وويل للذي يعلم ولا يعمل ـ سبع مرات ـ[1].

وأخرجه سعيد بن منصور عن جبلة رحمه الله مُرسَلاً، ومرفوعاً.

وروى أبو نعيم عن حذيفة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «وَيْلٌ لِمَنْ لا يَعْلَمُ، وَوَيْلٌ لِمَنْ عَلِمَ ثُمَّ لا يَعْمَلُ»[2].

ومِنَ العملِ بالعلم: التحديث به وتعليمه.

ومِنْ تركِ العمل به: كتمه ومنعه أهله، وتعليمه غير أهله.

روى الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَتَعَلَّمُ العِلْمَ ثُمَّ لا يُحَدِّثُ بِهِ، كَمَثَلِ الَّذِي يَكْنِزُ الكَنْزَ فَلا يُنْفِقُ مِنْهُ»[3].

وأخرجه أبو نصر السِّجزي في «الإبانة»، ولفظه: «كَمَثَلِ رَجُلٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً فَكَنَزَهُ وَلَمْ يُنْفِقْ مِنْهُ»[4].

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢١١)، والخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل» (ص: ٤٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١١١).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٨٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٦٤): فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف.

(٤) ورواه أبو خيثمة في «العلم» (ص: ٣٦).

وروى الإمام أحمد، والترمذي وحسَّنهُ، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة، والطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود، وهو والخطيب عن قيس بن طلق، عن أبيه قالوا ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أَلْجَمَهُ اللهُ تَعَالى يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»[1].

ولا شك أنَّ العمل بالعلم شامل لفعل طاعة [بلغ][2] العالم فضلها، والأمر بها، وترك كل معصية أو مكروه [بلغه][3] النهي عنها، وهذا كله مطلوب من كل مسلم، غير أن العالم أولى أن يأخذ بذلك لأنه محل الاقتداء؛ فإنَّ العلماء هم قدوة الأنام، وإليهم المرجع في الأحكام، وهم حجة الله على العوام، وقد يُراقبهم للأخذ عنهم من لا ينظرون، ويقتدي بهديهم من لا يعلمون.

وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلى أُمَّتِيْ[4] الأَئِمَّةُ المُضِلُّوْنَ».

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٣)، والترمذي (٢٦٤٩) وحسنه، وأبو داود (٣٦٥٨)، وابن ماجه (٢٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
وروه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٠٨٩) عن ابن مسعود.
ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٢٥١)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٦٨) عن طلق بن علي رضي الله عنه.

(٢) غير واضح في «م» و«ت»، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) غير واضح في «م» و«ت»، ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) في «مسند الإمام أحمد»: «عليكم» بدل «على أمتي».

وقال: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلى أُمَّتِيْ كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيْمُ اللِّسَانِ».

وقال: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ على أُمَّتِيْ مِنَ الدَّجَالِ؛ الأَئِمَّةُ المُضِلُّونَ».

رواها الإمام أحمد؛ الأول عن أبي الدرداء[1]، والثاني عن عمر[2]، والثالث عن أبي ذر[3]، رضي الله عنهم.

وقال ﷺ: «رُبَّ عَابِدٍ جَاهِلٍ، وَرُبَّ عَالِمٍ فَاجِرٍ، فَاحْذَرُوْا الجُهَّالَ مِنَ العُبَّادِ، وَالفُجَّارَ مِنَ العُلَمَاءِ». رواه ابن عدي عن أبي أمامة رضي الله عنه[4].

وروى الدارمي في «مسنده» عن أبي عمران الجوني، عن هَرِم بن حيان رحمه الله تعالى: أنه قال: إياكم والعالم الفاسق، فبلغ عمر رضي الله عنه،

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٤١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٣٩): رواه أحمد والطبراني، وفيه راويان لم يسميا.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٢)، وكذا ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ١١٠). قال الدارقطني في «العلل» (٢/ ٢٤٦): روي مرفوعاً وموقوفاً، والموقوف أشبه بالصواب.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٤٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٣٩): فيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

(٤) رواه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٤٤١) وقال: منكر عن خالد بن معدان، والراوي عنه عمر بن موسى، يقال له: ابن وجيه ضعيف.

فكتب إليه ـ وأشفق منها ـ: ما العالم الفاسق؟ قال: فكتب إليه هرم: يا أمير المؤمنين! ما أردت إلا الخير؛ يكون إماماً يتكلم بالعلم ويعمل بالفسق، فيشبه على الناس فيضِلُّون[1].

وروى أبو نعيم عن سفيان الثوري رضي الله عنه قال: كان يُقال: تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل، والعالم الفاجر؛ فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون[2].

وقال [علي رضي الله عنه][3]: قصم ظهري [رجلان][4]: عالم متهتك، وجاهل متنسك؛ فالجاهل يغشُّ الناس بتنسكه، والعالم ينفرهم بتهتكه[5].

وقال همام في المعنى: [من الطويل]

فَسادٌ كَبِيْرٌ عالِمٌ مُتَهَتِّكٌ
وَأَكْبَرُ مِنْهُ جاهِلٌ مُتَنَسِّكُ
هُما فِتْنَةٌ لِلْعالَمِيْنَ كَبِيْرَةٌ
لِمَنْ بِهِما فِيْ دِيْنِهِ يَتَمَسَّكُ[6]

---

(١) رواه الدارمي في «السنن» (٣٠٠).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٦).

(٣) غير واضح في «م» و«ت»، ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) زيادة من «إحياء علوم الدين».

(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (١/ ٥٨).

(٦) انظر: «فيض القدير» للمناوي (١/ ٢٢١).

وروى الحلواني، وابن عدي، والعقيلي عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «احْذَرُوْا زَلَّةَ العَالِمِ، وانتَظِرُوْا فَيْئَتَهُ»[1].

وروى الديلمي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «احْذَرُوْا زَلَّةَ العَالِمِ؛ فَإِنَّ زَلَّتَهُ تُكَبْكِبُهُ فِيْ النَّارِ».

وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَخَافُ عَلى أُمَّتِيْ ثَلاثاً: زَلَّةَ عَالِمٍ، وَجِدَالَ مُنَافِقٍ بِالقُرْآنِ، وَالتَّكْذِيْبَ بِالقَدَرِ»[2].

ومن كلام بعض الحكماء: إذا زل عالِم زل بزلته عالَم كبير[3].

وروى أبو نعيم عن علي بن الحسين ﷺ قال: من ضحك ضحكة مجَّ[4] مجة علم[5].

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٦٠)، وكذا البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢١١). قال ابن طاهر المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (١/ ٢٣١): كثير ضعيف.

(٢) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٢٢٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٣): وفيه معاوية بن يحيى الصدفي وهو ضعيف.

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٥٢٠) عن عبيدالله بن أبي جعفر من كلام عيسى عليه السلام.

(٤) مَجَّ الشراب من فيه: رمى به.

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٣٤). لكنه قال: «مجة من العلم» بدل «مجة علم».

فإذا كان الضحك يمج العلم، فلا شك أنه نقص في العالم، فكيف بتهتكه ووقوعه في المعصية؟ فمن هنا ينبغي للعالم أن لا يلهو مع من يلهو.

وكان أبو جعفر محمد بن علي الباقر[1] رحمه الله تعالى إذا ضحك قال: اللهم لا تمقتني[2].

وكان الأوزاعي رحمه الله تعالى يقول: أما بعد أن صرنا يقتدى بنا فلا ينبغي لنا التبسم[3]. رواهما أبو نعيم.

وروى الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعَلَّمُوْا العِلْمَ، وَتَعَلَّمُوْا لِلعِلْمِ السَّكِيْنَةَ وَالوَقَارَ، وَتَوَاضَعُوْا لِمَنْ تَعَلَّمُوْنَ مِنْهُ»[4].

وروى أبو نعيم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «تَعَلَّمُوْا العِلْمَ، وَتَعَلَّمُوْا لِلعِلْمِ الوَقَارَ»[5].

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني عن أبي الدرداء، وأنس، وأبي أمامة، وواثلة رضي الله عنهم: أَنَّ النبي ﷺ سُئِلَ عن الراسخين في

---

(١) في «م»: «الباقي» بدل «الباقر».

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٨٥).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٤٣).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦١٨٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٣٠): فيه عباد بن كثير، وهو متروك الحديث.

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٤٢) وقال: غريب.

العلم، فقال: «مَنْ بَرَّتْ يَمِيْنُهُ، وَصَدَقَ لِسَانُهُ، وَاسْتَقَامَ قَلْبُهُ، وَعَفَّ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ، فَذَلِكَ مِنَ الرَّاسِخِيْنَ فِيْ العِلْمِ»[1].

وفي قوله ﷺ: «فَذَلِكَ مِنَ الرَّاسِخِيْنَ فِيْ العِلْمِ» إشارة إلى أن لهم أخلاقاً أخرى، وقد وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[آل عمران: ٧] الآية.

نعم، جمع الحديث المذكور مجامع أخلاق الراسخين في العلم يجمعها جميعاً الإيمان المشار إليه في الآية، وكل ذلك داخل في العمل بالعلم.

* تَنْبِيْهٌ:

من أولى ما ينبغي أن يهتم به العالم: طلب العافية من الله في علمه؛ إذ ورد: «يعافى الأميون يوم القيامة مما لا يعافى منه العلماء»[2].

ولذلك لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح: «اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِيْ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِي دِيْنِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ١٨٥)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٥٥٩) لكنهما لم يذكرا واثلة ﷺ، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٦٥٨) عن أبي الدرداء، وأنس، وأبي أمامة، وواثلة ﷺ.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٢٢) وقال: غريب، قال عبدالله ـ ابن الإمام أحمد ـ: قال أبي: هذا حديث منكر، وما حدثني به إلا مرة. ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٧٨٦٨) عن أنس بن مالك ﷺ.

عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِيْ، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِيْنِيْ وَعَنْ شِمَالِيْ، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوْذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي».

قال وكيع بن الجراح: يعني: الخسف.

رواه أبو داود، والنسائي، والحاكم وصححه، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما(1).

وروى الترمذي وحسنه، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدُّعَاءُ لا يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ والإِقَامَةِ»، قالوا: فماذا نقول؟ قال: «سَلُوْا اللهَ العَافِيَةَ فِيْ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»(2).

وروى هو والحاكم وصححه، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَا سُئِلَ اللهَ تَعَالى شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ العَافِيَةِ»(3).

وروى ابن ماجه بإسناد حسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُوْ بِهَا العَبْدُ أَفْضَلَ مِن: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ المُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»(4).

---

(1) رواه أبو داود (٥٠٧٤) واللفظ له، والنسائي (٥٥٣٠) مختصراً، والحاكم في «المستدرك» (١٩٠٢). وكذا ابن ماجه (٣٨٧١).

(2) رواه الترمذي (٣٥٩٤) وحسنه.

(3) رواه الترمذي (٣٥٤٨) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، وهو ضعيف في الحديث، ضعفه بعض أهل العلم من قبل حفظه. ورواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٣٣).

(4) رواه ابن ماجه (٣٨٥١).

وروى الإمام أحمد، والترمذي وحسنه، والنسائي بأسانيد بعضها صحيح، عن أبي بكر الصديق ﷺ: أنه قام على المنبر، ثم بكى، فقال: قام فينا رسول الله ﷺ عام الأول على المنبر، ثم بكى، فقال: «سَلُوْا اللهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ؛ فَإِنَّ أَحَدَاً لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِيْنِ خَيْرَاً مِنَ العَافِيَةِ»[1].

وروى الإمام أحمد، وغيره، وصححه ابن حبان، عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت أبا بكر الصديق ﷺ يقول على المنبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول ـ ثم استعبر ـ يقول في مثل هذا اليوم من عام الأول: «إِنَّ النَّاسَ لَمْ يُؤْتَوْا شَيْئَاً بَعْدَ كَلِمَةِ الإِخْلاصِ مِثْلَ العَافِيَةِ؛ فَاسْأَلُوْا اللهَ العَافِيَةَ»[2].

وأنشد الحافظ أبو الفضل بن حجر العسقلاني لنفسه عند إملاء هذا الحديث: [من السريع]

أَمْرانِ لَمْ يُؤْتَ امْرُؤٌ عاقِلٌ
مِثْلَهُما فِيْ دارِنا الْفانِيَةْ
مَنْ يَسَّرَ اللهُ تَعالَىْ لَهُ
شَهادَةَ الإِخْلاصِ وَالْعافِيَةْ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣)، والترمذي (٣٥٥٨) وحسنه، والنسائي (١٠٧١٥ ـ ١٠٧٢٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٥٠).

وأنشد شيخ الإسلام أبي رحمه الله تعالى عقب إملائه: [من السريع]

يـــا أَيُّهـــا النَّـــاسُ سَـــلُوْا رَبَّكُـــمْ
عافِيَـــةً فَهْـــيَ لَكُـــمْ كافِيَـــةْ

فَمـــا مُنِحْـــتُمْ بَعْـــدَ أَنْ تَـــشْهَدُوْا
شَـــهادَةَ الإِخْـــلاصِ كَالْعافِيَـــةْ

وقد ألم بـذلك قبلهما الإمـام الشـافعي رضي الله عنه فيما أسـنده أبـو القاسم الأصبهاني[1] في «الترغيب» عن الربيع بن سليمان عنه، فقال:

[من السريع]

لا تَـــأْسَ فِـــي الـــدُّنْيا عَلَـــى فائِـــتٍ
وَعِنْـــدَكَ الإِسْـــلامُ وَالعافِيَـــة

إِنْ فـــاتَ شَـــيْءٌ كُنْـــتَ تَـــسْعَى لَـــهُ
فَفِيهِمـــا مِـــنْ فائِـــتٍ كافِيَـــة[2]

وأقول:

---

(١) من هنا سقط في النسخة الخطية للمؤلف والمرموز لها بـ «م» مقدار ست لوحات، والاستدراك من النسخة «ت».

(٢) وانظر: «روضة العقلاء» لابن حبان (ص: ٢٧٨)، و«يتيمة الدهر» للثعالبي (٤/ ٩١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١/ ٤١٥).

أَحَــــقُّ مُحْتــــاجِ لِلْعافِيَــــة
فِــي دارِهِ الــدُّنْيا وَفِــي الآتِيَــة
ذُو العِلْــمِ فِــي أَحْوالِــهِ كُلِّهــا
فَيــا لَهــا مِــنْ نِعْمَــةٍ كافِيَــة
إِنْ عُــوفِيَ العــالِمُ فِــي دِينِــهِ
فَنِعْمَــــةٌ وافِــــرَةٌ وافِيَــــة
فَــالعِلْمُ وَالإِخْــلاصُ وَالعافِيَــة
تُــسْكِنُهُ فِــي الْجَنَّــةِ العالِيَــة
[. . . . .]
كانَــتْ لَــهُ مِــنْ قَبْلِهــا واقِيَــة
يــا رَبِّ فِــي الــدُّنْيا وَفِــي الباقِيَــة
أَدِمْ عَلَيْنــا العَفْــوَ وَالعافِيَــة
يــا رَبِّ [. . .] تعفــه مِنْهُمــا
[. . .] واهِيــة فِــي [. . .]
إِنَّ الَّــذِي مَنَحْتَــهُ العافِيَــة
فَهْــوَ الَّــذِي نِعْمَتُــهُ شــافِيَة

وفي تقديم [. . .]، فإنه مقام الوراثة عن النبوة والخلافة عن الله ﷻ؛ فإن [. . .] خلق رفيع كريم، ومقام نبوي [. . .].

قال الله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[البقرة: ٢٨٢].

وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[الرحمن: ١ ـ ٢].

وقال: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق: ٤ ـ ٥].

وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي». رواه الحكيم الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه(١).

[...] على العالم أن يبث علمه لمن يحتاج إليه إذا تعين عليه البث؛ كأن [يرى] المعصية، أو رأى من يعمل بحد [...] من يقوى بهذا أن أمر غيره [...] بجاهل عن فروض الكفايات، و[...] فرض عين.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ١٤٦].

وروى أبو نعيم، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «ما آتى اللهُ عالِماً عِلْماً إِلاَّ أَخَذَ عَلَيْهِ مِنَ الْمِيثاقِ ما أَخَذَ مِنَ النَّبِيِّينَ أَنْ يُبيِّنَهُ وَلا يَكْتُمَهُ»(٢).

وروى الإمام أحمد، وأصحاب السنن عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يومَ القِيامَةِ بِلِجامٍ مِنْ نارٍ»(٣).

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٣٨٥).

(٢) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٧): رواه أبو نعيم في «فضل العالم العفيف».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٩٥)، وأبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩) وحسنه، وابن ماجه (٢٦٦).

ويروى من حديث حَسن، وابن مسعود كما تقدم[١].

وروى ابن عدي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كتَمَ عِلْماً عَنْ أَهْلِهِ، أُلْجِمَ يَومَ القِيامَةِ بِلِجامٍ مِنْ نارٍ»[٢].

وروى ابن ماجه عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَتَمَ عِلْماً مِمَّا يَنْفَعُ اللهُ بِهِ [في أمر] النَّاس فِي الدَّارَينِ[٣]، أَلْجَمَهُ اللهُ يَومَ القِيامَةِ بِلِجامٍ مِنْ نارٍ»[٤].

وروى الحاكم في «تاريخه» عن عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى قال: من بخل بالعلم ابتلي بثلاث: إما أن يموت فيذهب علمه، وإما أن ينسى حديثه، وإما أن يبتلى بالسلطان[٥].

وفي معناه قلت:

مَنْ ضَنَّ بِالعِلْمِ ابْتُلِيَ بِثَلاثَةٍ ... فِي هَذِهِ الدُّنْيا وَيَلْقَى إِثْمَهُ
إِمَّا يَمُوتُ فَلا يَكُونُ بِعِلْمِهِ ... نَفْعٌ وَإِمَّا أَنْ يُنَسَّى عِلْمَهُ
أَوْ يَتْبَعُ السُّلْطانَ حَتَّى إِنَّهُ ... لَيُقِرُّهُ يوماً وَيَرْضَى حُكْمَهُ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٤٥٥) وأعله بسوار بن مصعب، وقال: ضعيف.

(٣) في مصدر التخريج: «أمر الدين» بدل «في الدارين».

(٤) رواه ابن ماجه (٢٦٥).

(٥) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٦٥).

وينبغي للعالم كما لا يبخل بالعلم عن أهله أن يصونه عن غير أهله، ولا يكون ذلك كتماناً، وقد شبَّه من وضع العلم في غير أهله بتقليد أعناق الخنازير الجوهر، ففي حديث أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَطْرَحُوا الدُّرَّ فِي أَفْوَاهِ الْخَنَازِيرِ».

وفي لفظةٍ: «أَفْواهِ الكِلابِ». رواه البخاري في «تاريخه» باللفظ الأول، والمُخَلِّص بالثاني[1].

أي: لا تلقوا الحكمة وتعطوها غير أهلها.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن سفيان رحمه الله تعالى قال: قال عيسى عليه السلام: إن للحكمة أهلاً؛ [فإن وضعتها في غير أهلها أضعتها، وإن منعتها من أهلها][2] ضيعتها، لكن كالطبيب يضع الدواء حيث ينبغي[3].

وروى أبو الحسن بن جهضم في «بهجة الأسرار» عن أبي محمد الجريري رحمه الله تعالى قال: رأيت في المنام كأن قائلاً يقول: إن لكل شيء عند الله حقاً، وإن أعظم الحق عند الله حق الحكمة؛ فمن جعل

---

(١) ورواه باللفظ الأول أبو القاسم البغوي في «جزئه» (ص: ٣٧).
ورواه باللفظ الثاني ابن الأعرابي في «معجمه» (٢/ ٤٦٥)، وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١١٧)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٢٣) وقال: رواه يحيى بن عقبة بن أبي العيزار، وعامة ما يرويه لا يتابع عليه.

(٢) ما بين معكوفتين من «الحلية».

(٣) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٧٣).

الحكمة في غير أهلها طالبه الله بحقها، ومن طالبه الله بحقٍّ خُصِم[1].

وروى ابن السبكي في «طبقاته» عن أبي عمرو العثماني قال: لما دخل الشافعي إلى مصر كلَّمه أصحاب مالك، فأنشأ يقول:

أَأَنْثُرُ دُرًّاً بَيْنَ راعِيَةِ الغَنَم
وَأَنْثُرُ مَنْظُوماً لِراعِيَةِ النِّعَم

لَئِنْ كُنْتُ قَدْ ضُيِّعْتُ فِي شَرِّ بَلْدَةٍ
فَلَسْتُ مُضَيِّعاً بَيْنَهُمْ غُرَرَ الكَلِم

فَإِنْ فَرَّجَ اللهُ الكَرِيمُ بِلُطْفِهِ
وَأَدْرَكْتُ أَهْلاً لِلْعُلُومِ وَالْحِكَم

بَثَثْتُ مُفِيداً وَاسْتَفَدْتُ وِدادَهُمْ
وإِلاَّ فَمَخْزُونٌ لَدَيَّ وَمُكْتَتَم

وَمَنْ مَنَحَ الْجُهَّالَ عِلْماً أَضاعَهُ
وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَم[2]

قلت: وقول الشافعي رضي الله تعالى عنه: ومن منح الجهال يريد

---

(١) ورواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٠٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٤٨).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (١/ ٢٩٤).

[. . .] الذين لا يرغبون فيه، ولا [. . .] به؛ وإلا فإن تعظيم العلم لا يكون لمن جهله.

وروى ابن السبكي أيضاً عن الإمام الزاهد الفقيه العابد سيدي نصر بن إبراهيم المقدسي رحمه الله تعالى قال: أنشدني بعض أصحابنا؛ وقيل: إنها للشافعي رضي الله تعالى عنه:

الْعِلْـمُ مِـنْ شَـرْطِهِ مَـنْ[1] خَدَمَـه
أَنْ يَجْعَـلَ النَّـاسَ كُلَّهُـمْ خَدَمَـة
وَواجِـبٌ صَـوْنُهُ عَلَيْـهِ كَمـا
يَـصُونُ فِـي النَّـاسِ عِرْضَـهُ وَدَمَـه
فَمَـنْ حَـوى العِلْـمَ ثُـمَّ أَوْدَعَـه
بِجَهْلِـهِ غَيْـرَ أَهْلِـهِ ظَلَمَـه
وَكَـانَ كَـالْمُبْتَنِي البِـناءَ إِذا
تَـمَّ لَـهُ مـا أَرادَهُ هَدَمَـه[2]

ومهما قصد بتعليم العلم تعيَّن عليه من غير تعرض لغرض دنيوي بحيث لا يُؤثـر بتعليمه غنياً عن فقير، و[. . .]، ولا من نيته في طلبه المناصب والجاه، أو نحو ذلك [. . .] نيته [. . .] وحشره.

---

(١) في مصدر التخريج: «لمن» بدل «من».
(٢) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (١/ ٣٠٠).

وقد روى ابن أبي شيبة، وغيره عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: لو أن أهل العلم صانوا علمهم، ووضعوه عند أهله، لسادوا أهل زمانهم، ولكن بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم، فهانوا على أهلها.

سمعت نبيكم ﷺ يقول: «مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمّاً واحِداً كَفاهُ اللهُ هَمَّ آخِرَتِهِ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ لَمْ يُبالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِها وَقَعَ»(١).

وقد لَمَّح بحديث ابن مسعود هذا القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني أحد أئمة الشافعية، وأصحاب الوجوه منهم في أبياته المشهورة، وقد رويناها في «طبقات ابن السبكي»: [من الطويل]

يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْقِباضٌ وَإِنَّما
رَأَوْا رَجُلاً عَنْ مَوقِفِ الذُّلِّ أَحْجَما

أَرى النَّاسَ مَنْ داناهُمْ هانَ عِنْدَهُمْ
وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِما

وَما كُلُّ بَرْقٍ لاحَ لِي يَسْتَفِزُّنِي
وَلا كُلُّ مَنْ لاقَيْتُ أَرْضاهُ مُنْعِما

وَإِنِّي إِذا ما فاتَنِي الأَمْرُ لَمْ أَبِتْ
أُقَلِّبُ كَفِّي إِثْرَهُ مُتَنَدِّما

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٣١٣)، وكذا ابن ماجه (٢٥٧). قال أبو حاتم: هذا حديث منكر، ونهشل بن سعيد متروك الحديث. انظر: «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٢/ ١٢٢).

وَلَـمْ أَقْـضِ حَـقَّ العِلْـمِ إنْ كـانَ كُلَّمـا
بَـــدا طَمَـــعٌ صَـــيَّرْتُهُ لِـــي سُـــلَّما
إذا قِيـلَ هَــذا مَنْهَــلٌ قُلْـتُ قَـدْ أرى
وَلَكِـنَّ نَفْـسَ الْحُـرِّ تَحْتَمِـلُ الظَّمـا
وَلَمْ أَبْتَذِلْ فِـي خِدْمَتِـهِ العِلْـمَ مُهْجَتِـي
لأَخْـدِمَ مَـنْ لاقَيْـتُ لَكِـنْ لأُخْـدَما
أَأَشْـــقَى بِـــهِ غَرْســـاً وَأَجْنِيـــهِ ذِلَّـــةً
إذاً فَاتِّبـاعُ الْجَهْـلِ قَـدْ كـانَ أَحْزَمـا
وَلَـوْ أَنَّ أَهْـلَ العِلْـمِ صـانُوهُ صـانَهُمْ
وَلَـوْ عَظَّمُـوهُ فِـي النُّفُـوسِ لَعَظَّمـا
وَلَكِـــنْ أَهـــانُوهُ فَهـــانُوا وَدَنَّـــسُوا
مُحَيَّـاهُ بِالأَطْمـاعِ حَتَّـى تَجَهَّمـا(١)

وليحذر كل الحذر من حمل العلم إلى [الأمراء] والتردد به إلى الأغنياء؛ فإن ذلك من إضاعة العلم وإهانته، وليس هذا من شأن العلماء، ومن [. . .] محبة هؤلاء فقد عرض لنفسه لفوات محبة الله تعالى ولحصول مقته وطرده وإبعاده.

وقد روى أبو نعيم عن السَّري بن يحيى قال: كتب وهب بن منبه

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكي (٣/ ٤٦٠).

إلى مكحول رحمه الله: إنك قد أصبت بما ظهر من علم الإسلام عند الناس محبة وشرفاً؛ فاطلب بما بطن من علم الإسلام عند الله تعالى محبة وزلفى، واعلم أن إحدى المحبتين سوف تمنعك الأخرى[1].

وروى ابن ماجه ورجاله ثقات، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ: «إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أُمَّتِي سَيَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، يَقُولُونَ: نَأْتِي الأُمَراءَ فَنُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ، وَنَعْتَزِلُهُمْ بِدِينِنا، ولا يَكُونُ ذلك كما لا يُجْتَنَى من القَتَادِ إِلاَّ الشَّوْكُ؛ كَذَلِكَ لا يُجْتَنَى من قُرْبِهِمْ إِلاَّ» ـ قال محمد بن الصَّبَّاحِ: كَأَنَّهُ يَعْنِي الْخَطَايَا ـ[2].

وروى ابن لال، والرافعي في «تاريخ قزوين» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ العالِمُ يَزُورُ العُمَّالَ»[3].

وروى ابن عدي من حديثه مرفوعاً: «إِنَّ فِي جَهَنَّمَ وادِياً تَسْتَعِيذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يومٍ سَبْعِينَ مَرَّةً، أَعَدَّهُ اللهُ لِلقُرَّاءِ الْمُرائِينَ بِأَعْمالِهِمْ، وَإِنَّ أَبْغَضَ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ عالِمٌ [يزورُ] السُّلْطانِ»[4].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٥٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الرافعي في «تاريخ قزوين» (٣/ ٤٥١)، وكذا الديلمي في «مسند الفردوس» (٨٢٢).

(٤) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٣٥).

وروى الحاكم في «تاريخه»، والديلمي عن معاذ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ عالِمٍ أَتَى صاحِبَ سُلْطانٍ طَوْعاً إِلاَّ كانَ شَرِيكَهُ فِي كُلِّ لَوْنٍ يُعَذَّبُ بِهِ فِي جَهَنَّمَ»[1].

وروى الحسن بن سفيان في «مسنده»، والرافعي في «تاريخ قزوين» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العُلَماءُ أُمَناءُ الرُّسُلِ عَلى عِبادِ اللهِ ما لَمْ يُخالِطُوا السُّلْطانَ، فَإِنْ خالَطُوا السُّلْطانَ فَقَدْ خانُوا الرُّسُلَ؛ فَاحْذَرُوهُمْ»[2].

وروى العسكري عن علي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الفُقَهاءُ أُمَناءُ الرُّسُلِ ما لَمْ يَدْخُلوا الدُّنْيا وَيَتَّبِعوا السُّلْطانَ؛ فَإِذا فَعَلُوا ذَلِكَ فَاحْذَرُوهُمْ»[3].

وجمع جلال الدين السيوطي في ذلك مؤلفاً سماه «ما رواه الأساطين في ترك المجيء إلى السلاطين».

وقد نظمته في أرجوزة [. . .] عنها.

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦١٣١). قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٥٨٧): لا يصح.

(٢) رواه الرافعي في «تاريخ قزوين» (٢/ ٤٤٥)، وكذا أبو نعيم في «فضيلة العادلين» (ص: ١٨٥).

(٣) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٤٨٠): رواه العسكري، وهو ضعيف السند.

ويتعين على العالم أن [يتقي الله] في علمه، ولا يرائي به ولا يعجب، ولا يريد من الناس من أن يقبلوا عليه ما لا يقبلون على غيره [. . .] في علمه، ولا يتشقشق بعلمه ويتنفق في كلامه ليَسْبي به قلوب الناس.

فقد روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ صَرْفَ الْكَلامِ لِيَسْبِيَ بِهِ قُلُوبَ الرِّجالِ أَوِ النَّاسِ، لَمْ يَقْبَلِ اللهُ مِنْهُ يَومَ القِيامَةِ صَرْفاً وَلا عَدْلاً»[1].

وروى عبد الرزاق عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كيف بكم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويَهْرَم فيها الكبير، فتتخذ سنة؛ فإن غَيَّرْت يوماً قيل: هذا منكر.

قيل: ومتى ذلك؟

قال: إذا قَلَّتْ أمناؤكم وكثرت أمراؤكم، وقلَّت فقهاؤكم وكثرت قراؤكم، وتُفُقِّهَ لغير الدين، وتُعُلِّمَ العلمُ لغير العمل، والْتُمِسَتِ الدنيا بعمل الآخرة[2].

وروى البزار بسند جيد، والطبراني في «الأوسط» عن عمر بن

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٠٦). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٦٧): يشبه أن يكون فيه انقطاع، فإن الضحاك بن شرحبيل ذكره البخاري وابن أبي حاتم، ولم يذكروا له رواية عن الصحابة، والله أعلم.

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٧٤٢)، وكذا ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧١٥٦).

الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَظْهَرُ الإِسْلامُ حَتَّى يَخْتَلِفَ التُّجَّارُ فِي البَحْرِ، وَحَتَّى تَخُوضَ الْخَيْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ يَقُولُونَ: مَنْ أَقْرَأُ مِنَّا؟ مَنْ أَعْلَمُ مِنَّا؟ مَنْ أَفْقَهُ مِنَّا؟».

ثم قال للصحابة: «فَهَلْ فِي أُوْلَئِكَ مِنْ خَيْرٍ؟».

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «أُوْلَئِكَ مِنْكُمْ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ»(١).

ورواه هو وأبو نعيم من حديث العباس رضي الله تعالى عنه(٢).

وبالجملة: [لا يتم التأدب] إلا بالتأدب بجميع آدابهم، وإنما آدابهم هي دأب الصالحين، والأخيار من العلماء خيارُهم، ومن تقرب من أهل العلم إلى سَفساف الأمور والأخلاق فليس من أهل العلم حقيقة، وليس ممن يؤمر بالتشبه بهم، بل ممن ينهى عن التشبه بهم في ذلك، وهو من علماء السوء.

وإنما التشبه بخيار العلماء وبهم الاقتداء، وفيهم الآيات نزلت،

(١) رواه البزار في «المسند» (٢٨٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٢٤٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٨٦): رجال البزار موثقون.

(٢) ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٥٢)، وأبو يعلى في «المسند» (٦٦٩٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٨٦): رواه أبو يعلى البزار والطبراني، وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف.

والأخبار أثرت.

فأما الآيات فمثل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٩].

﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٣].

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر: ٢٨].

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل: ٤٣].

وأما ما ورد في فضل العلم والتعليم من الأخبار والآثار، فشيء كثير.

منه: ما رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً، وكَانَ منها بُقعةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ منه أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا منها وَسَقَوْا ورَعَوا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً ولا تُنْبِتُ كَلأً؛ فَذَلِكَ مَثَلُ من فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ ما بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً ولم يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»(١).

---

(١) رواه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

المثال الأول مثال الفقهاء والمستنبطين لأسرار العلم من الآيات والأحاديث؛ كالمفسرين والمتكلمين من أهل السنة.

والمثال الثاني مثال أوعية العلم في القرآن والحديث، والمقرئين والمجودين؛ وكلهم على خير.

وروى الطبراني في «الأوسط»، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عُبِدَ اللهُ تَعالَى بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الفِقْهِ فِي الدِّينِ، وَلَفَقِيهٌ واحِدٌ أَشَدُّ عَلى الشَّيْطانِ مِنْ أَلْفِ عابِدٍ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِمادٌ؛ وَعِمادُ هَذا الدِّينِ الفِقْهُ»[1].

وروى ابن النجار عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «ما عُبِدَ اللهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهٍ فِي الدِّينِ وَنَصِيحَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ»[2].

وروى الطبراني في «معاجمه» [عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما]، عن النبي ﷺ قال: «أَفْضَلُ العِبادَةِ الفِقْهُ، وَأَفْضَلُ الدِّينِ الوَرَعُ»[3].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦١٦٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٦٦).

(٢) كذا عزاه ابن حجر في «لسان الميزان» (٦/ ٢٣) لابن النجار، وقال: خبر منكر مركب على إسناد صحيح.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٢٦٤)، و«المعجم الصغير» (١١١٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٠): فيه محمد بن أبي ليلى ضعفوه لسوء حفظه.

وروى الديلمي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ العِبادَةِ طَلَبُ العِلْمِ»[١].

ويجمع بين الحديثين أن العلم أفضل الأعمال، والفقه أفضله.

وفي «الصحيحين» عن معاوية رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

وأخرجه أبو يعلى، وزاد فيه: «وَمَنْ لَمْ يَفْقَهْ لَمْ يُبالِ بِهِ»[٢].

وروى ابن ماجه بإسناد حسن، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ عِلْماً ثُمَّ يُعَلِّمَهُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»[٣].

وروى الحكيم الترمذي، وابن عبد البر بسند ضعيف، عن أنس رضي الله تعالى عنه: أنه قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟

فقال: «العِلْمُ بِاللهِ ﷻ».

فقيل: أي العلم تريد؟

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (١٤٢٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه ابن ماجه (٢٤٣). وحسن المنذري إسناده في «الترغيب والترهيب» (١/ ٥٤). وخالفه البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٣٥) وقال: هذا إسناد ضعيف؛ لضعف إسحاق بن إبراهيم، والحسن لم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه.

فقال: «العِلْمُ بِاللهِ».

فقيل: نسأل عن العمل وتجيب عن العلم؟

فقال: «قَلِيلُ العَمَلِ يَنْفَعُ مَعَ العِلْمِ، وَإِنَّ كَثِيرَ العَمَلِ لا يَنْفَعُ مَعَ الْجَهْلِ»[١].

وروى البيهقي في «الشعب» عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: أفضل الناس المؤمن العالم؛ إن احتيج إليه نفع، وإن استغنى عنه أغنى نفسه[٢].

وروى الترمذي وصححه، عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «فَضْلُ العالِمِ عَلى العابِدِ كَفَضْلِي عَلى أَدْنَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحابِي، إِنَّ اللهَ ﷻ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ؛ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِها، حَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ»[٣].

وروى أبو يعلى عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «فَضْلُ العالِمِ عَلى العابِدِ سَبْعُونَ دَرَجَةً؛ ما بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَما بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ»[٤].

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٤٥). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٥).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٢٠).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) ورواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٦٠) وقال: قال البخاري: عنده مناكير. ثم قال ـ أي ابن عدي ـ: وللخليل أحاديث غرائب، ولم أر في حديثه حديثاً منكراً قد جاوز الحد، وليس هو متروك الحديث.

وروى الشيخان، وغيرهما عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال لعليٍّ رضي الله تعالى عنه: «لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً واحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمرِ النَّعَمِ»[1].

وروى الإمام أحمد من حديث معاذ رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال له حين بعثه إلى اليمن: «يا مُعَاذُ! لأَنْ يَهْدِيَ الله على يَدَيْكَ رَجُلاً من أَهْلِ الشِّرْكِ خَيْرٌ لك من أن يَكُونَ لك حُمْرُ النَّعَمِ»[2].

وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَثَلَ العُلَماءِ فِي الأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ يُهْتَدى بِها فِي ظُلُماتِ البَرِّ وَالبَحْرِ؛ فَإِذا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الْهُداةُ»[3].

وروى ابن عدي عن علي رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «العُلَماءُ مَصابِيحُ الأَرْضِ، وَخُلَفاءُ الأَنْبِياءِ، وَوَرَثَتِي وَوَرَثَةُ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ»[4].

وروى ابن النجار في «تاريخه» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العُلَماءُ قادَةٌ، وَالْمُتَّقُونَ سادَةٌ، وَمُجالَسَتُهُمْ زِيادَةٌ».

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣٨).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) ورواه الرافعي في «التدووين في أخبار قزوين» (٢/ ١٢٩).

قلت: ومقتضاه أن العالم لما كان متقياً فهو من قادة السادة وسادة القادة.

وروى ابن النجار أيضاً عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العُلَماءُ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ، يُحِبُّهُمْ أَهْلُ السَّماءِ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْحِيتانُ فِي البَحْرِ إِذا ماتُوا إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ».

وسبق في هذا الباب حديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه.

وروى الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنه مر بسوق المدينة، فوقف فقال: يا أهل السوق! ما أعجزكم!

قالوا: وما ذاك؟

قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم ههنا؟ ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟

قالوا: وأين هذا؟

قال: في المسجد.

فخرجوا سراعاً، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟

فقالوا: يا أبا هريرة! قد أتينا المسجد، فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئاً يقسم!

فقال لهم أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: وما رأيتم في المسجد أحداً؟

قالوا: بلى؛ رأينا قوماً يصلون، وقوماً يقرؤون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام.

فقال لهم أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: فذاك ميراث محمد ﷺ[1].

وروى ابن ماجه عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما: أن رسول ﷺ خرج ذات يوم على أصحابه، فرأى مجلسين؛ أحدهما يدعو الله، والثاني يعلمون الناس، فقال: «أَمَّا هَؤُلاءِ يَسْأَلُونَ اللهَ؛ إِنْ شاءَ أَعْطاهُمْ وَإِنْ شاءَ مَنَعَهُمْ، وَأَمَّا هَؤُلاءِ فَيُعَلِّمُونَ النَّاسَ؛ وَإِنَّما بُعِثْتُ مُعَلِّماً»؛ وجلس معهم[2].

وروى ابن المبارك في «الزهد والرقائق» عن زيد بن أسلم ـ رحمهما الله تعالى ـ مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «كَلِمَةٌ مِنَ الْحِكْمَةِ يَسْمَعُها الْمُؤْمِنُ، فَيَعْمَلُ بِها وَيُعَلِّمُها خَيْرٌ لَهُ مِنْ عِبادَةِ سَنَةٍ»[3].

وروى الطبراني بسند ضعيف، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نِعْمَ العَطِيَّةُ كَلِمَةُ حَقٍّ تَسْمَعُها، ثُمَّ تَحْمِلُها إِلَى أَخٍ لَكَ مُسْلِمٍ فَتُعَلِّمُها إِيَّاهُ»[4].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٤٢٩).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٢٩)، وكذا الدارمي في «السنن» (٣٤٩).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٤٨٧).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٤٢١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٦٦): فيه عمرو بن الحصين العقيلي، وهو متروك.

وروى البزار بسند رجاله ثقات، عن أبي الـدرداء رضي الله تعالى عنـه قال: قال رسول الله ﷺ: «العُلَمـاءُ خُلَفـاءُ الأَنْبِـياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ»[١].

وروى الخطيب عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «حَمَلَةُ العِلْمِ فِي الدُّنْيا خُلَفاءُ الأَنْبِـياءِ، وَفِي الآخِرَةِ مِنَ الشُّهَداءِ»[٢].

وروى الطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفائِي».

قلنا: يا رسول الله! ومن خلفاؤك؟

قال: «الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي يَرْوُونَ أَحادِيثِي وَيُعَلِّمُونَها النَّاسَ»[٣].

وروى ابن عبد البر عن الحسن ـ قيل: هو ابن علي رضي الله تعالى عنهما، وقيل: هو البصري رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «رَحْمَةُ اللهِ عَلى خُلَفائِي».

قالوا: ومن خلفاؤك يا رسول الله؟

---

(١) رواه البزار في «المسند» (٤١٤٥) وقال: إسناده صالح.

(٢) رواه الخطيب البغـدادي في «تاريخ بغـداد» (٤/ ٣٧٦) وقال: منكر جداً، وليس بثابت.

(٣) رواه الطبـراني في «المعجم الأوسـط» (٥٨٤٦). قال الهيثمي في «مجمـع الزوائد» (١/ ١٢٦): فيه أحمد بن عيسى بن عيسى الهاشمي، قال الدارقطني: كذاب.

قال: «الَّذِينَ يُحْيُونَ سُنَّتِي وَيُعَلِّمُونَها النَّاسَ»[١].

وروى أبو نعيم في كتاب «فضل العالم العفيف» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ دَرَجَةِ النُّبُوَّةِ أَهْلُ العِلْمِ وَالْجِهادِ؛ فَأَمَّا أَهْلُ العِلْمِ فَدَلُّوا النَّاسَ عَلى ما جاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَأَمَّا أَهْلُ الْجِهادِ فَجاهَدُوا بِأَسْيافِهِمْ عَلى ما جاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ»[٢].

قلت: ومن هنا تساوت العلماء والمقتولون في جهاد في رتبة الشهادة لأن كلاً منهما مات على ما هو عليه من [. . .] على ما مات [. . .] وهو شهيد [. . .] لوجود الله تعالى معه؛ فإنه مصدق له عن قلب محب له في؛ فافهم!

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن حسان بن عطية رحمه الله تعالى قال: ما ازداد عبد علماً إلا ازداد الناس منه قرباً من رحمة الله[٣].

ومن الأولى معنى [. . .] بسبب [. . .] اللسان [. . .] والخشية تبعثه على طاعة الله تعالى وتقواه، ومن تمام أمره أن يأمر غيره بالطاعة

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٤٦)، وكذا رواه الهروي في «ذم الكلام وأهله» (٤/ ٢٢٨) مصرحاً عن الحسن بن علي رضي الله عنهما.

(٢) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٢): رواه أبو نعيم في «فضل العالم العفيف» من حديث ابن عباس رضي الله عنه، بإسناد ضعيف.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٧٤).

والتقوى بسبب الرحمة.

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[البقرة: ١٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[الأعراف: ١٥٦].

وكل علم لا يدعو صاحبه إلى التقوى والأمر بها، فليس بعلم نافع.

وقد روى ابن حبان في «روضة العقلاء» عن الحسن البصري رحمه الله تعالى قال: من ازداد علماً ثم ازداد على الدنيا حرصاً، لم يزده من الله إلا بعداً[1].

وروى الطبراني في «الكبير» ورواته ثقات، عن ثعلبة بن الحكم رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ ﷻ لِلْعُلَماءِ يَومَ القِيامَةِ إذا قَعَدَ عَلى كُرْسِيِّهِ لِفَصْلِ عِبادِهِ: إِنِّي لَمْ أَجْعَلْ عِلْمِيَ وَحِلْمِيَ فِيكُمْ إِلاَّ وَأَنا أُرِيدُ أَنْ أَغْفِرَ لَكُمْ عَلى ما كانَ فِيكُمْ وَلا أُبالِي»[2].

وروى أبو العباس المُرهبي في «العلم» ـ بسند ضعيف ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانَ يَومُ القِيامَةِ يَقُولُ اللهُ ﷻ لِلْعابِدِينَ وَالْمُجاهِدِينَ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ العُلَماءُ:

---

(١) رواه ابن حبان في «روضة العقلاء» (ص: ٣٥).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٨١). قال ابن كثير في «التفسير» (٣/ ١٤٢): إسناده جيد.

بِفَضْلِ عِلْمِنا عَبَدُوا وَجاهَدُوا، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ لَهُمْ: أَنْتُمْ عِنْدِي كَبَعْضِ مَلائِكَتِي؛ اشْفَعُوا، فَيَشْفَعُونَ ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ»(١).

وروى ابن عدي، والبيهقي في «الشعب» وضعفه، عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبْعَثُ العالِمُ وَالعابِدُ، فَيُقالُ لِلْعابِدِ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، وَيُقالُ لِلْعالِمِ: اثْبُتْ حَتَّىٰ تَشْفَعَ لِلنَّاسِ بِما أَحْسَنْتَ أَدَبَهُمْ»(٢).

قلت: أخبرني من أثق به من الثقات المأمونين: أن شيخ الإسلام والدي رحمه الله تعالى سئل عن العلماء: هل يشفعون يوم القيامة؟

فقال: نعم.

قال له بعض الحاضرين: إذن تشفع لنا يا مولانا الشيخ يوم القيامة.

فقال: والله [إن] أعطيت شفاعة يوم القيامة لأشفعن في إخواننا وأصحابنا(٣).

---

(١) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٨): رواه أبو العباس المرهبي في «العلم» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، بسند ضعيف.

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٤٣٨)، وبإسناد آخر (٢/ ٤١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٧١٧).

(٣) كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ إذا قيل لهم أقل من هذا الكلام خافوا وتواضعوا لله تعالى، روى الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث طويل، أنه قال لعمر رضي الله عنه حين طعن: أبشر بالجنة! فقال عمر رضي الله عنه: أما تبشيرك إياي بالجنة، فوالله لو أن لي الدنيا بما فيها لافتديت به من هول ما أمامي قبل أن أعلم الخبر.

قال: فرآه بعض الأخيار في المنام بعد موته، قال: فقلت له: يا سيدي! كيف حالكم؟

قال: بخير، وقد أعطاني ربي الشفاعة في أصحابي وإخواني، وأنا واقف على باب الجنة [. . .].

وشفاعة العلماء ثابتة:

وروى ابن ماجه بإسناد حسن، عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «يَشْفَعُ يَومَ القِيامَةِ ثَلاثَةٌ: الأَنْبِياءُ، ثُمَّ العُلَماءُ، ثُمَّ الشُّهَداءُ»(1).

وهذا الحديث يدل على أن الشهداء [. . .] العلماء أفضل وأعظم درجة من الشهداء المقتولين في سبيل الله، ومن ثم فإن [. . .] إذ العلماء هم الصديقون في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النساء: ٦٩].

قلت: ويحتمل أن يكون: ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ لفظاً مشتركاً يستعمل في معنيين؛ فأريد به الشهداء المقتولون، والشهداء العلماء الراسخون [. . .] الصديقين وهم العارفون بالله تعالى.

وعلى كلا الوجهين فالعلماء أفضل من الشهداء لحديث ابن ماجه [. . .].

---

(1) رواه ابن ماجه (٤٣١٣)، وكذا ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٥/ ٢٦٢) وضعفه بعنبسة بن عبد الرحمن.

ورواه ابن عبد البر عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه والمرهبي في «فضل العلم» عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه، والشيرازي في «الألقاب»، وغيره عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُوْزَنُ يَومَ القِيامَةِ مِدادُ العُلَماءِ وَدِماءُ الشُّهَداءِ، فَيَرْجِحُ مِدادُ العُلَماءِ عَلى دِماءِ الشُّهَداءِ»[1].

وذكر ابن الحاج في «المدخل» [الحديث ثم قال]: وهذا بيِّن لأن دم الشهداء إنما هو في ساعة من نهار أو ساعات، ثم انفصل الأمر فيه لإحدى الحسنيين، ومداد العلماء هو وظيفة العمر ليلاً ونهاراً، ثم إنه محتاج فيه لمباشرة غيره لا بد من ذلك، إما أن يعلم أو يتعلم، وكلاهما يحتاج فيه إلى مجاهدة [عظيمة][2] لأجل خلطة الناس ومباشرتهم، وذلك أمر عسير لأنه يحتاج أن كل من اجتمع به ينفصل وهو طيب النفس منشرح الصدر؛ بذلك مضت السنة وانقرض السلف عليه[3].

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٣٠) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.
وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٢).
ورواه السهمي في «تاريخ جرجان» (ص: ٢٢٢) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.
ورواه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ١٧٩) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.
وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤٢٣).

(٢) ما بين معكوفتين من «المدخل».

(٣) انظر: «المدخل» لابن الحاج (١/ ٦٨).

قلت: وفي الحديث وجه آخر، وهو أن دم الشهداء يكون [. . .] سبب الحياة؛ أشار بها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[آل عمران: ١٦٩].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[البقرة: ١٥٤].

وهذه حياة قاصرة على نفس الشهيد غير متعدية إلى غيره، وأما سيلان مداد العلماء على صفحات الطروس فإنه يكون سبب حياة [. . .] العالم الكاتب بالعلم تعلماً وتعليماً، وحياة غيره كملت، وقد مضى في القرآن تسمية العلم والإيمان حياةً في مواضع شتى [. . .] قد يكون مداد العلماء سبباً بحياة [. . .] إما [. . .] أو شفاعته أو نحو ذلك.

وقد قال الله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[المائدة: ٣٢].

قال سليمان بن علي للحسن ـ يعني: البصري رحمه الله تعالى ـ: يا أبا سعيد! أهي لنا كما كانت لبني إسرائيل؟

قال: والذي لا إله غيره ما كانت دماء بني إسرائيل أكرمَ على الله من دمائنا. رواه ابن جرير، وغيره[١].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٦/ ٢٠٤).

وقد سئل شيخ الإسلام الوالد رحمه الله تعالى [. . .] فأجاب الشيخ أن [. . .] وباشر أهل زمانه، ثم تنبه له بعض أعدائه، فاستفتى بعض علماء أهل العصر في مسألته، فأفتاه بالوقوع، ثم رتبوا على ذلك أنه في مدة المعاشرة كان زانياً [. . .] تدرأ عنه الحد، فراجعوا الشيخ الوالد رضي الله تعالى عنه فيه فقال [. . .] عن هذه المسألة، وليس في عادتي إذا كتب مرة عن مسألة [. . .] كتب عليها [. . .] مرة أخرى، فقيل له: إن الرقعة قد فقدت، فلم يكتب حتى اجتمع الناس على صاحب السؤال المذكور، وأرادوا رجمه [. . .] كتب الشيخ على رقعة ثانية [. . .] ثالث مرة [. . .] فجيء بالرقعة إلى حكام البلدة وعلمائها، وكانوا اجتمعوا لذلك، وهموا بإبعاد [. . .] الرجل قد عرضت [. . .].

إِذا قالَتْ حَذامِ فَصدِّقوها ... فَإِنَّ القَولَ ما قالَتْ حَذامِ

[. . .].

ورواه المزي في «تهذيب الكمال» عن ابن المبارك قال رحمه الله تعالى: الحبر في الثياب خلوق العلماء[1].

وروى الترمذي عن أبي هارون العبدي قال: كنا نأتي أبا سعيد ـ يعني: الخدري رضي الله تعالى عنه ـ فيقول: مرحباً بوصيَّةِ رسول الله ﷺ؛ إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إِنَّ النَّاسَ لَكُمْ تَبَعٌ، وَإِنَّ رِجَالاً يَأْتُونَكُمْ مِنْ أَقْطَارِ

---

(١) رواه المزي في «تهذيب الكمال» (١٦/ ٢٣).

الأرضِ يَتَفَقَّهُونَ في الدِّينِ؛ فَإِذا أَتَوْكُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْراً»[1].

ورواه الخطيب، ولفظه: «سَيَأْتِيكُمْ شَبابٌ مِنْ أَقْطارِ الأَرْضِ يَطْلُبُونَ الْحَدِيثَ؛ فَإِذا جاؤُوكُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْراً».

وفي رواية له: «سَيَأْتِي مِنْ بَعْدِي قَوْمٌ يَسْأَلُونَكُمُ الْحَدِيثَ عَنِّي؛ فَإِذا جاؤُوكُمْ فَالْطُفُوا بِهِمْ وَحَدِّثُوهُمْ»[2].

وفي رواية أخرى أنه كان ـ يعني: أبا سعيد رضي الله تعالى عنه ـ إذا رأى شباباً قال: مرحباً بوصية رسول الله.

وكان رسول الله ﷺ قد أوصانا أن نوسع لكم في المجلس وأن نفهمكم الحديث، فإنكم خلوفنا وأهل الحديث بعدنا[3].

[...].

وروى أبو نعيم عن محمد بن عمران قال رجل للشعبي: إن فلاناً عالم.

قال: ما رأيتُ عليه بهاء العلم.

قيل: وما بهاؤه؟

قال: السكينة؛ إذا علم لا يعنف، وإذا علم لا يأنف[4].

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٥٠)، وكذا ابن ماجه (٢٤٩).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٢١).

(٣) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٢٢).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٢٣).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: «عَلِّمُوا وَلا تُعَنِّفُوا؛ فَإِنَّ الْمُعَلِّمُ خَيْرٌ مِنَ الْمُعَنِّفِ». رواه البيهقي(١).

وفي حديثه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعَلَّمُوا العِلْمَ، وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالوَقارَ، وَتَواضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُ». رواه الطبراني في «الأوسط»(٢).

ونحوه من قول عمر رضي الله عنه، وفيه: تواضعوا لمن تُعَلِّمون العلم، ولا تكونوا [من] جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم.

وروى أبو الشيخ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «تَواضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُ، وَتَواضَعُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ، وَلا تَكُونُوا جَبابِرَةَ العُلَماءِ فَيَغْلِبَ جَهْلُكُمْ عِلْمَكُمْ»(٣).

وقد يكون جبروت العالم من حيث تحسينُ ضلالاته واعتقاداته [. . .] فيها وإنها [. . .] رتبة في العلم، ثم يسعى إلى أحد يره وهذا من كما [. . .] في العلم يكون [. . .] الله تعالى.

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٤٩) وقال: فيه حميد بن أبي سويد، وهو منكر الحديث.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦١٨٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٣٠): فيه عباد بن كثير، وهو متروك الحديث.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٨٤٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٣٠): فيه ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

ولقد قال سبحانه: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يوسف: ٧٦].

وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قالَ: أَنا عالِمٌ فَهُوَ جاهِلٌ».

[. . .].

من عدم الرغبة فيه من أكثرهم [. . .]، ولأن في العلم تحجير على النفوس منعها عن كثير من شهواتها، ومن رغب منهم في العلم إنما يرغب فيه لطلب الدنيا، فيلزم من ذلك صرف ما حصله منه في تحصيلها، فيتقرب به إلى أغراض أهل الدنيا فيصرف علمه في تحصيل خير [. . .] في أمورهم واستنباط الرخص لهم، فينقلب العلم عليه وبالاً، و[. . .] التشبه ببعض، ويكون منه شيء [. . .] مقام يستريح منه [. . .] الأسرع من أن كان فيه؛ فإنه طلب التشبه بالعلم ليخلص من ضرر الدنيا ويحصل على سعادة الآخرة [. . .] بالعلم ـ أي: الدنيا ـ وبعد عن الآخرة من هذه [. . .] حينئذ أبعد من بعد غيره عنها.

قال معاذ رضي الله تعالى عنه: تعرضت وتصديت لرسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت، فقلت: يا رسول الله! أي الناس شر؟

فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ غَفْراً! سَلْ عَنِ الْخَيْرِ وَلا تَسْأَلْ عَنِ الشَّرِّ؛ شِرارُ النَّاسِ شِرارُ العُلَماءِ فِي النَّاسِ». رواه البزار[1].

---

(١) رواه البزار في «المسند» (٢٦٤٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٨٥): فيه الخليل بن مرة، قال البخاري: منكر الحديث، ورد ابن عدي قول البخاري، وقال أبو زرعة: شيخ صالح.

[. . .] في هذه الأزمنة عن طلب العلم، وأشار به إلى العلماء أن أكثر الناس [. . .] رغبة [. . .] في عشرة العلماء وفي مجالستهم لأنهم يأمرون بخلاف ما هم عليه وينهون عما هم فيه [. . .] من تجاوز عن ذلك بهذا السبب إلى الزهد في العلماء وبغضهم وعداوتهم، وهذا يقطع الأكثرين عن العلماء لأن من يطلب العلم لوجه الله تعالى قد كان في زمان رواج الخير وفُشُوِّ الدين قليلاً، وأما الآن فهو أعز من [. . .] وكثير ممن يختص في الأشياء والاشتغال بالعلم قد يقطعه عنه محنة [. . .] تصيبه من بعض وقته.

ثم إن الموت [. . .] أن الزمان خلف البقايا من العلماء من أهل كل زمان، وفي كل [. . .] منهم يقل المخلصون والصابرون منهم، وحينئذ يعظم أجر المتشبه بالصالحين، من العلم بمقتضى [. . .] الوقت وفساد الزمان، فالمتشبه بالعلماء على أمر الشرع ومنهج الحق لا يعلم كنه ما لهم عند الله [. . .] وإنما [. . .] وبهم، وعظمة [. . .].

وقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكُمْ فِي زَمانٍ مَنْ تَرَكَ عُشْرَ ما أُمِرَ بِهِ هَلَكَ، ثُمَّ يَأْتِي زَمانٌ مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعُشْرِ ما أُمِرَ بِهِ نَجا». رواه الترمذي، وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[1].

وكيف لا يعظم أجر العالم العامل المخلص الآن.

وقد قلت [. . .] وفقدت إخوانه وعدمت أشكاله [. . .] بروح

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٦٧) وقال: غريب.

أمره عندهم ولا يحسن حاله لديهم ولا يرغبون في بضاعته فيهم غريب، وطوبى للغرباء!

وقد روى أبو بكر بن السني، وأبو نعيم عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ شَيْءٍ إِقْبالٌ [وَإِدْبارٌ]؛ وَإِنَّ مِنْ إِقْبالِ هَذا الدِّينِ أَنْ تَفَقَّهَ القَبِيلَةُ كُلُّها بِأَسْرِها حَتَّى لا يُوْجَدَ فِيها إِلاَّ الرَّجُلُ الْمُجافِي أَوِ الرَّجُلانِ، وَإِنَّ مِنْ إِدْبارِ هَذا الدِّينِ أَنْ تَجْفُوَ القَبِيلَةُ كُلُّها بِأَسْرِها حَتَّى لا يُوْجَدَ فِيها إِلاَّ الرَّجُلُ الفَقِيهُ أَوِ الرَّجُلانِ، فَهُما مَقْهُورانِ ذَلِيلانِ لا يَجِدانِ على ذَلِكَ أَعْواناً وَلا أَنْصاراً»[1].

وروى الحاكم، ومن طريقه ابن الجوزي عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال: ارحموا عزيز قوم ذَلَّ، وغنياً افتقر، وعالماً بين جُهَّال[2].

ورواه العسكري، وابن حبان في «الضعفاء» من حديث أنس مرفوعاً بنحوه[3].

---

(١) وكذا رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٠٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٦٢): رواه الطبراني، وفيه علي بن يزيد، وهو متروك.

(٢) رواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٢) وقد رواه مرفوعاً، وقال: موضوع إنما يعرف من كلام الفضيل، وساقه.

(٣) رواه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١١٨) وأعله بعيسى بن طهمان، وقال: ينفرد بالمناكير عن أنس ويأتي عنه بما لا يشبه حديثه كأنه كان يدلس.

وروى الطبراني بسند ضعيف، عن حزام بن حكيم، عن عمه، وقيل: عن أبيه رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمانٍ كَثِير فُقَهاؤُهُ قَلِيل خُطَباؤُهُ، قَلِيل سُؤَّالُهُ كَثِير مُعْطُوهُ، العَمَلُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ العِلْمِ، وَسَيَأْتِي على النَّاسِ زَمانٌ قَلِيلٌ فُقَهاؤُهُ كَثِيرٌ خُطَباؤُهُ، قَلِيلٌ مُعْطوهُ كَثِيرٌ سُؤَّالُهُ، العِلْمُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ العَمَلِ»(١).

وروى الحاكم في «المستدرك»، والطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيَأْتِي على أُمَّتِي زَمانٌ تَكْثُرُ فِيهِ القُرَّاءُ وَيَقِلُّ الفُقَهاءُ، وَيُقْبَضُ العِلْمُ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ»(٢).

وروى البخاري، وابن ماجه عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلازِلُ»، الحديث(٣).

وروى الإمام أحمد، والشيخان، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣١١١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٧): وفيه عثمان بن عبد الرحمن الطريفي، وهو ثقة إلا أنه قيل فيه: يروي عن الضعفاء، وهذا من روايته عن صدقة بن خالد، وهو من رجال الصحيح.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٤١٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٢٧٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٨٧): رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف.

(٣) رواه البخاري (٩٨٩) واللفظ له، وابن ماجه (٤٠٥٢).

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ»، الحديث[1].

ورووه أيضاً عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ الصُّدُورِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَماءِ، حَتَّى إِذا لَمْ يُبْقِ عالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوساً جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[2].

فموت العلماء مصيبة وأي مصيبة.

وروى البزار عن عائشة رضي الله تعالى عنها، وابن لال عن ابن عمر، وجابر رضي الله تعالى عنهم؛ قالوا رضي الله تعالى عنهم: قال رسول الله ﷺ: «مَوْتُ العالِمِ ثُلْمَةٌ فِي الإِسْلامِ لا تُسَدُّ ما اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ»[3].

[...] أعظم منها أن يكون في الخشية [...] فاسق لا يدعو

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٩٨)، والبخاري (٨١)، ومسلم (٢٦٧١)، والترمذي (٢٢٠٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٥٩٠٦)، وابن ماجه (٤٠٤٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٩٠)، والبخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، والترمذي (٢٦٥٢)، وابن ماجه (٥٢) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٠١): رواه البزار، وفيه محمد بن عبد الملك عن الزهري، قال البزار: يروي أحاديث لا يتابع عليها، وهذا منها.

إلى خير ولا يكون إلا مع هذه، وفي الحقيقة [...] ابتلي الناس في زمان يغلبه الجهل عليهم وشدة الجرأة فيهم، وفسق العلماء منهم فليس بعد بينتهم بينة، ولا بعد رزيتهم رزية.

وقد روى الحاكم في «تاريخه» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، والديلمي عن معاذ رضي الله تعالى عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيأْتِي على النَّاسِ زَمانٌ لا يَبْقَى مِنَ القُرْآنِ إلاَّ رَسْمُهُ، وَلا مِنَ الإسْلامِ إلاَّ اسْمُهُ، يَتَسَمَّوْنَ بِهِ وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ مِنْهُ، مَساجِدُهُمْ عامِرَةٌ وَهِيَ [خَرابٌ مِنَ الْهُدى]، فُقَهاءُ ذَلِكَ الزَّمانِ شَرُّ فُقَهاء تَحْتَ ظِلِّ السَّماءِ، مِنْهُمْ خَرَجَتِ الفِتْنَةُ وَإِلَيْهِمْ تَعُودُ»[1].

وخرجه ابن [عدي في «الكامل»]، والدارمي في «السنن» من حديث علي رضي الله تعالى عنه موقوفاً عليه بنحوه، وقال: علماؤهم[2].

وأخرجه البيهقي في «الشعب» مرفوعاً[3].

وروى الديلمي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «شَرُّ النَّاسِ فاسِقٌ قَرَأَ كِتابَ اللهِ، وَتَفَقَّهَ فِي دِينِ اللهِ، [ثُمَّ] بَذَلَ نَفْسَهُ لِفاجِرٍ؛ إذا نَشَطَ تَفَكَّهَ بِقِراءَتِهِ وَمُحادَثَتِهِ، فَيَطْبَعُ اللهُ على قَلْبِ

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٤٤٨) عن معاذ بن جبل ﷺ.

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ٢٢٧) موقوفاً.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٩٠٨)، وكذا ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ٢٢٧) وأعله بعبدالله بن دُكين، ونقل عن ابن معين قوله: عبدالله بن دُكين ليس بشيء.

القائِلِ وَالْمُسْتَمِعِ».

وروى الحاكم ـ قال العراقي: وهـو ضعيف ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عُبَّادٌ جَهَلَةٌ وَعُلَماءُ فَسَقَةٌ»[1].

وروى ابن ماجه وغيره بإسـناد حسـن، عن أنـس رضي الله تعالى عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

قال: «إِذا ظَهَرَتِ الْمُداهَنَةُ فِي خِيـارِكُمْ، وَالفاحِشَةُ فِي شِرارِكُمْ، وَتَحَوَّلَ الْمُلْكُ فِي صِغارِكُمْ، وَالفِقْهُ فِي أَرْذالِكُمْ»[2].

والأرذال: الأخساء؛ كما في «القاموس»[3].

وروى أبـو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالـى عنهمـا قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي على النَّاسِ زَمانٌ يَتَعَلَّمُـونَ فِيـهِ القُرْآنَ فَيَجْمَعُـونَ حُرُوفَـهُ وَيُضَيِّعُـونَ حُـدُودَهُ؛ وَيْـلٌ لَهُـمْ مِمَّا جَمَعُـوا، وَوَيْـلٌ لَهُمْ مِمَّا ضَيَّعُوا! إِنَّ أَوْلَى النَّـاسِ بِهَذا القُـرْآنِ مَنْ جَمَعَـهُ وَلَمْ يُـرَ عَـلَيْهِ أَثَرُهُ»[4].

---

(١) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٣٧): رواه الحاكم من حديث أنس رضي الله عنه، وهو ضعيف.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠١٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٥٥).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص: ١٢٩٩) (مادة: رذل).

(٤) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨٦٨٦).

وروى الحاكم، والخطيب في «تاريخهما» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «يَأْتِي على النَّاسِ زَمانٌ يَحْسُدُ الفُقَهاءُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَيَغارُ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ كَتَغايُرِ التُّيوسِ بَعْضِها على بَعْضٍ»[1].

واعلم أنه إن كان هذا الزمان الموصوف كيفما كان أهله لا يخلو من [...].

وقد صح بقوله ﷺ: «لا تَزالُ طائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظاهِرِينَ على الْحَقِّ»، الحديث[2].

[...].

لذلك قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ لا يُدْرِكْنِي زَمانٌ، وَلا تُدْرِكُونَ زَماناً لا يُتَّبَعُ فِيهِ العَلِيمُ، وَلا يُسْتَحْيَى فِيهِ مِنَ الْحَلِيمِ، قُلُوبُهُمْ قُلوبُ الأَعاجِمِ، وَأَلْسِنَتُهُمْ أَلْسِنَةُ العَرَبِ». رواه الإمام أحمد من حديث سهل ابن سعد رضي الله تعالى عنه[3].

وروى أبو عمرو الداني عن الحكم بن عتيبة قال: كان يقال: ليأتين

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٠٢). قال السيوطي في «اللآلىء المصنوعة» (١/ ٢٠٠): إسحاق بن إبراهيم متهم بالوضع.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٨٣): وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف.

على الناس زمان لا يقر فيه عين حليم[1][2].

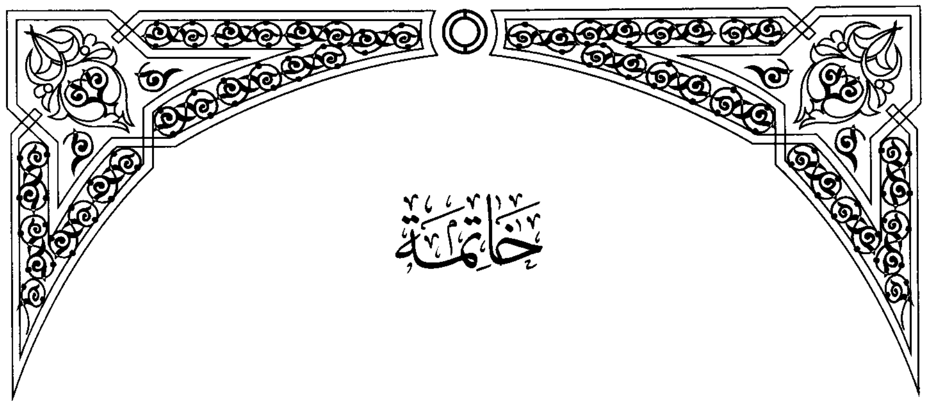
وروى أبو نعيم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي عَلى النَّاسِ زَمانٌ يَكُونُ الْمَوْتُ أَحَبَّ إِلَى أَحَدِهِمْ مِنَ الذَّهَبَةِ الْحَمْراءِ»[3].

* * *

(١) في مصدر التخريج: «حكيم» بدل «حليم».

(٢) رواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٣/ ٥٤٦).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٨٤)، وكذا نعيم بن حماد في «الفتن» (١/ ٧٤).



خاتمة

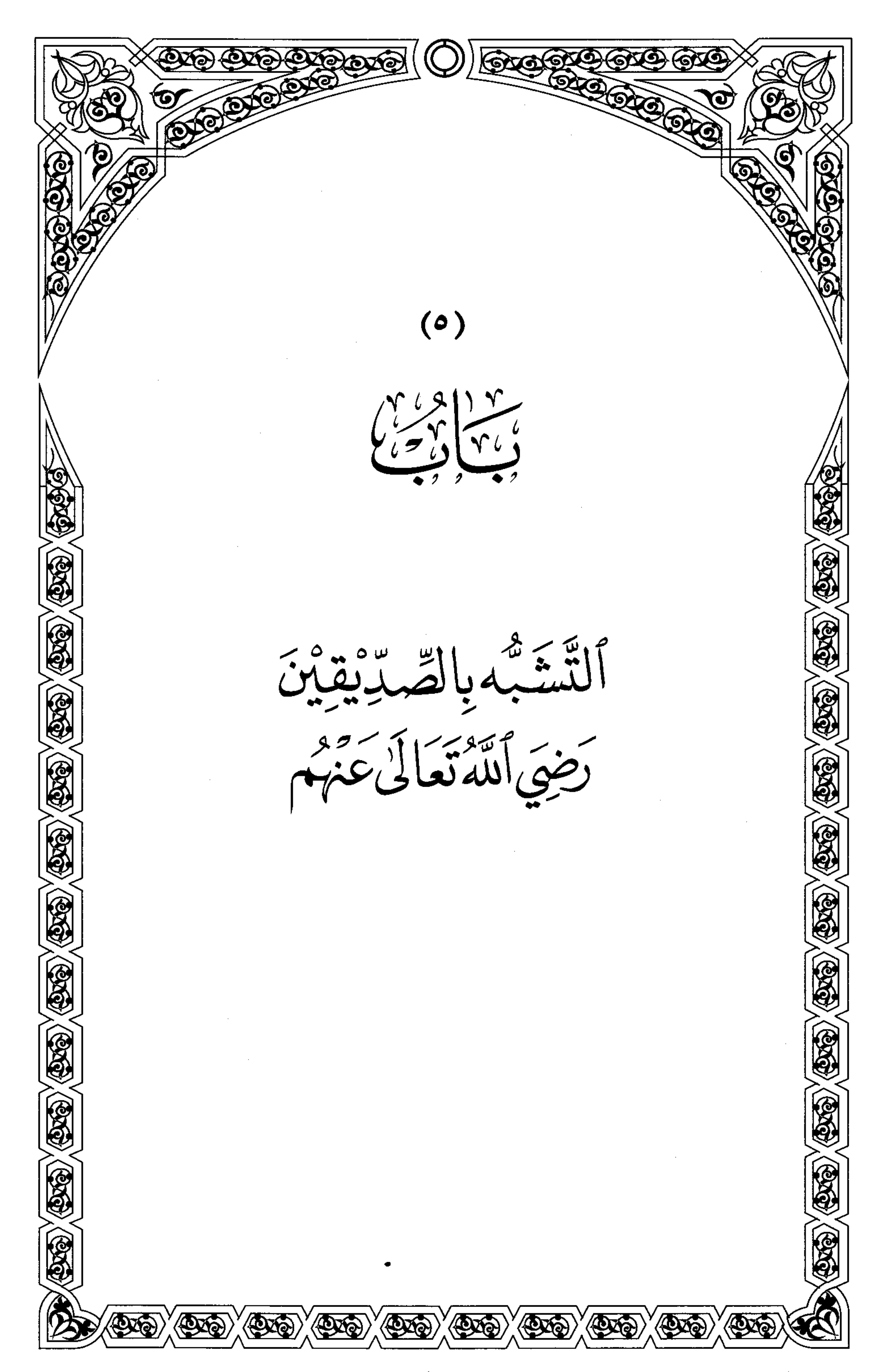
الشــهداء في موتهم من الصـديقين والأنبيـاء عليهم الســلام؛ لخصوصية عظيمة يحصل فيها التشبه بهم، وهي أن جنة عدن لا يسكنها إلا من كان منهم.

روى الطبـراني عن أبي الـدرداء رضي الله تعـالى عنـه قـال: قال رسول الله ﷺ: «جَنَّةُ عَدْنٍ لا يَسْكُنُ فِيها إلاَّ الأَنْبِياءُ وَالصِّدِّيقُونَ والشُّهداءُ، وَفِيها ما لَمْ يَرَهُ أحدٌ، وَلا خَطَـرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ»(١). أورده السيوطي في «البدور السافرة».

❐ ❐ ❐

---

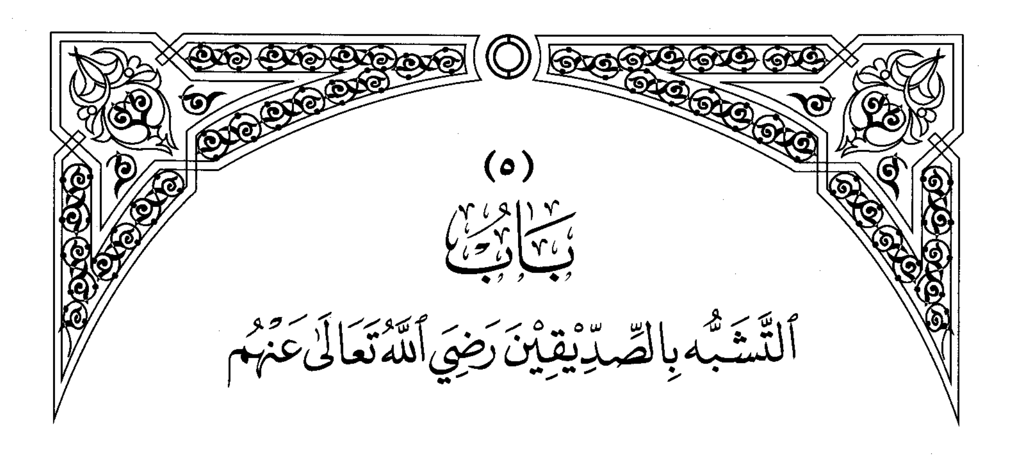
(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٦٣٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٥): فيه زيادة بن محمد الأنصاري، وهو منكر الحديث.



(٥)

بَابُ

ٱلتَّشَبُّهُ بِالصِّدِّيْقِيْنَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ



(٥)
باب
التَّشَبُّه بالصِّدِّيقِيْن رَضِيَ اللهُ تعالى عنهم

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة: ١١٩].

قال نافع: مع محمد ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم. رواه ابن جرير[١].

ورواه ابن أبي حاتم عنه، وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما[٢].

وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. رواه ابن جرير[٣].

وقال الضحاك رحمه الله تعالى: مع أبي بكر وعمر وأصحابهما رضي الله تعالى عنهم. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١١/ ٦٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٩٠٦).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (١١/ ٦٣).

الشيخ، وابن عساكر[1].

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه. رواه ابن مردويه[2].

وروي عنه أيضاً أنه قال: مع الذين صدقت نياتهم، فاستقامت قلوبهم وأعمالهم، وخرجوا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك بإخلاص ونية[3].

وعليه: فالصادق ليس بمعنى اسم الفاعل، بل بمعنى [. . .] كما تقول العرب: تامرٌ ولابنٌ؛ أي: ذا تمر، وذا لبن؛ لمن صار يبيع التمر واللبن حرفته؛ أي: مع الذين صار الصدقُ حرفتَهم ودينهم.

إذ لو كان بمعنى اسم الفاعل لم يفهم منه الاستقامة على الصدق.

والأولى أن المراد مطلق الصادقين من المؤمنين، وإذا كانت متابعة الصادقين مطلوبة، فمتابعة الصديقين أولى.

وروى ابن الأنباري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه كان يقرأ: ﴿وكونوا من الصادقين﴾؛ وهو أبلغ[4].

وفي قوله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ لطفٌ؛ إذ لو قال:

---

(1) رواه الطبري في «التفسير» (11/ 63)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (6/ 1906)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (30/ 337).

(2) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (4/ 316).

(3) انظر: «تفسير الثعلبي» (5/ 109).

(4) انظر: «تفسير ابن عطية» (3/ 95).

مـع الصديقيـن لكـان فيـه تحـرج على العبـد أن يكتفي من نفسـه دون بلوغ مرتبـة الصديقيـة، ولا شـكَّ أنَّ أكـثـر الناس عاجـزون عن بلـوغ الاستقامـة على الصدق.

ولقد قال ذو النون المصري رحمه الله تعالى:

قَـــدْ بَقِينـــا مُذَبْذَبـــِينَ حَيـــارى
نَطْلُـــبُ الــصِّدْقَ مـــا إِلَيْـــهِ سَبـــِيلُ
فَـــدَعاوِيْ الهَـــوَى تَخِــفُّ عَلَينـــا
وَخِـــلافُ الْهَـــوى عَلَينـــا ثَقِيـــلُ[1][2]

وفي الآية على القراءة المتواترة: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[التوبة: ١١٩] إشارة بديعة إلى أن التعلق بأذيال الصادقين ينفع لا محالة؛ فإن العبد إذا كان مع الصادقين ولم يكن منهم، فقد تجره رغبته في الكينونة معهم إلى أن يكون منهم.

وفي قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[التوبة: ١١٩] إشارة إلى أنَّ التقوى أساس الصدق؛ فإنَّ حقيقة التقوى خشية الله تعالى، فيتقي عذابه وسخطه، فيصدق في طلبه، وحينئذ فقد ينفع قليل الصدق

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٩/ ١٥).

(٢) من قوله: «في «الترغيب» عن الربيع بن سليمان عنه...» (ص: ٢٥) إلى هنا سقط من النسخة «م»، والاستدراك من النسخة «ت». وقد جاء فيها بعض الكلام غير واضح، أُشير إليه بين حاصرتين.

مع التقوى، فإذا تمرَّن العبد على الصدق مع التقوى فقد بلغ الغاية، وأركز على قطب الصديقية.

وفي قوله: ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ تلطف بالعبد في إرشاده إلى الصديقية بلطف أمره بأن يكون مع مطلق الصادقين؛ فإنَّ قليل الصدق يدعو إلى كثيره، ولو أمروا بالصديقية أولاً لشق ذلك عليهم، وتوعَّر الطريق بين أيديهم، وربما وقفوا وجبنوا عن سلوكه، بل أمر الله تعالى بالقليل من ذلك، ووعد أن لا يضيع سعي ساع عنده ولو كان مثقال ذرة ليكون الطريق في وجوه السائرين إليه سهلاً واسعاً.

ولقد روى الطبراني في «الكبير»، والحاكم في «تاريخه» حديثاً حسناً عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لامْرِئٍ مَا احْتَسَبَ، وَعَلَيْهِ مَا اكْتَسَبَ، وَالمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، وَمَنْ مَاتَ عَلى ذَنَابَي[1] الطَّرِيْقِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِهِ»[2].

وقوله: على «ذنابي الطريق»، أو: «على طرفه» فيه إشارة إلى أنَّ من السعادة التي لا شبهة في نجاة صاحبها أن يموت على طريق الهدى ولو على طرف منه، فإذا كان ذلك الطرف المتعلق به هو الصدق في طلبه سبحانه وتعالى فقد تمت سعادته؛ فإنَّ من أحب لقاء الله تعالى أحبَّ الله تعالى لقاءه، وفي محبة لقاء الله تعالى ينطوي الصدق، فإذا مات

---

(١) يعني على قصد طريق. وأصل الذنابي: منبت ذنب الطائر. انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن أثير (٢/ ١٧٠).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٦٥٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٨١): فيه عمرو بن بكر السكسكي، وهو ضعيف.

العبد على استقامة من الصدق وطمأنينة في الحب وجبت له مساكن الصديقين ومنازل المقربين، وحقَّ لـه أن ينادى عند الموت بما نودي بـه أبو بكر الصديق وأقرانه رضي الله عنهم: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠].

ثم إنَّ نيل هذا المقام، بل الدخول في أول طريق الصدق لا يكون إلا بتوفيق الله تعالى وهدايته، ومن ثمَّ يشرع لنا في كل صلاة أن نقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الصدق» عن عمرو بن قيس: أن بعض التابعين وقعت عليه رقعة وهو قائم يصلي، فنظر فإذا فيها: اللهم إني أسألك يقين الصادقين، وصدق الموقنين، وعمل الطائعين، وخوف العاملين، وعبادة الخاشعين، وخشوع العابدين، وإنابة المخبتين، [وإخبات المنيبين][1]، وإلحاقاً برحمتك بالأحياء المرزوقين[2].

ثم الصديقون ـ كما تقدم ـ هم الذين صَعِدت نفوسهم إلى أَوج المعارف، وأفق الاطلاع على الحقائق؛ تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات، وتارة بمعارج التصفية والرياضات، لكن يشترط فيهم استصحاب الصدق مآلاً وحالاً في بداياتهم ونهاياتهم.

---

(١) زيادة من «اليقين».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «اليقين» (ص: ٣٥).

وبذلك يظهر الفرق بين الصديق والمُسْتَدْرَج؛ فإنَّ كثيراً من الناس ينطق بالحكمة، ويتكلم بلسان المعرفة، ويقتدر على الاحتجاج والاستظهار، وتكون أفعاله غير مرضية عند الله تعالى، فمعرفته على لسانه ليست على قلبه، فهو مستدرج بعمله، مملىً له في معرفته.

ولذلك قال ذو النون ﷺ: أريد عارفاً خائفاً، لا عارفاً واصفاً.

فالصديق من شأنه الخوف الدائم.

قال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن: ٤٦].

قال ابن شوذب[1]: نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ. رواه ابن أبي حاتم[2].

وقال عطاء رحمه الله تعالى: إنَّ أبا بكر الصديق ﷺ ذكر ذات يوم، وفكر في القيامة والموازين، والجنة والنار، وصفوف الملائكة، وطي السماوات، ونسف الجبال، وتكوير الشمس، وإنثار الكواكب، فقال: وددت أني كنت خضراً من هذه الخضر تأتي علي بهيمة فتأكلني وأني لم أخلق، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن: ٤٦]. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «المتمنين»، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في «العظمة»[3].

---

(١) في «م»: «ابن شوذة».

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٧٠٦).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «المتمنين» (ص: ٥٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٣٠٨).

فلا اعتبار بطلاقة اللسان، وفصاحة الكلام، والتكلم على الأسرار والأحوال حتى يصحبه الخوف.

ومن هذا القبيل حكماء الفلاسفة، والبراهمة، والشعراء، وأمثالهم ممن تجد كلامه مشحوناً بالحكم، وهو منحلُّ الاعتقاد، آمن من المكر؛ فإنهم مستدرجون، وليسوا بعارفين ولا صديقين لأنهم لو كانوا عارفين صديقين لصدقوا الله ورسوله فيما أدى نظرهم القاصر إلى مخالفتهما فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩]؛ أي: لا غيرهم؛ أي: لا يكون الصديقون إلا ممن آمن بالله ورسله؛ أي: صدق بهم وصدَّقهم فيما قالوا.

وأما من تكرر منه الصدق بحيث لم يحفظ عنه ولا كذبة، ثم لم يؤمن بالله ورسوله، فإنه لا يكون صديقاً لأنه كذب على الله تعالى في نفي وجوده، أو نفي وحدانيته، وعلى رسوله في نفي رسالته أو نبوته، أو في شيء مما جاء به، فكل صدق وقع منه في غير ذلك هباء.

بل من صدق في الإيمان بالله تعالى ورسله، ودام على ذلك، فقد يسمى صديقاً إما بمعنى صادق، وإما من حيث إنه تكرر منه هذا الصدق ودام عليه، ومن ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه: كلكم صديق وشهيد، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[الحديد: ١٩]. رواه ابن أبي حاتم[1].

---

(١) تقدم تخريجه.

وقال مجاهد رحمه الله: كل مؤمن صديق وشهيد، ثم تلا الآية. رواه عبد الرزاق، وغيره، وأخرجه ابن المنذر عن ابن مسعود رضي الله عنه[1].

وروى ابن حبان عن عمرو بن ميمون الجهني رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيت إن شهدت أن لا إلـه إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان، فممن أنا؟ قال: «مِنَ الصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ»[2].

ويحتمل أن يقال: كل من شهد ـ أي: علم ـ مقاماً من مقامات الإيمان، وأيقن بـه، وصدق فيـه، ودام على ذلك، فهو شهيد وصديق بالنسبة إلى ذلك المقام.

فإن شهد كذلك مقامين، فهو شهيد وصديق فيهما.

وإنما يكمل مقام الشهادة بالقتل في سبيل الله تعالى، أو بالاستقامة في علوم الشرع، ومقام الصديقية لمن بلغ الكمال في المعارف، ولم يصرفه عن الصدق صارف، فافهم!

ثم الفرق بين الشهداء الذين هم العلماء وبين الصديقين: أنَّ الشهداء واقفون في مقام الاستدلال في كل علومهم وأحوالهم، وأمَّا الصديقون فإنهم يستكشفون الحق تارة بالاستدلال، وتارة بالرياضة المؤديين إلى تنوير البصيرة، وتارة بمجرد التوفيق والإلهام من الله تعالى، فهم أخص

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٦١).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٤٣٨).

من الشهداء، وأتم حالاً منهم.

على أن الشهيد يشترط فيه ما يشترط في الصديق من استصحاب الصدق، لكن في أغلب أحوالهم فلا بد أن يكون مع الله تعالى صادقاً أبداً، ولذلك لم يكن للعبد في الجهاد ولا للموت على العلم فائدة مع الرياء لعدم الصدق، ففي «صحيح مسلم»، و«سنن النسائي» عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ القِيَامَةِ عَليهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيْهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيْكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: هُوَ جَرِيْءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ على وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِيْ النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ، وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَه، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيْهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيْكَ القُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِىءٌ، فَقَدْ قِيْلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ على وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِيْ النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ، فَعَرَّفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيْهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيْلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيْهَا إِلا أَنْفَقْتُ فِيْهَا لكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيْلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلى وَجهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[1].

---

(١) رواه مسلم (١٩٠٥)، والنسائي (٣١٣٧).

وأخرجه الترمذي وحسنه، وابن حبان في «صحيحه»، ولفظهما:

قال: حدثني رسول الله ﷺ: أنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالَىْ إذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ يَنْزِلُ إِلَىْ الْعِبادِ لِيَقْضِـيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُوْنَهُ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ، وَرَجُلٌ كَثِيْـرُ الْمـالِ، فَيَقُوْلُ اللهُ ﷻ لِلْقارِىءِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ ما أَنْزَلْتُ عَلَىْ رَسُوْلِي؟ فَيَقُوْلُ: بَلَىْ يا رَبِّ، قالَ: فَماذَا عَمِلْتَ فِيْما عَلِمْتَ؟ قالَ: كُنْتُ أَقُوْمُ بِـهِ آنـاءَ اللَّيْلِ وَآنـاءَ النَّهارِ، فَيَقُوْلُ اللهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُوْلُ لَهُ الْمَلائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُوْلُ اللهُ تَعالَىْ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقالَ: فُلانٌ قارِىءٌ، وَقَدْ قِيْلَ ذَلِكَ.

وَيُؤْتَىْ بِصاحِبِ الْمالِ، فَيَقُوْلُ اللهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّىْ لَمْ أَدَعْكَ تَحْتاجُ إِلَىْ أَحَدٍ؟ قالَ: بَلَىْ يا رَبِّ، قالَ: فَماذا عَمِلْتَ فِيْما آتَيْتُكَ؟ قالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ، وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُوْلُ اللهُ: كَذَبْـتَ، وَتَقُـوْلُ الْمَلائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُوْلُ اللهُ تَعالَىْ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقـالَ: فُلانٌ جَوادٌ، وَقَـدْ قِيْـلَ ذَلِكَ.

وَيُؤْتَىْ بِالَّذِيْ قُتِـلَ فِيْ سَبِـيْلِ اللهِ، فَيَقُـوْلُ اللهُ تَعالَىْ لَـهُ: فِيْما ذا قُتِلْتَ؟ فَيَقُوْلُ: أَيْ رَبِّ! أَمَرْتَ بِالْجِهادِ فِيْ سَبِيْلِكَ، وَقاتَلْتُ حَتَّىْ قُتِلْتُ، فَيَقُوْلُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُوْلُ الْمَلائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُوْلُ اللهُ تَعالَىْ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقالَ: فُلانٌ جَرِيْءٌ، وَقَدْ قِيْلَ ذَلِكَ.

ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي، فقال: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أُولَئِكَ الثَّلاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيامَةِ».

قال: فدخل على معاوية رجل فأخبرهَ بهذا عن أبي هريرة ﷺ، فقال معاوية ﷺ: قد فعل هؤلاء هذا، فكيف بمن بقي من الناس؟ ثم بكى معاوية بكاء شديداً ظننا أنه هالك، وقلنا قد جاءنا هذا الرجل بشر، ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه، وقال: صدق الله ورسوله ﷺ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[هود: ١٥ ـ ١٦][1].

فالشهيد لا بد أن يكون الصدق فيه دائماً، ومن ثم لا يصلح العالم المتزندق لأخذ العلم عنه، ولا يكون أهلاً للرواية؛ لقوله ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِيْنٌ؛ فَانْظُرُوْا عَمَّنْ تَأْخُذُوْنَ دِيْنَكُمْ». رواه الحاكم في «المستدرك» عن أنس ﷺ، والديلمي عن أبي هريرة ﷺ[2].

ولقد اشترط الله تعالى في الشهداء ما اشترطه في الصديقين، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[الحديد: ١٩].

إن قلنا: إن الشهداء معطوف على الصديقين ـ وهو أحد الوجهين في الآية ـ، ولا يصح الإيمان إلا بالصدق والإخلاص فيه، ولعله أراد سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[الحديد: ١٩] كُمَّل أهل الإيمان؛

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٨٢) وحسنه، وابن حبان في «صحيحه» (٤٠٨).

(٢) ورواه مسلم في «مقدمة صحيحه» (١/ ١٤) موقوفاً من كلام محمد بن سيرين، وهو الصحيح.

أي: الذين داموا على الإيمان، واستقاموا عليـه، فلا يكون كـل مؤمن صديقاً ولا شهيداً، خلافاً لمن أخذ بظاهر الآية إلا من حيث دوامه على الإيمان والصدق فيه، كما تقدم.

وكيف يصلح للشهادة لله تعالى من هو غير مصدق به، ولا مصدق له، ولا صادق في تصديقه.

وكذلك لا يصلح العالم المتفسق للأخذ عنه، والروايـة، فلا بد من عدالتـه؛ لأن الروايـة شهادة فلا يتم التشبه بالعلمـاء إلا بالعدالة، وهي داخلة في العمل بالعلم، وقد تقدم الكلام على ذلك.

وأما التشبه بالصديقين فلا يتحقق العبد به حتى يترقى في مقامات الدين، ويتصفى عن كدورات التلوين، ولا يتم ذلك إلا لمن قطع مقامات الأبرار، وعبر مقامـات المصطفين الأخيـار، فيكون مسلماً صادقـاً في إسلامه، حنيفاً صادقاً في تحنفه، مؤمناً صادقاً في إيمانه، ثم باراً صادقاً في بره، ثم صديقاً، ولا يكون باراً حتى يعبر أول مقامات الإحسان؛ لما قررته لك سابقاً من أنَّ البر هو الإحسان، وأول مقامات الإحسان أن يلاحظ وجـه الله تعالى في كل أعماله وأقواله، ويراقبه في لحظاته، وحركاته، وسكناته بأن يعلم أنَّ الله تعالى مطلع على سره وعلانيته، وعلى باطنـه وظاهره.

وقد روى البيهقي في «الأسماء والصفات» عن عبادة بن الصامت ﷺ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَـلِ إِيْمَـانِ المَـرْءِ أَنْ يَعْـلَـمَ أَنَّ اللهَ

مَعَهُ حَيْثُ كَانَ»[1].

فإذا ترقى في إخلاصه ومراقبته لله تعالى حتى وصل إلى مقام العيان المعبر عنه بقول رسول الله ﷺ في حديث «الصحيحين»: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»[2]، واستقام على ذلك كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[هود: ١١٢].

قال الحسن رحمه الله: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «شَمِّرُوْا»، فما رؤي ضاحكاً. أخرجه ابن حاتم[3].

فقد تحقق حينئذ بمقام الصديقية، وبكمال الإحسان.

والبر - أيضاً - اسمٌ من شرطه استصحاب الخوف والحياء، وملازمة الذكر، والعزوف عن الدنيا، والحذر منها، والاستغناء عن الناس، و[استكمال][4] المسلمين منهم، وطلب المعونة من الله تعالى، والبراءة من الحول والقوة، والاعتراف بالعجز والقصور، ودوام الافتقار إلى الله تعالى، وهذه كانت أحوال أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

روى الحاكم، وأبو نعيم، والبيهقي في «الشعب» عن زيد بن أرقم رضي الله عنه: أنَّ أبا بكر الصديق استسقى، فأتي بإناء فيه عسل[5]، فلما

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٤٤٥).

(٢) رواه البخاري (٤٤٩٩)، ومسلم (٨).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٤٨٠).

(٤) كلمة غير واضحة في «م»، والمثبت من «ت».

(٥) في مصادر التخريج: «بماء وعسل» بدل «بإناء فيه عسل».

وضع على يده بكى [وردَّ الإناء][1]، وانتحب، فما زال يبكي حتَّى بكى من حوله، فسألوه: ما الذي هيجك على البكاء؟ فقال: كنت مع رسول الله ﷺ، وجعل يدفع عنه شيئاً: «إِلَيْكِ عَنِّيْ، إِلَيْكِ عَنِّيْ»، ولم أرَ معه أحداً، فقلت: يا رسول الله! أراك تدفع شيئاً ولا أرى معك أحداً؟ فقال: «هَذِهِ الدُّنْيَا مُثِّلَتْ لي بِمَا فِيْهَا، فَقُلْتُ لَهَا: إِلَيْكِ عَنِّيْ، فَتَنَحَّتْ، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَقَالَتْ: أَمَا وَاللهِ إِنْ أَفْلَتَّ مِنِّي فَلَنْ يَتَفَلَّتَ مِنِّي مَنْ بَعْدَكَ» فَخَشِيْتُ أَنْ تَكُوْنَ لَحِقَتْنَا، فَذَاكَ أَبْكَانِيْ[2].

وروى الحاكم في «التاريخ»، والعسكري في «المواعظ» عن الأصمعي رحمه الله قال: كان أبو بكر ﷺ إذا مدح قال: اللهم أنت أعلم مني بنفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون[3].

وروى ابن حبان[4] في «روضة العقلاء» عن ابن شهاب رحمه الله تعالى: أنَّ أبا بكر الصديق ﷺ قال يوماً وهو يخطب: استحيوا من الله حق الحياء؛ فوالله ما خرجت لحاجة منذ بايعت رسول الله ﷺ [أريد

---

(١) زيادة من «حلية الأولياء».

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٨٥٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٦٤) واللفظ له، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥١٨).

(٣) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٣٢).

(٤) في «م»: «جبهان» بدل «حبان».

الغائط][1] إلا مقنعاً رأسي حياءً من ربي عز وجل[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي عمران الجوني رحمه الله تعالى قال: قال أبـو بكر الصديق رضي الله عنه: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن[3].

وعن الحسن رحمه الله قال: قال أبـو بكر رضي الله عنه: لوددت أني كنت هذه الشجرة تؤكل وتُعْضَد[4].

وعن قتادة رحمه الله قال: بلغني أنَّ أبا بكر رضي الله عنه قال: وددت أني خضرة تأكلني الدواب[5].

وعن قيس بن أبي حازم رحمه الله قال: رأيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه آخذاً بطرف لسانه وهو يقول: هذا هو الذي أوردني الموارد[6].

وعن أسلم رحمه الله قال: أخذ أبو بكر بلسانه في مرضه، فجعل يَلُوكُه ويقول: هذا أوردني الموارد[7].

---

(١) زيادة من «روضة العقلاء».

(٢) رواه ابن حبان في «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص: ٥٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٠٨).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١١٢).

(٥) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١١٢).

(٦) رواه وابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٥٥).

(٧) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٠٩).

وروى عبدالله ابنه عن أسلم: أن عمر رأى أبـا بكر رضي الله عنهما وهو مدل لسانه، آخـذه بيده، فقال: ما تصنـع يا خليفـة رسول الله؟ فقال: وهل أوردني الموارد إلا هذا؟[1]

وفي رواية: إنَّ عمر دخل على أبي بكر رضي الله عنهما وهـو يَجْبِـذ لسانـه، فقال له عمر: مه! غفر الله لك، فقال أبو بكر: إنَّ هذا أوردني الموارد[2].

قلت: حكي عن بعض الصالحين قال: رأيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه في المنام، فقلت له: يا خليفة رسول الله! رُويَ عنك أنَّك كنت تمسك لسانك، وتقـول: هذا أوردني المـوارد، فمـا أوردك؟ قال: قلت بـه: (لا إله إلا الله) فأوردني الجنة[3].

وروى الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله الخجندي في «أربعينه» عن جعفر الصادق رحمـه الله قال: كان أكثر كلام أبي بكر رضي الله عنه: لا إله إلا الله[4].

وروى أبـو عبد الرحمن السـلمي، والـديلمي عن علي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال لأبي بكر رضي الله عنه: «يَا أَبَا بَكْرٍ! إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ يُسَارِعُوْنَ فِي الدُّنْيَا فَعَلَيْكَ بِالآخِرَةِ، وَاذْكُرِ اللهَ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَمَدَرٍ يَذْكُرْكَ إِذَا ذَكَرْتَهُ،

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١١٢).

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٨٨).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٥٠٧).

(٤) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» للمحب الطبري (٢/ ١٣٣).

وَلا تَحْقِرَنَّ أَحَدَاً مِنَ المُسْلِمِيْنَ ؛ فَإِنَّ صَغِيْرَ المُسْلِمِيْنَ عِنْدَ اللهِ كَبِيْر»[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ قال: إن الدنيا لم تُرِد أبا بكر، ولم يُرِدْها، وأرادت ابن الخطاب ولم يردها[2].

وروى إسحاق بن راهويه، وأبو ذر الهروي في «الجامع» عن الحسن رحمه الله: أنَّ أبا بكر الصديق ﷺ خطب، فقال: أما والله ما أنا بخيركم، ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً، ولوددت أن فيكم من يكفيني، أفتظنون أني أعمل فيكم بسنة رسول الله ﷺ، إذن لا أقوم لها؛ إنَّ رسول الله ﷺ كان يُعصم بالوحي، وكان معه ملك، وإنَّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني أن لا أؤثر في أشعاركم، وأبشاركم، ألا فراعوني؛ فإن استقمت فأعينوني، وإن زغت فقوِّموني.

قال الحسن: خطبة - والله - ما خطب بها بعده[3].

ثم إن عماد الصديقية تصحيح اليقين كما يشير إليه حديث الإحسان.

وأركانها العبادة، ولذلك قال ﷺ: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَكَ تَرَاهُ»[4].

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨٢٥٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١١٣).

(٣) ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٧٠١).

(٤) تقدم تخريجه.

فحقيقة الصديقية استكمال الإحسان، وهذا مجموعه إلا أن عماده اليقين، فهو أول العبادة وآخرها، كما قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[الحجر: ٩٩].

وبه كان فضل أبي بكر ﵁ كما قال بكر بن عبدالله المزني رحمه الله: ما فُضِّل أبو بكر الناس بكثرة صلاة، ولا بكثرة صيام، ولكن بسِرٍّ[١] وقر في صدره. رواه الحكيم الترمذي في «نوادره»[٢].

وذلك السر هو اليقين، وما [يتشعَّب][٣] منه من طاعات القلب، وهو شيء عزيز، وجوهر نفيس، وأَهْلُوه أفرادٌ في الناس.

روى ابن عبد البر عن معاذ ﵁: أن النبي ﷺ قال: «مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى شَيْئاً أَقَلَّ مِنَ اليَقِيْنِ، وَلا قَسَّمَ بَيْنَ النَّاسِ شَيْئاً أَقَلَّ مِنَ الحِلْمِ»[٤].

وقد ختم الله تعالى به أوصاف المتقين بقوله: ﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[البقرة: ٤]، ثم قال: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة: ٥]؛ أي: أولئك الذين أول أحوالهم التقوى، وآخر أمرهم اليقين، على هدى من ربهم، وبصيرة من ثوابه، وأولئك هم الباقون في الخير، الدائمون في السعادة.

---

(١) في «نوادر الأصول»: «بشيء» بدل «بسر».

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ٥٥).

(٣) غير واضح في «م»، والمثبت من «ت».

(٤) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٢٥).

روى ابن أبي الدنيا عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نَجَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ بِاليَقِيْنِ وَالزُّهْدِ، وَيهْلَكُ آخِرُهَا بِالبُخْلِ وَالأَمَلِ»(١).

واعلم أنَّ أصحاب هذا المقام لا يتفاوتون في اليقين، ولذلك قال بعضهم: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً؛ ويروى عن علي رضي الله عنه(٢).

نعم، تتفاوت مقاماتهم باعتبار تفاوتهم في الصدق، فيزدادون وضوحاً في يقينهم، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[البقرة: ٢٦٠]؛ أي: بزيادة الوضوح، وإلا فإنه عليه السلام كان كامل اليقين، خالصاً عن الشك، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «فَنَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيْمَ»، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في «الصحيحين»(٣)؛ [أي]: إِنَّهُ لَوْ فُرِضَ الشَّكُّ مِنْ إِبْرَاهِيْمَ لَكُنَّا أَحَقَّ بِهِ مِنْهُ.

وهذا من النبي ﷺ تواضع، ومبالغة في تنزيه إبراهيم عليه السلام من الشك.

ونظير ذلك ما اتفق لأبي بكر رضي الله عنه حين قال له رجال من المشركين:

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (ص: ٣٦).

(٢) هو من قول عامر بن عبد قيس، كما جزم بذلك ابن القيم في «مدارج السالكين» (٢/ ٤٠٠) وقال: وليس هذا من كلام رسول الله ﷺ، ولا من قول علي رضي الله عنه، كما يظنه من لا علم له بالمنقولات.

(٣) رواه البخاري (٣١٩٢)، ومسلم (١٥١).

هل لك إلى صاحبك؛ يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ فقال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك في خبر السماء في غدوة وروحة، ولذلك سمي الصديق[1].

وفي رواية: في خبر السماء، في ساعة من ليل أو نهار، فهذا أبعد مما تعجبون منه، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ، وقال: يا نبي الله! حدثت هؤلاء أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: «نَعَمْ»، قال: يا نبي الله! فصفه لي؛ فإني قد جئته، قال الحسن: فقال رسول الله ﷺ: «رُفِعَ لِي حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ»، فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبي بكر رضي الله عنه، فيقول أبو بكر: صدقت، أشهد أنك رسول الله، كلما وصف له منه شيئاً قال: صدقت، أشهد أنك رسول الله، حتى إذا انتهى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «وَأَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ الصدِّيق»؛ فيومئذ سماه الصديق[2].

قال المحب الطبري رحمه الله تعالى في «الرياض النضرة»: قول أبي بكر رضي الله عنه: «صفه لي» يحتمل معنيين:

أحدهما: إظهار صدقه ﷺ لقومه؛ فإنهم كانوا يتقوون بقول أبي بكر رضي الله عنه، فإذا طابق خبره ﷺ ما كان يعلم أبو بكر، وصدقه به، كان حجة ظاهرة عليهم.

الثاني: طمأنينة قلبه رضي الله عنه، كقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٤٠٧) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٤٥).

﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾[البقرة: ٢٦٠]، لا أن أبا بكر رضي الله عنه كان عنده شك، كلا، بدليل تصديقه أول وهلة، والله أعلم. انتهى[١].

وقوله ﷺ في حديث الإحسان: «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[٢] إشارة إلى أول مقام الإحسان وأدناه، وهو مقام الأبرار؛ أي: فإن لم تكن كمن يراه سبحانه فتكون صديقاً، فكن عالماً بأنه يراك ويراقبك، فتكون باراً؛ ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾[البقرة: ٢٦٥].

فإن قلت: فإذا تقرر أنَّ مقام الصديقية فوق مقام البر، فهل يكون هذا مخالفاً لما رواه الإمام أحمد، والبخاري في «الأدب»، ومسلم في «الصحيح»، والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلى الجَنَّةِ، وَمَازَالَ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً»[٣]؟!

قلت: لا مخالفة فيما ذكرناه للحديث أصلاً؛ فإنَّ البر لا يتم إلا بالصدق فيه ـ كما تقدمت الإشارة إليه في كلامنا آنفاً ـ بل الصدق طريق الهداية إلى البر ـ كما في الحديث ـ فالصدق بداية البر، والبر بداية الصديقية، وكأن البار بمعنى الصادق، والصديق أبلغ منه صدقاً وبراً.

---

(١) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» للمحب الطبري (١/ ٤٠٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٦)، ومسلم (٢٦٠٧)، والترمذي (١٩٧١).

وهذا الحديث على وزان قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[البقرة: ١٧٧] إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٧٧]؛ أي: أولئك الذين صدقوا فأدى بهم الصدق إلى هذا البر الموصوف.

فمن جاء بهذه الأوصاف المذكورة في هذه الآية فهو بار وصادق، ولا يكون صديقاً حتى يستقيم عليها، وعلى الصدق فيها، وتكون تلك غاية مستمرة له.

كما قال ﷺ: «وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً».

وقلت في معنى الحديث بطرفيه:

ما يَزالُ الْعَبْدُ يَصْدُقُ فِـيْ كُـلِّ شَـيْءٍ يَتَحَـرَّاهُ
أَبَـدَ الـدَّهْرِ فَيَكْتُبَـهُ اللهُ صِـدِّيْقاً وَيَرْضـاهُ
وَيَـدُوْمُ الْعَبْـدُ يَكْـذِبُ فِـيْ كُـلِّ أَمْـرٍ يَتَوَخَّـاهُ
هَكَـذَا أَيْـضاً فَيَكْتُبَـهُ اللهُ كَـذَّاباً وَيَقْـلاهُ

وقوله: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٧٧] يؤخذ منه أن البار هو المتقي؛ فإن ترقى في التقوى إلى غاياتها بحيث استقام قلبه عليها حتى صار معدناً لها كان صديقاً.

وقد روى الطبراني عن عبدالله بن عمر[1] رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِ شَيْءٍ مَعْدِنٌ، وَمَعْدِنُ التَّقْوى قُلُوْبُ العَارِفِيْنَ»[2].

والعارفون بالله هم الصديقون؛ فإنهم خواص العلماء، استقاموا على الخشية، والتقوى، والصدق.

وقال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾[الأحزاب: ٢٣ ـ ٢٤]؛ أي: بقدر صدقهم، أو بسبب صدقهم.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الأحزاب: ٢٤]: نزلت هذه الآية في شهداء أحد، ومن بقي من أهل تلك الغزوة، وناهيك بهم صديقين!

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[الأحزاب: ٢٣] إشارة إلى أنهم داموا على العهد، والصدق فيه حتى قتلوا، أو ماتوا.

وسئل أبو عبدالله القرشي رحمه الله تعالى عن الفرق بين الصادق والصِّدِّيق فقال: كل صادق بلسانه ولم تستقم أحواله لا يسمى صدِّيقاً حتى يستوي صدقه في أفعاله وأقواله وأحواله؛ إذ ذاك يستحق اسم الصديقية.

---

(١) في «م»: «عبدالله بن عمرو».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣١٨٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٦٨): فيه محمد بن رجاء، وهو ضعيف. وحكم عليه ابن القيم بالوضع في «المنار المنيف» (ص: ٦٦).

وقال حجة الإسلام: لفظ الصدق يستعمل في ستة معان:

- صدق في القول.

- وصدق في النية، والإرادة.

- وصدق في العزم.

- وصدق في الوفاء بالعزم.

- وصدق في الفعل.

- وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها.

فمن صدق في جميع ذلك فهو صدِّيق؛ لأنه مبالغة عن الصدق(١).

وفي «القاموس»: الصديق - كسكيت - الكثير الصدق.

قلت: وقد تلخص لي أخذاً من سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو رأس الصدِّيقين بعد الأنبياء عليهم السلام كما أنَّ محمد ﷺ رأس النبيين، ومن ثم اشتركا في هذه الخصوصية التي في حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَآنِيْ فِيْ المَنَامِ فَقَد رَآنِي؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ بِي، وَمَنْ رَأَى أَبَا بَكْرٍ فِي المَنَامِ فَقَد رَآهُ لأَنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ بِهِ». رواه الخطيب، والديلمي(٢).

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٣٨٧).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٨/ ٣٣٣)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٤٩٩٠). قال ابن حجر في «لسان الميزان» (٢/ ٤٠٣): خلف ابن عامر البغدادي الضرير فيه جهالة، روى عن محمد بن إسحاق بن =

إنَّ أركان الصدِّيقية أربعة:

أولها: التبري عن الأكوان كلها، كما قال رسول الله ﷺ [لأبي بكر رضي الله عنه] لمَّا تصدق بكل ماله: «مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟» قال: «الله ورسوله»[1].

ويُعبر عن ذلك بالحرية، ولذلك قال جدي الشيخ رضي الدين رضي الله عنه في «ألفيته» في التصوف: [من الرجز]

وَيُعْرَفُ الصِّدِّيْقُ بِالْحُرِّيَّةْ
مِنْ رِقِّ كُلِّ صِفَةٍ نَفْسِيَّةْ

الثاني: التصديق بكل أمرٍ إلهي ـ وإن كان خارجاً عن العادات، والمألوفات ـ كما صدق أبو بكر رضي الله عنه بحديث الإسراء، وقد تزلزل فيه غيره لولا تصديقه رضي الله عنه، فهو أول المصدقين بذلك، وبكل أمر إلهي جاء به النبي ﷺ.

روى أبو عبدالله محمد بن منده في كتاب «فضائل أبي بكر»، والملاء في «سيرته»، وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِيْ قُلْتُ لِجِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلام: إِنَّ قَوْمِي لا يُصَدِّقُونِي، فَقَالَ لي جِبْرِيْل: يُصَدِّقُكَ أَبُو بَكْرٍ، وَهُوَ الصِّدِّيْقُ»[2].

= مهران، بسند صحيح مرفوعاً، وذكر الحديث.

(1) رواه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥) وصححه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(2) ورواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ١٤٠)، =

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: أول من صلى مع النبي ﷺ أبو بكر رضي الله عنه.

ثم تمثل بأبيات حسان رضي الله عنه: [من البسيط]

إِذا تَذَكَّرْتَ شَجْواً مِنْ أَخِيْ ثِقَةٍ
فَاذْكُرْ أَخاكَ أَبا بَكْرٍ بِما فَعَلا
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَتْقاها وَأَعْدَلَها
إِلاَّ النَّبِيَّ وَأَوْفاها بِما حَمَلا
الثَّانِيَ التَّالِيَ الْمَحْمُوْدَ مَشْهَدُهُ
وَأَوَّلَ النَّاسِ حَقّاً صَدَّقَ الرُّسُلا(١)

ومن هنا قال رسول الله ﷺ: «مَا صَحِبَ النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِيْنَ أَجْمَعِيْنَ، وَلا صَاحَبَ يس أَفْضَلُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه». رواه الحاكم في «تاريخه» عن أنس رضي الله عنه(٢).

وإنما كان التصديق مما تتحقق به الصديقية لأن الصدق يدعو إليه؛ لأن الصادق يُصدق الصادق.

ومن ثم قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ تَصْدِيْقاً للنَّاسِ أَصْدَقُهُمْ

= والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧١٧٣).

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١١٢).

(٢) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٢١٦).

حَدِيْثَاً، وَإِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ تَكْذِيْبَاً أَكْذَبُهُمْ حَدِيْثَاً». رواه ابن الحسين القزويني في «أماليه».

وقد شارك أبا بكر ﷺ في السبق إلى التصديق آخرون؛ منهم: علي بن أبي طالب، وصاحب آل يس، ومؤمن آل فرعون، ﷺ.

روى أبو نعيم، وابن عساكر، والديلمي عن أبي ليلى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الصِّدِّيقُوْنَ ثَلاثَةٌ: حَبِيْبٌ النَّجَّارُ مُؤْمِنُ آلِ يس الَّذِي قَالَ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[يس: ٢٠].

وَحِزْقِيْل مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ الَّذِي قَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾[غافر: ٢٨].

وَعَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَهُوَ أَفْضَلُهُمْ»[1]؛ أي: أفضل هؤلاء الثلاثة.

وأبو بكر ﷺ أفضل من سائر الصديقين، فهو أفضل من علي ﷺ باتفاق أهل السنة، وبإقرار علي ﷺ.

روى البخاري عن محمد بن الحنفية رحمه الله قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[2].

---

(١) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٨٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ٤٣)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٣٨٦٦).

(٢) رواه البخاري (٣٤٦٨).

وروى الإمام أحمد، وغيره عن علي رضي الله عنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر(١).

قال الحافظ الذهبي: هذا متواتر عن علي رضي الله عنه؛ فلعن الله الرافضة ما أَجْهَلَهُم(٢).

وأما تفضيل أبي بكر رضي الله عنه على صاحب آل يس ومؤمن آل فرعون؛ فإذا ثبت تفضيله على علي فقد ثبت تفضيله عليهما؛ لقوله ﷺ في علي: «وَهُوَ أَفْضَلُهُمْ».

وسبق في حديث أنس تفضيل أبي بكر رضي الله عنه على سائر أصحاب الأنبياء، وعلى آل يس.

وروى البزار، وأبو نعيم في «فضائل الصحابة» رضي الله عنهم عن علي رضي الله عنه: أنه قال: يا أيها الناس! أخبروني من أشجع الناس؟ قالوا: أنت، قال: أما إني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس، قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر رضي الله عنه؛ [إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً، فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهراً السيف على رأس رسول الله ﷺ، لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس،

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١١٠).

(٢) انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣/ ١١٥).

قال علي][1]: لقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش؛ فهذا يجؤه، وهذا يتلتله، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً؟ قال: والله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر رضي الله عنه يضرب هذا، ويَجَأ هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ ثم رفع علي رضي الله عنه بردة كانت عليه، فبكى حتى اختضلت لحيته، ثم قال: أُنشدكم، أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم، فقال: ألا تجيبوني؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون؛ ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه[2].

وفي «صحيح البخاري»، وغيره عن عروة قال: قلت لعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفِناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي مُعيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ، ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه، فأخذ بمنكبيه، ودفعه عن النبي ﷺ، ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨][3].

الثالث من أركان الصديقية: قول الصدق في كل موطن ـ خصوصاً

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «فضائل الخلفاء الراشدين».

(٢) رواه أبو نعيم في «فضائل الخلفاء الراشدين» (ص: ٣٦٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٤٧): رواه البزار وفيه من لم أعرفه.

(٣) رواه البخاري (٤٥٣٧).

في المواطن التي يخاف فيها الضرر ـ كما سبق أن النبي ﷺ لما حدث بحديث الإسراء سعى ناس من قريش إلى أبي بكر ﷺ فقالوا: هل لك في صاحبك، يزعم أنه أُسريَ به الليلة إلى بيت المقدس؟ فقال: أَوَقَدْ قال؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك لقد صدق... الحديث.

وكما في حديث ابن عمرو من قول أبي بكر ﷺ: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات.

وروى ابن أبي الدنيا، وغيره: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «تَحَرَّوُا الصِّدْقَ وَإِنْ كَانَ[1] فِيْهِ الهَلَكَةُ؛ فَإِنَّ فِيْهِ النَّجَاةَ»[2].

ولذلك قال الجنيد رحمه الله: حقيقة الصدق أن تصدق في موطن لا يُنجيك فيه إلا الكذب[3].

وقال النهرجوري رحمه الله تعالى: حقيقة الصدق القول بالحق في مواطن الهلكة[4].

الرابع: الاستقامة على هذه الأخلاق الثلاثة.

وقد استقام عليها أبو بكر ﷺ حتى لقي الله تعالى.

---

(١) في «الصمت وآداب اللسان»: «رأيتم» بدل «كان».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٢٢٧). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٦٥): معضل، ورواته ثقات.

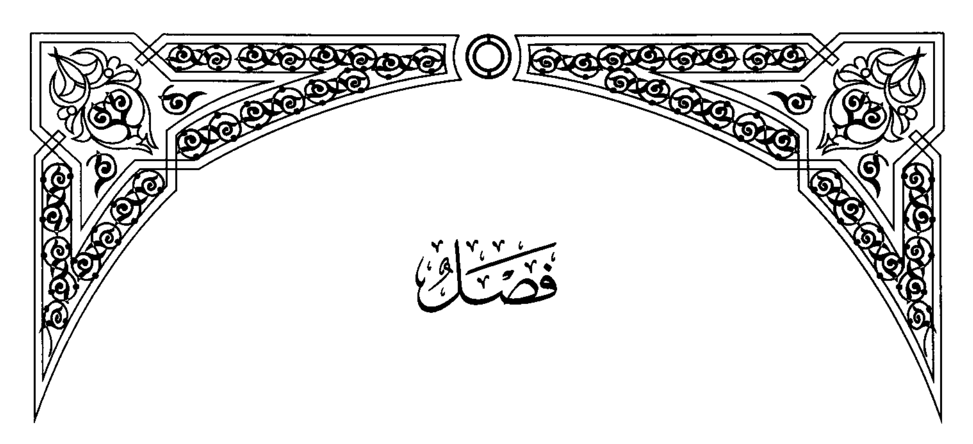
(٣) رواه القشيري في «رسالته» (ص: ٢٤٧).

(٤) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٨٦).

وهذا لا يشك فيه مؤمن له إلمام بسيرة أبي بكر ﵁، وأخباره.

وروى أبو الحسن بن جهضم عن يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى قال: من ظنَّ أنَّه ينال ما نال القوم بغير مقاساة الجهد، والصدق، والإيثار، واستقامة الصدق من القلوب، فقد ادَّعى على الله ما ليس من صفته، ومن أراد الوصول إلى الله من غير أبواب النبيين، والأولياء، والصالحين فهذا معدوم.

* * *



قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ [غافر: ٢٨ ـ ٣٤].

ثم قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ
أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ
بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ
إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ
هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ
سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٣٨ ـ ٤٥].

هذا ما قصَّهُ الله تعالى في كتابه العزيز عن مؤمن آل فرعون، وسبق أنَّ اسمه حزقيل، وقيل: حبيب.

وقال قتادة في قوله: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾: كان قبطياً من قوم فرعون، فنجي مع موسى عليه السلام، وبني إسرائيل حين نجوا. رواه عبد الرزاق، وغيره(١).

ومن حاله أنه نهى قومه عن قتل موسى عليه السلام، وكذلك نهى أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قتل محمد ﷺ، كما سبق.

وهوَّن عليهم ترك قتله كما عظَّم عليهم قتله بقوله: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] بأنَّ أمره لا يخلو من كذب فلا ضرر فيه عليكم، أو صدق وقد وعدكم بأمور

(١) ورواه الطبري في «التفسير» (٢٤/ ٧٠)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٢٩٠).

لو لم يصبكم إلا بعضها يضركم تكذيبه وهو صادق.

ويروى لعلي رضي الله عنه نظير هذا كما ذكره حجة الإسلام في «الإحياء» من قوله رضي الله عنه: [من الكامل]

زَعَمَ الْمُنَجِّمُ وَالطَّبِيْبُ كِلاهُما
لا تُحْشَرُ الأَجْسادُ قُلْتُ إِلَيْكُما

إنْ صَحَّ قَوْلُكُما فَلَسْتُ بِخاسِرٍ
أَوْ صَحَّ قَوْلِيْ فَالْخَسارُ عَلَيْكُما(١)

وقد توافق أبو بكر رضي الله عنه وحزقيل في هذا الأسلوب، فروى ابن أبي شيبة، والحكيم الترمذي، والبيهقي في «الدلائل» عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: ما تنول من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء كان أشد من أن طاف بالبيت ضحى، فلقوه حين فرغ، فأخذوا بمجامع ردائه، وقالوا: أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا؟ فقال: أَنا ذاكَ، فقام أبو بكر رضي الله عنه فالتزمه من ورائه، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨] رافعاً صوته بذلك، وعيناه

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٥٩). لكن من قول أبي العلاء المعري، ثم قال: لذلك قال علي رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور وكان شاكاً: إن صح ما قلتَ فقد تخلصنا جميعاً، وإلا فقد تخلصتُ وهلكتَ.

تسيحان حتى أرسلوه[1].

وفي ذلك أنَّ من شأن الصديقين النصيحة، والنصرة للدين والحق، ولأولياء الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ بيد المظلوم، والتلطف في الإنكار على الظالم إذا كان ذا شوكة وغلبة، والتأنق في الاحتيال للتخليص منه، ومناظرته في أثناء ذلك على ألطف الوجوه وأوضحها في بيان الحق والإلزام، وفي ذلك اتصاف الصديق بأبلغ وجوه المعرفة، فافهم!

وفي قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾[غافر: ٢٩] إشارة إلى أنَّ من شأن الصديقين التذكرة بالنعم، وأنها ينبغي أن تعرف وتشكر، ولا تكفر لتدوم، أو لتحمد عواقبها، والتحذير من الاغترار بالملك، والحول والقوة، والظهور والغلبة حذراً من غب ذلك.

ومن مواعظ أبي بكر ﷺ المُلائمةِ لذلك: ما رواه الإمام أحمد في «الزهد»، وابن أبي الدنيا، وأبو نعيم عن يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالى: أنَّ أبا بكر الصديق ﷺ كان يقول في خطبته: أين الوضاء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحسنوها؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع أركانهم

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٥٦١)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٧) واللفظ له. وأصل الحديث عند البخاري (٣٤٧٥) لكن عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ.

حين اختانهم الدهر، وأصبحوا في ظلمات القبور، الوَحَاءَ الوَحَاءَ، ثم النَّجاءَ النَّجاء[1].

وهذا ـ أيضاً ـ يلائم قول مؤمن آل فرعون: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ﴾[غافر: ٣٠ ـ ٣١] ـ أي: حال ـ ﴿قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾[غافر: ٣١].

وفيه تحذير من مثل ما كان عليه الأمم الماضون من الظلم، وتخويف من مثل غبه.

وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾[غافر: ٢٨]، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ﴾[غافر: ٣٤] إشارة إلى أنَّ الإصرار على المعاصي، والكذب، والارتياب في الدين قد يكون سبباً لسد أبواب الهداية عن العبد، بخلاف الطاعة فإنها تفتح باب الهدى لأنها شكر.

وقد قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾[إبراهيم: ٧]، والنعمة قيدها شكرها، وفي كفرانها تعريض لها للزوال، وذلك إنما أورده مؤمن آل فرعون على سبيل النصيحة لهم والتحذير، وهو من الحكم البالغة، وفيه أنَّ من أحوال الصديقين النطق بالحكمة.

وفي قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[غافر: ٣٨]

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٣)، وابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (ص: ١٠١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٤).

إيماء إلى أنَّهُ من العلماء العارفين بالله، وبالطريق الموصل إليه، وأنَّه من الهداة المهديين تحديثاً منه بنعمة العلم والهداية ليتبعوه.

وفي ذلك أن الصديقين لا يضرهم دعوى العلم ليعرفوا فيسألوا، وقد سبق قول علي ﷺ لكُميل بن زياد: هاه! هاه! إن هاهنا علوماً لو وجدت لها حملة ـ وأشار إلى صدره ـ[1].

وفي قوله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[غافر: ٤٤] إشارة إلى أدوم أحوال الصديقين وأغلبها، وهو التفويض والتسليم، وهما حال أبي بكر وعلي ﷺ حين خرج الأول مع النبي ﷺ مهاجرين حتى نزلا الغار، ونام الثاني في فراش النبي ﷺ وقد أحاط به قريش يَأْتَمِرُون به ليقتلوه، وهذا غاية ما يطيقه العبد من التفويض.

وإذا وصل العبد إلى هذه الرتبة فقد وُقِيَ، كما قال الله تعالى في مؤمن آل فرعون: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ﴾[غافر: ٤٥].

وكذلك لما سَلَّم أبو بكر وعلي ﷺ سَلِما، ووقاهما الله شر قريش، وحينئذ حصلت الراحة، وذهبت المشقة عن كل واحد منهما.

ومن ثم قال أبو عثمان الحيري رحمه الله تعالى: أنت في سجن ما تبعت مرادك، فإذا فوَّضت وسلمت استرحت[2].

وقال أبو علي الروذباري رحمه الله تعالى: سلامة النفس في

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٤٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٤٥).

التسليم، وبلاؤها في التدبير[1].

والتفويض والتسليم من فوائدها الراحة من تعب التدبير، والأمن من التدمير، والظفر بالفرج أقرب متى يكون.

كما قيل: [من البسيط]

دَعِ الْمَقادِيْرَ تَجْرِيْ فِيْ أَعِنَّتِهـا ... وَلا تَبِـيْتَنَّ إِلاَّ خـالِيَ الْبـالِ
مَا بَيْنَ طَرْفَـةِ عَـيْنٍ وَانْتِباهَتِهـا ... يُغَيِّرُ الدَّهْرُ مِنْ حالٍ إِلَىْ حـالِ

وفي «الصحيحين» عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوْءَكَ لِلصَّلاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِيَ إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ».

قَالَ: «فَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُول»[2].

واعلم أن الصديقين ـ وإن بلغوا أعلى رتب التسليم، والتفويض ـ فإن الخوف [لا فارق][3] قلوبهم؛ لما علمت أن ملازمته من شرط الصديقية.

---

(1) رواه السلمي في «حقائق التفسير» (١/ ٦٦).

(2) رواه البخاري (٥٩٥٢)، ومسلم (٢٧١٠).

(3) طمس في «م»، والمثبت من «ت».

ولقد [قال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى][1]: ما فارق الخوف قلباً إلا خَرِب[2].

فالخوف حالهم إلى الممات، ومن ثم [يقع لهم أنهم يتمنَّون][3] أن لو كانوا عدماً.

وروى أبو نعيم عن يحيى بن معاذ رضي الله عنه قال: البارُّ يبكيه دينه[4]، والزاهد تبكيه عزته[5]، والصديق يبكيه خوف زوال الإيمان[6].

ومن تمني الصديقين للموت تخوفاً من الفتنة في الدين: قول مريم عليها السلام: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[مريم: ٢٣]، وقد شهد الله تعالى لها بالصديقية في قوله: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾[المائدة: ٧٥].

وقال أبو بكر رضي الله عنه: لوددت أني تمرة[7] ينقرها الطير[8].

وأخذ عمر رضي الله عنه تبنة من الأرض، فقال: يا ليتني هذه التبنة، ليتني

(١) طمس في «م»، والمثبت من «ت».

(٢) رواه القشيري في «رسالته» (ص: ١٦٣).

(٣) طمس في «م»، والمثبت من «ت».

(٤) في «حلية الأولياء»: «التائب يبكيه ذنبه» بدل «البار يبكيه دينه».

(٥) في «حلية الأولياء»: «غربته» بدل «عزته».

(٦) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٥٤).

(٧) في مصادر التخريج: «ثمرة» بدل «تمرة».

(٨) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٨١)، وابن أبي الدنيا في «المتمنين» (ص: ٥٩).

لم أكُ شيئاً، ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت نَسياً مَنسيًّا[1].

ومرت عائشة رضي الله عنها بشجـرة، فقالت: يا ليتني ورقـة من هذه الشجرة[2].

وقال عمران بن حصين رضي الله عنهما: لوددت أني كنت رماداً[3].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: لـوددت أني كبش أهلي، فمـر بي ضيـف فأَمَرُّوا على أوداجي فأكلوا، وأطعموا[4].

وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: لوددت أني كبش فذبحني أهلي، فيأكلون لحمي، ويحتسون مرقي[5].

روى هذه الآثار ابن المبارك، وابن أبي الدنيا، وغيرهما.

قال ابن المبارك رحمه الله: بلغنا عن الحسن رحمه الله أنـه قال:

---

(١) رواه ابن المبـارك في «الزهـد» (١/ ٧٩)، وابن أبي الدنيـا في «المتمنيـن» (ص: ٢٦).

(٢) رواه ابن المبـارك في «الزهـد» (١/ ٨١)، وابن أبي الدنيـا في «المتمنيـن» (ص: ٣٢) إلا أنه قال: «يا ليتني كنت شجرة».

(٣) رواه ابن المبـارك في «الزهـد» (١/ ٨١)، وابن أبي الدنيـا في «المتمنيـن» (ص: ٣٠).

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٨٠)، وكذا ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ١٩٣).

(٥) رواه ابن المبارك في «الزهـد» (١/ ٨١)، وابن أبي الدنيـا في «المتمنين» (ص: ٣٠).

تمنَّوا وتمنَّوا، فلما فاتهم ذلك جَدُّوا[1]؛ أي: فلما علموا أن ذلك الذي تمنوه فاتهم وأن التمني لم ينفعهم، بل لا ينفعهم بعد؛ إذ ما خلقوا إلا للاجتهاد في الطاعة، اجتهدوا فيها.

كما روى الإمام أحمد في «الزهد»، وغيره أنَّ أبا بكر ﷺ كان يصوم الصيف، ويفطر الشتاء[2].

وروى عبدالله ابنه في «زوائده» عن سهل بن سعد ﷺ قال: كان أبو بكر ﷺ لا يلتفت في صلاته[3].

وعن أنس ﷺ أنه سمع عمر ﷺ وهو في حائط وبينه وبينه جدار، وهو يقول: عمر أمير المؤمنين! بخٍ بخٍ! والله بني الخطاب لتتقين الله، أو ليعذبنك[4].

وعن يحيى بن جعدة رحمه الله قال: قال عمر ﷺ: لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لقيت الله ﷻ: لولا أني أضع جبهتي لله ﷻ، أو أجلس في مجالس ينتقى فيها طيب الكلام كما ينتقى فيها طيب الثمر، أو أن أسير

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٨٢)، وابن أبي الدنيا في «المتمنين» (ص: ٦٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١١٢).

(٣) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٢٠٧)، وكذا رواه البخاري (٦٥٢).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١١٥).

في سبيل الله ﷻ[1].

وأخرجه والده، وغيره بنحوه.

وروى أبوه ـ أيضاً ـ عن الحسن رحمه الله تعالى قال: تزوج عثمان ابن أبي العاص امرأة من نساء عمر بن الخطاب ﷺ، فقال: والله ما نكحتها رغبة في مال ولا ولد، ولكن أحببت أن تخبرني عن ليل عمر، فسألها قال: كيف كان صلاة عمر بالليل؟ قالت: كان يصلي صلاة العشاء، ثم يأمرنا أن نضع عند رأسه تَوراً من ماء، فيتعارّ من الليل، فيضع يده في الماء، فيمسح يده ووجهه، ثم يذكر الله ﷻ حتى يغفي، ثم يتعارُّ حتى يأتيَ الساعةَ التي يقوم فيها[2].

وروى ابن أبي شيبة عن الحسن: أنه كان ربما ذكر عمر ﷺ فيقول: والله ما كان بأولهم إسلاماً، ولا بأفضلهم نفقة في سبيل الله، ولكنه غلب الناس بالزهد في الدنيا، والصرامة في أمر الله، ولا يخاف في الله لومة لائم[3].

وروى الإمام أحمد عن زهيمة رحمها [الله]؛ قالت: كان عثمان ﷺ يصوم الدهر، ويقوم الليل إلا هَجْعة من أوله[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١١٧). وكذا ابن المبارك في «الجهاد» (ص: ١٦٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١١٨).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٠١٠).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٢٩).

وعن أبي عثمان النَّهدي: أنَّ غلام المغيرة بن شعبة تزوج، فأرسل إلى عثمان ـ وهو أمير المؤمنين رضي الله عنه، فلما جاء قال: أما إني صائم، غير أني أحببت أن أجيب الدعوة، وأدعو بالبركة(١).

وأحوال الخلفاء الراشدين وأهل طبقتهم من الصديقين، وسيرهم إنما هي مشتملة على الجد، والتشمير في طاعة الله تعالى.

ولقد قال الله تعالى في وصفهم: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٩].

ثم إنهم على ما هم عليه من السبق والتبريز في كل مقام من العبادة، وحال من التقوى متهمون لأنفسهم، غير مستكملين لها، بل ماقتون لها في ذات الله تعالى، غير راضين منها، مستمدون في ذلك من قول يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣].

وروى ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» عن مولى لأبي بكر رضي الله عنه قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: من مقت نفسه في ذات الله آمنه الله من مقته(٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٢٩).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (ص: ٢٤).

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد في «الزهد» عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لا تفقه كل الفقه حتى تمقُت الناس في جنب الله، ثم ترجع إلى نفسك فتكون أشد لها مقتاً[1].

* **فائِدَةٌ:**

روى حسن المروزي في «زوائد الزهد» لابن المبارك عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حدثني يا كعب، قال: نعم يا أمير المؤمنين، قصور في الجنة لا يسكنها إلا نبي، أو صديق، أو شهيد، أو حكم عدل، فقال عمر: أما النبوة فقد مضت لأهلها، وأما الصديقون فقد صدقت الله ورسوله، وأما حكم عدل فإني أرجو ألا أحكم بشيء إلا لم آل فيه عدلاً، وأما الشهادة فأنى لعمر بالشهادة[2].

قلت: في هذا الكلام إشارة إلى أن تصديق الله ورسوله من أعظم أركان الصديقية، بل معظمها، ألا ترى أن عمر رضي الله عنه رجا هذه الرتبة بما علمه من نفسه من تصديق الله ورسوله، ثمَّ إن عمر رضي الله عنه كان سأل الله تعالى الموت في المدينة، والشهادة في سبيل الله كما في «صحيح البخاري»[3]، ومَنَّ الله عليه بالشهادة، بل جمع له بين الصديقية والشهادة والحكم بالعدل.

---

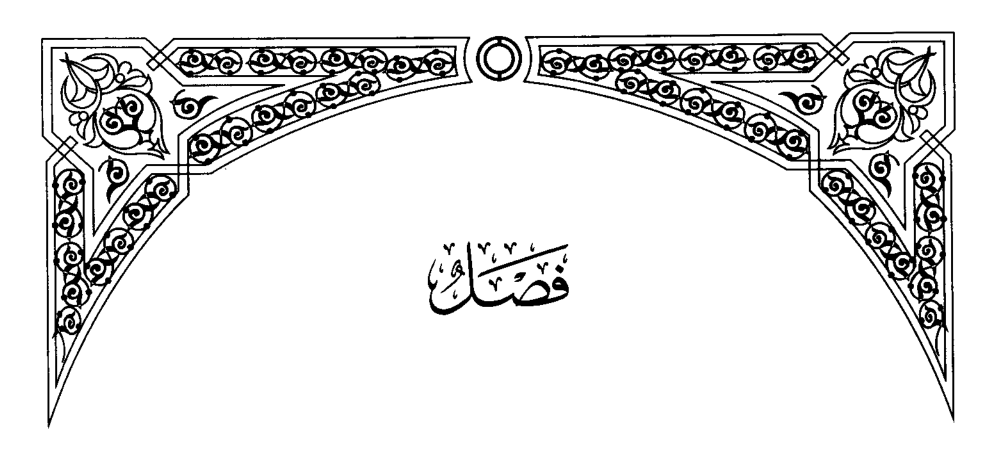
(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٥٨٤)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٣٤).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٥٣٥).

(٣) روى البخاري (١٧٩١) عن عمر رضي الله عنه قوله: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ.

وفي كلام عمر رضي الله عنه دليل على أنه لا بأس بالتحدث بنعم الله تعالى، ألا ترى أنه حدث بتصديقه، ورجائه أن يكون من الصديقين؟

* * *



قد بينَّا لك أركان الصديقية التي تندرج تحتها جميع أخلاق الصديقين وأعمالهم، وبينا لك الأوصاف المشروطة فيهم حتى يتحققوا بهذا المقام.

وقد رويت أخبار وآثار تدل على بعض أحوالهم، فينبغي أن نشير إلى نبذة منها ترغيباً للمشبه بهم في تحصيلها.

فمنها: ما تقدم فيما رواه ابن حبان في «صحيحه» عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنَّك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان، وقمته، فممن أنا؟ قال: «مِنَ الصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ»(١).

قلت: ومن تمام الشهادة بالتوحيد اجتناب المعاصي، والقيام بالواجبات مع الإخلاص في ذلك كله.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ

---

(١) تقدم تخريجه.

﴿ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[البينة: ٥].

وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث بنحوه، وقال فيه: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيْقِيْنَ، وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ هَكَذَا ـ وَنَصَبَ إِصْبَعَيْهِ ـ مَا لَمْ يَعُقَّ وَالِدَيْهِ»(١).

وروى الإمام أحمد، ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَنْبَغِي لِصِدِّيْقٍ أَنْ يَكُوْنَ لَعَّانَاً»(٢).

وروى ابن أبي الدنيا، والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه يلعن بعض رقيقه، فالتفت إليه، فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ! أَصِدِّيْقِيْنَ وَلَعَّانِيْنَ؟ كَلاَّ وَرَبِّ الكَعْبَةِ، أَلَعَّانِيْنَ وَصِدِّيْقِيْنَ؟ كَلاَّ وَرَبِّ الكَعْبَةِ ـ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلاثَاً ـ».

فأعتق أبو بكر رضي الله عنه بعض رقيقه، وجاء إلى النبي ﷺ فقال: لا أعود(٣).

وروى أبو نعيم عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: قال داود عليه السلام: معاشر الأنبياء! تعالوا أعلمْكم خشية الله: أيما عبد منكم أحب أن يحيا ويرى الأعمال الصالحة فليحفظ عينيه أن ينظر إلى السوء،

---

(١) قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٢٥): رواه أحمد، والطبراني بإسنادين، أحدهما صحيح.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٣٧) واللفظ له، ومسلم (٢٥٩٧).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٥٤). ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣١٩).

ولسانه أن ينطق بالإفك، عين الله إلى الصديقين وهـو يسمع لهم[1].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد عن مالك بن دينـار قال: قال داود عليه السلام: إلهي! من يسكن قبتك ويحل قدسك؟ قال: يا داود! الذي يتكلم بالحق بغير غش في قلبه، ولا زيغ في لسانه، ويعمل الصالحات، ويحب الذين يخشون الله، ويرذل في عينيـه المسيء، ولا يعطي رزقـه بالرياء، ولا يأخذ في دينه الرِّشا، وإذا حلف لصاحبه لم يكذبه، فإذا فعل ذلك فهو صديق صديق، ولا يضرع إلى الله بغرور.

وروى أبو الحسن بن جهضم عن سهل بن عبدالله التُّستَري رحمه الله قال: من أحبَّ أن يرى خوف الله في قلبه، ويكاشف بآيات الصديقين، فلا يأكل إلا حلالاً، ولا يعمل إلا في سنة أو ضرورة[2].

وروى الدينوري في «المجالسة» عن ابن المبارك رحمـه الله قال: قال لي وُهَيب بن الورد رحمه الله تعالى: إذا وقع العبد في أُلْهانِيَّة الرب، ومهيمنية الصديقين، ورهبانية الأبرار لم يجد أحداً يأخذ بقلبه، ولا يلحقه عتبه[3].

قال ابن قتيبة: ألهانية الرب مأخوذ من الإله؛ كأن القلب تأله عند التفكيـر في عظمتـه تعالى، يقول: إذا وقـع العبـد في عظمة الله تعالى

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٥٩).

(٢) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٤٧١).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٢١).

وجلاله، وغير ذلك من صفات الربوبية، وبلغ هذه الرتبة، لم يعجبه أحد، ولم يحب إلا الله.

قال: ومهيمنية الصديقين؛ يعني: أمانتهم؛ قال تعالى: ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾[المائدة: ٤٨]؛ يعني أميناً، ويقال: شاهداً عليه، وهما متقاربان[١].

وروى الدينوري ـ أيضاً ـ عن الأصمعي رحمه الله تعالى، عن بعض الحكماء قال: إن مما يعجل عقوبته، ولا تؤخر؛ الأمانة تُخان، والإحسان يُكفر، والرحم تقطع، والبغي على الناس، وأيما رجل أدَّى أمانة طيباً بها نفسه فهو أحد الصديقين، ومن الأمانة: أن المرأة ائتمنت على فرجها[٢]؛ يعني: إنها إذا وكلت إلى نفسها فعفت، وصانت نفسها عن الفاحشة فهي صديقة، وكأنه مأخوذ من حال مريم عليها السلام؛ فإن الله تعالى أثنى عليها بالإحسان، ثم سماها صديقة.

ولقد توافقت عائشة رضي الله عنها في هذه الفضيلة، وبرَّأَها الله تعالى في كتابه كما برَّأَ مريم عليها السلام.

ومن هنا كان مسروق رحمه الله تعالى إذا حدث عن عائشة رضي الله عنها قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق، حبيبة حبيب الله، المبرَّأَة في كتاب الله. كما رواه أبو نعيم[٣]، وغيره.

---

(١) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ٥٢١).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٤٥٥).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٤٤).

وفي «الصحيحين»، وغيرهما عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيْدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»[1].

وإنَّما مَثَّلها بالثريد إشارة إلى أنها أغنت في نفع الأمة بالعلم ما لم يغنه غيرها من النساء، كما أن الثريد يغني ما لا يُغني غيره.

قال عطاء رحمه الله تعالى: كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة. رواه الحاكم[2].

وقد علمتَ أن الصديقين هم العلماء الراسخون، وعائشة كانت من الراسخين في العلم.

قال عروة رحمه الله: ما رأيت أحداً أعلم بالحلال والحرام، والعلم، والشعر، والطب من عائشة[3].

وسئل مسروق رحمه الله: أكانت عائشة تحسن الفرائض؟ فقال: لقد رأيت الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ يسألونها عن الفرائض[4]. رواهما الحاكم، وغيره.

وروى أبو نعيم عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَخْيَارَ

---

(١) رواه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٤٤٦).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٧٤٨).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٧٣٣).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٧٣٦)، وكذا ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٣٨٢).

الصِّدِّيْقِيْنَ مَنْ دَعَا إِلَى اللهِ، وَحَبَّبَ عِبَادَهُ إِلَيْهِ، وَمِنْ شَرِّ الفُجَّارِ مَنْ كَثُرَتْ أَيْمَانُهُ وَإِنْ كَانَ صَادِقاً، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ»[1].

وعن سهل بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى: من أخلاق الصديقين أن لا يحلفوا بالله، لا صادقين ولا كاذبين، ولا يغتابون، ولا يُغتاب عندهم، ولا يشبعون بطونهم، وإذا وعدوا لم يخلفوا، ولا يتكلمون إلا والاستثناء في كلامهم، ولا يمزحون أصلاً[2].

قلت: لم أرَ الخصلة الأولى - وهي ترك الحلف - إلا للإمام الشافعي رضي الله عنه؛ فإنه قال: ما حلفت بالله صادقاً ولا كاذباً[3]، وهذا يدل على أنه كان من رؤوس الصديقين، وهذا مما لا شك فيه.

أقول: قول سهل: أن لا يحلفوا بالله لا صادقين ولا كاذبين، يريد أن هذا أغلب أحوالهم؛ فإن اليمين كان قد ورد في كلام النبي ﷺ كثيراً، وكان يحلف: «وَالَّذِيْ نَفْسِي بِيَدِهِ»، وسبق قريباً قوله: «كَلاَّ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»، وحلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح، ثم كفَّرَ عن يمينه، وأعاد عليه نفقته[4].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٤٣).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٠١).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٢٨).

(٤) كما جاء عند البخاري (٣٩١٠)، ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وكذلك قوله: ولا يمزحون أصلاً؛ أي: في أغلب أحوالهم، أو مزحاً موافقاً لهوى النفس، فأما الممازحة لمطايبة القلوب، وإدخال السرور على قلوب الإخوان فيفعلون.

قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لأَمْزَحُ، وَلا أَقُوْلُ إِلا حَقّاً»، رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عمر، والخطيب عن أنس رضي الله عنهم[1].

وفي الخبر: أول ما كتب الله تعالى لموسى عليه السلام: إني أنا الله لا إله إلا أنا، من رضي بحكمي، واستسلم لقضائي، وصبر على بلائي كُتب صديقاً، وحشرته مع الصديقين يوم القيامة. ذكره أبو طالب المكي في «القوت»[2].

وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا نَاشِىءٍ نَشَأَ فِيْ العِلْمِ وَالعِبَادَةِ حَتَّى يَكْبُرَ أَعْطَاهُ اللهُ تَعَالى يَوْمَ القِيَامَةِ ثَوَابَ اثْنَيْنِ وَسَبْعِيْنَ صِدِّيْقاً»[3].

قلت: لو اقتصر النبي ﷺ على عدد السبعين لقلنا: إن ذلك جارٍ على سنن التضعيف إلى سبعين ضعفاً، أو قلنا: إنه جار على عادة العرب

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٤٤٣)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٧٨).

(٢) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٦٧).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٥٩٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٤): فيه يوسف بن عطية، وهو متروك الحديث.

من ذكر السبعة، والسبعين، والسبع مئة للمبالغة والتكثير، ولكنه ﷺ لما زاد اثنين على عقد السبعين علمنا أن لهذا التقييد بهذا العدد سراً.

وقد ظهر لي في ذلك وجهان:

الأول: أنَّ للناشىء في العلم والعبادة أجر صديق في مقابلة العلم، وأجر صديق في مقابلة العبادة، والسبعون مضاعفة في أجره زائدة على أجر كل عالم وعابد لأنه صابر، ورابَطَ في سائر عمره، وجَاهَدَ نفسه وهواه في كلٍّ.

وقد نطقت نصوص الشريعة بتفضيل طاعة الشاب، فما ظنك ممن دام على ذلك منذ نشأ إلى أن مات؟

وقد روى الحافظ أبو حفص بن شاهين في «الأفراد»، والديلمي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فَضْلُ الشَّابِّ العَابِدِ الَّذِي تَعَبَّدَ فِيْ شَبَابِهِ عَلَى الشَّيْخِ الَّذِي تَعَبَّدَ بَعْدَ مَا كَبُرَتْ سِنُّهُ كَفَضْلِ الْمُرْسَلِيْنَ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ»[1].

الوجه الثاني: أن الناشىء في العلم والعبادة لا يتم له أمر حتى يخالف سائر الفرق المخالفة لما عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم في اعتقاداتهم، وأعمالهم المبنية عليها، وهي اثنان وسبعون فرقة؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن أمته ستفترق ثلاثاً وسبعين فرقة؛ واحدة منها في الجنة، والباقون في النار، وسيأتي لفظ الحديث في محله إن شاء الله تعالى.

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٣٥٥).

فالفرقة الناجية مخالفة للاثنين وسبعين فرقة الهالكة، ولها في مقابلة مخالفة كل فرقة منها أجر، وهم متفاوتون في أجورهم؛ فالناشىء في العلم والعبادة ناشىء على مخالفة هذه الفرق، فله في مقابلة مخالفته لكل فرقة أجر صديق.

وإنما ضوعف أجره لثباته ورسوخه على الحق منذ نشأته إلى آخر أمره بخلاف غيره ممن لم ينشأ على ذلك، فتأمله!

وروى الطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ جَاءَهُ أَجَلُهُ وَهُوَ يَطْلُبُ العِلْمَ لَقِيَ اللهَ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّيْنَ إِلاَّ دَرَجَةُ النُّبُوَّةِ»[1].

وأخرجه الخطيب، ولفظه: «مَنْ جَاءَهُ أَجَلُهُ وَهُوَ يَطْلُبُ العِلْمَ لِيُحْيِيَ بِهِ الإِسْلامَ لَمْ يَفْضُلْهُ النَّبِيُّونَ إِلاَّ بِدرَجَةٍ»[2].

وأخرجه ابن عساكر من حديث الحسن رحمه الله مرسلاً، وابن النجار عنه، عن أنس، ولفظه: «لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأَنْبِيَاءِ إِلاَّ دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ»[3].

وهذه مرتبة الصديقين؛ لأنها بين النبوة والشهادة.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٤٥٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٣): فيه محمد بن الجعد، وهو متروك.

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣/ ٧٨).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ٦١).

وذكر أبو طالب في «القوت»: أن رجلاً من بني إسرائيل تزوج امرأة من بلدة، ولم يجد بها من يحملها إليه، فأمر عبداً له فحملها، فراودته نفسه، فجاهدها واستعصم، قال: فنبأه الله مكان[1] نبي في بني إسرائيل[2].

قلت: إنما نقله الله تعالى إلى مقام النبوة بعد أن تم له مقام الصديقية؛ إذ لا يلي النبوة إلا رتبة الصديقية، ومن ثم سمي يوسف عليه السلام صديقاً على لسان قومه إذ قال قائلهم: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾[يوسف: ٤٦].

وإنما شهد له الناس بالصديقية لأنه استعصم عن معصية الله تعالى، وقد توفرت دواعيها بمراودة امرأة العزيز له، وعرضها نفسها عليه، فاستعصم، ثم أكرهته على المعصية بالسجن والعقوبة حيث تقول: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾[يوسف: ٣٢ ـ ٣٣] الآية، فاختار العقوبة على المعصية، فمن ثم اتخذه الله نبياً.

وقد علمت أن هذه الخصلة ـ أعني: الاستعصام عن الزنا مع توفر دواعيه ـ أحد الخصال التي يكون أصحابها في ظل عرش الله تعالى، وأكثرها من أخلاق الصديقين خصوصاً السبعة المذكورة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومنهم الإمام العادل[3].

---

(١) في «قوت القلوب»: «فكان» بدل «مكان».

(٢) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٢٣٥).

(٣) رواه البخاري (٦٢٩)، ومسلم (١٠٣١).

وروى أبو الشيخ بن حيـان، والديلمي عن أبي بكر الصـديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «السُّلْطَانُ العَادِلُ المُتَوَاضِـعُ ظِلُّ اللهِ وَرُمْحُهُ فِي الأَرْضِ؛ يُرْفَعُ لِلوَالِي العَادِلِ المُتَوَاضِـعِ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَمَلَ سِتِّيْنَ صِدِّيْقاً»(١).

وروى ابن أبي الدنيا، والبيهقي عن الحسن ـ مرسلاً ـ قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابـه، فقال: «هَـلْ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيْـدُ أَنْ يُذْهِبَ اللهُ عَنْهُ العَمَى وَيَجْعَلَهُ بَصِيْـراً؟» قالوا: بلى، قال: «أَلا إِنَّـهُ مَنْ رَغِبَ فِي الدُّنْيَا، وَأَطَالَ فِيْهَا أَمَلَهُ أَعْمَى اللهُ قَلْبَـهُ عَلَى قَـدْرِ ذَلِكَ، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا، وَقَصَّرَ أَمَلَهُ أَعْطَاهُ اللهُ غِنَىً بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ، وَهُدَىً بِغَيْرِ هِدَايَةٍ، أَلا إِنَّـهُ سَيَكُوْنُ بَعْدَكُمْ قَـوْمٌ لا يَسْتَقِيْمُ لَهُمُ الْمُلْكُ إِلا بِالقَتْلِ وَالتَّجَبُّـرِ، وَلا الغِنَى إِلا بِالفَخْرِ وَالبُخْلِ، وَلا الْمَحَبَّةُ إِلا بِاسْتِجْرَامٍ فِيْ الدُّنْيَا وَاتِّبَاعِ الهَوَى، أَلا مَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ مِنْكُمْ فَصَبَرَ عَلَى الفَقْرِ وَهُوَ يَقدرُ عَلَى الغِنَى، وَصَبَرَ عَلَى البَغْضَاءِ وَهُـوَ يَقْدِرُ عَلَى الْمَحَبَّـةِ، وَصَبَرَ عَلَى الذُّلِّ وَهُـوَ يَقْدِرُ عَلَى العِزِّ ـ لا يُرِيْدُ بِذَلِكَ إِلا وَجْهَ اللهِ تَعَالَى أَعْطَاهُ اللهُ ثَوَابَ خَمْسِيْنَ صِدِّيْقاً»(٢).

وروى أبو عمرو الداني في كتاب «الفتن» عن جعفر الصادق، عن

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٥٥٤) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١/ ١٠٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٨٢). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحيـاء» (٢/ ٨٧٧): فيـه إبراهيم بن الأشعث، تكلم فيه أبو حاتم.

أبيه رضي الله عنهما مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلا إِنَّهُ سَيَكُوْنُ أَقْوَامٌ لا يَسْتَقِيْمُ لَهُمُ الْمُلْكُ إِلا بِالقَتْلِ وَالتَّجَبُّرِ، وَلا يَسْتَقِيْمُ لَهُم الغِنَى إِلا بِالبُخْلِ وَالفُجُوْرِ، وَلا تَسْتَقِيْمُ لَهُمُ الْمَحَبَّةُ فِي النَّاسِ إِلا بِاتِّبَاعِ الْهَوَى والاسْتِخْرَاجِ فِي الدِّيْنِ، أَلا فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُم ذَلِكَ الزَّمَانَ فَصَبَرَ عَلَى الشِّدَّةِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الرَّخَاءِ، وَصَبرَ عَلَى الذُّلِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى العِزِّ، وَصَبرَ عَلَى الفَقْرِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الغِنَى، وَصَبَرَ عَلَى البُغْضَةِ فِي النَّاسِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْمَحَبَّةِ - لا يُرِيْدُ بِذَلِكَ إِلا وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ - آتَاهُ اللهُ عز وجل ثَوَابَ سَبْعِيْنَ صِدِّيْقاً»[1].

وروى أبو بكر بن مردويه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ فَرَّ بِدِيْنِهِ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ مَخَافَةَ الفِتْنَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَدِيْنِه كُتِبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيْقاً، فَإِذَا مَاتَ قَبَضَهُ اللهُ شَهِيْداً»، ثُمَّ تلا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[الحديد: ١٩]، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ فِيْهِمْ»، ثُمَّ قَالَ: «وَالفَرَّارُوْنَ[2] بِدِيْنِهِمْ مِنْ أَرْضٍ إِلى أَرْضٍ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ عِيْسَى بنِ مَرْيَمَ عَلَيهِمَا السَّلامُ فِي دَرَجَتِهِ فِي الْجَنَّةِ»[3].

قلت: في هذا الحديث تلويح بأن الآية نزلت في المهاجرين لأنهم فروا بالهجرة بدينهم، فمن كان على قدم المهاجرين فهو صديق.

---

(١) رواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٣/ ٦٧٢).

(٢) في «الدر المنثور»: «والفارون» بدل «والفرارون».

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٦٠).

وكذلك الأنصار لأن النصرة لا تكاد تقصر عن الهجرة، وسيأتي باب في التشبه بالصحابة رضي الله عنهم.

وروى الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَمِعَ صَوْتَ نَاقُوْسٍ أَوْ دَخَلَ بَيْعَةً، أو بَيْتَ نارٍ، أَوْ بَيْتَ صَنَمٍ، أَوْ رَأَى جَمْعاً مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ، فَقَالَ: لا إِلَهَ إلا اللهُ، كُتِبَ لَهُ بِعَدَدَ مَنْ لَمْ يَقُلْهَا، وَ[1]كُتِبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً»[2].

قلت: المعنى في ذلك أنه ذكر الله تعالى بتوحيده في الغافلين عنه، فنال هذا الثواب العظيم، فلا يبعد أن يكون كذلك من مر بمجالس الفسَّاق كبيوت القهوات ـ خصوصاً في وقت سماع الآلات، وإجالة الأبصار في وجوه الأحداث، والغفلة بهذه الملاهي عن التوحيد الإلهي ـ فإن كان منهم منافقون يعدون ذلك توحيداً، ملحدون يزعمون ذلك طاعة، فقد عظم ثواب المنكر لذلك، إلا أنه بتوحيد الله، وتنزيهه، وتكبيره، وتحميده من غير أن يكثر سوادهم، ولا يزيد عدادهم.

وروى إسحاق الختلي في «الديباج» عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ[3] رَفَعَ قِرْطَاساً مِنْ الأَرْضِ فِيْهِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ

---

(١) في «المعجم الكبير»: «أو» بدل «و».

(٢) ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦٩١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤١): فيه عمر بن الصبح، وهو متروك.

(٣) في «م»: «فمن».

الرَّحِيْمِ كُتِبَ عِنْدَ اللهِ مِنَ الصِّدِيْقِيْنَ، وَخَفَّفَ عَنْ وَالِدَيْهِ العَذَابَ وَإِنْ كَانَا مُشْرِكَيْنِ». رواه الخطيب بنحوه، وقال: «إجلالاً أن يدرس[1]»[2].

قلت: لقد فاز بهذه الفضيلة بشر بن الحارث الحافي، وكان رضي الله عنه من سادات الأبرار، وأخيار الصديقين، كما ذكر الأستاذ أبو القاسم القشيري.

ورواه بإسناده أبو الفرج بن الجوزي في «صفة الصفوة» عن أيوب العطار قال: قال لي بشر بن الحارث: أحدثك عن بدء أمري: بينما أنا أمشي رأيت قرطاساً على وجه الأرض فيه اسم الله تعالى، فنزلت إلى النهر، فغسلته، وكنت لا أملك من الدنيا إلا درهماً فيه خمسة دوانيق، فاشتريت بأربعة دوانيق مسكاً، وبدانق ماء ورد، وجعلت أتتبع اسم الله تعالى وأطيبه، ثم رجعت إلى منزلي فنمت، وأتاني آت في منامي فقال: يا بشر! لأطيبن اسمك كما طيبت اسمي، وكما طهرته لأطهرنَّ قلبك[3].

وروى الأستاذ أبو القاسم القشيري عن بشر بن الحارث الحافي رحمه الله قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: يا بشر! تدري لِمَ رفعك الله من بين أقرانك؟ قلت: لا يا رسول الله، قال: باتباعك سنتي، وحرمتك للصالحين، ونصيحتك لإخوانك، ومحبتك لأصحابك وأهل

---

(١) في «تالي تلخيص المتشابه»: «يداس».

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تالي تلخيص المتشابه» (٢/ ٤٥٨). قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٥/ ٢٢٧): هذا غير صحيح.

(٣) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٢٥).

بيتي هو الذي بلغك منازل الأبرار[1].

قلت: بهـذا بلغ منازل الأبرار، وبتعظيم الله تعالى وإجلال اسمه واحترامه بلغ منازل الصديقين.

وروى الأستاذ أبـو القاسم القشيري ـ أيضـاً ـ عن بلال الخـواص رحمـه الله تعالى قال: كنـت في تيـه بني إسرائيل فإذا رجـل يماشيني، فتعجبت، ثم أُلهمت أنه الخضر عليه السلام فقلت لـه: بحق الحق من أنت؟ فقال: أخوك الخضر، فقلت لـه: أريد أن أسألك، فقال: سل، فقلت: ما تقول في الشافعي رحمـه الله؟ قال: هو من الأوتاد، فقلت: ما تقول في أحمد بن حنبل رحمه الله؟ فقال: رجل صديق، قلت: فما تقول في بشر الحافي؟ فقال: لم يخلف بعده مثله، فقلت: بأي وسيلة رأيتك؟ قال: ببرك بأمك[2].

قلت: الأوتاد قوم صالحون جعلهم الله تعالى بدلاً عن الأنبياء ـ كما سيأتي ـ فهم من خيار الصديقين.

وإنما صرح بالصديقية في أحمد دون الشافعي وبشر؛ لأنَّ أحمد ﷺ ثبت في فتنة القول بخلق القرآن، وقام فيها مقاماً لم يقمه غيره حتى نظره غير واحد من سادات عصره بأبي بكر الصديق ﷺ في قيامه في قتال أهل الردة مقاماً لم يقمه غيره.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه القشيري في «رسالته» (ص: ٣١).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن مالك بن دينار رحمه الله قال: دخل بنو إسرائيل مسجداً لهم يوم عيد، فقام فتى شاب على باب المسجد من خارج فجعل يبكي، ويرفع صوته بالدعاء، ويزري على نفسه، ويقول: ليس مثلي يدخل معكم، أنا صاحب كذا، أنا صاحب كذا، فأصبح مكتوباً على لسان نبي من أنبيائهم: إن فلاناً من الصديقين ـ لذلك الفتى ـ[1].

وروى إسحاق الختلي في «الديباج» عن كعب الأحبار رحمه الله تعالى قال: انطلق رجلان من بني إسرائيل إلى مسجد من مساجدهم، فدخل أحدهما المسجد، وجلس الآخر خارجاً، فجعل يقول: ليس مثلي يدخل بيت الله وقد عصيت الله، ليس مثلي يدخل بيت الله وقد عصيت الله، فكُتب صديقاً[2].

قال: وأصاب رجل من بني إسرائيل ذنباً فحزن عليه، وجعل يجيء ويذهب، ويقول: بم أرضي ربي؟ بم أرضي ربي؟ فكُتِب صديقاً[3].

وروى أبو نعيم عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: أجد في بعض الكتب: سبحوا الله أيها الصديقون بأصوات حزينة[4].

وعنه ـ أيضاً ـ أنه قال: لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٠٠).

(٢) ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٦٤).

(٣) ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٦١).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٥٨).

زوجته كأنَّها أرملة، ويأوي إلى مزابل الكلاب[1].

قلت: أراد بذلك تجرد القلب عن العلائق وذلة النفس؛ فإن ذلك روحُ ما ذكره.

وكذلك ما رواه الختلي عن رشدين بن سعد رحمه الله تعالى قال: قرأت في بعض الكتب: لا ينبغي لصديق أن يكون صاحب حانوت[2].

وهذا لا ينافيه ما رواه الترمذي وحسَّنه، عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «التَّاجِرُ الصَّدُوْقُ الأَمِيْنُ مَعَ النَّبِيِّيْنَ [والصدِّيقين][3] والشُّهَدَاءِ»[4]؛ لأنَّ المراد بقوله: «صاحب حانوت» أن لا يكون قلبه متعلقاً به راكناً إليه؛ بدليل قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[النور: ٣٧].

قال ابن عباس ﷺ: كانوا أتجر الناس وأبيعهم، ولكن لم تكن تلهيهم تجارتهم ولا بيعهم عن ذكر الله تعالى. رواه الحاكم وصححه، والبيهقي[5].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٥٩).

(٢) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٥/ ٢٢٦).

(٣) زيادة من الترمذي.

(٤) رواه الترمذي (١٢٠٩) وحسنه.

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥٠٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩٢٢).

وقد يقال: لا يلزم من كونهم مع النبيين والصديقين أن يكونوا منهم.

وفي «تاريخ ابن عساكر» بإسناده عن أبي عبيدالله محمد بن المبارك الصوري البصري رحمه الله قال: ثنا الفضل بن سعيد الأزرق، قال: أتيت راهباً في جبل الأسود فناديته، فأشرف عليَّ، فقلت له: يا راهب! بأي شيء تستخرج الأحزان؟ قال: بطول الانفراد، وبذكر الذنوب، وأخبرك أني ما رأيت شيئاً أجلب له داعي الحزن من أوكارها من الوحدة.

قال: فقلت له: وما ترى في المكتسب؟ قال: ذاك زاد المتقين، قلت: إنما أعني الطلب، قال: وأنا ـ أيضاً ـ أعني الطلب، قلت: الرجل يلزم سوقاً من الأسواق يكتسب الشيء يعود به على نفسه؟ قال: من أمر الدنيا، أم من أمر الآخرة؟ قلت: من أمر الدنيا، قال: ذاك شر قد كفيه الصديقون، وهل ينبغي للمتقي أن يتشاغل عن الله بشيء؟

قال محمد بن المبارك: قال لي الفضل بن سعيد: فلقيت رشدين ابن سعد، فحدثته حديث الراهب، قال: صدق، قرأت في كتب الحكمة: لا ينبغي لصديق أن يكون صاحب حانوت[1].

قلت: وإن حمل هذا على ظاهره، فإن من شرط الصديق التجرد عن الأسباب الظاهرة، فهذا كان في شريعة أولئك وملتهم، وأما في شريعة النبي ﷺ وملته فإنَّ الأسباب لا تناقض رتبة من رتب المؤمنين أصلاً.

نعم، يلزم أن لا يكون القلب متعلقاً في طلب الرزق وحصوله إلا

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٥/ ٢٢٦).

بالله تعالى، وقد كان السَّرِيُّ سَقَطياً، والجُنيد قواريرياً، وأبو حفص النيسابوري حداداً، وآخرون من سادات العارفين كانوا متَّجِرين ومحترفين، وقد كانوا صديقين، وعبد الرحمن بن عوف وأمثاله من الصحابة كانوا مكتسبين وهم من كُمَّلِ الصديقين، فافهم!

وروى الختلي عن مالك بن دينار ﷺ قال: قرأت في التوراة: أيها الصديقون! تنعموا في الدنيا بذكري؛ فإنه لكم في الدنيا نعيم، وفي الآخرة أجر[1].

وروى الإمام أحمد، والحاكم وصححه، عن معاذ بن أنس ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ أَلْفَ آيَةٍ فِي سَبِيْلِ اللهِ كُتِبَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيْقاً إِنْ شَاءَ اللهُ»[2].

وقوله: «إن شاء الله» للتبرك، لا للشك.

وروى ابن أبي الدنيا، والختلي عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى: أنَّه كان يقول: إن الصديقين إذا قرىء عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة، ثم يقول: خذوا، فيقرأ، ثم يقول: اسمعوا ما يقول الصادق من فوق عرشه[3].

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٥٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ورواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣٢١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٨٥).

وروى أبو الحسن بن جهضم عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال: من أقام نفسه مواقف ذل في طلب الحلال، حشره الله تعالى مع الصديقين، ورفعه إلى الشهداء يوم القيامة[1].

وعن السَّرِي رحمه الله تعالى قال: ثلاثة من أحوال الصديقين:

ـ أن يكونوا بما في يد الله أوثق منهم بما في أيديهم.

ـ ومطالبون نفوسهم بما للناس عليهم.

ـ وإذا عُرِض أمران لله فيهما رضى، حملوا نفوسهم على أصعبهما وأشدهما، وإن كان فيه تلف نفوسهم.

قال أبو طالب المكي رحمه الله: وكان عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى يحلف بالله ﷻ: ما تحول الصديقون صديقين إلا بالجوع [والسهر][2][3].

وروى ابن جَهْضَم عن السري رحمه الله ـ أيضاً ـ قال: استوصيت لبِشْرٍ بوصية، فقال: أخاف أوصيك بوصية يكون وَبَالها عليك، ثم عليَّ، فقلت: عليَّ ذاك، فقال: انظر بأي بدن توافي القيامة، وانظر من يحاسبك وبين يدي من تقف، واعلم أنَّك مسؤول لا محالة، فاستعد للسؤال جواباً، وللجواب صواباً، والزم بيتك، وحاسب نفسك، فإذا قدمت

(١) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٤٧٣).

(٢) زيادة من «قوت القلوب».

(٣) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (١/ ١٧٠).

القيامة تقول: يا رب! مازلت ملازماً لبيتي، محاسباً لنفسي، فيقول الله تعالى: صدقت.

ثم قال: هيهات! وأنَّى يقول صدقت إلا للصديقين[1].

روى أبو نعيم عن سهل بن عبدالله ﷺ قال: أعمال البر يعملها البَر والفاجر، ولا يجتنب المعاصي إلا الصديق[2].

وعن الأعمش قال: قال لي مطرف بن عبدالله: وجدت الغفلة التي ألقاها الله تعالى في قلوب الصديقين من خلقه رحمة رحمهم بها، ولو ألقى في قلوبهم الخوف على قدر معرفتهم به ما هَنأ لهم[3] عيش[4].

وليس في هذا نفي الخوف عنهم، وقد سبق أنَّ من شرطهم ملازمة الحياء والخوف، بل من تمام أخلاقهم أن خوفهم يزيد كلما رقوا في مقامهم، ولا يُعتبروا بما هم عليه من الاستقامة، وإن قامت لهم الشواهد بالصدق والنجاح.

نعم، لهم ثبات وشجاعة على الخوف لقوة معرفتهم، ومن ثم كان يغلب الخوف على أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وبقية العشرة

---

(١) انظر: «الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح» لابن الجزري (ص: ٣٠) مختصراً.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) في «حلية الأولياء»: «هنأهم» بدل «هنأ لهم».

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢١٠).

المشهود لهم بالجنة، كما يعرف ذلك من سِيَرهم، وهؤلاء رؤوس الصديقين.

وروى الطبراني، وأبو نعيم عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوْحَى اللهُ إِلى نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: قُلْ لِعِبَادِي الصِّدِّيقِيْنَ: لا تَغْتَرُّوْا بِي؛ فَإِذَا أُقِيْمَ عَلَيْهِمْ قِسْطِيَ أَوْ عَدْلِي أُعَذِّبُهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَقُلْ لِعِبَادِيَ المُذْنِبِيْنَ: لا تَيْأَسُوْا مِنْ رَحْمَتِي؛ فَإِنَّهُ لا يَكْبُرُ عَلَيَّ ذَنْبٌ أَغْفِرُ لَهُمْ»(١).

وروى ابن جهضم عن بشر بن الحارث الحافي رحمه الله تعالى قال: رجال الآخرة ثلاثة: عابد، وزاهد، وصديق؛ فالعابد يعبد الله مع العلائق، والزاهد يعبده على حذف العلائق، والصديق يعبده على الرضا والموافقة(٢).

وروى أبو نعيم في ترجمة عبد الرحمن بن مهدي عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى قال: ما صدق اللهَ عبدٌ أحب الشهرة(٣).

وفي معناه قول بعض السادة: آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرئاسة(٤).

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٤٨).

(٢) انظر: «الفوائد» لابن القيم (ص: ١١٥).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣١).

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ٢٧٥).

واعلم أنَّ أخلاق الصديقين وأعمالهم لا تختص بما ذُكِر، بل يندرج فيها جميع أخلاق الصالحين والشهداء؛ لأن الصديقين خواص هؤلاء، فالصديق من جاء بأعمال الأبرار، وجمع مكارم أخلاقهم، ثم زاد عليهم بأخلاق أخرى.

وقد روى ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق»، وابن عساكر عن سليمان بن يسار رحمه الله تعالى مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «خِصَالُ الْخَيْرِ ثلاثةٌ[1] وَستُّوْنَ خصْلَةً، إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ خَيْرَاً جَعَلَ فِيْهِ خَصْلَةً مِنْهَا بِهَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! أَفِيَّ شيء منها؟ قال: «نعَمْ، جَمِيْعُهَا»[2].

وفي رواية أخرى: فقال أبو بكر: يا رسول الله! فِيَّ منها شيء؟ قال: «كُلُّهَا فِيْكَ، فَهَنِيْئَاً لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ»[3].

واعلم أنَّ من تمام أخلاق الصديقين وكمال أحوالهم أنهم لا يرضون بالإقامة على حالتهم التي هم عليها حتى يرتقوا عنها في كل نَفَس من أنفاسهم، وهذا مستمد من قوله ﷺ: «إِذَا أَتَى عَلَيَّ يَوْمٌ لا أَزْدَادُ فِيْهِ عِلْمَاً يُقَرِّبُنِي إِلَى اللهِ فَلا بُوْرِكَ لِي فِي طُلُوْعِ شَمْسِ ذَلِكَ اليَوْمِ».

---

(١) في مصادر التخريج: «ثلاث مئة».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (ص: ٢٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ١٠٣).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ١٠٤).

وفي روايـة: «كُـلُّ يَوْمٍ لا أَزْدَادُ فِيْـهِ عِلْمَـاً يُقَرِّبُنِي إِلى اللهِ». رواه الطبراني في «الأوسط»، وأبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها[1].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الحـذر»، وأبو نعيم، والخطيب عن حجاج بن محمد قال: كتب إلي أبو خالد الأحمر رحمه الله فكان في كتابه: واعلم أن الصديقين كانوا يستحبون من الله أن لا يكونوا اليوم على منزلة أمس[2].

قلت: والعارفون حملوا اليوم في الحديث على الوقت الذي أنت فيه، فالأمس هو الوقت الذي قبل وقتك، بل هم في كل نَفَس يحبون أن يكونوا أحسن منهم في النفس الذي قبله.

وكان أخي العلامة العارف بالله تعالى شهاب الدين أحمد رحمه الله تعالى يقول: لا أرضى أن ألقى الله إلا على أحسن مما أنا عليه، وكان من أخيار الناس، ورؤوس العارفين، وكُمَّل العلماء العاملين.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن سعد بن أبي وقاص ﷺ: أنه قال لابنه: عليك بإسباغ الوضوء، وإذا صليت صلاة فصلِّ صلاة رجل مودع، وعليك بالإياس؛ فإنه غنى، وإياك والطمع؛ فإنـه فقر حاضر،

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٦٣٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٨٨). قال الهيثمي في «مجمـع الزوائد» (١/ ١٣٦): فيه الحكم بن عبدالله، قال أبو حاتم: كذاب.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «قصر الأمل» (ص: ١٢٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٤٢)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١/ ٢٩٦).

وإياك وما يعتذر منه؛ فإنه لا يعتذر من خير، وإذا استطعت أن تكون اليوم خيراً منك أمس، وغداً خيراً منك اليوم، فافعل[1].

وروى ابن أبي الدنيا في «الحذر» عن محمد بن حميد قال: التقى حسان بن أبي سنان والحجاج بن سابور رحمهم الله تعالى، فقال أحدهما لصاحبه: من الذي يغبط؟ قال: عبد آتاه الله ما يكفيه يعمل له فيما يرضيه، قال: وما حمد ذلك؟ قال: فمن الذي يغبط؟ قال: اغبط رجلاً هو اليوم خير منه أمس، وغداً خير منه اليوم.

*** فائِدَةٌ لَطِيْفَةٌ:**

روى ابن أبي حاتم عن يزيد بن رُومان رحمه الله تعالى: أَنَّهُ قال في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[النمل: ٤٠]: هو آصف بن برخيا، وكان صديقاً يعلم الاسم الأعظم[2].

وروى هو، وابن جرير عن قتادة قال: هو كان رجلاً من بني إسرائيل يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب[3].

ورويا، وابن أبي شيبة، وآخرون عن مجاهد قال في قوله: ﴿عِلْمٌ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣٨٠) لكنه لم يسمِّ الصحابي. ورواه أيضاً الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١٤٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٢٨٨٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٢٨٨٦)، والطبري في «التفسير» (١٩/ ١٦٣).

﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: الاسم الذي إذا دُعيَ الله بـه أجاب، وهـو: يا ذا الجلال والإكرام[1].

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم عن الزهري قال: دعا الذي عنده علم من الكتاب: يا إلهنا وإله كل شيء، إلها واحداً لا إله إلا أنت! ائتني بعرشها، قال: فمَثُل له بين يديه[2].

والمراد بإيراد ذلك هنا: أن من ثمرة الصديقية الاختصاص بالأسرار الإلهيـة، والمعارف الربانية، والتصرف بالأسماء العظيمة، واستجابة الدعوة؛ لأنهم لا يتصرفون بها إلا في خير، خصوصاً في النصيحة، ونفع المسلمين.

ولا يلزم من ذلك أن لا يستجاب إلا لصديق، ففد يستجاب لغيره من باب الرفق بالضعيـف، أو الإمـلاء للفاجـر، بل قـد يُعطى الفاسـق التصرف بالاسم الأعظم لفتنته وتمام شقوته، كما أعطيه بلعام الذي قص الله تعالى علينا من أمره ما قَصَّ بقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾[الأعراف: ١٧٥].

قال كعب رحمه الله تعالى: كان يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي

---

(١) رواه الطـبـري في «التفسيـر» (١٩/ ١٦٣)، وابـن أبي حاتم في «التفسيـر» (٩/ ٢٨٨٦).

(٢) رواه الطـبـري في «التفـسير» (١٩/ ١٦٣)، وابن أبي حـاتم في «التفسيـر» (٩/ ٢٨٨٦).

به أجاب. رواه ابن أبي حاتم[1].

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾[الأعراف: ١٧٦]؛ يعني: بالآيات ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾[الأعراف: ١٧٦]؛ أي: رَكَن إلى الدنيا ونزَع إليها ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾[الأعراف: ١٧٦].

قال مجاهد: هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وغيرهما[2].

وأمرُ بلعام يحتمل وجهين:

ـ إما أن يكون قد أوتي العلم، ولم يؤت الدين في نفسه، وإنما كان بنو إسرائيل يعتقدونه لما يظهر لهم من علمه واجتهاده، وكانت استجابة دعوته فتنة له ولهم، وهذا حال من يتعلم علوم الأسماء والأوفاق، ويتقرب بها الآن إلى الأمراء، وذوي الأموال والولايات.

ـ وإما أن يكون قد وصل من العلم والاجتهاد إلى مرتبة الصديقية، لكنه لم يلزم مقام الخوف، فسقط من عين الله تعالى، فمحاه من ديوان الصدق، وأثبته في ديوان الفسق، ومن ثَمَّ قلنا: إن من شرط الصديقين ملازمة الخوف لأن الله تعالى يمحو ما يشاء ويثبت، وقد سلَّط الشيطان على الإنسان وجعله بالمقربين أولع منه ممن دونهم، وكلما كان العبد

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٦١٨).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٩/ ١٢٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٦٢١).

إلى الله أقرب كان على إضلاله أحرص.

ومن هنا اتفق للإمام أحمد ﷺ وهو صديق: ما رواه أبو الفرج في «صفة الصفوة»، وغيره عن ابنه عبدالله قال: لما حضرت أبي الوفاة جلست عنده وبيدي الخرقة لأشد بها لَحيبه، فجعل يعرق ثم يفيق، ثم يفتح عينيه، ويقول بيده هكذا: لا بعد، لا بعد، لا بعد، يفعل هذا مرة، وثانية، فلما كانت الثالثة قلت له: يا أبه! أي شيء هذا قد لهجت به في هذا الوقت، تعرق حتى نقول: قد قضيت، ثم تعود فتقول: لا بعد، لا بعد؟ فقال لي: يا بني! ما تدري؟ قلت: لا، فقال: إبليس ـ لعنه الله ـ قائم حذائي، عاضٌّ على أنامله، يقول لي: يا أحمد! فُتَّنِيْ فأقول: لا بعد حتى أموت[1].

واعلم أنَّ خوف الصديقين من الشيطان ليس منه حقيقة، وإنما خوفهم من أن يسلطه الله عليهم، فالخوف إنما هو من الله ﷻ؛ فإنه يقلب القلوب كيف يشاء، ويمحو ما يشاء ويثبت، فالصديق ـ وإن كان واثقاً بالله، موقناً به ـ فإنه يخافه.

ولقد أحسن الإمام عبدالله بن المبارك ﷺ فيما رواه أبو نعيم عن أبي أمية الأسود قال: سمعت عبدالله بن المبارك يقول: أحب الصالحين ولست منهم، وأبغض الطالحين وأنا شر منهم.

ثم أنشأ عبدالله يقول: [من مجزوء الكامل المرفل]

---

(١) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٥٧)، وكذا أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٨٣).

الــــصَّمْتُ أَزْيَــــنُ بِــــالْفَتَىْ مِــنْ مَنْطِــقٍ فِــيْ غَيْــرِ حِيْنِــهْ
فَمَــــنِ الَّــذِيْ يَخْفَــىْ عَلَيْـــ ـــكَ إِذا نَظَـرْتَ إِلَـىْ قَرِيْنِـهْ
رُبَّ امْـــــرِىءٍ مُتَـــــيَقِّنٍ غَلَــبَ الــشَّقاءُ عَلَــىْ يَقِيْنِــهْ
فَأَزالَـــــهُ عَـــــنْ رَأْيِــــهِ فَابْتـــاعَ دُنْيـــاهُ بِدِيْنِـــــهْ[1]

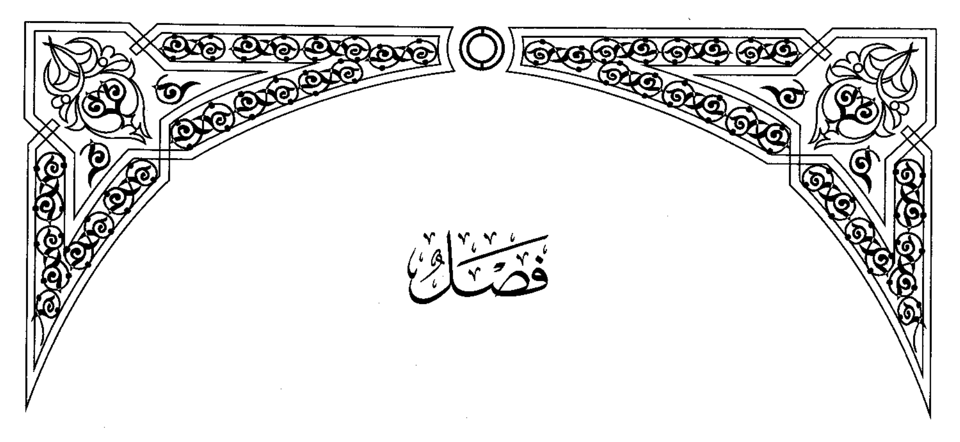
وهذا الذي أشار إليه عبدالله بن المبارك هو الذي أخاف الصديقين ـ وأبو بكر رضي الله عنه رأسهم ـ حتى تمنوا أن لو كانوا جماداً، كما سبق.

وقال ابن شوذب رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن: ٤٦]: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. رواه ابن أبي حاتم[2].

وروى هو، وابن أبي الدنيا في كتاب «المتمنين»، وأبو الشيخ في «العظمة» عن عطاء رحمه الله تعالى: أنَّ أبا بكر الصديق ذكر ذات يوم، وفكر في القيامة والموازين، والجنة والنار، وصفوف الملائكة، وطي السماوات، ونسف الجبال، وتكوير الشمس، وانتثار الكواكب، فقال: وددت أني كنت خضراً من هذه الخضر تأتي علي بهيمة فتأكلني، وأني لم أخلق، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن: ٤٦][3].

* * *

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٧٠).
(٢) انظر: «الدر النثور» للسيوطي (٧/ ٧٠٦).
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «المتمنين» (ص: ٥٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٣٠٨).



فصل

ويقال للصديقين: سابقون لاستباقهم إلى الخير.

وقد أرشد الله تعالى إلى التشبه بالسابقين في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: ١٤٨].

روى ابن جرير عن ابن زيد رحمه الله تعالى في قوله: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[البقرة: ١٤٨]؛ قال: الأعمال الصالحة(١).

وقال تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[المطففين: ٢٦]، والتنافس المباراة في عمل الآخرة.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾[فاطر: ٣٢-٣٣] الآية.

قال رسول الله ﷺ: «السَّابِقُ وَالمُقْتَصِدُ يَدْخُلانِ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ،

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٣٠).

وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيْراً، ثُمَّ يَدْخُلُ الجَنَّةَ». رواه الحاكم عن أبي الدرداء ﷺ، وقال: صحيح الإسناد[1].

وروى ابن أبي شيبة عن عمر بن الخطاب ﷺ موقوفاً، وابن لال في «مكارم الأخلاق»، والبيهقي في «الشعب»، وفي «البعث» مرفوعاً قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سَابِقُنَا سَابِقٌ، وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وَظَالِمُنَا مَغْفُوْرٌ لَهُ»[2].

وقال محمد بن الحنفية رحمه الله تعالى: أعطيت هذه الأمة ثلاثة لم تعطها أمة كانت قبلها: منهم ظالم لنفسه مغفور له، ومنهم مقصد في الجنان، ومنهم سابق بالمقام الأعلى. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[3].

وإنما كان السابق بالمقام الأعلى؛ لأنه أخذ من السلوك إلى الله تعالى في دار الدنيا الحظ الأوفى، والعمل الأقوى، كما روى أبو نعيم عن البراء بن عازب ﷺ: أنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ للهِ خَوَاصّاً يُسْكِنُهُمُ الرَّفِيْعَ

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥٩٢) وقال: وقد اختلفت الروايات عن الأعمش في إسناد هذا الحديث ـ وذكر الروايات، ثم قال: ـ وإذا كثرت الروايات في الحديث ظهر أن للحديث أصلاً.

(٢) رواه البيهقي «البعث والنشور» (١/ ٦٣) وقال: فيه إرسال بين ميمون بن سياه، وبين عمر ﷺ، وروي من وجه آخر غير قوي عن عمر موقوفاً عليه. وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٢٥).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٢٢/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣١٨٢) واللفظ له.

مِنَ الْجِنَانِ، كَانُوْا أَعْقَلَ النَّاسِ»، قلنا: يا رسول الله! وكيف كانوا أعقل الناس؟ قال: «كَانَتْ هِمَّتُهُمُ الْمُسَابَقَةَ إِلى رَبِّهِمْ وَالْمُسَارَعَةَ إِلى مَا يُرْضِيْهِ، وَزَهِدُوْا فِي فُضُوْلِ الدُّنْيَا وَرِيَاشِهَا[1] وَنَعِيْمِهَا، وَهَانَتْ عَلَيْهِم فَصَبَرُوا قَلِيْلاً، وَاسْتَرَاحُوْا طَوِيْلاً»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ عَنِّي، أَوْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَشْعَثَ شَاحِبٍ مُشَمِّرٍ، لَمْ يَضَعْ لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ، وَلا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ، رُفِعَ لَهُ عَلَمٌ فَشَمَّرَ إِلَيْهِ، الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ، وَغَداً السَّبْقُ، وَالغَايَةُ الْجَنَّةُ أَوِ النَّارَ»[3].

قال في «القاموس»: المضمار: الموضع تضمر فيه الخيل، وغاية السباق[4].

أشار إلى أنه مشترك بين معنيين:

- **أحدهما**: الموضع الذي تضمر فيه الخيل؛ أي: تعلف القوت بعد التسمين؛ لأن الفرس المضمر أقوى عند الحاجة على السبق.

وهذا المعنى هو الذي أراده النبي ﷺ في الحديث بقوله: «اليَوْمَ

---

(١) في «حلية الأولياء»: «ورياستها» بدل «ورياشها».

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٧).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٩)، وكذا الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٢٤١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٥٨): فيه سليمان بن أبي كريمة، وهو ضعيف.

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص: ٥٥١) (مادة: ضمر).

الْمِضْمَارُ»؛ أي: موضع تضمير المطية وتهيئتها للسبق، وذلك بالأعمال الصالحة، والمسابقة إليها.

«وغداً السبق»؛ أي: يوم القيامة يظهر السبق، فالمسابقة في دار الدنيا بالأعمال إنما تظهر ثمرتها في دار القرار، ولذلك قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾[آل عمران: ١٣٣] لأنَّ المسارعة في الخيرات المشهودة في دار الدنيا إنما هي مسارعة إلى اتباع الخيرات، وثوابه في دار الآخرة.

ولقد أحسن صاحب «المنفرجة» في قوله: [من المتدارك]

وَرِضَا بِقَضاءِ اللهِ حِجَى
فعلى مركوزته فَعِجِ

وَإِذا انْفَتَحَتْ أَبْوابُ هُدَىً
فَاعْمَلْ [لخزائنها] وَلِجِ

وَإِذا حاوَلْتَ نِهايَتَها[1]
فَاحْذَرْ إِذْ ذاكَ مِنَ العَرَجِ

لِتَكُونَ مِنَ السُّبَّاقِ إذا
ما سِرْتَ إلى تلك[2] الْفَرَجِ

(١) في «طبقات الشافعية الكبرى»: «نهابتها» بدل «نهايتها».

(٢) غير واضح في «م».

فَهُنَــــاكَ الْعَــــيْشُ وَبَهْجَتُـــهُ

فَلِمُنْـــــــتَهِجٍ وَلِمُبْـــــــتَهِجِ[1]

واعلم أن طريق السبق مفتوح لطالبيه إلى يوم القيامة، إلا أنه الآن مهجور لا يرى عليه إلا الأفراد، فسلوكه غير ممتنع ـ وإن كان عسراً خطراً ـ إلا إنَّه يسير على من يسره الله تعالى له، آمن لمن صحب فيه المؤمن المهيمن، فلكل طالب ـ وإن تأخر زمانه ـ نصيب مما طلب.

وقد روى الحكيم الترمذي في «نوادره»، وأبو نعيم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «فِي كُلِّ قَرْنٍ ـ وفي رواية: لِكُلِّ قَرْنٍ ـ مِنْ أُمَّتِيْ سَابِقُوْنَ»[2].

وهذا السبق ـ وإن كان عاماً في السبق في أمور الدنيا، وغيرها ـ إلا أنه شامل للسبق في أمور الآخرة، بل هو أولى بالقصد، مع أن لهذا الحديث شواهد كثيرة صحيحة كحديث: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِيْنَ عَلَى الْحَقِّ»[3].

---

(١) هذه الأبيات من «القصيدة المنفرجة» ولها اسم آخر: «الفرج بعد الشدة» لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن إبراهيم الأندلسي القرشي. انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٨/ ٥٧).

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٣٦٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٨). قال الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٥٦٧): حديث غريب جداً، وإسناده صالح.

(٣) رواه البخاري (٦٨٨١)، ومسلم (١٩٢١) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

فالتشبه بالسابقين طريق الأقوياء المبشرين، وكلما أظلم الوقت كلما ظهر لهم السبق في السبق، وعظم لهم الأجر والثواب لأن الأجر على قدر المشقة.

وحقيقة السبق أن تبادر إلى كل عمل صالح فتأخذ في أفضله وأكمله وأتمه، وإذا كان ذا وقت كنت أسبق الآخذين فيه إلى أول الوقت كما قيل: [من الوافر]

إِذا هَبَّتْ رِياحُكَ فَاغْتَنِمْها
فَعُقبى كلِّ[1] خافِقَةٍ سُكُوْن
وَإِنْ درَّتْ نِياقُكَ فَاحْتَلِبْها
فَما تَدْرِيْ الْفَصِيْلُ لِمَنْ يَكُوْن

وروى الإمام أحمد في «الزهد»، وأبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُوْنَ مَنِ السَّابِقُوْنَ إِلى ظِلِّ اللهِ ﷻ؟ الَّذِيْنَ إِذَا أُعْطُوْا الْحَقَّ قَبِلُوْه، وَإِذَا سُئِلُوْهُ بَذَلُوْهُ، وَحَكَمُوا للنَّاسِ كَحُكْمِهِمْ لأَنْفُسِهِم»[2].

---

(١) في «م» و«ت»: «فإن لكل»، والصواب ما أثبت.

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٤٠٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٦). قال ابن كثير في «النهاية في الفتن والملاحم» (١/ ١٧٣): تفرَّد به أحمد وإسناده فيه ابن لهيعة، وقد تكلموا فيه، وشيخه ليس بالمشهور.

وأخرجه الحكيم، ولفظه: «طُوْبَى لِلسَّابِقِيْنَ إِلى ظِلِّ اللهِ تَعَالَى، الَّذِيْنَ. . .» إلى آخره[1].

وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له: جُمدان، فقال: «سِيْرُوْا هَذا جُمْدانُ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُوْنَ»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذَّاكِرُوْنَ اللهَ كَثِيْراً [والذاكرات][2]»[3].

ورواه الترمذي وصححه، ولفظه: قالوا: يا رسول الله! وما المفردون؟ قال: «الْمُسْتَهْتَرُوْنَ بِذِكْرِ اللهِ، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُم أَثْقَالَهُم فَيَأْتُوْنَ اللهَ يَوْمَ القِيَامَةِ خِفَافاً»[4].

وروى الطبراني نحوه عن أبي الدرداء ﷺ[5].

قال المنذري: المفردون ـ بفتح الفاء، وكسر الراء ـ والمستهترون ـ بفتح التائين المثناتين فوق ـ: هم المولعون بالذكر، المداومون عليه، لا يبالون ما قيل فيهم، ولا ما فُعل بهم[6].

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٤/ ٢٣).

(٢) زيادة من مسلم.

(٣) رواه مسلم (٢٦٧٦).

(٤) رواه الترمذي (٣٥٩٦) وحسنه.

(٥) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٥): رواه الطبراني عن شيخ عبدالله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، وهو ضعيف.

(٦) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٥٦).

وفي «القاموس»: وقد أهتر ـ بالضم ـ، فهو مهتر: أولع بالقول في الشيء.

ثم قال: والمستهتر ـ بالفتح ـ: المولع به لا يبالي بما فعل به، وشتم له[1].

قلت: ويرجع معنى الاستهتار بالذكر إلى الإكثار منه، كما في الرواية الأخرى إكثاراً يؤدي إلى قول الناس فيه، وإنما يقول في الذاكرين الله من ليس من أهل الإنصاف، كما قال رسول الله ﷺ: «أَكْثِرُوْا ذِكْرَ اللهِ حَتَّى يَقُوْلَ الْمُنَافِقُوْنَ: إِنَّكُمْ مُرَاءُوْنَ». رواه الإمام أحمد في «الزهد»، والبيهقي في «الشعب» عن أبي الجوزاء رحمه الله تعالى مرسلاً[2].

وقال ﷺ: «أَكْثِرُوْا ذِكْرَ اللهِ حَتَّى يَقُوْلُوا: مَجْنُوْن». رواه الإمام أحمد، وأبو يعلى، وابن حبان، والحاكم وصححاه، والبيهقي عن أبي سعيد رضي الله عنه[3].

وفي قوله ﷺ في الحديث السابق: «يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُم أَثْقَالَهُمْ» دليل على أنَّ السابق لا يلزم فيه أن لا يسبق له ساعة جهل؛ فإن ذلك لا يؤثر

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٦٣٧) (مادة: هتر).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٠٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٢٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٧١)، وأبو يعلى في «المسند» (١٣٧٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٨١٧)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٣٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٢٦).

في كونهم سابقين وصديقين، بل منهم من لم يسبق لـه به جهل؛ كأبي بكر، وعلي ﷺ، ومنهم من يسبق لـه ثم يتخلقـون بمـا سبـق لهم من الإحسان والسبق إلى الخير؛ كعمر ﷺ.

وروى أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ: قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْبِـقَ الدَّائِبَ الْمُجْتَهِدَ فَلْيَكُفَّ عَنِ الذُّنُوْبِ»[1].

وروى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهـد» عن أبي هريـرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، فَالسَّابِـقُ السَّابِـقُ إِلى الْجَنَّةِ»[2].

أي: والسابق إلى المودة والمصالحة هو السابق إلى الجنـة، كما قال ﷺ في حديث أبي أيوب ﷺ: «لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُر أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيَصُدُّ هَذَا، وَيَصُدُّ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ»[3]. رواه الإمام أحمد، والشيخان، وأبو داود، والترمذي.

وروى الطبـراني في «الكبير» عن الأغـر المزني ﷺ: أَنَّ أبـا بكر

---

(١) رواه أبـو نعيم في «حليـة الأولياء» (١٠/ ٤٠٠)، وكـذا ابن أبي الدنيـا في «الورع» (ص: ٤١)، وأبـو يعلى في «المسنـد» (٤٩٥٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠٠): فيـه يوسف بن ميمـون، وثقـه ابن حبـان، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٢٥٣).

(٣) رواه الإمام أحمـد في «المسند» (٥/ ٤٢١)، والبخاري (٥٨٨٣)، ومسلم (٢٥٦٠)، وأبو داود (٤٩١١)، والترمذي (١٩٣٢).

الصديق ﷺ قال له: لا يَسْبِقَنَّكَ[1] بِالسَّلامِ أَحَدٌ[2].

وروى البخاري في «الأدب المفرد» عن عمر ﷺ قال: كنت رديف أبي بكر ﷺ فيمر على القوم فيقول: السلام عليكم، فيقولون: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال أبو بكر ﷺ: فضلنا الناس اليوم بزيادة كثيرة[3].

وروى تمام في «فوائده»، وابن عساكر عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَبَقَ العَاطِسَ بِالْحَمْدِ وَقَاهُ اللهُ وَجَعَ الْخَاصِرَةِ، وَلَمْ يَرَ فِي فِيْهِ مَكْرُوهاً حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا»[4].

أشار ﷺ إلى ما اختص به هذا السابق من الفضائل الظاهرة عليه في الدنيا، ولم يذكر ما له في الآخرة؛ لأن الحامد في الآخرة محمود بلا شك، وإنما كانت هذه الفضيلة لمن سبق العاطس لأنه يذكِّر العاطس بما عليه، ويرغبه في الحمد، فهو من المهتدين الهادين.

وروى أبو نعيم عن أبي الدرداء ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَبَقَ إِلى الصَّلاةِ مَخَافَةَ أَنْ تَسْبِقَهُ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَرَكَهَا مَأْثَرَةً عَلَيهَا

---

(١) في «المعجم الكبير»: «لا يسبقك».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٨٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٣٣): رجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٧).

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥/ ٣٨٦).

لَمْ يُدْرِكْهَا بِعَمَلٍ إِلى الْحَوْلِ»(١).

وروى هو، والديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «السَّابِـقُوْنَ السَّابِـقُوْنَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُوْنَ، أَوَّلُ مَنْ يُهَجِّرُ إِلى الْمَسْجِدِ وَآخِرُ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهُ»(٢).

وروى أبو نعيم في كتاب «حرمة المساجد» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ البِقَاعِ إِلى اللهِ الْمَسَاجِدُ، وَأَحَبُّ أَهْلِهَا إِلى اللهِ أَوَّلُهُم دُخُوْلاً وَآخِرُهُم خُرُوْجاً، وَأَبْغَضُ البِقَاعِ إِلى اللهِ الأَسْوَاقُ، وَأَبْغَضُ أَهْلِهَا إِلى اللهِ أَوَّلُهُم دُخُوْلاً وَآخِرُهُم خُرُوْجاً»(٣).

والتبكير إلى الجمعة داخل في ذلك، والأحاديث في فضل السبق فيه معروفة(٤).

وروى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو نعيم عن عثمان بن أبي سودة مولى عبادة بن الصامت قال: بلغنا في هذه الآية: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ السَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠ - ١١] أنهم السابقون إلى المساجد، والخروج في سبيل الله تعالى(٥).

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٩٨).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٥٧٤).

(٣) ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٧٥) مع اختلاف يسير.

(٤) انظر: «اللمعة في خصائص الجمعة» للسيوطي (ص: ٤٧) وما بعدها.

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٠٩). ولفظه: «أولهم رواحاً إلى=

وروى الشيخان، وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ: أنَّ فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: قد ذهب أهل الدُّثور بالدرجات العلى، والنعيم المقيم، قال: «وَمَا ذَاكَ؟» قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله ﷺ: «أَفَلا أُعَلِمُكُمْ شَيْئاً تُدْرِكُوْنَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُوْنَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلا يَكُوْنُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «تُسَبِّحُوْنَ، وَتُكَبِّرُوْنَ، وَتَحْمَدُوْنَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثاً وَثَلاثِيْنَ مَرَّةً»[1].

قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَشَاء»[2].

وروى أبو نعيم عن كعب رحمه الله تعالى قال: إذا اشتكى إلى الله عباده الفقراء الحاجة قيل لهم: أبشروا ولا تحزنوا؛ فإنكم سادة الأغنياء، والسابقون إلى الجنة يوم القيامة[3].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي أيوب عبدالله بن سليمان

= المسجد، وأولهم خروجاً في سبيل الله».

(١) رواه البخاري (٨٠٧)، ومسلم (٥٩٥).

(٢) رواه مسلم (٥٩٥).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٦٥).

قال: دخل أبو هريرة رضي الله عنه المسجد فإذا فيه غلام، فقال: يا غلام! اذهب إلى عمل أهلك، قال: إنما جئت إلى الصلاة، قال: فأنت السابق وأنا الْمُصَلِّي[(١)].

أي: الآتي بعد السابق، وهو في الأصل الفرس الذي يأتي ثاني السابق كأنه يحاذي صلاه.

وروى أبو نعيم عن يزيد الرقاشي قال: إن المتجوعين لله تعالى في الرعيل الأول يوم القيامة[(٢)].

وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه سئل عن صيام الدهر فقال: كنا نعد أولئك [فينا][(٣)] من السابقين[(٤)].

وهذا مما يدل على أن صيام الدهر لمن لم يخف منه ضرراً، ولم يفوت به حقاً مستحب. نص عليه الدارمي، والغزالي.

وقال الشافعي، وبقية الأصحاب، وجمهور العلماء: لا يكره إذا أفطر أيام النهي.

وذهب أبو يوسف، وغيره إلى كراهته[(٥)].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٧٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٥١).

(٣) زيادة من «السنن الكبرى».

(٤) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٠١).

(٥) انظر المسألة في «المجموع» للنووي (٦/ ٤١٥).

وروى البيهقي[1]، وغيـره عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَامَ الدَّهْرَ ضُيِّقَتْ عَلَيْهِ جَهَنَّمُ هَكَذَا، وَعَقَدَ تِسْعِيْن»[2].

وفي «صحيح البخـاري» عن أنـس رضي الله عنه قال: كـان أبو طلحة رضي الله عنه لا يصوم على عهد النبي ﷺ من أجل الغزو، فلما قُبض النبي ﷺ لم أره مفطراً إلا يوم الفطر، أو الأضحى[3].

وممن سرد الصوم عمـر، وابنـه عبدالله، وأبو أمامـة، وامرأتـه، وعائشة رضي الله عنهم. رواه البيهقي عنهم[4].

وزاد النووي في «شرح المهذب»: سعيد بن المسيب، وأبا عمرو ابن حِماس ـ بكسر المهملة ـ، وسعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف التابعي؛ سرده أربعين سنة، والأسود بن يزيد صاحب ابن مسعود[5].

---

(١) قال النووي في «المجموع» (٦/ ٤١٦): واحتج به البيهقي على أنه لا كراهة في صوم الدهر، وافتتح الباب بـه، فهو عنـده المعتمد في المسألة، وأشار غيره إلى الاستدلال به على كراهته، والصحيح ما ذهب إليه البيهقي، ومعنى ضيقت عليه؛ أي: عنه، فلم يدخلها، أو ضيقت عليه، أي: لا يكون له فيها موضع.

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٠٠)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤١٤) إلا أنه قال: «هكذا، وقبض كفيه».

(٣) رواه البخاري (٢٦٧٣).

(٤) انظر: «السنن الكبرى» للبيهقي (٤/ ٣٠١).

(٥) انظر: «المجموع» للنووي (٦/ ٤١٨).

وروى أبو الحسن بن جهضم عن أبي عثمان قال: السابق بالود مبتدىء، والمكافىء له مقتدي؛ فأنى يدرك المقتدي المبتدىء؟ وللمبتدىء أجره وأجر من اتبعه[1].

ومن هنا قيل: إن الابتداء بالسلام - وإن كان سنة - أفضل من الرد وإن كان واجباً[2]؛ لقوله ﷺ: «وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ»[3].

ونظير ذلك أن الإحسان إلى المسيء سابق بالنسبة إلى من يقابل الإحسان بالإحسان.

قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِىءِ، وَلَكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا». رواه الإمام أحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي عن ابن عمرو رضي الله عنهما[4].

وقال ﷺ: «لا تَكُوْنُوْا إِمَّعَةً؛ تَقُوْلُوْنَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ أَسَاؤُوْا أَسَأْنَا[5]، وَلَكِنْ وَطِّنُوْا أَنْفُسَكُم: إِنْ أَحْسَنُوا أَنْ تُحْسِنُوْا، وَإِنْ أَسَاؤُوا أَنْ لا تَظْلِمُوْا». رواه الترمذي من حديث حذيفة رضي الله عنه[6].

---

(١) ورواه السلمي في «آداب الصحبة» (ص: ١١٦).

(٢) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٣٠/ ٢٧٤)، و«المجموع» للنووي (٤/ ٥٠٤).

(٣) رواه البخاري (٥٧٢٧)، ومسلم (٢٥٦٠) عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) في الترمذي: «وإن ظلموا ظلمنا» بدل «وإن أساؤوا أسأنا».

(٦) رواه الترمذي (٢٠٠٧) وحسنه.

وقوله: «وَإِنْ أَسَاؤوا أَنْ لا تَظْلِمُوا» وهو شامل للعفو والانتصار، إلا أن العفو صاحبه سابق؛ لأنه محسن مانٌّ بالعفو.

قال أمير المؤمنين علي ﷺ ـ وهو من أفضل السابقين ـ: قال لي رسول الله ﷺ: «أَلا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرِ أَخْلاقِ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: «تُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَنْ مَنْ ظَلَمَكَ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ». رواه البيهقي في «الشعب»[1].

وروى ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «لَنْ يَنَالَ عَبْدٌ صَرِيْحَ الإِيمَانِ حَتَّى يَصِلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَيَعْفُوَ عَنْ مَنْ ظَلَمَهُ، وَيَغْفِرَ لِمَنْ شَتَمَهُ، وَيُحْسِنَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ»[2].

وقال عبدالله بن مسعود ﷺ: لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته ـ أي: حتى يسبق إلى أعلى خصاله ـ قال: ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى، والتواضع أحب إليه من الشرف، وحتى يكون حامده وذامُّه عنده سواء.

قال عون بن عبدالله: ففسرها أصحاب عبدالله؛ قالوا: حتى يكون الفقر في الحلال أحب إليه من الغنى في الحرام، وحتى يكون التواضع في طاعة الله أحب إليه من الشرف في معصية الله، وحتى يكون حامده

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٩٥٦).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (ص: ٢٣).

وذامه في الحق سواء. رواه الإمام أحمد في «الزهد»، وغيره[1].

وروى النسائي عن أبي ذر ﷺ، وهو، وابن حبان، وابن خزيمة، والحاكم وصححوه، عن أبي هريرة ﷺ: أنَّ النبي ﷺ قال: «يَسْبِقُ[2] دِرْهَمٌ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَم»، فقال رجل: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: «رَجُلٌ لَـهُ مَالٌ كَثِيرٌ أَخَذَ مِنْ عُرْضِ مالِهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا، وَرَجُلٌ لَيْسَ لَهُ إِلا دِرْهَمَانِ فَأَخَذَ أَحَدَهُمَا فَتَصَدَّقَ بِهِ»[3].

وقوله: «من عرض» ـ بضم المهملة ـ أي: من جانبه.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن الحسن رحمه الله تعالى قال: حضر باب عمر ﷺ سهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وأبو سفيان ابن حرب، ونفر من قريش من تلك الرؤوس، وصهيب، وبلال، وتلك الموالي الذين شهدوا بدراً ﷺ، فخرج آذنُ عمر ﷺ فأذن لهم، وترك هؤلاء، فقال أبو سفيان: لم أر كاليوم قط يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه لا يلتفت إلينا، قال: فقال سهيل بن عمرو ﷺ ـ وكان رجلاً عاقلاً ـ: أيها القوم! إني والله لقد أرى الذي في وجوهكم إن كنتم

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٥٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٣٢).

(٢) في مصادر التخريج: «سبق» بدل «يسبق».

(٣) ورواه النسائي (٢٥٢٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٣٤٧)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٤٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٥١٩) عن أبي هريرة ﷺ.

غِضَاباً فاغضبوا على أنفسكم، دُعي القـوم ودعيتم، فأسرَعوا وأبطأتم، فكيف لكم إذا دعوا يوم القيامة وتُركتم، أما والله لما سبقوكم إليه من الفضل مما لا ترون أشد عليكم فوتـاً من بابكم هذا الذي تنافسون عليه، قال: ونفض ثوبه وانطلق.

قال الحسن: وصدق ـ والله ـ سهيل؛ لا يجعل الله عبداً أسرعَ إليه كعبدٍ أبطأ عنه[1].

وفي رواية: فكيف بكم إذا دعوا إلى أبواب الجنـة وتركتم؟ والله لا أدع موقفاً وقفت مع المشركين إلا وقفت مع المسلمين مثله، ولا نفقة أنفقتهـا مـع المشـركين على رسـول الله ﷺ إلا أنفقـت على المسلمين مثلها[2].

ويناسب ما في هذا الأثر من سبق الموالي ذوي الأنساب بأعمالهم سبق الأرقاء الأحرار حتى قد يسبق العبد سيده؛ كما روى الطبراني في «الكبير»، و«الأوسط» عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «عَبْدٌ أَطَاعَ اللهَ تَعَالى، وَأَطَاعَ مَوالِيَهُ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ قَبْلَ مَوَالِيَهُ بِسَبْعِيْنَ خَرِيْفاً، فَيَقُولُ السَّيدُ: رَبِّ! هَذَا كَانَ عَبْدِي فِي الدُّنْيَا، قَالَ: جَازَيْتُهُ بِعَمَلِهِ، وَجَازَيْتُكَ بِعَمَلِكَ»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١١٣).

(٢) انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٣/ ٢١٤).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٨٠٤)، و«المعجم الصغير» (١١٧٩)=

وفي «الأوسط» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ عَبْدَاً دَخَلَ الْجَنَّةَ فَرَأَى عَبْدَهُ فَوْقَ دَرَجَتِهِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ! هَذَا عَبْدِي فَوْقَ دَرَجَتِي؟ قَالَ: نعَمْ، جَزَيْتُهُ بِعَمَلِهِ، وَجَزَيْتُكَ بِعَمَلِكَ»[1].

وفيه عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ سَابِقٍ[2] إِلى الْجَنَّةِ مَمْلُوْكٌ أَطَاعَ اللهَ وَأَطَاعَ مَوَالِيَهُ»[3].

وروى الإمام أحمد، وأبو يعلى بإسناد حسن، عن أبي بكر الصديق ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بَخِيْلٌ، وَلا خَبٌّ، وَلا خَائِنٌ، وَلا سَيِّءُ الْمَلَكَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ الْمَمْلُوْكُوْنَ إِذَا أَحْسَنُوْا فِيْمَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ اللهِ ﷻ، وَفِيْمَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ مَوَالِيهم»[4].

والخب ـ بالفتح ـ: الْخَدَّاع الْمَكَّار الخبيث.

= وقال: تفرد به يحيى بن عبدالله بن عبد ربه الصفار، عن أبيه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٤٠): لم أجد من ذكر يحيى، وأبوه ذكره الخطيب، ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقية رجاله حديثهم حسن.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٣٥٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٤٠): فيه بشير بن ميمون، وهو متروك.

(٢) في «م» و«ت» وكذا «مجمع الزوائد»: «سابق»، وفي «المعجم الأوسط»: «سائق».

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٣٥٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٤٠): فيه بشير بن ميمون، وهو متروك.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤) واللفظ له، وأبو يعلى في «المسند» (٩٣).

ومن السابقين من جاء الأثر فيه بأنـه أول من يقرع باب الجنة، أو أول من يدخلها، ولا معارضة بين الأخبار في ذلك؛ فأول من يقرع باب الجنة النبي ﷺ فيبادر معه كافل اليتيم، ومن في رتبته.

وقوله في هذا الحديث: «أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بابَ الْجَنَّةِ الْمَمْلُوْكُوْنَ»؛ أي: بعـد النبي ﷺ، ومن معـه، أو النبي ﷺ أول من يقرع باب الجنـة ليفتح للداخلين، ثم يكون كافل اليتيم، والعبد المملوك، وأهل الجهاد، والصدقات، وتلاوة القرآن المخلصون أول الداخلين والفقراء من كـل صنف أسبق إلى الجنة من الأغنياء جمعاً بين الأحاديث، فافهم!

وروى أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقاته» عن أبي علي الجوزجاني رحمه الله تعالى قال: السابقون هم المقربون بالعطيات، والمرتفعون في المقامات، وهم الصلة[1] بالله من بين البرية، عرفوا الله [حق معرفته][2]، وعبدوه بإخلاص العبادة، وأووا إليه بالشوق والمحبة، وهم الذين قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾[ص: ٤٧][3].

وروى أبـو نعيم عـن كـعـب رحـمـه الله تـعـالـى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾[الواقعة: ١٠] قال: هم أهل القرآن[4].

---

(١) في «طبقات الصوفية»: «العلماء» بدل «الصلة».

(٢) زيادة من «طبقات الصوفية».

(٣) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٩٧).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٧٧).

وروى عبد بن حميد عن صالح أبي الخليل قال: قال كعب رحمه الله تعالى: يلومني أحبار بني إسرائيل أني دخلت في أمة فرَّقهم الله تعالى، ثم جمعهم، ثم أدخلهم الجنة جميعاً، ثم [تلا] هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾[فاطر: ٣٢ ـ ٣٣]؛ قال: فأدخلهم الله الجنة جميعاً[١].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن الحسن رحمه الله تعالى قال: السابق من رجحت حسناته على سيئاته، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته، والظالم الذي ترجح سيئاته على حسناته[٢].

وروى ابن مردويه، والديلمي عن حذيفة ﷺ قال: يبعث الناس على ثلاثة أصناف، وذلك في قول الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[فاطر: ٣٢]؛ قال: سابق بالخيرات يدخل الجنة بلا حساب، والمقتصد يحاسب حساباً يسيراً، والظالم لنفسه يدخل الجنة برحمة الله[٣]؛ يعني: بعد الحساب بدليل الأثر عن أبي مسلم الخولاني قال: قرأت في كتاب الله أنَّ هذه الأمة تصنف يوم القيامة على ثلاثة أصناف: فصنف يدخلون الجنة بغير حساب، وصنف

(١) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٠/ ١٦٤).

(٢) وانظر: «حقائق التفسير» للسلمي (٢/ ١٦١).

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨٧٧٤).

يحاسبهم الله حساباً يسيراً، وصنف يوقفون فيؤخذ منهم ما شاء الله، ثم يدركهم عفو الله وتجاوزه. رواه عبد بن حميد[1].

ولأرباب الإشارات والحقائق في هؤلاء الثلاثةِ أقوالٌ:

قال الحارث بن أسد المحاسبي رحمه الله تعالى: الظالم ينظر من نفسه إلى نفسه في دنياه وآخرته، فيقول في دنياه وآخرته: نفسي نفسي، والمقتصد نظر من نفسه إلى عقباه وهو في دنياه ناظر إلى عقباه[2]، والسابق ينظر من الله إلى الله فلم يرَ غير الله في دنياه وعقباه[3].

وقال محمد بن علي الترمذي رحمه الله تعالى: لكل واحد من هؤلاء الثلاثة نوع من سؤال، وأخبر عنه النبي ﷺ؛ فسؤال الظالم: أسألك الإيمان بك، والكفاف من الرزق.

وسؤال المقتصد: أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، [وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل][4].

وسؤال السابق: أسألك النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك[5].

قلت: وجميعهم على الباب واقفون، وإلى الله مفتقرون، وبلسان

---

(١) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٧/ ٢١٦).

(٢) في «حقائق التفسير»: «وهو في الآخرة ناظر إلى مولاه».

(٣) انظر: «حقائق التفسير» للسلمي (٢/ ١٦١).

(٤) زيادة من «حقائق التفسير».

(٥) انظر: «حقائق التفسير» للسلمي (٢/ ١٦٧).

حالهم قائلون: [من مخلّع البسيط]

إِلَيْــكَ جِئْنــا وَأَنْــتَ جِئْــتَ بِنــا

وَلَــيْسَ رَبٌّ سِــواكَ يَحْمِيْنــا[1]

بابُــكَ رَحْــبٌ فِنــاؤُهُ كَــرَمٌ

تُــؤْوِيْ إِلَــىْ بابِــكَ الْمَــساكِيْنا

والبيتان لأبي سعد عبد الملك بن محمد النيسابوري المعروف بالخركوشي، وهو ممن يرتجى بذكره الرحمة.

حكي أنه خرج مرة مع الناس للاستسقاء، فأنشد البيتين فسقوا برحمة الله تعالى[2].

وقال محمد بن علي الترمذي أيضاً: الظالم لنفسه إلى عفو الله، والمقتصد إلى رضى الله، والسابق بالخيرات إلى رضوان الله، ورضوان من الله أكبر[3].

وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى: الظالم مضروب بسوط الأمل، مقتول بسيف الحرص، مضطجع على باب الرجاء.

والمقتصد مضروب بسوط الحسرة، مقتول بسيف الندامة، مضطجع

---

(١) في «تاريخ دمشق»: «يغنينا» بدل «يحمينا».

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٧/ ٩٤).

(٣) انظر: «حقائق التفسير» للسلمي (٢/ ١٦٩).

على باب الكرم.

والسابق مضروب بسوط المحبة، مقتول بسيف الشوق، مضطجع على باب الهيبة[1].

وقال أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى: الظالم مضروب بسوط الغفلة، مقتول بسيف الأمل، مطروح على باب الرحمة والمشيئة.

والمقتصد مضروب بسوط الندامة، مقتول بسيف الحسرة، مطروح على باب الفقر.

والسابق مضروب بسوط المحبة، مقتول بسيف الشوق، مطروح على باب المشاهدة والبشرى واللقاء[2].

قلت: ومعنى هذا الكلام: إن الظالم لنفسه هو الذي ظلم نفسه بالاسترسال في الغفلة عما يراد منه من أدب كل وقت من أوقاته، وحقوق كل حين من أحايينه في ذلك الوقت، وذلك الحين، ثم كلما تحركت روحه بواعظ الإيمان المستوي على عرش قلب كل عبد مؤمن للنهوض إلى التوبة والإقلاع عن المعصية لم تطاوعه نفسه؛ لأنها قد انقطعت بمُدْية التسويف، وقتلت بسيف الأمل، فهو تحت المشيئة؛ لأن سيئاته قد رجحت على حسناته فلم يستحق فوزاً، ولم يستوجب ثواباً، لكن الله تعالى لم يقطعه عن رحمته بالكلية، ولم يخرجه من دائرة الاصطفائية،

(١) انظر: «حقائق التفسير» للسلمي (٢/ ١٦٢).

(٢) انظر: «حقائق التفسير» للسلمي (٢/ ١٦٣).

بل طرحه على باب رحمته، وأناط آماله بدخول جنته لأنَّ له عند الله عهداً وذمة، وقد قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾[مريم: ٨٧]؛ أي: قال: لا إله إلا الله.

وما أحسن ما قال عبد الرحيم البرعي ـ من رجال اليمن ـ رحمه الله تعالى: [من الرمل]

عَلَّهـا تَرْعَـى ذِمامـاً سـالِفاً
وَبِظَنِّـي أَنَّهـا تَرْعَـى الـذِّماما

ولذلك قدم الله تعالى الظالم لنفسه في الآية.

قال ابن عطاء الآدمي رحمه الله تعالى: قدم الظالم لئلا ييئس من فضله؛ قال: والسابق مقدم، لكن أظهر لطفه بتقديم الظالم ليعرفوا كرمه ويرجعوا إليه[1].

وقال جعفر الصادق ﷺ: بدأ بالظالمين إخباراً أنَّه لا يتقرب إليه إلا بصرف كرمه، وأنَّ الظلم لا يؤثر في الاصطفائية، ثم ثنَّى بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحد مكره، وكلهم في الجنة ببركة كلمة الإخلاص[2].

وقال أبو الحسن الفارسي[3] رحمه الله تعالى: إنَّ الله اصطفى جملة

---

(١) انظر: «حقائق التفسير» للسلمي (٢/ ١٦٣).

(٢) انظر: «حقائق التفسير» للسلمي (٢/ ١٦١).

(٣) في «أ»: «القادسي».

الموحدين من جملة الكافرين، وكانوا عباداً مخصوصين، فسوَّى بينهم لئلا يعتمد السابق على سبقه، ولا ييأس الظالم من ظلمه[1].

واعلم أن الظالم لنفسه في هذه الآية أخص من الظالم لنفسه في قوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾[الصافات: ١١٣].

قال قتادة: أي: مؤمن وكافر. كما رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[2].

فظلم النفس على قسمين: ظلم عظيم؛ وهو الشرك، فهذا يُخرج صاحبه من الاصطفاء.

وظلم دون ظلم؛ وهو بالمعصية ما عدا الشرك، وهذا لا يخرج العبد عن الرحمة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٨]؟

وروى أبو داود الطيالسي، والبزار عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الظُّلْمُ ثَلاثَةٌ: فَظُلْمٌ لا يَغْفِرُهُ اللهُ، وَظُلْمٌ يَغفِرُهُ، وَظُلْمٌ لا يَتْرُكُهُ؛ فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لا يَغْفِرُهُ فَالشِّرْكُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[لقمان: ١٣].

وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يَغْفِرُهُ اللهُ، فَظُلْمُ العِبَادِ أَنْفُسَهُم فِيمَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ رَبِّهِم.

---

(١) انظر: «حقائق التفسير» للسلمي (٢/ ١٦١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٢٢٤).

وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لا يَتْرُكُهُ اللهُ، فَظُلْمُ العِبَادِ بَعْضَهُم بَعْضاً حَتَّى يَدِيْنَ لِبَعْضِـهِم مِنْ بَعْضٍ»(١).

وروى الإمام أحمد، والحاكم وصححه، عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبي ﷺ قال: «الدَّوَاوِيْنُ [عند الله ﷻ](٢) ثَلاثَةٌ: فَدِيْوَانٌ لا يَغْفِرُ اللهُ مِنْهُ شَيْئاً، وَدِيْوَانٌ لا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئاً، وَدِيْوَانٌ لا يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شَيْئاً؛ فَأَمَّا الدِّيْوَانُ الَّذِي لا يَغْفِرُ اللهُ مِنْهُ شَيْئاً، فَالإِشْرَاكُ بِاللهِ، [قال الله ﷻ ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾[المائدة: ٧٢](٣)](٤).

وَأَمَّا الدِّيْوَانُ الَّذِي لا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئاً، فَظُلْمُ العَبْدِ نَفْسَهُ فِيْمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ مِنْ صَوْمِ يَوْمٍ تَرَكَهُ، أَوْ صَلاةٍ تَرَكَهَا؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَغْفِرُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ، وَيَتَجَاوَزُ.

وَأَمَّا الدِّيْـوَانُ الَّذِي لا يَتْرُكُ اللهُ مِنْـهُ شَيْئـاً، فَمَظَالِمُ العِبَـادِ بَيْنَهُم؛ القِصَاصُ لا مَحَالَةَ»(٥).

---

(١) رواه الطيالسي في «المسند» (٢١٠٩)، والبزار في «المسند» (٦٤٩٣) واللفظ له. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٨): رواه البزار عن شيخه أحمد بن مالك القشيري، ولم أعرفه، وبقية رجاله قد وثقوا على ضعفهم.

(٢) زيادة من «مسند الإمام أحمد».

(٣) في «المستدرك» للحاكم (٨٧١٧): ذكر آية أخرى، وهي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٨].

(٤) زيادة من «مسند الإمام أحمد».

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٤٠)، والحاكم في «المستدرك»=

أي: إلاَّ أن يصالح الله تعالى صاحب الحق؛ للحديث الصحيح في ذلك.

وقد عقدت حديث عائشة رضي الله عنها في أبيات ستأتي إن شاء الله تعالى في الخاتمة.

وقول الجنيد رحمه الله تعالى: والمقتصد مضروب بسوط الندامة... إلى آخره[1]، إنما كان المقتصد كذلك لأن نفسه لوامة تلومه على زلته، وتؤنبه في التقصير، كما قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: إن المؤمن - والله - ما تراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلامي؟ ما أردت بأكلي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ وإنَّ الفاجر يمضي قُدماً لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها. رواه عبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس»[2].

فإذا فات المقتصد ما اقتصر عنه من أعمال البر ندم عليه وتحسر حيث فاته ذلك، ولم يزدد منه، فهو مضروب بسوط الندم، مقتول بسيف الحسرة لأنَّ الأوقات إذا فاتت ماتت حصتها من الخير، وإذا كان العبد قد فاته التسوق في أيامه، والبذر في إبانه، لم يبقَ له حين رواج الأسواق،

= (٨٧١٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٨): فيه صدقة بن موسى، وقد ضعفه الجمهور، وقال مسلم بن إبراهيم: حدثنا صدقة بن موسى، وكان صدوقاً، وبقية رجاله ثقات.

(١) تقدم قريباً.

(٢) ورواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٨١)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٤٣).

ونفَاق السلع، وحصاد الزروع إلا الانطراح على أبواب الجود والكرم، والافتقار إلى مفيد البذل والنعم.

وقد روى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهد» عن عبدالله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أنه قال: ثلاث صاحبهن جواد؛ مقتصد في فرائض الله يقيمها، ويتقي السوء، ويقل الغفلة.

وثلاث؛ لا تحقرن خيراً أن تتبعه، وشراً أن تتقيَه، ولا يكبرن عليك ذنب أن تستغفر الله منه.

وإيَّاك واللعب؛ فإنك لن تصيب به دنيا، ولا تدرك به آخرة، ولن ترضى المليك، إنما خلقت النار لسخطه، وإني أحذرك سخط الله[1].

واعلم أن المقتصد قد يكون سابقاً مُقدماً على المجتهد، وذلك بأمور:

١ ـ منها: أنَّ المجتهد إذا كان اعتقاده سقيماً فالمقتصد خير منه، بل البدعة قد تحبط الاجتهاد بمرة.

وقد روى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: اقتصادٌ في سنةٍ خيرٌ من اجتهاد في بدعة، وأن تتبع خير من أن تبتدع[2].

وروى الشيخ نصر المقدسي في كتاب «الحجة» عن أنس، وأبو القاسم الرافعي عن أبي هريرة، والديلمي عن ابن مسعود رضي الله عنهم قالوا: قال

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١ / ٩٨).

(٢) ورواه محمد بن نصر المروزي في «السنة» (ص: ٣٢).

رسول الله ﷺ: «عَمَلٌ قَلِيْلٌ فِيْ سُنَّةٍ خَيْرٌ مِن اجْتَهَادٍ فِي بِدْعَةٍ».

هذا لفظ أنس، ولفظ غيره: «خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ كَثِيْرٍ فِي بِدْعَةٍ»[1].

٢ ـ ومنها: أن الاقتصاد إذا داوم عليه العبد خير من الاجتهاد، والانقطاع عنه؛ لقوله ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها: «أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ». رواه الشيخان[2].

وفي رواية عند البخاري: كَانَ أَحَبُّ الدِّيْنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَا دَامَ[3] عَلَيْهِ صَاحِبُهُ[4].

وفي لفظ عن عائشة، وأم سلمة رضي الله عنهما: كَانَ أَحَبُّ العَمَلِ إِلَيْهِ مَا دُوْوِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ[5].

٣ ـ ومنها: أن يكون العبد في الاقتصاد أحفظ لآدابه في الاجتهاد كأن يؤديه وهو خالص القلب، صادق القصد كأن يصلي ركعتين مُتدبراً للقراءة، مبطئاً في الأفعال؛ فإنها أفضل من عشر ركعات بدون ذلك، أو

---

(١) رواه المقدسي في «الحجة على تارك المحجة» (١٣٢) عن أنس رضي الله عنه، والرافعي في «التدوين أخبار قزوين» (١/ ٢٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وكذا رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٥٦٨) عن الحسن رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦١٠٠)، ومسلم (٧٨٣) واللفظ له.

(٣) عند البخاري: «الذي يَدُومُ» بدل «ما دام».

(٤) رواه البخاري (٦٠٩٧).

(٥) رواه مسلم (٧٨٢) عن عائشة رضي الله عنها، ورواه النسائي (١٦٥٥) عن أم سلمة رضي الله عنها.

يقرأ آية بتدبر وفهم؛ فإنه أفضل من قراءة عشر آيات بدون ذلك.

ففي الحديث: «رَكْعَتَانِ مِنْ عَالِمٍ بِاللهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ مِنْ مُتَجَاهِلٍ بِاللهِ». رواه الشيرازي في «الألقاب» عن علي رضي الله عنه.

وفيه: «رَكْعَتَانِ مِنْ رَجُلٍ وَرِعٍ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ مِنْ مُخَلِّطٍ». رواه الديلمي عن أنس رضي الله عنه[1].

وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلبُ ساهي[2].

وروى الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ إِلا بِتَدَبُّرٍ، وَلا عِبَادَةٍ إِلا بِفِقْهٍ، وَمَجْلِسُ فِقْهٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّيْنَ سَنَةً»[3].

٤ ـ **ومنها**: أن تكون العبادة المقتصدة واقعة في مشاهد المسلمين كالصلاة في الجماعة.

وفي الحديث الصحيح: «صَلاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاةَ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِيْنَ دَرَجَةً». رواه الإمامان مالك، وأحمد، والشيخان، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه[4].

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٢٣٤).

(٢) ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٩٧).

(٣) ورواه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١/ ٩٧).

(٤) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ١٢٩)، والإمام أحمد في «المسند» =

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائـد الزهد» عن الأزرق بن قيس الحارثي قال: كنا عنـد عسعس بن سلامة وفينا ابن حاصر الأسيدي ـ وكان رجلاً خطيباً متكلماً ـ، فقال: وددت أن لنا بالجبان قصراً فيه من الطعام والشراب ما يكفينـا حتى يدفن آخرنـا رجـلاً، فقال عسعس بن سلامة: أما بلغك أنَّ رسول الله ﷺ كان في سفر، ففقد رجلاً من أصحابه، فقال: «اطْلُبُـوْهُ فِيْ الْغِيْـرانِ»، فوجـدوه في غـار قائماً يصلي، فقال له رسول الله ﷺ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟» قال: كبرت سني وحضر أجلي فأحببت أن أخلوَ لعبادة ربي، فقال رسول الله ﷺ: «أَلا إِنَّ مَوْطِنَ سَاعَةٍ مِنْ مَوَاطِنِ الْمُسْلِمِيْنَ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ الرَّجُلِ سِتِّيْنَ سَنَةً خَالِياً»[1].

٥ ـ ومنها: أنَّ صدقة المقتصد من حلال تسبق صدقة المكثر من شبهة، أو صدقة المقل تسبق صدقة المكثر؛ لأن الأول يجـود بما عزَّ،

= (٢/ ٦٥)، والبخاري (٦١٩)، ومسلم (٦٥٠)، والترمذي (٢١٥)، والنسائي (٨٣٧)، وابن ماجه (٧٨٩) كلهم عن ابن عمر ﷺ.

أما حديث أبي هريرة ﷺ: فرواه الإمـام مالك في «الموطـأ» (١/ ١٢٩)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٤)، والبخاري (٦٢١)، ومسلم (٦٤٩)، والنسائي (٨٣٨). وكلهم قال: «بخمسة وعشرين جزءًا».

(١) لم أقف عليه، لكن روى بمعناه الدارمي في «السنن» (٢٣٩٦)، والدارقطني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٦٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢٣٨٣) عن عمران بن حصين ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «مقام الرَّجل في الصَّف في سبيل الله أفضلُ من عبادة الرَّجل ستين سنة».

والثاني بما هان؛ كما في قوله ﷺ: «سَبَقَ دِرْهَمٌ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَم» الحديث[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن وهب بن كيسان قال: مرَّ رجل من العمال يتصدق على المساكين قال: فأتى أبا هريرة[2] رضي الله عنه، فقال: يا أبا هريرة! مررت بفلان وهو يتصدق على المساكين، فقال أبو هريرة رضي الله عنه: لكن درهم أصيبه بكد يعرق فيه جبيني أحب إلي من صدقة هؤلاء مئة ألف ومئة ألف[3].

وكلام أبي هريرة رضي الله عنه يحتمل وجهين:

الأول: أن درهم يتصدق به العبد اكتسبه بعمل يده وكَدِّه أفضل من مئة ألف درهم يتصدق بها جميعها من العمالة ونحوها بغير كد، أو بغير ورع.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في «الصحيحين»: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلا يَقْبَلُ اللهُ إلا الطَّيِّبَ - فَإِنَّ اللهَ عز وجل يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِيْنِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيْهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى يَكُوْنَ مِثْلَ الجَبَلِ»[4].

والوجه الثاني: أن اكتساب العبد لدرهم واحد بعرق جبينه وكد

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في «الورع»: «أبو همام» بدل «أبو هريرة».

(٣) رواه الإمام أحمد في «الورع» (ص: ٢٠).

(٤) رواه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (١٠١٤).

يمينه خير له من مئة ألف درهم تحصل له بمنة أحد على سبيل الهبة، أو الصدقة؛ لأن احتمال المنة يشق على قلوب الأخيار.

ومن هنا كان ﷺ يقبل الهدية، ولا يقبل الصدقة لأن الهدية يكافأ عليها فتندفع المنة عنه بالمكافأة؛ بخلاف الصدقة.

وفي حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه في «الصحيحين»: «لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلاً فَيأْتِيَ الْجَبَلَ، فَيَجِيْءَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيْعَهَا، فَيَكُفَّ اللهُ بِهِا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ؛ أَعْطَوْهُ، أَوْ مَنَعُوْهُ»[1].

وروى مسلم، والترمذي نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وزاد: «ذَلِكَ بِأَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى»[2].

وقد تسبق الصدقة المقتصدة الصدقة الكثيرة بمعنى آخر؛ كالصدقة في حال حياة العبد وهو صحيح شحيح [يأمل][3] الحياة؛ قال رسول الله ﷺ: «لأَنْ يَتَصَدَّقَ الْمَرْءُ فِي حَيَاتِهِ بِدِرْهَمٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمِئَةِ دِرْهَمٍ عِنْدَ مَوْتِهِ». رواه أبو داود، وابن حبان في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[4].

وكذلك الصدقة على الأقارب، والجيران، والأصدقاء تسبق الصدقة

---

(١) رواه البخاري (١٤٠٢).

(٢) رواه مسلم (١٠٤٢)، والترمذي (٦٨٠).

(٣) غير واضح في «م».

(٤) رواه أبو داود (٢٨٦٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٣٣٤).

على غيرهم لأن الصدقة على القريب صدقة وصلة، وعلى الجار والأخ صدقة وأداء لحق الجوار والأخوة، وأدلة ذلك مشهورة.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الإخوان» عن يزيد بن عبدالله بن الشخير رحمه الله تعالى مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «لأَنْ أُعْطِيَ أَخاً فِي اللهِ دِرْهَماً أَحَبُّ إِليَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِعَشَرَةٍ، وَلأَنْ أُعْطِيَ أَخاً فِي اللهِ عَشَرَةً أَحَبُّ إِليَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ رَقَبَةً»[1].

ولذلك الاقتصاد فيما هو حال العبد يسبق الاجتهاد فيما ليس من حاله، فالصدقة من المَلِيء أولى به من سرد الصوم مثلاً، بل لو سرد الصوم وهو يمنع الزكاة، أو أكثر من الركوع والسجود ونحوهما تطوعاً وهو كذلك، يخشى عليه أن تُرد عليه أعماله، وتنعكس به آماله.

وكذلك لو اشتغل بأنواع العبادة وقلبه غافل عن ذكر الله تعالى؛ صاحب الذكر واليقظة أسبق منه.

قال ابن مسعود ﷺ: لأن أذكر الله من لدن صلاة الصبح إلى أن تطلع الشمس أحب إلي من أن أعطي فارسين الخيل في سبيل الله ﷻ. رواه الإمام أحمد في «الزهد»[2].

وروى عبد الرزاق، والطبراني في «الكبير» عن سهل بن سعد

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الإخوان» (ص: ٢٢٧).

(٢) ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٥٠٨). ولفظه: «لأن أذكر الله يومًا إلى الليل، أحبُّ إلى من أن أحمل على الجياد يومًا إلى الليل».

الساعدي ﷺ، والطبراني - أيضاً - عن العباس بن عبد المطلب ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: «لأَنْ أُصَلِّيَ الصُّبْحَ ثُمَّ أَجْلِسَ فِي مَجْلِسٍ، فَأَذْكُرَ اللهَ ﷻ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شَدٍّ عَلَى جِيَادِ الْخَيْلِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ مِنْ حِيْنِ أُصَلِّي إِلَى أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ»(١).

وفي حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُوْنَ اللهَ تَعَالَى مِنْ صَلاةِ الغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيْلَ، وَلأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُوْنَ اللهَ مِنْ صَلاةِ العَصْرِ إِلى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ رَقَبَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيْلَ(٢)». رواه أبو داود، وغيره(٣).

فالسبق تارة يكون بالاجتهاد، وتارة بالكثرة في العمل، وتارة يكون بدون ذلك لحكمة نفهمها، أو لا نفهمها.

وسَبْقُ الذِّكرِ - وإن كان أخف من غيره، أو أقل من غيره - حكمته

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٢٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٧٣٧) كلاهما عن العباس بن سهل بن سعد، عن أبيه، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٦٨٣) عن إياس بن سهل الأنصاري ﷺ، وهو غير الأول، قال ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٣/ ٢٠٨): سهل الأنصاري والد إياس غير منسوب، ذكره البخاري في الصحابة.

(٢) في «السنن» لأبي داود: «رقبة» بدل «رقبة من ولد إسماعيل» في المرة الثانية فقط.

(٣) رواه أبو داود (٣٦٦٧).

ظاهرة؛ لأنَّ من أحبَّ شيئاً أكثر من ذكره، فغلبة الذكر على لسان العبد دليل غلبته على قلبه، وغلبته على قلبه دليل محبته المذكور.

ومن هنا قال الجنيد رحمه الله: من ألهم الذكر أوتي منشور الولاية[1].

ومن هنا قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[العنكوت: ٤٥].

ولأنَّ ذكر العبد لله تعالى، ثوابه ذكر الله للعبد، فإذا ذكره بالتعظيم والهيبة، ذكره الله تعالى بالرفعة، وإقامة الحرمة له بين عباده، وإلقاء المودة له في قلوبهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[طه: ١٢٤].

وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الزمر: ٢٢].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن حسان بن عطية رحمه الله تعالى قال: ما عادى عبد ربه بشيء أشد عليه من أن يكره ذكره، وذكر من يذكره[2].

بل الحكمة البالغة: أن الله تعالى لم يكلف العباد طاعته إلا لذكره، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[طه: ١٤].

وروى أبو داود، والحاكم وصححه، عن عائشة رضي الله عنها

---

(١) رواه القشيري في «رسالته» (ص: ٢٥٦) لكن من قول أبي علي الدقاق.

(٢) ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٢٧).

قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالبَيْتِ، وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَرَمْيُ الْجِمَارِ لإِقَامَةِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى»(١).

وقول الجنيد رحمه الله في كلامه المتقدم: والسابق مضروب بسوط المحبة، مقتول بسيف الشوق، مطروح على باب المشاهدة والبشرى واللقاء.

وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله: مضطجع على باب الهيبة(٢).

إنما كان مضروباً بسوط المحبة؛ لأنه قد أفرغ مجهوده في طاعة حبيبه، وبذل الوسع في خدمة سيده حتى غلب الحب على كله، واستولى سلطان الهوى على عقله، فصار يدعى إلى مقتضى المحبة بما هو أشد من السوط، وأبلغ من السيف.

وقد استشهد بعض العارفين على هذا المعنى بقوله تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾[النمل: ٣٤]؛ أي: أفسدوها على غيرهم، فلم تصلح إلاَّ لهم.

كذلك المحبة تستولي على القلب فيفسد فيه ما سوى طاعة المحبوب، ولا يصلح إلا لمحبوبه(٣).

وسلطان المحبة يغلب سلطان الملوك، كما أجرى الله تعالى هذه

---

(١) رواه أبو داود (١٨٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (١٦٨٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «حقائق التفسير» للسلمي (٢/ ٨٩).

الحكمة على لسان الرشيد في قوله: [من الكامل]

مَلَكَ الثَّلاثُ الْغانِياتُ جَنانِي
وَنَزَلْنَ[1] مِنْ قَلْبِيْ بِكُلِّ مَكانِ
ما لِيْ تُطاوِعُنِيْ الْبَرِيَّةُ كُلُّها
وَأُطِيْعُهُنَّ وَهُنَّ فِيْ عِصْيانِ
ما ذاكَ إِلاَّ أَنَّ سُلْطانَ الْهَوَىْ
وَبِهِ سَطَيْنَ أَعَزُّ مِنْ سُلْطانِي[2]

فإذا كان هذا سلطان محبةِ مخلوق، فكيف إذا غلب سلطان حب الخالق على القلب المقرون بالتوفيق، المملوء بالتحقيق؟ فإنه يدعوه إلى التبريز في خدمته، والسبق إلى طاعته، فالمحبة تدعوه إلى أن لو ازداد من أعمال الخير المرضية لحبيبه، والموجبة لتقريبه لأنه يرى النعم مترادفة من حبيبه إليه، والمنن متعاكفة من قبله عليه، وقد جُبِلت القلوب على حب من أحسن إليها، وأقبل بملاطفته عليها، فدعاه تَرادُفُ النعمة إلى الازدياد من الخدمة، فهو مضروب بسوط المحبة من هذه الحيثية.

ثم إن الحبيب ناداه برسل الإفضال، ورسائل النوال إلى القرب والاتصال، فود أن لو سارع إلى اللقاء طيراناً، فحبسته إرادة الحبيب لبلوغ

---

(١) في «تاريخ بغداد»: «وحللن» بدل «ونزلن».
(٢) انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (١٤/ ١٢).

إبان التقريب، حيث قضى أن لكل أجل كتاباً وإباناً، فهو مقتول بسيف الشوق من هذا القبيل، مطروح على باب المشاهدة والبشرى واللقاء من هذا السبيل، وحسبه الله تعالى ونعم الوكيل.

ثم هو في شوقه حاضر بين يدي من إليه ناظر؛ لأنَّ الله تعالى يقول في بعض كتبه: «بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلي»[1]؛ فهو مضطجع على باب الهيبة من هذه الجهة كما قال أبو يزيد: وحقيقة الهيبة المخافة، والتقية مع الإجلال والإعظام.

وقد علمت بذلك أنَّ مبنى أمر السابقين على محبة رب العالمين، فبقدر المحبة يكون السبق إلى الطاعة.

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله في «رسالته»: قال جعفر ـ يعني: الخلدي ـ: قال الجنيد: دفع السَّريُّ إليَّ رقعة، وقال: هذه لك خير من سبع مئة فضة، أو حديث بعلو، فإذا فيها: [من الطويل]

وَلَمَّا ادَّعَيْتُ الْحُبَّ قالَتْ كَذَبْتَنِيْ
فَما لِيْ أَرَىْ الأَعْضاءَ مِنْكَ كَواسِيَا
فَما الْحُبُّ حَتَّىْ يَلْصَقَ الْقَلْبُ بِالْحَشا
وَتَذْبُلَ حَتَّىْ لا تُجِيْبَ الْمُنادِيَا

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (ص: ٩٧) عن عبدالله بن محمد، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٦٠) عن وهب بن منبه، قالا: أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه، فذكراه.

وَتَنْحُـلَ حَتَّـىْ لا يُبْقِـيْ لَـكَ الْهَـوَىْ

سِـوَىْ مُقْلَـةٍ تَبْكِـيْ بِهـا وَتُناجِيـا[1]

وفي «الصحيحين» عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيْمَانِ: أَنْ يَكُوْنَ اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَحَبَّ إِليهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُوْدَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَبْعَدَهُ[2] اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ بِالنَّارِ»[3].

ومهما حصل القلب على الحب كان الباعث له على أعمال الخير حبه، فالعمل المحثوث عليه بالحب هو عمل السابقين، ولذلك قال يحيى ابن معاذ الرازي رحمه الله تعالى: مثقال خردلة من الحب أحبُّ إلي من عبادة سبعين سنة بلا حب[4].

وعلى هذا المنوال كان عمل الصحابة والصدر الأول.

ثم كان أكثر الناس في طاعاتهم إنما هم جارون على عادة اعتادوها، أو على ما كان وفق هواهم.

ومن هنا قال عبيدالله بن عمير رحمه الله تعالى: ما المجتهد فيكم إلا

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٣٥٣).

(٢) في مصادر التخريج: «أنقذه» بدل «أبعده».

(٣) رواه البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣).

(٤) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٣٥٥).

كاللاعب فيمن مضى. رواه الإمام أحمد في «الزهد» عن مجاهد، عنه[1].

ورواه في موضع آخر منه عن مجاهد؛ قال: ذهب العلماء فما بقي إلا المتعلمون، وما المجتهد اليوم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم[2].

وإنَّما كان ذلك لغلبة الهوى على الناس، ومحبة الدنيا جيلاً بعد جيل، ولأنَّ محبة السابقين كانت أمكن، ومعرفتهم كانت أظهر وأبين لمشاهدة الأولين منهم من كان يوحى إليه ﷺ، ومخالطة التالين لهم هؤلاء الذي شاهدوا أحواله ﷺ، وعملوا على الاقتداء به، ثم تقهقر الناس.

ومن هنا فسرت عائشة رضي الله عنها السابق ممن مضى على عهد النبي ﷺ.

وروى الثعلبي وغيره عن عقبة بن صهبان قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن قول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[فاطر: ٣٢]؛ فقالت: يا بني! كلهم في الجنة؛ أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم فمثلي ومثلكم، فجعلت نفسَها معنا[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣٧٨).

(٢) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٤٤٨).

(٣) رواه الثعلبي في «التفسير» (٨/ ١٠٩)، وكذا أبو داود الطيالسي في «المسند» (١٤٨٩).

وهـذا من عائشـة رضي الله عنها على طريقـة أمثالها من السابقين والصـديقين، وعـادتهم من تـرك تعظيم النفـوس، ورؤيتها دون سائر المسلمين.

وهو نظيـر ما في «صحيح البخـاري» عن محمـد بن علي بن أبي طالب قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول: ثم عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن سهل بن أسلم قال: كان بكر بن عبدالله رحمه الله تعالى إذا رأى شيخاً قال: هـذا خير مني؛ عَبَدَ الله قبلي، وإذا رأى شاباً قال: هذا خير مني؛ ارتكبت من الذنوب أكثر مما ارتكب[2].

وقـد كثـرت أقوال أرباب المعـاني والحقـائـق في معنى الظالم، والمقتصد، والسابق.

والقول الجامع المطابق ـ إن شاء الله ـ للواقـع: أن الظالم نفسه هو المقصر عن بعض الحقوق، المخل ببعض الآداب، الذي خلـط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، واعترف بذنبـه كما قال الله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[التوبة: ١٠٢]،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ورواه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (ص: ٨٤).

وهذا حال عامة الأمة إلا الصالحين منهم.

فهذا القسم لا ينبغي التشبه بهم أصلاً إلا في أصل الإيمان، والعمل الصالح، والوقوف على باب الرحمة بالذل، والخضوع، والتوبة إلى الله تعالى، والرجوع.

والمقتصد هو الذي خرج من عهدة الواجب، واقتصر في الرغائب، وكلما فرطت منه فرطة، أو زل زلة، فر إلى الله فرار التائب العارف بأنَّ الله تعالى مطلع عليه، ولأفعاله مراقب، المقتدي بقوله ﷺ: «سَدِّدُوْا وَقَارِبُوْا»[1]، فهو مسدد مقارب.

وهذا أول مقامات الصالحين، وأدنى مراتب الأبرار.

فهذا القسم ينبغي التشبه بهم لمن لم تنهض به مطية التوفيق إلى التشبه بالصديقين، وقعد به سابق القضاء عن اللحاق بحلبة السابقين؛ فإن لم يصبها وابل فَطَل، وقد استوفينا الكلام على ذلك.

والسابق هو الصديق المتحقق بقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[الأحزاب: ٢٣]؛ أي: من القيام بحق عبوديته التي وعدوه بها من أنفسهم في [ضمن][2] قولهم بلى، جواباً لقوله لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[الأعراف: ١٧٢]؛ أي: أنت ربنا ونحن عبادك، فلا بد من تحققهم بصفة العبودية بالتحرر من رق الأغيار، والخروج عن رِبْقَة الآثار، فلذلك

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩٩)، ومسلم (٢٨١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) غير واضح في «م»، ولعل الصواب ما أثبت.

لا تراهم إلا يسارعون في الخيرات، ويسابقون إلى الطاعات تحقيقاً لما تحققوا به من صدق العبودية، والقيام بحق الربوبية.

ولقد قال سعيد بن جبير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[الواقعة: ١٠ - ١١]: هم السابقون إلى التوبة وأعمال البر(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[آل عمران: ١٣٣].

وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[المؤمنون: ٦١].

وهذا القسم ينبغي لكل ذي نعمة أن يتشبه بهم؛ فإنَّ لهؤلاء يوم القيامة دولة عظيمة، وملكاً كبيراً، وظلاً ظليلاً، وروضاً نضيراً.

ولا يتحقق العبد بالتشبه بهم إلا إذا سارع إلى كل خير، وكانت مسارعته [ناتجة](٢) عن صدق في العبودية، ومحافظة لحق الربوبية، واستقام على ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[هود: ١١٢].

وقوله ﷺ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»(٣).

قال ذو النون رحمه الله تعالى: العبودية أن تكون عبده في كل حال،

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٠٢).

(٢) غير واضح في «م»، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) رواه مسلم (٣٨) عن سفيان بن عبدالله الثقفي ﷺ.

كما أنه ربك في كل حال[1].

وذلك يكون بدوام الخوف، وملازمة الإخلاص، واستحقار النفس عن أن يكون أهلاً للقبول، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾[المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١].

روى الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله! ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[المؤمنون: ٦٠]؛ أهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو مع ذلك يخاف الله؟ قال: «لا، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُوْمُ وَيَتَصَدَّقُ وَيُصَلِّيْ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَخافُ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُ»[2].

وروى ابن المبارك في «الزهد»، وغيره عن الحسن رحمه الله تعالى في الآية قال: كانوا يعملون ما يعملون من أعمال البر، ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله تعالى[3].

قلت: ويدل عليه قوله تعالى في آخر الكلام: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾[المؤمنون: ٦١].

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٣٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٦).

وفيه تلميح إلى أن الخوف هو الذي دعاهم إلى المسابقة، والمسارعة في الخيرات الأخروية لا الدنيوية؛ لأنهم يعلمون أن الخيرات الدنيوية شاغلة عن الخيرات الأخروية، ألا ترى أنها شغلت سليمان بن داود عليه السلام حتى فاتته صلاة العصر، فعقر الخيل التي كانت تعرض عليه وهي من أفضل خيرات الدنيا لما شغلته عن ذكر ربه، فأثنى الله تعالى عليه بعقرها، والإعراض عنها بقوله: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝٣١ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾[ص: ٣١]؛ يعني: الشمس، وإضمارُها من غير ذكر لها لدلالة العشي عليها.

﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ﴾؛ يعني: الخيل الصافنات الجياد.

﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾[ص: ٣٣]؛ أي: فطفق، وأخذ يمسحها مسحاً بضرب سوقها وأعناقها بالسيف، كما رواه الطبراني في «الأوسط»، والإسماعيلي في «معجمه»، وابن مردويه بإسناد حسن، عن أبي بن كعب ﷺ، عن النبي ﷺ في الآية قال: «قَطَعَ سُوْقَهَا وَأَعْنَاقَهَا بِالسَّيْفِ»[١].

وقد قال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: ما شغلك عن الله

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٩٩٧)، والإسماعيلي في «معجمه» (٣/ ٧٥٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٩): رواه الطبراني وفيه سعيد بن بشير، وثقه شعبة وغيره، وضعفه ابن معين وغيره، وبقية رجاله ثقات.

تعالى من أهل أو ولد فهو عليك مشؤوم[1].

وكذلك المال، وإنما سكت عنه أبـو سليمان؛ لأنَّ الأهل والولد أعز من المال، فإذا كان ما شغل العبد منها عن الله تعالى مشؤوماً، فما شغله عنه من المال أكثر شؤماً، فليحذر المشمِّر في طاعة الله تعالى أن يشغله شيء دون الله عن الله تعالى، ولا يستعظم نفسه عن ذلـك، فقـد شغلت من هو أقوى منه كآدم، وداود، وسليمان عليهم السلام، إلا أنهم أعرضوا في الحال عما شغلهم مرةً، وفرُّوا إلى الله تعالى، فلم يعاودوا شيئاً من ذلك، بل لازموا الحـذر، وخافـوا أن شغلوا بشيء من لـذات الدنيا، فأعرضوا عنها توبـة رجاءً لموعـود الله تعالى، وخوفاً من عذابـه، وطلباً لمرضاته، فينبغي للعبد أن يسلك سبيلهم، ويحذر كحذرهم.

وقد روى البيهقي، وابن عساكر، وغيرهما عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَابَقَ إِلَى الْخَيْـرَاتِ ـ يعني: الأخروية ـ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ لَهَا عَنِ الشَّهَوَاتِ ـ يعني: الدنيوية ـ، وَمَنْ تَرَقَّـبَ الْمَوْتَ صَبَـرَ عَنِ اللَّذَّاتِ، وَمَنْ زَهِـدَ فِيْ الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ الْمُصِيْبَاتِ»[2].

وروى الترمذي وحسنه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة رضي الله عنه،

---

(1) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٦٤).

(2) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٦١٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ٣١).

وأبو نعيم عن أُبي بن كعب رضي الله عنه، والحاكم وصححه عنهما؛ قالا: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجْ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الْجَنَّةُ»[1].

وقوله: أدلج ـ على وزن أكرم ـ: من الدلج ـ بفتحتين ـ، والدلجة ـ بالضم، والفتح ـ؛ وهما السير أول الليل، والإدلاج ـ بالتشديد ـ: السير من آخره، وهكذا في «القاموس»[2].

والمراد بقوله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل»؛ أي: قبل غيره، فينجو مما يخاف منه غيره بسبب التأخر تشبيهاً بمن يسير أول الليل فيسبق غيره ممن نام ولم يدلج، أو يسبق ما كان يحذر في طريقه.

وقد قيل: عند الصباح يحمد القوم السرى[3].

فالإدلاج في الحديث استعارة للتقدم في الأعمال الصالحة، والاستكثار منها، فبذلك يكون السبق في الدار الآخرة.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة: ٧]؛ فمن عمل ذرتين

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٠) وحسنه، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٧٧)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٥٢) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٢٤٢) (مادة: دلج).

(٣) انظر: «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري (٢/ ٤٢) وقال: وهو مثل يضرب لما ينال بالمشقة ويوصل إليه بالتعب.

من خير يرَ ما لا يراه من عمل ذرة، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾[الأحقاف: ١٩].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «التهجد» عن معاوية بن صالح عن عبد الملك ـ يرفع الحديث ـ، وفي كتاب «صفة الجنة» عن الحسن بن علي، [عن علي] ﵄ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ فِيْ الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ أَعْلاهَا حُلَلٌ، وَمِنْ أَسْفَلِهَا خَيْلٌ مِنْ ذَهَبٍ مُسْرَجَةٌ، لُجُمُهُ مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوْتٍ، لا تُرَوِّثُ، وَلا تَبُوْلُ، لَهَا أَجْنِحَةٌ، خَطْوُهَا مَدُّ بَصَرِهَا، فَيَرْكَبُهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ».

وقال عبد الملك[1]: «فيركبها أولياءُ اللهِ، فتطيرُ بهم من الجنة حيث شاؤوا، فيناديهم الذين أسفلُ منهم فيقولون: يا أهلَ الجنةِ! أنصفُونا، يا ربِّ! بمَ نالَ عبادُك منك هذه الكرامةَ؟ فيقول لهم الربُّ ﷻ: كانوا يقومون بالليل وكنتم تنامون، وكانوا يصُومون وكنتم تأكلون، وكانوا يُنفقون وكنتم تَبخلون، وكانوا يقاتلون وكنتم تَجبُنون»[2].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ﵁: أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إِسبَاغُ الْوُضُوْءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى

---

(١) في مصادر التخريج الكلام كله من قول النبي ﷺ، ولا أثر لقوله: «وقال عبد الملك».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ٣٨٣)، وفي «صفة الجنة» (ص: ٢٥٥).

الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ؛ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»[1].

وروى البزَّار، والطبراني عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَرْفَعُ اللهُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قالوا: نعم، قال: «تَحْلُمُ عَلَى مَنْ جَهِلَ عَلَيْكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ»[2].

وروى ابن المبارك في «الزهد» عن أبي المتوكل الناجي مرسلاً قال: قال رسول ﷺ: «إِنَّ الدَّرَجَةَ فِيْ الْجَنَّةِ فَوْقَ الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَرْفَعُ بَصَرَهُ فَيَلْمَعُ لَهُ بَرْقٌ يَكَادُ يَخْطَفُ بَصَرَهُ، فَيَفْزَعُ لِذَلِك، فَيَقُوْلُ: مَا هَذَا؟ فيُقَالُ: هَذَا نُوْرُ أَخِيْكَ فُلان، فَيَقُوْلُ: أَخِي فُلان؟ كنَّا نَعْمَلُ فِي الدُّنْيَا جَمِيْعَاً، وَقَدْ فُضِّلَ عَلَيَّ هَكَذَا؟ فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّهُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْكَ عَمَلاً، ثُمَّ يُجْعَلُ فِي قَلْبِهِ الرِّضَا حَتَّى يَرْضَى»[3].

واعلم أنَّ السبق والفضل في الجنة تارةً يكون بكثرة العمل كما يسبق الصائم المفطر، والقائم النائم، والمجاهد القاعد، والكريم البخيل.

وتارة يكون بحسن العمل، وحسن تأديته، والأدب فيه.

وتارةً يكون بعمل الأركان.

---

(١) رواه مسلم (٢٥١).

(٢) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٨٩): رواه البزار، وفيه يوسف بن خالد السمتي، وهو كذاب، ورواه الطبراني ـ إلا أن الطبراني قال في أوله: «بما يشرف الله تعالى به البنيان» ـ وفيه أبو أمية بن يعلى، وهو ضعيف.

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٣٣).

وتارةً بعمل القلب والجنان.

ولا شك أنَّ من كانت معاملته قلبيـة أفضل وأسبق ممن معاملتـه عملية قالبية، كذلك من كان [تقياً][1] معرضاً عن العصيان وأكل الحرام أسبق وأفضل ممن كان مخلطاً.

ومن ثمَّ قال سفيان الثوري رحمـه الله تعالى: انظر درهمك من أين هو وصَلِّ في الصف الأخير. رواه أبو نعيم[2].

وروى ابن أبي الدنيـا عن محمـد بن يوسف الفِريابي قال: قلـت لسفيان: أرى الناس يقولون: سفيان الثوري وأنت تنام بالليل! فقال لي: اسكت! ملاك هذا الأمر التقوى[3].

فإنْ جَمَعَ بين الأعمال الظاهرة من أعمال البر والتقوى من أعمال القلب كان أمره أتم، وسبقه أقوى، وفضله أكثر.

ولا يفهم من مقالة سفيان أنه مدح الإعراض عن ظواهر الأعمال.

ولقد أنصف عمر بن عبد العزيز رحمـه الله تعالى ورضي عنـه في قوله: ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقـوى الله ترك ما حـرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيراً فهو خير إلى خير. رواه ابن أبي الدنيا[4].

---

(١) غير واضح في «م»، والمثبت من «ت».

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٦٨).

(٣) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٩).

(٤) ورواه البيهقي في «الزهد الكبير» (١/ ٣٥١).

وقلت في معنى ذلك: [من الرمل]

لَـيْسَ تَقْـوَىٰ اللهِ صَـوْماً لا وَلا
أَنْ يَقُـوْمَ اللَّيْـلَ عَبْـدٌ خَلَّطـا
إِنَّهـا تَـرْكُ الْمَعاصِـيْ ثُـمَّ أَنْ
جـاءَ بِـالْفَرْضِ وَمـا أَنْ فَرَّطـا
فَـإِذا مـا زادَ خَيْـراً بَعْـدَ ذا
فَهْـوُ خَيْـرٌ، وَمِـنَ اللهِ الْعَطـا
رُبَّ عَبْـدٍ عامِـلٍ لَـمْ يَـأْلُ فِـيْ
عَمَـلٍ لَكِنَّـهُ قَـدْ أُحْبِـطَا
وَفَتَـىً تَحْـسَبُهُ مِـنْ دُوْنِـهِ
وَلَقَـدْ نـالَ مَقامـاً أَوْسَـطا
فَاحْـذَرِ الإِفْـراطَ وَالتَّفْـرِيْطَ فِـيْ
كُـلِّ أَمْـرٍ مِنْـكَ وَاذْهَـبْ مُقْـسِطا
تَـسْبِقِ الْغـالِيَ فِـيْ أَعْمالِـهِ
وَتَنَـلْ بِالْعَـدْلِ مـا لَـنْ تَـسْخَطا

وقد لَمَّحنا في هذا المقالة إلى الجواب عن سؤال، وهو أن يقال: لقد مدحت السبق في الأعمال، وحقيقة الاجتهاد، واتقاء الله حق تقاته، وقد قال الله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١ ـ ٢].

وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥]؟

والجواب عن ذلك: أنَّ المراد بالسبق: الاجتهاد بقدر الوسع، والطاعة في غير تكلف ولا تشدد، بل ما كان مع النشاط، وسكون القلب، وطمأنينة النفس، ألا ترى أنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن: ١٦]؟

ولا يكون ما ذكرناه إلا إذا سلك طريقاً وسطاً بين الإفراط والتفريط؛ فإن خيار الأمور أوسطها، والحسنة بين السيئتين.

وفي الحديث: «أَنَا وَأَتْقِيَاءُ أُمَّتِي بَرَاءُ مِنَ التَّكَلُّفِ»(١).

وفي «صحيح مسلم» عن ابن مسعود ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُوْنَ»؛ قالها ثلاثاً(٢).

قال النووي رحمه الله: المتنطعون: المتعمقون المشددون في غير موضع التشديد(٣).

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ دخل عليها

---

(١) رواه الثعلبي في «التفسير» (٨/ ٢١٨)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٢٢٨) بلفظ: «إلاَّ أني بريء من التكلف وصالحو أمتي». قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤٨٢): رواه الدارقطني في «الأفراد» وإسناده ضعيف.

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٠).

(٣) انظر: «رياض الصالحين» للنووي (ص: ٤٠).

وعندها امرأة؛ قال: «مَنْ هَذِهِ؟» قالت: هذه فلانة تذكـر من صلاتها، قال: «مَهْ! عَلَيْكُمْ بِما تُطِيْقُوْنَ، فَوَاللهِ لَنْ يَمَلَّ اللهُ حَتَّىٰ تَمَلُّوْا» وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه[1].

ومعنى: «لا يمل الله حتى تملوا»؛ أي: لا يقطع ثوابه عنكم، وجزاء أعمالكم حتى تملوا فتتركوا العمل، فينبغي لكم أن تأخذوا ما تطيقون الدوام عليه ليدوم ثوابه لكم، وفضله عليكم.

وروى البخاري عن أبي هريـرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدِّيْنَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّيْنَ أَحَـدٌ إِلا غَلَبَـهُ، فَسَـدِّدُوْا، وَقَارِبُـوْا، وَأَبْشِرُوْا، وَاسْتَعِيْنُوا بِالغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[2].

وفي رواية: «سَدِّدُوْا وَقَارِبُوْا، وَاغْدُوْا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنْ الدُّلْجَةِ؛ القَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا»[3].

والمراد بالقصد: الاقتصاد مع المداومة.

والغدوة: سير أول النهار.

والروحة: سير آخره.

والدلجة: سير أول الليل.

وهذا تمثيل واستعارة؛ ومعناه: استعينوا على طاعة الله بالأعمال

---

(١) رواه البخاري (٤٣)، ومسلم (٧٨٥).

(٢) رواه البخاري (٣٩).

(٣) رواه البخاري (٦٠٩٨).

في وقت نشاطكم، وفراغ قلوبهم بحيث تستلذون العبادة ولا تسأمون، وتبلغون مقصودكم، كما أن المسافر الحاذق يسير في هـذه الأوقات، ويستريح هو ودابته في غيرها، فيصل إلى مقصده من غير مشقة ولا تكلف.

وروى عبدالله بن المبارك في «الزهد» عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «إِنَّ هَذا الدِّيْنَ مَتِيْنٌ فَأَوْغِلُوْا فِيْهِ بِرِفْقٍ، وَلا تُبَغِّضُوْا إِلَىْ أَنْفُسِكُمْ عِبادَةَ اللهِ؛ فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لا أَرْضاً قَطَعَ وَلا ظَهراً أَبْقَىْ»[1].

وأخرجه البزار، والحاكم في «علوم الحديث»، والبيهقي، وأبو نعيم، والقضاعي، والعسكري في «الأمثال»، والخطابي في «العزلة» عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً بنحوه بلفظ الإفراد[2].

وصدْرُه عند الإمام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه[3].

وهو من البت: وهو القطع؛ يريد: أن هذا الدين مع كونه سهلاً سمحاً متينٌ شديد؛ فالمتعبد به ـ وإن اجتهد ـ ينبغي أن يرفق بنفسه؛ فإنَّ الذي يبالغ فيه بغير رفق، ويتكلف من العبادة فوق طاقته يوشك أن يمل حتى ينقطع عن العبادة الواجبة، فيكون كالذي يعسِفُ الرِّكابَ، ويحملها

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٦٩).

(٢) رواه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص: ٩٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ١٨٤)، والعسكري في «جمهرة الأمثال» (١/ ٥٤٥)، والخطابي في «العزلة» (ص: ٩٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٩٨).

على السَّير الحثيث ما لا تطيقه رجاءَ الإسراع، فينقطع ظهره، فلا هو قطع الأرض الذي أراد، ولا هو أبقى ظهره سالماً ينتفع به بعد ذلك.

وهذا وجه ذم الإفراط والتفريط والتقصير عن الاجتهاد المأمور به في مثل قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[آل عمران: ١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ٢٠٠]، وقوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[البقرة: ٢٣٨].

وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك: ١ ـ ٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الكهف: ٧].

قال ابن عمر رضي الله عنهما: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الكهف: ٧]، فقلت: ما معنى ذلك يا رسول الله؟ قال: «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَقْلاً، وَأَوْرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، وَأَسْرَعُكُمْ فِي طَاعَةِ اللهِ». رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم في «تاريخه»(١).

فإذا قصر العبد عن ما يستطيعه من العمل كان حرِياً بالذم؛ لأنه ترك ما خلقه سيده سبحانه وتعالى من أجله، وهو العبادة؛ ألا ترى أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]؟

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٢/ ٥)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ٢٠٠٦).

وروى الطبراني في «مسند الشاميين»، والحاكم في «تاريخه»، والبيهقي في «شعبه» عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ ﷻ: إِنِّي وَالْجِنَّ وَالإِنْسَ فِيْ نَبَأٍ عَظِيْمٍ: أَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِيْ، وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيْرِيْ»(١).

وهذا وجه ذم التفريط في العبادة، فإذا كان الذم واقعاً على طرفي التفريط والإفراط، فالمحمود المقبول ما كان وسطاً بينهما.

وروى ابن جرير عن يزيد بن مرة الجعفي قال: العلم خير من العمل، والحسنة بين السيئتين، وخير الأمور أوساطها(٢).

والجملة الأخيرة رواها ابن جرير، والبيهقي عن مطرف، ورواها ابن السمعاني في «ذيل تاريخ بغداد» بسند مجهول من حديث علي ﷺ مرفوعاً(٣).

وفي «الفردوس» للديلمي عن ابن عباس ﷺ في حديث: «وَخَيْرُ الأَعْمَالِ أَوْساطُها»(٤).

وروى أبو يعلى بسند رجاله ثقات عن وهب بن منبه رحمه الله

---

(١) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٩٧٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٥٦٣).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٩/ ٣٨).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (١٩/ ٣٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٨٨٨).

(٤) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٠٣٦).

تعالى قال: إن لكل شيء طرفين ووسطاً؛ فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر، وإذ أمسك بالوسط اعتدل الطرفان؛ فعليكم بالأوساط من الأشياء[1].

وروى العسكري عن الأوزاعي رحمه الله تعالى قال: ما من أَمْرٍ أَمَرَ الله تعالى به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين لا يبالي أيها أصاب؛ الغلو، والتقصير[2].

وروى أبو نعيم عن إسحاق بن سويد قال: تعبَّدَ عبدالله بن مُطرِّف، فقال له أبوه: أي عبدالله! العلم أفضل من العمل، والسيئة بين الحسنتين، وشر السير[3] الحقحقة.

قال أبو نعيم: كذا قال: السيئة بين الحسنتين، وقد قيل: الحسنة بين السيئتين؛ يعني: ترك الغلو والتقصير[4].

والحقحقة: أرفع السير، وأتعبه للظهر، أو اللجاج في السير، أو أن يلح في السير حتى تعطب راحلته، أو تنقطع.

والمعروف من أحوال النبي ﷺ، وأكثر أصحابه، وأفاضل السلف من التابعين ممن بعدهم الاعتدال في الطاعة، وهذا عين طريق السابقين؛

---

(١) رواه أبو يعلى في «المسند» (٦١١٥).

(٢) كذا عزاه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٣٣٢) إلى العسكري.

(٣) في «حلية الأولياء»: «الشيئين» بدل «السير».

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٠٩).

فمن أخذ في طريقهم واستقام عليها فهو من الصديقين، كما قال حذيفة ﷺ: يا معشر القراء! استقيموا، ولئن استقمتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً. رواه أبو القاسم الأصبهاني[1].

ولقد أثنى الله تعالى على أهل الاستقامة بما بيَّن من مما جبل عليه الإنسان من الضجر والملل، فمن كان له دوام على الطاعة وقد جبل على الملل فله فضل عظيم، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾[المعارج: ١٩ ـ ٢٣] الآيات.

قال عكرمة في تفسير هلوع: الضجر. رواه ابن المنذر[2].

وفي «القاموس»: إنه الضَّجور الذي لا يصبر على المصائب[3].

وروى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عكرمة قال: سئل ابن عباس ﷺ عن الهلوع، فقال: هو كما قال الله تعالى: إذا مسه الشر كان جزوعاً، وإذا مسه الخير كان منوعاً[4].

---

(١) ورواه البخاري (٦٨٥٣).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٢٨٤).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٠٠٢) (مادة: هلع).

(٤) رواه الطبري في «التفسير» (٢٩/ ٧٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٣٧٤).

وروى ابن المنذر عن الحسن رحمه الله تعالى: أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾[المعارج: ١٩]؛ قال: اقرأ ما بعدها، فقرأ: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[المعارج: ٢٠ ـ ٢١]، قال: هو هكذا[1].

وروى عبد بن حميد عن إبراهيم التيمي في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾[المعارج: ٢٢ ـ ٢٣]؛ قال: الصلاة المكتوبة[2].

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٣١ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾[المعارج: ٢٢ ـ ٣٥].

استثنى من هذه صفاتهم من المطبوعين من جنس البشر على الهلع، والجزع، والطمع ثناءً عليهم بما خرجوا به من طباعهم إلى طاعة بارئهم، وعبادة منشئهم بحيث استغرقوا في طاعته، وبدلت سيئاتهم حسنات،

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٢٨٣).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٢٨٤).

وهذا مثال الصديقين، وحال السابقين والمقربين؛ ألا ترى أنَّ الله تعالى لم يكتف لهم بالإخبار بأنهم في جناته حتى أخبر بأنهم مكرمون؟ فيها إشارة إلى مزيد تقربهم.

* تَنْبِيْهٌ:

قد يلحق الله الأبرار بالسابقين وأصحاب اليمين بالمقربين: إما لمحبته لهم لقوله ﷺ وقد سأله السائل: يا رسول الله! المرء يحب قوماً ولمَّا يلحق بهم؟ قال: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[1].

وإمَّا لأنه ينوي أعمال السابقين، ويريد التخلق بأخلاقهم، لكن يمنعه من ذلك ما يقصر به عن نجاز ذلك كفقره، واشتغاله بعياله، ونحوهم، وضعف بدنه، وابتلائه بنحو الأسر، والحبس لقوله ﷺ: «إِنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِم». رواه ابن ماجه بإسناد حسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه[2].

وفي حديث أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: قال: «عَبْدٌ رَزَقَهُ مَالاً وَعِلْماً فَهُوَ يَتَّقِي فِيْهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيْهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيْهِ حَقّاً؛ فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَرَجُلٌ رَزَقَهُ اللهُ عِلْماً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُوْلُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلانٍ؛ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ»، الحديث. رواه الترمذي وصححه[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٢٩).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٢٥).

ولما رجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك قال: «لَقَدْ تَرَكْتُمْ بِالْمَدِيْنَةِ أَقْوَاماً مَا سِرْتُمْ مَسِيْراً وَلا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ، وَلا قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ إِلا وُهُمْ مَعَكُمْ»، قالوا: يا رسول الله! وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ قال: «حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ». رواه أبو داود[1].

وعند البخاري نحوه، وقال: «حَبَسَهُمُ العُذْرُ»[2].

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال: «إِنَّ بِالْمَدِيْنَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيْراً، وَلا قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلا كَانُوْا مَعَكُمْ».

وفي لفظ: «إِلا شَارَكُوْكُمْ[3] فِي الأَجْرِ؛ حَبَسَهُم الْمَرَضُ»[4].

وإمَّا لأنه في زمان يغلب فيه الشر وأهله، والحاملون عليه، وتغلب فيه الشهوة ودواعيها، ويقل فيه الخير وأهله، والحاملون عليه، كما في حديث عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبي ﷺ قال: «غَشِيَتْكُمُ السَّكْرَتَانِ: حُبُّ العَيْشِ، وَحُبُّ الْجَهْلِ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ لا يَأْمُرُوْن بِالْمَعْرُوْفِ، وَلا يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالقَائِمُوْنَ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَالسَّابِقِيْنَ الأَوَّلِيْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ»؛ أي: وإن قصروا عن أعمالهم وأحوالهم يعطون أجورهم.

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٠٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، إلا أنه قال: «حبسهم العذر».

(٢) رواه البخاري (٤١٦١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) عند مسلم: «شركوكم» بدل «شاركوكم».

(٤) رواه مسلم (١٩١١).

وهذا الحديث رواه أبو نعيم كما تقدم[1].

وقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامُ الصَّبْرُ فِيْهِنَّ مِثْلَ القَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلعَامِلِ فِيْهِنَّ أَجْرُ خَمْسِيْنَ رَجُلاً يَعْمَلُوْنَ مِثْلَ عَمَلِهِ»، قيل: يا رسول الله! أجر خميس رجلاً منا أو منهم؟ قال: «بَلْ أَجْرُ خَمْسِيْنَ مِنْكُمْ». رواه أبو داود، والترمذي وحسنه، وابن ماجه من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه[2].

وأورده الغزالي في «الإحياء»، وزاد فيه: «إِنَّكُمْ تَجِدُوْنَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَاناً وَلا يَجِدُوْنَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَاناً»[3].

وقد يكون لحاق من ليس من السابقين بهم لغير معنى يرجع فيه إليه سوى الإيمان، بل لما بينهما من التناسب، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[الطور: ٢١].

وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾[الرعد: ٢٣].

وروى سعيد بن منصور، وهنَّاد بن السَّرِي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، والبيهقي في «سننه» عن ابن

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٤٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨) وحسنه، وابن ماجه (٤٠١٤).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٣٠٨).

عباس رضي الله عنهما قال: إن الله ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة ـ وإن كانوا دونه في العمل ـ لتقر بهم عينه، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾[الطور: ٢١][1].

قال أبو مجلز في الآية: يجمع الله له ذريته كما يحب أن يجتمعوا له في الدنيا. رواه ابن المنذر[2].

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: يدخل الرجل الجنة فيقول: أين أمي؟ أين ولدي؟ أين زوجتي؟ فيقال: لم يعملوا مثل عملك، فيقول: كنت أعمل لي ولهم، ثم قرأ: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ﴾[الرعد: ٢٣][3]؛ يعني: من آمن بالتوحيد بعد هؤلاء من آبائهم، وأزواجهم، وذرياتهم يدخلون معهم.

وقال أبو مجلز رحمه الله تعالى في هذه الآية: علم الله أنَّ المؤمن يحب أن يجمع الله له أهله وشمله في الدنيا، فأحب أن يجمعهم له في الآخرة[4]. رواهما ابن أبي حاتم.

---

(١) رواه هناد بن السري في «الزهد» (١/ ١٣٦)، والطبري في «التفسير» (٢٧/ ٢٤)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٣١٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٤٤)، والبيهقي في «السنن الصغرى» (٥/ ٥١٨).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٦٣٣).

(٣) ورواه الطبري في «التفسير» (٢٤/ ٤٥).

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٦٣٩).

* **تتمة:**

قد ألحق الله تعالى اللاحقين بالسابقين بحسن الاتباع في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

روى أبو الشيخ عن عصمة: أنه سأل سفيان عن: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾؛ قال: من يجيء بعدهم، قال: قلت: إلى يوم القيامة؟ قال: أرجو[1].

فهذه الآية تدل دلالة صريحة لا شبهة فيها أنَّ من تشبه بالسابقين من المهاجرين والأنصار ألحقه الله بهم.

نعم، عليه أن يعرف حقهم، ويحفظ سبقهم، ويحبهم، ويستغفر لهم، ولا يبغضهم، ولا يسبهم؛ ألا ترى كيف يقول سبحانه وتعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٢٧٢).

﴿إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨ ـ ١٠].

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: الناس على ثلاث منازل، قد مضت منزلتان، وبقيت منزلة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ الآية.

ثم قال: هؤلاء المهاجرين، وهذه منزلة وقد مضت.

ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الآية.

ثم قال: هؤلاء الأنصار وهذه منزلة وقد مضت.

ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.

فقد مضت هاتان المنزلتان، وبقيت هذه المنزلة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذا المنزلة. رواه الحاكم وصححه، وغيره[1].

وفي قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: من السابقين واللاحقين.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: لا والله لا يكون منهم من يتناولهم وكان في قلبه الغل عليهم. رواه ابن مردويه.

وسيأتي أنَّ الأبدال ما نالوا الذي نالوه إلا بسلامة الصدور، وهذه الخصلة تسبق بصاحبها أهل الصيام والقيام، والنفقات والصدقات.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٠٠).

وقد روى النسائي، والحكيم الترمذي عن أنس ﷺ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ فقال: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِن أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فاطلع رجل من الأنصار تَنطُف لحيته ماء من وضوء، معلق نعليه في يده الشمال، فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فاطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى، فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك، فاطلع ذلك الرجل، فلما قام الرجل اتبعه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقال: إني لاحيت أبي، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً؛ فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تحل يميني، فقلت: قال: نعم.

قال أنس: فكان عبدالله بن عمرو يحدث أنه بات معه ليلة، فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه كان إذا انقلب على فراشه ذكر الله، وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر، فيسبغ الوضوء، غير أني لا أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الليالي الثلاث، وكدت أحتقر عمله، قلت: يا عبدالله! إنَّه لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات في ثلاثة مجالس: «يَطْلُعُ عَلَيْكُم الآنَ رَجُلٌ مِن أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فاطلعت أنت تلك المرات الثلاث، فأردت أن آوي إليك، فأنظر ما عملك، قال: ما هو إلا ما قد رأيت، فانصرفت عنه، فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت،

غير أني لا أجد في نفسي غلاً لأحد من المسلمين، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه، فقال له عبدالله بن عمرو: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق[1].

وروى آدم بن أبي أياس في كتاب «العلم» عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما قرب الله موسى عليه السلام نجياً، أبصر في ظل العرش رجلاً، فغبطه بمكانه، فسأل عنه، فلم يخبر باسمه، وأخبر بعمله، فقال له: هذا رجل كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، بَرٌّ بالوالدين، ولا يمشي بالنميمة[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن عمرو بن ميمون رحمه الله تعالى قال: رأى موسى عليه السلام رجلاً عند العرش، فغبطه بمكانه، فسأل عنه، فقالوا: نخبرك بعمله؛ لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ولا يمشي بالنميمة، ولا يعق والديه، قال: أي رب! ومن يعق والديه؟ قال: يستسب لهما حتى يسبا[3].

وقد علمت بذلك وأمثاله أن هذه الأخلاق الكريمة يسبق المتخلقون بها أهل الاجتهاد في العبادات، وإنما يكون تفاوتهم فيها على قدر

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٩٩)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ١٦٧)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٦٦). وصحح العراقي إسناد الإمام أحمد في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٦٢).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٥٤٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٦٧).

تفاوتهم في المعرفة.

وبهذا كان يسبق المهاجرين والأنصار.

وقد علمت ما وصفهم الله به من مكارم الأخلاق، ولذلك قد تجد في أخبار من بعدهم من كان أكثر صلاة وصياماً، واجتهاداً منهم، ولا يبلغ شَأْوَهم.

وهذا أبو بكر ﷺ أسبقهم إلى الإيمان، فكان يسابقهم إلى كل خلق كريم، وعمل صالح، وكان أكثر عمله في طهارة أخلاقه، وتقديس سره، وما فضلهم ولا سبقهم بكثرة صلاة، ولا صيام، ولكن بسرٍّ وَقَرَ في صدره، وحب شغف قلبه.

وكذلك علي ﷺ سبق إلى النبي ﷺ؛ وقد اختلف أيهما كان أسبق.

وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾[الواقعة: ١٠]؛ قال: يوشع بن نون سبق إلى موسى، ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى، وعلي بن أبي طالب سبق إلى رسول الله ﷺ[(١)].

وأخرجه نحوه مرفوعاً.

وقد شارك أبا بكر وعلياً في هذا السبق خديجة ـ بل هي أسبقهم ـ، وزيد بن حارثة، وبلال.

وقد أحسن من قال: أول من سبق إلى الإيمان بالنبي ﷺ من الرجال أبو بكر، ومن الصبيان علي، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد،

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٣٣٠).

ومن العبيد بلال رضي الله عنه[1].

ثم إن ثم سابقين من وجه آخر بالنسبة إلى أصناف العباد؛ كما روى عبد بن حميد عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «السَّابِقُوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَرْبَعَةٌ؛ فَأَنَا سَابِقُ العَرَبِ، وَسَلْمَانُ سَابِقُ فَارِسَ، وبِلالٌ سَابِقُ الْحَبَشَةِ، وَصُهَيْبٌ سَابِقُ الرَّومِ»[2].

ورواه الحاكم وصححه عن أنس متصلاً، ولفظه: «أَنَا سَابِقُ العَرَبِ، وَصُهَيْبٌ سَابِقُ الرَّومِ، وَسَلْمَانُ سَابِقُ الفُرْسِ، وَبِلالٌ سَابِقُ الْحَبَشَةِ»[3].

ورواه البزار، والطبراني في «الكبير»، والحاكم عن أنس، والطبراني عن أم هانىء، وابن عدي عن أبي أمامة رضي الله عنهم قالوا: قال رسول الله ﷺ: «السُّبَّاقُ أَرْبَعَةٌ؛ أَنَا سَابِقُ العَرَبِ. . . فَذَكَرَهُ»[4].

وهذا السبق شامل للسبق إلى الإيمان والخير، وللسبق في الفضيلة أيضاً.

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٨/ ٢٣٧).

(٢) ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٤٣٢)، وعبدالله ابن الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٠٩).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٥٧١٥).

(٤) رواه البزار في «المسند» (٦٩٠١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٢٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (٥٢٤٣) عن أنس رضي الله عنه.
ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٤٣٥) عن أم هانىء رضي الله عنها.
ورواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٧٥) عن أبي أمامة رضي الله عنه.

وأفضل السابقين بعد الأنبياء عليهم السلام: أبو بكر ﷺ، وهو سابق العرب بعد رسول الله ﷺ، ثم عمـر، ثم عثمـان، ثم علي ﷺ، ثم هذه العشرة، وهم أفضل ممن سواهم حتى من سلمان، وصهيب، وبلال ﷺ.

ومن الأدلة على سبق أبي بكر ﷺ، وفضله مع الإجماع: ما رواه البخاري عن ابن عمر ﷺ: أنهم كانـوا يخيرون في زمان رسول الله ﷺ أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان[1].

وروى خيثمة بسند صحيح عن زيد بن أرقم ﷺ قال: أول من صلى مع النبي ﷺ أبو بكر الصديق[2].

وروى ابن أبي شيبة، وابن عساكر عن سالم بن أبي الجعـد قال: قلت لمحمد بن الحنفية: هل كان أبو بكر ﷺ أول القوم إسلاماً؟ قال: لا، قلت: فيم علا أبو بكر وسبقَ حتى لا يذكر أحد غير أبي بكر؟ قال: لأنه كان أفضلهم إسلاماً حين أسلم حتى لحق بربه[3].

وقال ابن إسحاق: حدثني محمـد بن عبـد الرحمن بن عبدالله بن الحسين التميميُّ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَا دَعَوْتُ أَحَدَاً إِلَى الإِسْلامِ

---

(١) رواه البخاري (٣٤٥٥).

(٢) رواه خيثمة في «حديثـه» (ص: ١٣٠)، وكذا رواه الطبـراني في «المعجم الكبير» (٥٠٠٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنـف» (٣٦٥٩٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٤٦).

إِلاَّ كَانَتْ لَهُ عَنْهُ كَبْوَةٌ وَتَرَدُّدٌ، وَنَظَرٌ، إِلاَّ أَبَا بَكْرٍ مَا عتم عَنْهُ حِيْنَ ذَكَرْتُهُ لَهُ، وَمَا تَرَدَّدَ فِيْهِ»[1].

وروى أبو نعيم، وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا كَلَّمْتُ فِي الإِسْلام أَحَداً إِلا أَبَى عَلَيَّ وَرَاجَعَنِي فِي الكَلامِ إِلا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ؛ فَإِنِّي لَم أُكَلِّمْهُ فِي شَيْءٍ إِلا قَبِلَهُ وَاسْتَقَامَ عَلَيْهِ»[2].

وروى أبو بكر بن أبي عاصم في «فضائل الصحابة» عن الحسن رحمه الله تعالى قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين! كيف سبق المهاجرون والأنصار إلى بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأنت أسبق منه سابقة، وأدرى منه منقبة؟ فقال علي رضي الله عنه: ويلك! إنَّ أبا بكر سبقني إلى أربعة لم أوتهن، ولم أعتض منهن بشيء: سبقني إلى إفشاء الإسلام، وقدم الهجرة، ومصاحبته في الغار، وأقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب يُظهِرُ إسلامَه، وأخفيه، وتستحقر في قريش وتستوفيه، والله لو أنَّ أبا بكر زال عن مزيته ما بلغ الدين - يعني: الجانبين -، ولكان الناس كرعة ككرعة طالوت، ويلك! إنَّ الله ذم الناس ومدح أبا بكر، فقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾[التوبة: ٤٠] الآية

---

(١) رواه ابن إسحاق في «السيرة» (٢/ ١٢٠).

(٢) رواه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٢٩٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٤٤).

كلها؛ فرحمة الله على أبي بكر، وأبلغ الله روحه مني السلام[1].

وروى ابن الجوزي في كتاب «الإشراف على مناقب الأشراف» عن علي ﷺ قال: سبق رسول الله ﷺ، وصلى أبو بكر، وثلَّث عمر رضي الله عنهما[2].

وعن عامر ـ يعني: الشعبي ـ قال: قال رجل لبلال ﷺ: من سبق؟ قال: محمد ﷺ، قال: من صلى؟ قال: أبو بكر ﷺ، قال الرجل: وإنما أعني في الخيل؟ قال بلال: وأنا إنما أعني في الخير[3].

وروى اللالكائي، وابن عساكر، وغيرهما عن الشعبي: أنَّ حسان ابن ثابت ﷺ قال في النبي ﷺ، وأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما: [من المنسرح]

ثَلاثَةٌ بَرَزُوْا بِسَبْقِهِمُ[4] ... نَضَّرَهُمْ رَبُّهُمْ إِذا نُشِرُوْا

فَلَيْسَ مِنْ مُؤْمِنٍ لَهُ بَصَرٌ ... يُنْكِرُ تَفْضِيْلَهُمْ إِذا ذُكِرُوْا

---

(١) ورواه الطبري في «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (١/ ٤٢٣).

(٢) ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١١٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٦٣٩).

(٣) ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٧٢).

(٤) في «اعتقاد أهل السنة»: «إذا نشروا»، وفي: «تاريخ دمشق» «بسيفهم» بدل «بسبقهم».

عاشُـــوْا بِـــلا فُرْقَـــةٍ ثَلاثَـــتُهُمْ[1]
وَاجْتَمَعُـوْا فِـيْ الْمَمـاتِ إِذْ قُبِـرُوْا[2]

وروى ابن أبي خيثمة، وعبدالله ابن الأمام أحمد في «زوائـد الزهد» عن عمر رضي الله عنه قال: إنَّ أبا بكر رضي الله عنه كان سابقاً مبرزاً[3].

وروى ابن عساكر عن عبـد الرحمن بن أبي بكـر رضي الله عنهما قـال: قـال رسول الله ﷺ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ مَا سَابَقَ أَبَا بَكْرٍ إِلَى خَيْرٍ قَطُّ إِلاَّ سَبَقَهُ بِهِ[4].

وروى الطبراني في «الأوسط» عن علي رضي الله عنه قال: والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر رضي الله عنه[5].

وروى أبو داود، والترمذي وصححه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً.

---

(١) في «تاريخ دمشق»: «حياتهم» بدل «ثلاثتهم».

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧/ ١٣٢٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٩٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١١١).

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٦٥)، وكذا الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥/ ٧٦).

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧١٦٨).

قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟»، قلت: مثله.

وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ! مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟»، فقال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: «لا أسبقه إلى شيء أبداً»[1].

وروى أبو الحسن علي بن الحسين الخلعي في «فوائده» عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ صلَّى الصبح، فلما صلى صلاته قال: «أَيُّكُمْ أَصْبَحَ اليَوْمَ صَائِمَاً؟» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أما أنا يا رسول الله بتُّ لا أحدث نفسي بالصوم، وأصبحت مفطراً، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله بتُّ الليلة وأنا أحدث نفسي بالصوم، فأصبحت صائماً، قال: «فَأَيُّكُمْ عَادَ اليَوْمَ مَرِيْضَاً؟» فقال عمر: يا رسول الله! إنما صلينا الساعة ولم نبرح، فكيف نعود المريض؟ فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله؛ أخبروني أن أخي عبد الرحمن بن عوف وجع فجعلت طريقي عليه، فسألت به، ثم أتيت المسجد، فقال رسول الله ﷺ: «فَأَيُّكُمْ تَصَدَّقَ اليَوْمَ صَدَقَةً؟» فقال عمر: يا رسول الله! ما برحنا معك منذ صلينا، أو قال: ما برحنا منذ صلينا، فكيف نتصدق؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله؛ لما جئت من عند عبد الرحمن دخلت المسجد فإذا سائل يسأل، وابن لعبد الرحمن بن أبي بكر معه كسرة خبز، فاجتذبتها،

---

(١) رواه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥) وقال: حسن صحيح.

فناولتها إياه، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «فَأَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ»، مرتين.

فلما سمع عمر بذكر الجنة تنفس فقال: «هاه»، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقال كلمة رضي بها عمر ﷺ: «رَحِمَ اللهُ عُمَرَ! يَقُوْلُ: ما سابَقْتُ أَبا بَكْرٍ إِلَىْ خَيْرٍ إِلاَّ سَبَقَنِيْ إِلَيْهِ»[1].

وروى الإمام أحمد، وأبو حفص بن شاهين عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: مر بي رسول الله ﷺ فقال: «سَلْ تُعْطَ»، ولم أسمعه، فأدلج أبو بكر ﷺ، فسرني بما قال إليه ﷺ، ثم أتاني عمر ﷺ، فأخبرني بما قال النبي ﷺ، فقلت: قد سبقك إليها أبو بكر، قال عمر ﷺ: أبو بكر؟ ما استبقنا لخير إلا سبقني إليه، إنه كان سبَّاقاً للخيرات، فقال عبدالله: ما صليت فريضةً ولا تطوعاً إلا دعوت الله في دبر صلواتي: اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد في أعلى جنة الخلد.

أنا أرجو أن أكون دعوت [بهنَّ][2] البارحة[3].

وروى الإمام أحمد عن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ - وقد سمع قراءة ابن مسعود ﷺ ليلاً: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ القُرْآنَ رَطْباً، فَلْيَقْرَأْهُ

---

(١) ورواه المحب الطبري في «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (١/ ٤٢٣).

(٢) غير واضح في «م»، والمثبت من «ت».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٦) بلفظ قريب، ورواه بلفظ الأصل: المحب الطبري في «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (١/ ٣٥٥)، ورواه الترمذي (٥٩٣) مختصراً.

كَمَا يَقْرَؤُهُ ابنُ أُمِّ عَبْدٍ»، فلما أصبحت غدوت إليه لأبشره، فقال: سبقك أبو بكر[1].

وروى أبو نعيم عن علقمة قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال: إني جئتك من عند رجل يُمْلِ المصاحف عن ظهر قلب، ففزع عمر ﷺ، وغضب، وقال: ويحك! انظر ما تقول، قال: ما جئتك إلا بالحق، قال: من هو؟، قال: عبدالله بن مسعود ﷺ، قال: ما أعلم أحداً أحق بذلك منه، وسأحدثك عن عبدالله: إنَّا سهرنا ليلة في بيت عند أبي بكر ﷺ، وفي بعض ما يكون من حاجة النبي ﷺ، ثم خرجنا ورسول الله ﷺ يمشي بيني وبين أبي بكر، فلما انتهينا إلى المسجد إذا رجل يقرأ، فقام النبي ﷺ يستمع إليه، فقلت: يا رسول الله! أعتمت، فغمزني بيده؛ اسْكُتْ، قال: فقرأ، وركع، وسجد، وجلس يدعو ويستغفر، فقال النبي ﷺ: «سَلْ تُعْطَهْ»، ثم قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ القُرْآنَ رَطْباً كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْ قِرَاءَةَ ابنِ أُمِّ عَبْدٍ»، فعلمت أنا وصاحبي أنَّه عبدالله، فلما أصبحت غدوت إليه لأبشره، فقال: سبقك بها أبو بكر، وما سابقتُه إلى خير قط إلا سبقني إليه[2].

وروى ابن الجوزي في «الإشراف» عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن الحصين التيمي قال: كان أبو بكر ﷺ رجلاً مؤلفاً محبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٨)، وقد ذكره المؤلف مختصراً.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٢٤).

قريش بما كان من خير أو شر، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر؛ لعلمه، وتجارته، وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام كل من وثق به من قومه ممن يغشاه، ويجلس إليه، فأسلم على يديه ـ فيما بلغني ـ عثمان بن عفان، والزبير ابن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيدالله، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حتى استجابوا لله، وأسلموا، وصلوا، فكان هؤلاء أول من أسلم وآمن بالله ورسوله بعد أبي بكر، وهم سُبَّاق هذه الأمة[1].

وقوله: «فكان هؤلاء. . .» إلى آخره احترازٌ عمن سبق مع أبي بكر رضي الله عنه؛ وهم: خديجة، وعلي، وزيد بن حارثة، وبلال، وكذلك من أسلم مع هؤلاء، إلا أنَّ هؤلاء أسلموا على يد أبي بكر رضي الله عنه كابن مسعود، وأبي ذر، وعمار، وأبويه، وخباب وصهيب رضي الله عنهم.

فكل هؤلاء سابقون، والتشبه بهم مطلوب؛ فمن أراد الاقتداء بهم ينبغي أن يبحث عن ما كانوا عليه من الأعمال والأخلاق والآداب، فيتلبس بها، ويتحلى بحلاها، ولا سيما الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم، وبالخصوص الشيخان رضي الله عنهما.

روى الترمذي، وابن ماجه عن حذيفة رضي الله عنه قال: كنَّا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: «إِنِّي لا أَدْرِيْ مَا بَقَائِيَ فِيْكُمْ؛ فَاقْتَدُوا بِالَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي،

---

(١) رواه ابن إسحاق في «السيرة» (٢/ ١٢١).

وأشار إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما»[1].

وأخرجه الإمام أحمد، وابن حبان، ولفظهما: «إِنِّي لا أَدْرِيْ بَقَائِيَ فِيْكُم إِلا قَلِيْلاً؛ فَاقْتَدُوْا...»[2].

وفي رواية للترمذي ـ وقال: هذا حديث حسن ـ، فقال: «إِنِّي لا أَدْرِيْ مَا قَدْرُ بَقَائِيَ فِيْكُم؛ فَاقْتَدُوا بِالَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي ـ وأشار إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ـ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارَ رضي الله عنه، وَمَا حَدَّثَكُم ابْنُ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه فَصَدِّقُوْهُ»[3].

وأخرجه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقْتَدُوا بِاللذَيْنِ مِنْ بَعْدِي ـ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ـ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارَ، وَتَمَسَّكُوْا بِعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ»[4].

وأخرجه أبو يعلى من حديث، وقال فيه: «وَمَا حَدَّثَكُم ابْنُ مَسْعُوْدٍ فَاقْبَلُوْهُ».

قلت: وفي قوله: «اقتدوا باللذين من بعدي»، ثم قال: «واهتدوا بهدي عمار» إشارة إلى مزية لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وهي أنَّ أعمالهما

---

(1) رواه الترمذي (٣٦٦٣)، وابن ماجه (٩٧).

(2) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٩٠٢).

(3) رواه الترمذي (٣٧٩٩) وحسنه.

(4) رواه الترمذي (٣٨٠٥) وحسنه.

وأقوالهما جميعها على السداد؛ كل ما منهما، أو فيهما صالح للاقتداء به، صواب مقبول؛ فافهم!

وقد روى الحديث الطبراني في «الكبير» عن أبي الدرداء ﷺ، ولفظه: «اقْتَدُوا بِاللذَيْنِ مِنْ بَعْدِي ـ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ ـ؛ فَإِنَّهُمَا حَبْلُ اللهِ الْمَمْدُوْدُ، مَنْ تَمَسَّكَ بِهِمَا فَقَدْ تَمَسَّكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى الَّتِي لا انْفِصَالَ لَهَا»(١).

أي: فإنَّ الاقتداء بهما، أو: فإنَّ هديهما حبل الله الممدود بينه وبين عباده، الموصل إليه، ومن تمسك بهديهما فقد استوثق.

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححاه، عن العِرباض بن سارية ﷺ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً وَجِلَت منها القلوب، وذَرَفَت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودع؛ فأوصنا، قال: «أُوْصِيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُم عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُم فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيْراً؛ فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ الْمَهْدِيِّيْنَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُم وَمُحْدَثَاتِ الأُمُوْرِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»(٢).

---

(١) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٩١٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٥٣): فيه من لم أعرفهم.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٩).

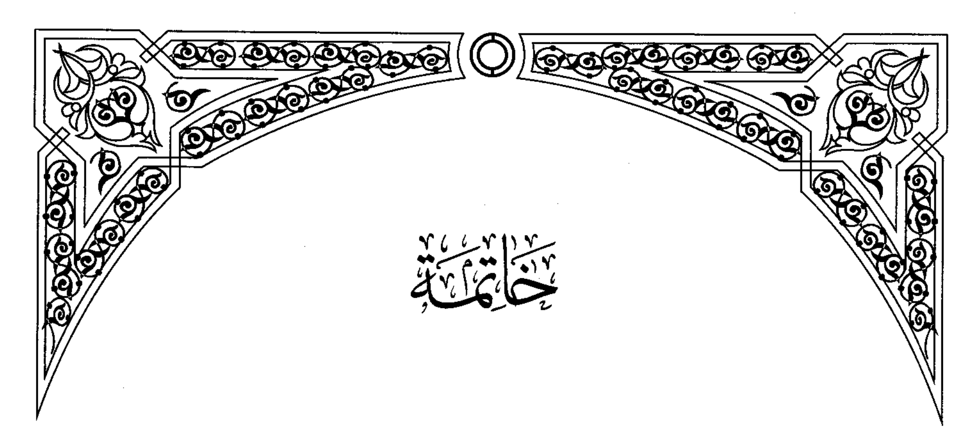
وروى الترمذي وصححه، ولفظه: وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إنَّ هذه موعظة مودع؛ فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ فقال: «أُوصِيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُم يَرَى اخْتِلافاً كَثِيْراً، وَإِيَّاكُم وَمُحْدَثَاتِ الأُمُوْرِ؛ فَإِنَّهَا ضَلالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُم فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ الْمَهْدِيِّيْنَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»[1].

وهذه الرواية تدل على مزيد التأكيد باتباع سنة الخلفاء الراشدين، والتشبه بهم في زمان الاختلاف الكثير، والاختلاط الهائل، والإحداث في الدين؛ فإنَّ الاتباع حينئذ عزيز، والانقياد للسنة حينئذ دليل على رشد العبد وثباته في الدين، ورسوخه في اليقين، ولذلك يعظم أجره حتى يكون له أجر خمسين من الأولين، كما تقدم.

ومن كان كذلك كيف لا يكون من أقوى الصديقين، وأسبق السابقين؟

* * *

(١) رواه الترمذي (٢٦٧٦).



لا تظهر لنا حقيقة السبق في هذه الدار، فلذلك ينبغي لمن تحرى عمل السابقين أن لا يتكل على عمله، ولا يزدري من هو دونه.

وقد روى المعافى بن زكريا في كتاب «الأنيس والجليس» عن المدائني قال: خطب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الناس بعرفة، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أيها الناس! إنكم قد جئتم من القريب والبعيد، وأنضببتم الظهر، وأخلقتم الثياب، وليس السابق اليوم من سبقت راحلته، ولكن السابق اليوم من غفر له[1].

وروى ابن أبي شيبة، وعبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد»، ومن طريقه أبو نعيم عن أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله تعالى قال: انطلقت إلى الجمعة مع أبي بالمدائن، وبيننا وبينها فرسخ، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه على المدائن، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[القمر: ١]، ألا وإنَّ القمر قد انشق، ألا وإنَّ الدنيا قد آذنت بالفراق، ألا وإنَّ اليوم المضمار، وغداً السباق.

---

(١) رواه المعافى بن زكريا في «الجليس الصالح والأنيس الناصح» (ص: ٤٢٨).

قال: فقلت لأبي: ما يعني بالسباق؟ فقال: من سبق إلى الجنة؛ أي: سباق من سبق إلى الجنة[1]. والله الموفق.

* * *

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٧٩٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٨١).



فَصْلٌ

ويقال للصديق والسابق: مقرب.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١١].

قيل: السابقون الأول مبتدأٌ، والثاني توكيدٌ له، وأولئك هم المقربون خبرُه.

وقال الزَّجَّاج: السابقون رُفِعَ بالابتداء، والثاني خبره.

قال القرطبي: والسابقون إلى طاعة الله هم السابقون إلى رحمة الله[١]. انتهى.

قال أبو محمد الجريري رحمه الله تعالى: إنما قربوا إلى ربهم لأنه لم يكن لهم هَمٌّ[٢] غيره[٣].

وفي تسميتهم مقربين إشارة إلى أنَّ قربهم إنما كان بتقريب الله تعالى، إياهم من غير تعمل منهم، بل هو مجرد فضل من الله تعالى، كما

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٧/ ٢٠٠).

(٢) في «حقائق التفسير»: «همة» بدل «هم».

(٣) انظر: «حقائق التفسير» للسلمي (٢/ ٣٠٠).

قال شيخ الإسلام الجد في «الدرر اللوامع»: [من السريع]

عِنايَةُ اللهِ بِمَحْضِ الإفْضالْ
لَيْسَتْ بِأَقْوالٍ وَلا بِأَفْعالْ

فشأن المقرب في طلب القرب الاستعانة بالله تعالى مع تسليم الأمر إليه سبحانه، كما قال الشيخ العارف بالله أرسلان الدمشقي رضي الله عنه في «رسالته»: إن سَلَّمْت قَرَّبك، وإن نازعت أبعدك.

ثم قال: إن تقربت به قربك، وإن تقربت بك أبعدك.

وقلت في نظم «الرسالة»: [من الرجز]

سَلِّمْ يُقَرِّبْكَ وَإلاَّ عَنْهُ بِكْ
أَقْصاكَ هائِماً وَراءَ حُجُبِكْ
إِذا تَقَرَّبْتَ بِهِ يُقَرِّبُكْ
أَوْ بِكَ يُقْصِيكَ إِذَنْ وَيُتْعِبُكْ

وقال السياري رحمه الله تعالى: أضاف الله تعالى الأفعال إلى عباده بقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾[الواقعة: ١٠]، ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[الواقعة: ١١]، ولو لم يكونوا مقربين لم يكونوا سابقين، ولو كانت الأفعال إليهم حقيقة لكانوا متقربين لا مقربين. انتهى.

ونشأ في الآية فهمان:

الأول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾[الواقعة: ١٠] إلى الخيرات والمبرات؛

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾[الواقعة: ١١]؛ أي: الذين سبق لهم القضاء بالتقريب، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا﴾؛ أي: عن جهنم ﴿مُبۡعَدُونَ﴾[الأنبياء: ١٠١] فهم مقربون بمعنى أن الله تعالى قضى بقربهم في الأزل.

وعليه: فلولا سابقة الحسنى التي سبقت لهم بالتقريب، لم يكونوا سابقين إلى الطاعات مسارعين إلى الخيرات.

وهذا هو الذي فهمه السياري من الآية.

وهؤلاء كلما سابقوا إلى خير، وسارعوا إلى خير، كان ذلك علامة قربهم السابق لهم في الأزل.

وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله في حديث الصحيحين: «اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»(١).

ومن لطائف أخي العارف بالله العلامة شهاب الدين رحمه الله:

[من الطويل]

إِذا مَا أَرادَ اللهُ تَقْرِيْبَ مُبْعَدٍ
وَساعَدَهُ سَعْدٌ وَسابِقَةُ الْحُسْنَىْ
تَكَلَّمَ تَوْفِيْقاً بِخَيْرِ لِسانِهِ
يُصِيْبُ بِهِ مِنْ حَيْثُ يُخْطِىءُ فِيْ الْمَعْنَىْ

---

(١) رواه البخاري (٤٦٦٦)، ومسلم (٢٦٤٧) عن علي رضي الله عنه.

الفهم الثاني: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾[الواقعة: ١٠]؛ أي: الذين تكرر منهم السبق إلى أعمال البر، وخصال الخير حتى صار ذلك لهم عادة وسنة؛ أولئك الذين يستحقون من فضل الله تعالى أن يقربهم من حظيرة قدسه، ويحادث أسرارهم بمناجاة أنسه.

وعلى هذا: فالسبق إلى الطاعة ـ ويعبر عنه بالتقرب ـ يكون سبباً للتقريب؛ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه البخاري عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَال: مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَي مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيْذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[1].

فتقرب العبد إلى الله تعالى بالفرائض، ثم بالنوافل هو السبب في تقريب الله تعالى للعبد، وإن كان تقربه إليه بسابقة الحسنى التي سبقت له منه، فإذا كان العبد مبرزاً في أفعال الخير، وتكررت منه أفعال القربة، واستقام على ذلك، صار حينئذ في مقام الأحباب المقربين، فقد كان متقرباً محباً، ثم صار مقرباً حِبّاً فالتقرب على ذلك مقام الأبرار، والتقريب تحفة المصطفين الأخيار.

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٧).

فلذلك قال الله تعالى في السابقين الذين استقاموا على أعمال البر وأفعال الخير: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[الواقعة: ١١]، ولم يقل: «المتقربون»؛ لأن المتقرب أعم من أن يكون سابقاً، أو غير سابق.

وروى أبو نعيم عن عبد[١] الله بن شميط بن عجلان قال: كان أبي يقول: الناس ثلاثة: فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه، ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا؛ فهذا مقرب.

ورجل ابتكر عمره بالذنوب، وطول الغفلة، ثم راجع بتوبته؛ فهذا صاحب يمين.

ورجل ابتكر الشر في حداثته، ثم لم يزل فيه حتى خرج من الدنيا؛ فهذا صاحب شمال[٢].

وفي قوله: «وطول الغفلة» إشارة إلى أنَّ من لم يطول الغفلة بأن أَلَمَّ بالذنب، ثم تاب من قريب، لا يقصر عن درجة المقربين، وكذلك هو.

وقد علمت مما سبق من التشبه بالمقربين تحصل بالاستقامة على أفعال البر، والسبق إلى الخيرات، وأعمال المقربين هي أعمال الأبرار، لكن مع المداومة والتكرار والاستقامة عليها في السر والإجهار.

وأفضل أعمال المقربين تأدية الفرائض، وهي لازمة للبر، إلا أنها تكون من المقرب أتم وأكمل، ثم يترقون في القربة على مقدار الترقي

---

(١) في «حلية الأولياء»: «عبيد» بدل «عبد».

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٣١).

في التقرب بالنوافل للحديث؛ فإنَّما كانت من أنواع البر.

غير أنَّ من لطائف أعمال المقربين كثرة السجود مع الفَناء في مشاهدة المعبود لقوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[العلق: ١٩].

والحكمة في ذلك أن الصلاة محل المناجاة، وإنما يكون قرب المناجي على قدر تقربه، ولا يتقرب العبد إلى الله تعالى بشيء أبلغ من معرفته، وكلما عرف نفسه بالذل والضعة والافتقار عرف ربه بالعز والرفعة والغنى، ولا شيء في ضعة العبد لنفسه أبلغ من وضع جبهته ـ وهي من أشرف أعضائه ـ على الأرض.

وروى مسلم، وأبو داود، والنسائي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُوْنُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِد؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[1].

وروى ابن المبارك عن ضمرة بن حبيب رحمه الله تعالى مرسلاً عن النبي ﷺ قال: «مَا تَقَرَّبَ العَبْدُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِشَيْءٍ أَقْرَبَ مِن سُجُوْدٍ خَفِيٍّ»[2].

وفي «مسند الشهاب» للقضاعي عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الصَّلاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ»[3].

---

(١) رواه مسلم (٤٨٢)، وأبو داود (٨٧٥)، والنسائي (١١٣٧).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٥٠).

(٣) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٦٥).

ومحل القربة من الصلاة السجود لما سبق.

ومن ثم أمر فيه بالدعاء؛ لأن الطلب يكون على قدر القربة.

[وكذلك][1] قراءة القرآن؛ لأن القربة تابعة للمحبة، فالمقرب محبوب، والمحبوب محل المناجاة، ولا نجوى أحلى من كلام الحبيب.

روى الإمام أحمد، والترمذي عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أَذِنَ اللهُ تَعَالَى لِعَبْدٍ فِي شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ رَكْعَتَيْنِ يُصَلِّيْهِمَا، وَإِنَّ البِرَّ لَيُذَرُّ عَلَى رَأْسِ العَبْدِ مَا دَامَ فِي صَلاتِهِ، وَمَا تَقَرَّبَ العِبَادُ إِلَى اللهِ بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ»[2]؛ يعني: القرآن.

وروى أبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» عن فروة بن نوفل الأشجعي قال: كان خَبَّاب بن الأَرَتِّ ﷺ لي جاراً، فقال لي يوماً: يا هنتاه! تقرَّب إلى الله تعالى ما استطعت، واعلم أنَّك لست تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه[3].

وروى الإمام أحمد، والنسائي، وابن ماجه عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ للهِ أَهْلِيْنَ مِنَ النَّاسِ»، قيل: من هم

---

(١) غير واضح في «م»، والمثبت من «ت».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٦٨)، والترمذي (٢٩١١) وقال: حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وبكر بن خنيس، قد تكلم فيه ابن المبارك، وتركه في آخر أمره.

(٣) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (١/ ٤٣).

يا رسول الله؟ قال: «أَهْلُ القُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ»[1].

ولا شك أنَّ الأهل والخاصة هم محل القربة، وأولى من غيرهم بها.

وروى أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب في كتاب «الاستغناء بالقرآن»، وغيره عن عبدالله ابن الإمام أحمد رضي الله عنهما قال: سمعت أبي يقول: رأيت رب العزة عز وجل في النوم؛ قلت: يا رب! ما أفضل ما تقرب المتقربون به إليك؟ فقال: كلامي يا أحمد، فقلت: يا ربي! بفهم، وبغير فهم؟ قال: بفهم، وغير فهم[2].

ومن ألطف ما يتقرب به المتقرب إلى الله تعالى كثرة ذكره لأنَّه ناشىء عن المحبة؛ إذ من أحبَّ حبيباً أكثر من ذكره.

وإن كان القرآن أفضل أنواع الذكر، فإنَّ للذكر غير القرآن تأثيراً في التقريب.

وفي «مسند البزار» عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أخبرني بأفضل الأعمال وأقربها إلى الله عز وجل، قال: «أَنْ تَمُوْتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٢٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٠٣١)، وابن ماجه (٢١٥).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (١/ ٢٧٤).

(٣) ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٨١٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٠٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٤): رواه الطبراني بأسانيد، ورواه البزار من غير طريقه، وإسناده حسن.

وروى الإمام أحمد، والشيخان، والترمذي، وابن ماجـه عن أبي هريرة ﵁: أن النبي ﷺ قال: «يَقُوْلُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِـي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي»(١).

وفي رواية لمسلم: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِـي، وَأَنَا مَعَهُ حِيْنَ يَذْكُرُنِي؛ فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرَاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعَاً، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعَاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعَاً، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

وفي رواية لمسلم: «وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ هَرْوَلَةً»(٢).

وفي هذا الحديث دليل أن حسن الظن بالله من أعظم أسباب القربة، ومن ألطف القربات عند الله تعالى التقرب إلى أوليائه لأن أصل الولاية القرب، ومن تقرَّب إلى القريب قُرِّبَ، كما أنَّ من تقرب من البعيد بعد.

وروى أبـو حفص بن شاهين في «أفراده» عن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «تَقَرَّبُـوا إِلَى اللهِ بِـبُغْضِ أَهْـلِ الْمَعَـاصِي، وَالْقَوْهُمْ بِوُجُوْهٍ مُكْفَهِرَّةٍ، وَالتَمِسُوْا رِضَى اللهِ بِسَخَطِهِم، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللهِ بِالتَّبَاعُدِ مِنْهُم»(٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤١٣)، والبخاري (٦٩٧٠)، ومسلم (٢٦٧٥)، والترمذي (٣٦٠٣)، وابن ماجه (٣٨٢٢).

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٥).

(٣) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٣٢٠).

ومن أبلغ القرب إلى الله تعالى الإنفاق في سبيله عن طيب نفس من غير أن يعد النفقة غرامة؛ لأنَّ المحبة لا تتحقق إلا ببذل ما سوى المحبوب في رضاه، والقربة على قدر المحبة، ومن ثمَّ قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ٩٩].

فشهد سبحانه وتعالى لمن كان الباعث له على الإنفاق الإيمان وقصد القربة بالتقرب، وأنَّه حصل على القربة الحقيقية الموجبة للرحمة، كما شهد على المنافقين الذين يتخذون ما ينفقون مغرماً بأنَّ عليهم دائرة السوء حيث قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[التوبة: ٩٨].

فالتقرب إلى الله تعالى بالصدقات والنفقات على حسب الإيمان وحسن النية، ومن ثمَّ ليس كل متقرب أو مقرب مقرباً، ألا تسمع قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧].

ظهر شِرْكه في قوله: «لأقتلنَّك»؛ حَسِبَ أنَّ المانع من قبول قربانه وجود أخيه، فتوعده بالإعدام والقتل، فأثبت لنفسه ـ أيضاً ـ حولاً وقوةً، فنبهه أخوه على أن سبب قبول القربان ليس نفس تقديم القربان ولا غيره

إلا تقوى الله بقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧].

وروى ابن جرير عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إنَّ ابني آدم اللذين قربا قرباناً كان أحدهما صاحب حرث، والآخر صاحب غنم، وإنَّما أُمِرَا أن يُقرِّبا قرباناً، وإن صاحب الغنم قرب أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها طيبةً بها نفسه، وإنَّ صاحب الحرث قرَّبَ شر حرثه الكردن والزوان غير طيبة بها نفسه، وإنَّ الله تقبل قربان صاحب الغنم، ولم يتقبل قربان صاحب الحرث، وكان من قصتهما ما قص الله في كتابه.

وايم الله! إن كان المقتول لأشد الرجلين، ولكن منعه التحرج أن يبسط يده إلى أخيه[١].

واعلم أن المتقرب إليه عظيم لا يقبل إلا ما يليق أن يقابل به، وكل شيء يتقرب به إليه لا يليق للقربة إلا إذا قرَّبه إليه المتقرب به إليه وهو مستغفر لما قربه شاهد بعظمة من يتقرب به إليه، وباحتقار نفسه أن يكون أهلاً لهذه القربة، وحينئذٍ فقد أدى حق التقرب بإعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقه؛ إذ حق الربِّ الاعتراف بربوبيته وعظمته، وحق العبد الاعتراف بعبوديته وضعته وحقارتِهِ، وحق ما من العبد إلى الله تعالى استصغاره واستحقاره؛ لأن الله تعالى غنيٌّ عن كل شيء، وحق ما من الله إلى العبد استعظامه واستكثاره؛ لأنَّ العبد فقير إلى الله أبداً محتاج إليه في كل حال، فمتى شهد العبد نفسه، أو شهدَ ما منه واستعظَمَهُ، فقد خرجَ بذلك عن التقريب

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٦/ ١٨٧).

لأنه لم يؤدِّ حقوق التقرب.

وروى الترمذي عن أبي هريرة، والبيهقي في «الشعب» عن جابر، والطبراني في «الأوسط» عن عائشة؛ قالوا ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «السَّخِيُّ قَرِيْبٌ مِنَ اللهِ، قَرِيْبٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيْبٌ مِن الْجَنَّةِ، بَعِيْدٌ مِن النَّارِ، وَالبَخِيْلُ بَعِيْدٌ مِن اللهِ، بَعِيْدٌ مِن النَّاس، بَعِيْدٌ عِن الْجَنَّةِ، قَرِيْبٌ مِن النَّارِ، وَالْجَاهِلُ السَّخِيُّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ عَابِدٍ بَخِيْلٍ»[1].

وروى الإمام أحمد، والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَدْنَاهُم مِنْهُ مَجْلِسَاً إِمَامٌ عَادِل، وَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ، وَأَبْعَدُهُم مِنْهُ إِمَامٌ جَائِر»[2].

وقوله: «وَأَدْنَاهُم منه»؛ أي: أقربهم من محلِّ كرامته.

وإنما كان الإمام العادل أقرب إلى الله تعالى لتخلقه بخلقه الكريم من العدل في رعيَّته وولايته.

وروى أبو داود عن أبي أُمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ

---

(١) رواه الترمذي (١٩٦١) عن أبي هريرة ﷺ، وقال: غريب، وإنما يروى عن عائشة رضي الله عنها مرسلاً.
وروراه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٨٤٨) عن جابر ﷺ.
ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٣٦٣) عن عائشة رضي الله عنها.
قال الدارقطني في «العلل» (١٤/ ٣٦٩): لهذا الحديث طرق لا يثبت منها شيء بوجه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٢)، والترمذي (١٣٢٩) وحسنه.

أَوْلَى النَّاسِ بِاللهِ مَن بَدَأَهُم بِالسَّلامِ»[1].

ورواه الترمذي وحسنه، ولَفظهُ: قيل: يا رسول الله! الرجلان يلتقيان، أيهما يبدأ بالسلام؟ فقال: «أَوْلاهُمَا بِاللهِ»[2]؛ أي: أقربهما إليه لأنه مِنْ وَلِيَ: إذا قَرُبَ.

وروى البيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُكْثِرُوا الكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الكَلامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ قسوةُ القَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِن اللهِ القَلْبُ القَاسِي»[3]؛ أي: ذو القلب القاسي.

ومفهومه أن القلب الرحيم اللين قريب من الله تعالى.

وكلما كان أرحم وأعطف كان أقرب، وفي كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف: ٥٦].

فإذا كان المحسن قريباً من رحمة الله تعالى لإحسانه، فقربه من رحمته عين قربه منه.

وروى هنَّاد بن السَّري في «الزهد» عن عبيد بن عمير رحمه الله ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا ازْدَادَ رَجُلٌ مِن السُّلْطَانِ قُرْبَاً إِلا ازْدَادَ عَن اللهِ بُعْدَاً، وَلا كَثُرَتْ أَتْبَاعُهُ إِلا كَثُرَتْ شَيَاطِيْنُهُ، وَلا كَثُرَ مَالُهُ

---

(١) رواه أبو داود (٥١٩٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٩٤).

(٣) تقدم تخريجه.

إلا كَثُرَ حِسَابُهُ»[1].

وروى أبو داود، والبيهقي بسند صحيح، عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ بَدَا فَقَدْ جَفَا، وَمَن اتَّبعَ الصَّيْدَ غَفِلَ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابِ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِن السُّلْطَانِ دُنُواً إلا ازْدَادَ مِن اللهِ بُعْدَاً»[2].

وأخرجه الإمام أحمد، ولفظه: «وَمَن أَتَى أَبْوَابَ السَّلاطِيْنِ افْتُتِن، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِن السُّلْطَانِ قُرْبَاً إلا ازْدَادَ مِن اللهِ بُعْدَاً» وسنده صحيح[3].

ويؤخذ منه أنه كلما أبعد عن السلطان قربه الله تعالى.

وروى أبو نعيم عن أبي حمزة البغدادي قال: قلت لعبدالله بن دينار الجعفي رحمه الله: أوصني، قال: اتق الله في خلواتك، وحافظ على أوقات صلواتك، وغض طرفك عن لحظاتك؛ تكن عند الله مقرباً[4].

ولا شك أن التقوى محل القربة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: ٥٤ ـ ٥٥].

والقربة في دار الدنيا إنما تراد للقربة في دار الآخرة.

و(عند): اسم لمكان القرب.

---

(١) رواه هناد بن السري في «الزهد» (١/ ٣٢٧).

(٢) رواه أبو داود (٢٨٦٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٠١).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٧١).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٥٩).

ثمَّ إنَّ الصلاة من أفراد التقوى، إلا أنـه عطفها عطف الخاص على العام اعتناءً بالصلاة التي هي قربان كل تقي، ومن ثم قال ﷺ: «مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاتُهُ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِن اللهِ إلا بُعْـدَاً». أخرجـه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس رضي الله عنهما[1].

فالصلاة إنما تكون قرباناً إلى الله تعالى إذا نهت صاحبها عن الفحشاء والمنكر، وذلك عين التقوى.

ثم عطف على المحافظـة على الصلاة غـض البصر؛ لأن إطلاق البصر يغرق القلب في مطالعة الأغيار، ثم يوقع العبد في مهاوي الأوزار، وبذلك يصد العبد عن مقام القرب.

واعلم أنَّ كل عمل صالح فهو قربة من الله تعالى إذا صحت فيه النية وخلا عن العجب والمن ورؤيـة العمل، وذلك حقيقـة التقوى، وذلك لا يَعْدُو الفرائض والنوافل المشار إليها في حديث البخاري المتقدم.

ولمن أهم الفرائض الإخلاص في كل عمل، فأما إذا كان العمل مشوباً بإرادة غير الله تعالى فلا يكون صاحبه براً، فضلاً عن أن يكون

---

(١) رواه الطبـراني في «المعجم الكبيـر» (١١٠٢٥). قـال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٥): هذا الحديث ليس بثابت عن رسول الله ﷺ، لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما ذكر الله في كتابه، وبكل حال فالصلاة لا تزيد صاحبها بعداً، بل الذي يصلي خير من الذي لا يصلي وأقرب إلى الله منه، وإن كان فاسقاً.

صدِّيقاً مقرَّباً لأنه لم يتقرب في ذلك العمل إلى ذلك الغير؛ قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾[البقرة: ١٨٦]؛ إذ ضمن السؤال الإرادة والطلب، فمن عمل لغير الله تعالى فإنما سأل وطلب شيئاً من ذلك الغير، فلا يكون الله منه قريباً.

ومعنى الإخلاص والصدق فيه لم يتم التقرب لمقرب حتى لا يرى نفسه أهلاً للقرب.

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن مسروق قال: قال رجل عند عبدالله ـ يعني: ابن مسعود ـ ﷺ: ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين، أكون من المقربين أحب إلي، قال: فقال عبدالله: لكن هاهنا رجل ود أنه إذا مات لم يبعث؛ يعني: نفسه[1].

ثم إنَّ التقرب إلى الله لا يكون إلا من حيث أمرك، لا من حيث تريد أنت وتستحسن، ومن ثم كان تقرب المشركين بأوثانهم بعداً أوجب لهم لعناً وطرداً كما حكى الله عنهم مشيراً إلى ذم ما هم عليه، فقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[الزمر: ٣]؛ أي: قالوا: ما نعبدهم، وهكذا كان يقرأها ابن عباس كما رواه سعيد بن منصور، وسعيد بن جبير

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٥٩).

كما رواه عبد بن حميد(١).

ومن حكمته سبحانه وتعالى في هؤلاء إذا ماتوا على ما زعموه قربةً من عبادة الأوثان أنه يحلهم دار الهوان، فإذا قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٧] أجابهم بقوله: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[المؤمنون: ١٠٨].

ومن هذا القبيل: من تقرَّب إلى الله تعالى بمعصية كالغناء، وضرب الآلة، أو بما لم يكن مشروعاً كمن يتقرب إلى الله تعالى بالسكوت الدائم أو بترك أكل اللحم تحرجاً، أو بسجود غير مشروع، أو بربط نفسه بحبل لئلا ينام؛ فإنَّ ذلك يوجب لمن عمله البعد من حيث يظن بالقرب؛ فإنَّ العبد لا يتم تقربه لسيده إلا بتنفيذ ما يأمره به سيده، سواء وافق مراد العبد، أو خالف مراده.

ولو تقرب إليه العبد بما يريده العبد، ولم يوافق رضى مولاه، لم يكن ذلك تقرباً، بل هو بالتبعد أشبه.

وإذا كان العبد لا تتم له العبودية إلا بالرضى بقضاء المعبود فيما يخص العبد، فكيف تتم له عبوديته بغير الرضا بقضاء المعبود فيما يختص بالمعبود؟

ولا يتحقق قرب العبد من الرب إلا بالتحقق بالعبودية، ولا تتحقق العبودية إلا بالرضا بقضاء المعبود في كل قضية.

وقد روى ابن جهضم عن سهل بن عبدالله رحمه الله تعالى قال:

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٢١١).

إنَّ الله اصطنع إلى أوليائه ثلاث خصال؛ لا يطمعهم من حيث يطمعون، ويشوش عليهم تدبيرهم لأنفسهم، ولا يظفر بهم عدوهم[1].

يريد ﷻ أن لا يرجو غيره، ولا يخافوا سواه؛ لأنه البار بهم، اللطيف الكريم.

والأولياء هم المقربون؛ لأنَّ أصل الولاية القرب، فإذا كان هذا عادة الله في المقربين، فعليهم أن يقطعوا الأطماع في سوى ما يرزقهم، ويدَعوا التدبير لأنفسهم، ويكلوا أمرهم إلى تدبيره لهم، وبذلك يتم قربهم، وتكمل ولايتهم، ولا يحققهم بذلك مثل علمهم بأنَّه أقرب إليهم من حبل الوريد، وأَعْلَم منهم بما يصلحهم؛ كما روى أبو نعيم عن وهب: أنه قرأ في بعض كتب الله: يا ابن آدم! ما أنصفتني؛ تذكر بي وتنساني، وتدعوا إلي[2] وتفر مني، خيري إليك نازل وشرك إلي صاعد، ولا يزال ملك كريم قد نزل إليك من أجلك، ولا يزال ملك لهم[3] قد صعد إلي منك بعمل قبيح.

يا ابن آدم! إن أحب ما تكون إلي، وأقرب ما تكون مني إذا كنت راضياً بما قسمت لك، وأبغض ما تكون إلي، وأبعد [ما تكون مني إذا

---

(١) ورواه الرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (١/ ٣٩٦) لكن عن أبي علي الدقاق.

(٢) في «حلية الأولياء»: «وتدعوني» بدل «وتدعو إلي».

(٣) في «حلية الأولياء»: «كريم» بدل «لهم».

كنت][1] ساخطاً لاهياً عما قسمت لك.

يا ابن آدم! أطعني فيما أمرتك، ولا تعلمني بما يصلحك؛ إني عالم بخلقي، أنا أُكرم من أكرمني، وأهين من هان عليه أمري، لست بناظر في حق عبدي حتى ينظر العبد في حقي[2].

وقد روى ابن جهضم عن سهل قال: من نظر إلى الله قريباً منه بعد عن قلبه كل شيء سوى الله، ومن طلب مرضاته أرضاه الله، ومن أسلم قلبه تولى الله جوارحه[3].

وعن حال الرضا والتحقق فيه [عبّر ذو النون المصري رحمه الله تعالى بقوله: من تقرب إلى الله بتلف نفسه، حفظ الله عليه عليه نفسه، كما رواه ابن جهضم، فعبر بتلف النفس عن محوها في مرضاة الله تعالى، وعدم الاعتداد][4] بها، والالتفات إلى ما تريد وتهوى، ومن ثمَّ كان الشهيد حياً عند الله تعالى مرزوقاً؛ لأنه أتلف نفسه في طلب رضى الله تعالى، وإنما يكون تلف النفس سبباً لحفظها إذا أتلفها صاحبها من حيث أُمر لا من حيث نهي، ألا ترى أنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[البقرة: ١٩٥]، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾[النساء: ٢٩]؟

---

(١) طمس في «م».

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٧).

(٣) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٠٢).

(٤) ما بين معكوفتين لم يظهر في «م»، والمثبت من «ت».

ثمَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾[التوبة: ١١١].

وقد تعد النفس منعها عن شهواتها ومراداتها تلفاً وهلاكاً، فإنَّ منعها من حيث منعها الله تعالى فقد أحياها عند الله، وإن أماتها في نظرها.

ومتى فنيت في نظرها، وبقيت عند الله تعالى، فقد تحققت بمقام المقرب، وعاشت في دار المقامة، وحييت بالنعمة والكرامة.

* تَنْبِيْهٌ:

دليل التشبه بالمقربين معروف من أدلة التشبه بالصالحين والصديقين والسابقين.

وروى ابن جهضم عن الجنيد رحمه الله تعالى قال: إن الله ندب العباد إلى طلب القربة إليه، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[المائدة: ٣٥]؛ قال: والإيمان بهذه العصابة من أفضل القربات؛ يعني: الإيمان بطريق الصوفية.

قال في «القاموس»: الوسيلة والوسالة: المنزلة عند الملك، والدرجة، والقربة.

ووسل إلى الله توسيلاً: عمل عملاً يقرب إليه؛ كتوسل[1].

فهذه الآية دليل على إرشاد المؤمنين إلى طلب درجة المقربين،

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص: ١٣٧٩) (مادة: وسل).

[. . . .][1] الترغيب في طلب مقام المقربين مما أعده الله لهم عند الموت بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾[الواقعة: ٨٦ ـ ٩١].

قال الربيع بن خُثَيم رحمه الله تعالى في قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾[الواقعة: ٨٨ ـ ٨٩]؛ قال: هذا عند الموت، ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[الواقعة: ٨٩]؛ قال: تخبأ له الجنة إلى يوم يبعث.

وفي قوله: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾[الواقعة: ٩٢ ـ ٩٣]؛ قال: هذا عند الموت، ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[الواقعة: ٩٤]؛ قال: تخبأ له الجحيم إلى يوم يبعث. رواه ابن أبي شيبة، والإمام أحمد في «الزهد»[2].

وقال أبو العالية رحمه الله: لم يكن أحد من المقربين يفارق الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه، ثم يقبض. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[3].

---

(١) كلمة غير واضحة في «م». وفي «ت»: «. . . إلى طلب درجة المقربين مما أعده الله لهم عند الموت. . .».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٨٦٢) بمعناه. وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٦).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٢٧/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٣٣٥).

وفسر ابن عباس رضي الله عنهما الروح بالراحة، والريحان بالاستراحة[1].

ومجاهد [رحمه الله تعالى الروح بالفرح، والريحان بالرزق. رواهما ابن جرير][2].

وقال الحسن: أما والله إنهم ليبشرون بذلك عند الموت. روى ذلك عنهما عبد بن حميد، وغيره[3].

وروى ابن المنذر عن ابن عباس قال: الريحان الرزق[4].

وفي الآية تمييز المقربين عن أصحاب اليمين؛ فإنَّ أصحاب اليمين يسلمون من المكروهات عند الموت، ويشاركهم المقربون في السلامة، ويمتازون عليهم بالروح والريحان، وما لقيه الميت عند الموت فما بعده أبلغ من خير أو شر، إلا المؤمن العاصي فقد يخلص من ذنبه مما يلقاه عند الموت من كرب أو هول، وقد يبقى عليه بقية تكفر بما بعد الموت من الأهوال.

فأما أصحاب اليمين فإنَّهم يترقون فيما يجدونه عند الموت من الخير، والمقربون أولى بذلك.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٣٣٥).

(٢) ما بين معكوفتين غير واضح في «م». والأثران رواهما ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ٢١١).

(٣) انظر: «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور» للسيوطي (ص: ٩٠).

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٧).

ولحصول القربة للعبد علامة في العبد، وعلامة من الله تعالى للعبد:

فأمَّا علامة القرب في العبد فمحبة لقاء الله تعالى، والطمأنينة بذكره لقوله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ». رواه الشيخان، وغيرهما من حديث عبادة، وعائشة رضي الله عنهما[1].

ولما ادعى اليهود ولاية الله والقرب منه امتحنهم الله بتمني الموت، وعرَّفهم أنهم لا يتمنونه، وأكذبهم بعدم تمنيه، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الجمعة: ٦ ـ ٧]؛ أي: من المعاصي التي هي سبب البعد والعداوة.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٤ ـ ٩٦].

ادَّعوا القرب فأكذبهم، وعرفهم أنهم غير مشتاقين إلى لقاء الله، ويؤثرون طول العمر على لقائه، ولو كانوا متقربين إليه لأحبوا لقاءه، فلما لم يحبوا لقاءه، وأحبوا البقاء في دار الدنيا، علم أنهم عملوا أعمالاً

---

(١) رواه البخاري (٦١٤٢)، ومسلم (٢٦٨٣) عن عبادة رضي الله عنه.

ورواه البخاري (٦١٤٢)، ومسلم (٢٦٨٤) عن عائشة رضي الله عنها.

أبعدتهم عنه، وطول العمر لو حصل لهم لم ينفعهم، ولم يزحزحهم عن البعد والتعذيب.

وإنما قال ﷺ: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُم الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَـزَلَ بِهِ»[1] من حيث إنَّ هذا التمني ليس الباعث عليه الشوق إلى لقاء الله، ولا القرب منه، وإنما هو التباعد عما لا يلائم النفس من الضر الذي يصيبه في الدنيا، ولعل ذلك الضر يكون سبباً في القرب من الله، ورفع المنزلة عنده.

وأمَّا الطمأنينة بذكر الله تعالى فلأنها ناشئة عن الأنس به، والأنس لا يتحقق إلا بتحقق القرب.

روى ابن جهضم عن أبي سعيد الخزَّاز قال: حدثني بعض العلماء قال: بينما عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهم السلام يسيران جرى ذكـر شيء من العلم بينهما، فصاح يحيى وقال: إن لله عباداً إذا ذكروا عظمة الله طاشت عقولهم، وكادت أن تتقطع أوصالهم.

فقال عيسى: إنَّ لله عباداً ألطف من هؤلاء، وأسكن؛ إذا ذكروا الله لم يصبهم ذلـك لأنهم معـه يسمعـون كلامـه من قرب لا من بعد، فبم يطيشون؟

فقال يحيى: لقد سقيتني بكأس أرويتني، وأزويت بعض خيري.

وعن الفتح بن شخرف رحمه الله قال: رأيـت سعدون قائماً على حلقة ذي النون رحمة الله عليهما، وعليه جبة صوفٍ ضيقة الكمين، على

---

(١) رواه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢٦٨٠) عن أنس بن مالك ﷺ.

ظهره وصدره مكتوبٌ عليها: لا تباع ولا تشترى، وذو النون يتكلم على من حوله، فناداه سعدون: يا أبا الفيض! متى يكون القلب أميراً بعد ما كان أسيراً؟ فقال ذو النون: إذا اطَّلع الخبير على الضمير، فلا يرى إلا حبه اللطيف، فصرخ سعدون وخرَّ مغشياً عليه، فلما أفاق قال: يا أبا الفيض! أمن القلوب قلوبٌ تستغفر قبل أن تذنب؟ قال: نعم؛ تلك قلوب تُثَابُ قبل أن تطيع، فقال: اشرح لي، فقال: يا سعدون! أولئك قومٌ أشرقت قلوبهم بضياء روح اليقين، وأنست أبصارهم بصدق الناظرين، ثمَّ ولَّى ـ يعني: سعدون ـ وهو يقول: [من البسيط]

أَهْلُ الْمَحَبَّةِ ما نـالُوْا الَّـذِيْ وَجَـدُوْا[1]
حَتَّـى بِخِدْمَتِـهِ فِـيْ لَيْـلٍ انْفَـرَدُوْا
هُـمُ الْمُرِيْـدُوْنَ وَالْمَـوْلَىْ مُـرادُهُمُ
وَهُـمْ سِـواهُ مِـنَ الأَحْبـابِ لَـمْ يُـرِدُوْا
حَثُّـوْا الْمَطايـا سِـراعاً نحـو سـيِّدهمْ[2]
وَاستمسكوا بالمليك الحي واعتمدوا[3]

---

(١) في «مشيخة ابن البخاري»: «نالوا الذي بلغوا» بدل «ما نالوا الذي وجدوا».

(٢) في «م» و«ت» «وربهم قصدوا»، والمثبت من «مشيخة ابن البخاري».

(٣) في «م» و«ت» «واعتصموا بالجليل واعتضدوا»، والمثبت من «مشيخة ابن البخاري».

وَلَمْ تَزَلْ خَطَراتُ الْعِزِّ[1] تَصْرَعُهُمْ
حَتَّىْ مِنَ الْحُزْنِ[2] أَعْلَىْ مَوْرِدٍ وَرَدُوْا

إِذا تَدانَوْا مِنَ الْمَحْبُوْبِ[3] مَنْزِلَةً
وَدُّوْا بِأَنَّهُمُ مِنْ خَلْقِهِ بَعُدُوْا

نُوْرُ السَّكِيْنَةِ عالٍ فَوْقَ رُؤُوْسِهِمُ
فما لخلقٍ[4] عَلَىْ أَنْوارِهِمْ جَلَدُ

فَلَوْ تَراهُمْ عَلَىْ نُجْبٍ إِذا رَكِبُوْا
مِنَ الْجَواهِرِ نَحْوَ اللهِ قَدْ قَصَدُوْا

وَجِبْرَئِيلُ لَدَىْ طُوْبَىْ يُرَتِّبُهُمْ
مِنْهُ عَلَىْ قَدْرٍ[5] ما فِيْ الْخِدْمَةِ اجْتَهَدُوْا[6]

---

(١) في «مشيخة ابن البخاري»: «الشوق» بدل «العز».

(٢) في «مشيخة ابن البخاري»: «إلى الحور» بدل «من الحزن».

(٣) في «مشيخة ابن البخاري»: «الرحمن» بدل «المحبوب».

(٤) في «م» و«ت» «فالعين»، والمثبت من «مشيخة ابن البخاري».

(٥) في «مشيخة ابن البخاري»: «على مقادير ما» بدل «منه على قدر».

(٦) ورواها أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٧١) لكن بسياق مختلف، ولم يذكر هذه الأبيات، وذكر الأبيات دون القصة جمال الدين الظاهري في «مشيخة ابن البخاري» (٢/ ١٢٦٩).

وأما علامة القرب من الله تعالى للعبد فتوفيق العبد لطاعة أخرى سوى الطاعة التي تقرب إليه بها أولاً، ولطفه به، وتأييده فيها كما قال الله تعالى في حديث البخاري: «وَمَا يَزَالُ العَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ. . .». إلى آخره[1].

فالمقرب المؤيد في الحركات والسكنات، ومحال أن يتقرب العبد إلى الله تعالى بإخلاص وصدق، ولا يتقرب الله منه لقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[الرحمن: ٦٠].

ولما رواه البخاري عن أنس، وعن أبي هريرة، والطبراني عن سلمان الفارسي رضي الله عنهم قالوا: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ العَبْدُ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً، وَإِنْ أَتَانِي مَشْياً أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[2].

وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: ابنَ آدَمَ! إِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِكَ ذَكَرْتُكَ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُم، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي شِبْراً دَنَوْتُ مِنْكَ ذِرَاعاً،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٦٩٧٠) ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه البخاري (٧٠٩٨) عن أنس رضي الله عنه.

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦١٤١) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه.

وَإِنْ أَتَيْتَنِي تَمْشِي أَتَيْتُكَ أُهَرْوِلُ»[1].

واعلم أنَّ التقرب ذراعاً أو باعاً، والهرولة في الحديثين ليس المراد بهما قرب المسافة، ولا الحركة؛ فإنَّ الله تعالى منزه عن ذلك، ولكنه على سبيل التمثيل والتقريب، والتعبير عن سرعة ظهور الفضل من الله تعالى، والإحسان على العبد في مقابلة إقباله على الله تعالى، وتقربه منه سبحانه بأبلغ عبارة، وأوضحها في تأدية المقصود.

وفي «حلية أبي نعيم» عن ابن أبي الحواري: حدثني إسحاق بن خلف، قال: مرَّ عيسى بن مريم عليهما السلام بثلاثة من الناس قد نحلت أبدانهم، وتغيرت ألوانهم، فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: الخوف من النيران، قال: مخلوقاً خِفتم، وحقاً على الله أن يؤمن الخائف.

ثم جاوزهم إلى ثلاثة فإذا هم أشد تغير ألوان، وأشد نحول أبدان، فقال: ما الذي بلغ بلغكم ما أرى؟ قالوا: الشوق إلى الجنان، فقال: مخلوقاً اشتقتم، وحقاً على الله أن يعطيكم ما رجوتم.

قال: ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين، فإذا هم أشد نحول أبدان، وأشدُّ تغير أبدان، [كأن على وجوههم المرآة من النور] فقال: ما الذي بلغكم ما أرى؟ قالوا: الحب لله، قال: أنتم المقربون، أنت المقربون[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٨): رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٨).

قلت: كذلك التحقيق أن أهل هذه الأحوال الثلاث كلهم محمودون لأنهم كلهم في طاعة الله، وهم متصلون بالله؛ الأولون يخافون عذاب الله، والذين يلونهم يرجون رحمته، والآخرون يحبهم ويحبونه.

والخائف من النار مستجير بالله منها، مستعيذ به، وناهيك بمن هو في جوار الله تعالى، وقد أوصى بالجار.

ومن اشتاق إلى الجنة إنما يطلبها ويرجوها من الله تعالى، وقد قالوا: من قصد إلينا وجب حقه علينا.

ومن أحب الله أحبه الله؛ إذ ما جزاء من يحب إلا أن يُحب، غير أنَّ هؤلاء أعظم اتصالاً من الذين قبلهم، ثم قال عيسى عليه السلام عنهم: أولئك المقربون، أولئك المقربون.

وروى ابن جهضم، وغيره عن أحمد بن أبي الحواري قال: سأل محمود أبا سليمان الداراني رضي الله عنه وأنا حاضر: ما أقرب ما يتقرب به إلى الله؟ فبكى أبو سليمان، ثم قال: مثلي يسأل عن هذا؟ أقرب ما تقرب به إليه أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة إلا إياه[1].

وروى ابن باكُويه الشيرازي في «الألقاب»، وغيره عن أبي القاسم الجنيد رحمه الله قال: حججت على الوحدة، فجاورت بمكة، فكنت إذا جن الليل دخلت الطواف، فإذا بجارية تطوف وتقول: [من الطويل]

---

(١) ورواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ٧٧)، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٨٤) مختصراً.

أَبَىْ الْحُبُّ أَن يَخْفَىْ وَكَمْ قَدْ كَتَمْتُهُ
فَأَصْبَحَ عِنْدِي قَدْ أَناخَ وَطَنَّبا
إِذا اشْتَدَّ شَوْقِيْ هامَ قَلْبِيْ بِذِكْرِهِ
فَإِنْ رُمْتُ قُرْباً مِنْ حَبِيْبِيْ تَقَرَّبا
وَيَبْدُوْ فَأَفْنَىْ ثُمَّ أَحْيَىْ بِهِ لَهُ
وَيُسْعِدُنِيْ حَتَّىْ أَلَذَّ وَأَطْرَبا

قال: فقلت لها: يا جارية! أما تتقين الله في مثل هذا المكان تتكلمين بهذا الكلام؟ فالتفتت إليَّ وقالت: يا جنيد! [من مجزوء الرجز]

لَوْلا التُّقَىْ لَمْ تَرَنِيْ
أَهْجُرُ طِيْبَ الْوَسَنِ
إِنَّ التُّقَىْ شَرَّدَنِيْ
كَما تَرَىْ عَنْ وَطَنِيْ
أَهِيْمُ مِنْ وَجْدِيْ بِهِ
فَحُبُّهُ هَيَّمَنِيْ

ثم قالت: يا جنيد! تطوف بالبيت، أم برب البيت؟ فقلت: أطوف بالبيت، فرفعت رأسها إلى السماء، وقالت: سبحانك! سبحانك! ما أعظم مشيئتك في خلقك، خلقاً كالأحجار يطوفون بالأحجار، ثم أنشأت تقول: [من الطويل]

يَطُوْفُـوْنَ بِالأَحْجـارِ يَبْغُـوْنَ قُرْبَـةً
إِلَيْـكَ وَهُـمْ أَقْسَىٰ قُلُوْبـاً مِـنَ الـصَّخْرِ
وَتاهُوْا فَلَـمْ يَـدْرُوْا مِـنَ التِّيْـهِ مَـنْ هُـمُ
وَحَلُّوْا مَحَلَّ الْقُرْبِ فِيْ بـاطِنِ النُّكْـرِ[1]
فَلَوْ أَخْلَصُوْا فِـيْ الْـوُدِّ غابَـتْ صِـفاتُهُمْ
وَقامَـتْ صِـفاتُ الْـوُدِّ لِلْحَـقِّ بِالـذِّكْرِ

قال الجنيد: فغشي عليَّ من قولها، فلما أفقت لم أرها[2].

وقد تكلمتُ على حال القرب في كتاب «منبر التوحيد» بما فيه مقنع، وليس عليه مزيد، ولي فيه أبيات لطيفة تشتمل على معان شريفة، وهي: [من مجزوء الرمل]

لِـيْ إِلَـىٰ وَجْـهِ حَبِيْبِـيْ
مِـنْ صَـلاةِ الْقُـرْبِ وِرْدُ
لِـيْ إِلَيْـهِ كُـلَّ وَقْـتٍ
نِيَّـةٌ حُـسْنَىٰ وَقَـصْدُ
فَـسُهُوْدِيْ فِـيْ سُـجُوْدِيْ
بِوُجُـوْدِيْ يَـسْتَبِدُّ

---

(١) في «صفة الصفوة»: «الفكر» بدل «النكر».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ٤١٩).

وَمَقـــــامِيْ فِـــــيْ قِيـــامِيْ

عِنْـــــدَهُ شُـــــكْرٌ وَحَمْــــــدُ

فِـــــيْ مُناجـــاتِيْ نَجـــاتِيْ

عَـــنْ سِـــوًى عَنْـــهُ يَـــصُدُّ

قَـــدْ عَزَفْــــتُ الْغَيْـــرَ عَنِّـــيْ

كُـــــلُّ غَيْـــــرٍ فَهْــــوَ رَدُّ

لَـــيْسَ لِـــيْ فِـــيْ غَيْـــرِ حِبِّـــيْ

فِـــيْ صَـــمِيْمِ الْقَلْـــبِ وَجْـــدُ

صُـــــمْتُ إِذْ صَـــوَّمْتُ سِـــرِّيْ

وَالْهَـــــوْى لا شَـــــكَّ جِـــــدُّ

عَـــنْ هَـــوَىْ الأَغْيـــارِ حَتَّـــىْ

لَـــيْسَ لِـــيْ فِـــيْهِنَّ عَهْـــدُ

وَتَفَـــــــــرَّدْتُ بِحُبِّـــــــــيْ

فَأَنـــا فِـــيْ الْحُـــبِّ فَـــرْدُ

[......................][1]

إِنَّمـــــا تَحْـــــدُوْ وَتَـــــشْدُوْ

---

(١) ثلاث كلمات في «م» و«ت» غير واضحة.

إِنْ تَجِــــدْ غَيَّـــاً عَرانِـــــيْ
فَهْـــوُ فِـــيْ التَّحْقِيْـــقِ رُشْـــدُ

لا بِرَحْـــبِ الـــدَّهْرِ صَـــبَّاً
لِـــيْ إِلَـــىْ الْمَحْبُـــوْبِ وَجْـــدُ

فَهْـــوَ مَـــوْلايَ وَإِنِّـــيْ
بَـــيْنَ أَقْرانِــــيْ لَعَبْـــــدُ

عِنْـــدَهُ قَلْبِــــيْ وَإِنِّـــيْ
لَـــيْسَ لِــــيْ وَاللهِ عِنْـــدُ

وَلَـــهُ أَمْـــرِيْ وَكُلِّـــي
قَبْـــلَ تَبْرِيْحِــــيْ وَبَعْـــدُ

يَـــا حَبِيْبِـــيْ جُـــدْ بِـــهِ لِـــيْ
إِنَّ شَـــــوْقِيْ لا يُعَـــــدُّ

*** تتمة :**

قال الله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين : ١٨ ـ ٢١] .

قال قتادة رحمه الله تعالى : عليّون فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى .

﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين : ٢٠] ؛ قال : رقم لهم بخير .

﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[المطففين: ٢١]؛ قال: المقربون من ملائكة الله. رواه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر[١].

وروي [عن] ابن عباس: ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[المطففين: ٢١]؛ كل أهل السماء[٢].

وقال ابن جريج: هم مقربو أهل كل سماء إذا مر بهم عمل المؤمن شيعه مقربو كل سماء حتى ينتهي العمل إلى السماء السابعة، فيشهدون حتى يثبت في السماء السابعة. رواه ابن المنذر[٣].

ثم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[المطففين: ٢٢ ـ ٢٨].

فروى عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تسنيم أشرف شراب أهل الجنة، وهو صِرف للمقربين، وممزوج لأصحاب اليمين، وأصحاب اليمين هم الأبرار، وهم سائر أهل الجنة ممن سوى المقربين[٤].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٣٥٦)، والطبري في «التفسير» (٣٠/ ١٠٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٤٠٩).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٤٤٨).

(٤) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٣٥٧)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٤١٠).

وروي مثل ذلك عن ابن مسعود، ومالك بن الحارث، وقتادة، وغيرهم[١].

وروى ابن المنذر عن حذيفة ﷺ قال: تسنيم عين في عدن يشرب بها المقربون في عدن صرفاً، وتجري تحتهم أسفل منهم إلى أصحاب اليمين، فتمزج بها أشربتهم كلها؛ الماء، والخمر، واللبن، والعسل، تطيب بها أشربتهم[٢].

وقد رُوي مما ذكر أنَّ المقربين في الآية الأولى غير المقربين في الآية الثانية؛ فالأولون الملائكة، والآخرون سادات أهل الجنة وسابقوهم.

وقد وصف الله الملائكة بالقربة في قوله: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[النساء: ١٧٢]، والصفة تحتمل أن تكون لازمة فكل الملائكة مقربون كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾[الأعراف: ٢٠٦]؛ يعني: الملائكة.

ويحتمل أن تكون مخصصة، وفسر مقربو الملائكة بالكَرُوبيين[٣]،

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٤٥٢).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٤٥٢).

(٣) قال الألوسي في «روح المعاني» (٢٤/ ٤٦): الكروبيون جمع كروبي ـ بفتح الكاف وضم الراء المهملة المخففة، وتشديدها خطأ، ثم واو بعدها باء موحدة ثم ياء مشددة ـ من كرب بمعنى قرب، وقد توقف بعضهم في سماعه من العرب، وأثبته أبو علي الفارسي واستشهد له بقوله:

كروبية منهم ركوع وسجد =

وهم حملة العرش، أو هم ومن حوله.

وروى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عبيد بن عمير رحمه الله تعالى في قوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢]؛ قال: إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل إلا خرَّ ترعد فرائصه، حتى إنَّ إبراهيم عليه السلام ليجثو على ركبتيه، ويقول: يا رب! لا أملك اليوم إلا نفسي[1].

وروى أبو نعيم عن كعب قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، ونزلت الملائكة [فصارت] صفوفاً، فيقول الله لجبريل عليه السلام: اِيت بجهنم، فيأتي بها تقاد بسبعين ألف زمام، حتى إذا كانت من الخلائق على قدر مئة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق، ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل إلا جثا لركبتيه، ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر، وتذهل العقول، فيفزع كل امرىءٍ إلى عمله، حتى إنَّ إبراهيم يقول: بِخُلَّتِيْ لا أسألك إلا نفسي، ويقول موسى: بمناجاتي لا أسألك إلا نفسي، ويقول عيسى:

= وفيه دلالة على المبالغة في القرب؛ لصيغة فعول، والياء التي تزاد للمبالغة، وقيل: من الكرب بمعنى الشدة والحزن، وكأن وصفهم بذلك لأنهم أشد الملائكة خوفاً، وزعم بعضهم: أن الكروبيين حملة العرش وأنهم أول الملائكة وجوداً، ومثله لا يعرف إلا بسماع.

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٦٧)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٦٦٨)، وكذا رواه الطبري في «التفسير» (١٨/ ١٨٧).

بما أكرمتني لا أسألك إلا نفسي، لا أسألك مريم والدتي، ومحمد ﷺ يقول: «أمتي أمتي، لا أسألك اليوم نفسي، [إنما أسألك اليوم أمتي]»، فيجيبه الجليل جل جلاله: «إنَّ أوليائي من أمتك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فوعزتي [وجلالي] لأقرن عينك في أمتك»، ثم تقف الملائكة بين يدي الله ينتظرون ما يؤمرون[1].

ففي هذا الأثر، والذي قبله تقييد الملك بوصف التقريب، والأنبياء بوصف الرسالة إشارة إلى أنَّ غيرهم أولى بأن يرتاع لهذا الهول العظيم.

وفي أثر كعب تبشير لأهل القربة من هذه الأمة ـ وهم الأولياء ـ بأن لا خوف عليهم إذ ذاك ولا حزن.

وجعل الأستاذ أبو طالب المكي المقربين في قوله: ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[المطففين: ٢١]، وفي قوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[المطففين: ٢٨] بمعنى واحد، وفسرهم في الآيتين بالمحبين لله تعالى، الذين أخلصوا وجودهم لله حقاً، فيعبدونه حقاً لأجله صرفاً، فنعيمهم في الجنة صرف.

قال: ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾؛ يعني: مزاج شراب الأبرار ﴿مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[المطففين: ٢٧ ـ ٢٨] [أي: يشربها المقرَّبون] صرفاً، وممزوجاً لأصحاب اليمين، فما طاب شراب الأبرار إلا بمزاج من شراب المقربين.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٧٣).

قال: فعبر عن جملة نعيم الجنان بالشراب، كما عبر عن العلوم والأعمال بالكتاب، فقال: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾[المطففين: ١٨]، ثم قال: ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[المطففين: ٢١].

فما حسن عملهم[١]، ولا صفت أعمالهم، ولا علا كتابهم إلا بشهادة المقربين لما قرب كتابهم منهم، وحضروه، كذلك كانوا في الدنيا تحسن علومهم بعلومهم، وترتفع أعمالهم بمشاهدتهم، ويجدون المزيد في مزيدهم[٢] بقربهم منهم[٣]. انتهى.

وفيه سياق الآيتين على نسق واحد.

والمعنى أنَّ الأبرار لما كانوا يأخذون في الدنيا بسبب من أنفاس المقربين، وحبل من أعمالهم، غير أنهم لم يستقيموا كاستقامتهم؛ إذ لم يخلوا من تخليط ما في أعمالهم، نفعهم هذا الاتصال بالمقربين يوم الدين، فشهدوا أعمالهم، وزكوهم عند الله تعالى، وكانت شهادتهم لهم شفاعة لهم، ثم كانت عاقبتهم أن مزج شرابهم بشرابهم، وطاب نعيمهم بمزاح نعيمهم، ولو أخلصوا في حبهم في دار الدنيا؛ أعني: المحبة الخاصة التي تنشأ عن التعارف، وتثمر التآلف، لألحقهم الله بهم في كل ما لهم بدليل الحديث المتقدم: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»؛ فافهم!

---

(١) في «قوت القلوب»: «علمهم» بدل «عملهم».

(٢) في «قوت القلوب»: «في نفوسهم» بدل «في مزيدهم».

(٣) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٩٤).

ولقد سبق قول شيخ الإسلام الجد ﷺ مقتبساً للحديث: [من الخفيف]

إِنْ تَكُنْ عَنْ مَقَامِ الَّذِيْن اجْتَبَاهُمْ
رَبُّهُمْ عَاجِزاً وَتَطْلُبُ قُرْبَا
حِبَّ مَوْلاكَ وَالَّذِيْن اجْتَبَاهُمْ
تَبْقَ مَعْهُمْ فَالْمَرْءُ مَعْ مَنْ أَحَبَّا

ثم اعلم أنَّ عليين اسم لأعلى الجنة فيه كتب الأبرار، وفيه مساكن المقربين.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٩ ـ ٢١].

وإنما يشهدوا به لأنه مستودع في مساكنهم، وإنما كانت كتب الأبرار عندهم ليشهدوا لهم، ويطلعوا على منازلهم لأن الأعمال تدل على المنازل والمقامات، فهم مطلعون على منازل الأبرار، ولا يطلع الأبرار على منازلهم، وليس لهم من علمها إلا الترائي إليها كما يتراءى أهل الأرض نجوم السماء.

وقد روى الإمام أحمد، والشيخان عن سهل بن سعد ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ[1] الغُرَفِ كَمَا تَرَاءَوْنَ

---

(١) كلمة: «أهل» ليست في مصادر التخريج.

الكَوْاكِبَ[1] فِي السَّمَاءِ»[2].

وروى الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري ﷺ، والطبراني عن جابر بن سمرة ﷺ، وابن عساكر عن ابن عمر، وعن أبي هريرة ﷺ قالوا: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ العُلَى لَيَرَاهُمْ منْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُم كَمَا تَرَوْنَ الكَوْكَبَ الطَّالِعَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُم، وَأَنْعِمَا!»[3].

وروى ابن عساكر عن أبي سعيد ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَهْلَ عِلِّيِّيْنَ لَيَشْرُفُ أَحَدُهُم إِلَى الْجَنَّةِ فَيُضِيءُ وَجْهُهُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا يُضِيْءُ القَمَرُ لَيْلَةَ البَدْرِ لأَهْلِ الدُّنْيَا، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وعُمَرَ مِنْهُم، وَأَنْعِمَا!»[4].

---

(١) في مصادر التخريج: «الكوكب» بدل «الكواكب».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٠)، والبخاري (٦١٨٨)، ومسلم (٢٨٣٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٧٢)، والترمذي (٣٦٥٨) وحسنه، وابن ماجه (٩٦)، عن أبي سعيد الخدري ﷺ.
وروا الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠٦٥) عن جابر بن سمرة ﷺ.
ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ١٨٥) عن ابن عمر، و(٣٠/ ٢٠٠) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ١٨٤).

وروى ابن أبي شيبة عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: إنَّ لأهل عليين كوى يشرفون منها، فإذا أشرف أحدهم أشرقت الجنة، فيقول أهل الجنة: قد أشرف رجل من أهل عليين[1].

وعن محمد بن كعب رحمه الله قال: يرى في الجنة كهيئة البرق، فقيل: ما هذا؟ قيل: رجلٌ من أهل عليين تحول من غرفة إلى غرفة[2].

وروى الشيخـان عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِن فَوْقِهِم كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِن الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُم»، قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يدخلها غيرهم؟ قال: «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوْا بِاللهِ، وَصَدَّقُوْا الْمُرْسَلِيْنَ»[3].

وروى ابن أبي الدنيا عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَةِ فِي الْجَنَّةِ يَقُوْلُ الَّذِيْنَ أَسْفَلَ مِنْهُم: أَي رَبِّ! بِمَ بَلَغَ عِبَادُكَ هَذِهِ الكَرَامَةَ كُلَّهَا؟ فَيُقَالُ لَهُم: كَانُوْا يُصَلُّوْنَ بِاللَّيْلِ وَكُنْتُم تَنَامُوْنَ، وَكَانُوْا يَصُوْمُوْنَ وَكُنْتُم تَأْكُلُوْن، وَكَانُوْا يُنْفِقُوْنَ وَكُنْتُم تَبْخَلُوْن، وَكَانُوْا يُقَاتِلُوْن وَكُنْتُم تَجْبُنُوْن»[4].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٣٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٣٩).

(٣) رواه البخاري (٣٠٨٣)، ومسلم (٢٨٣١).

(٤) تقدم تخريجه.

وروى ابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وغيرهم عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً يَرْفَعْهُ اللهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي عِلِّيِّينَ، وَمَنْ يَتَكَبَّرْ عَلَى اللهِ دَرَجَةً يَضَعْهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ سَافِلِيْنَ»(١).

وروى ابن المبارك في «الزهد» عن أبي المتوكل الناجي - مرسلاً - قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدَّرَجَةَ فِي الْجَنَّةِ فَوْقَ الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَرْفَعُ بَصَرَهُ فَيَلْمَعُ لَهُ بَرْقٌ يَكَادُ يَخْطَفُ بَصَرَهُ، فَيَفْزَعَ لِذَلِكَ، فَيَقُوْلُ: مَا هَذَا؟ فَيُقَالُ: هَذَا نُوْرُ أَخِيْكَ فُلان، فَيَقُوْلُ: أَخِي فُلان؟ كُنَّا نَعْمَلُ فِي الدُّنْيَا جَمِيْعَاً، وَقَد فُضِّلَ عَلَيَّ هَكَذَا؟ فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّهُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْكَ عَمَلاً، ثُمَّ يُجْعَلُ فِي قَلْبِهِ الرِّضَا حَتَّى يَرْضَى»(٢).

قلت: وهذه أعظم نعمة في الجنة على كل واحد من أهلها أن يلقيَ اللهُ الرِّضا في قلبه حتى يرضى بمقامه ومنزلته فيها، وهذا أثر من آثار رضوان الله تعالى عنهم، ومن ثمَّ وصف الله تعالى أهل ولايته وتقريبه بقوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[البينة: ٨].

وأقول في هذا المعنى، والحجة عليه قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[التوبة: ٧٢]. [من الخفيف]

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٧٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٦٧٨) واللفظ له.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٣٣).

أَعْظَــمُ مــا فِــيْ الْجِنــانِ عِنْــدِيْ

لِكُــلِّ عَبْــدٍ لَــهُ كَرامَــة

رِضْــوانُ مَــوْلاهُ حَتَّــىْ يَــرْ

ضَــىْ مِمَّــا نــالَ مِــنْ مَقامَــه

إِنَّ الرِّضَــا أَصْــلُ كُــلِّ خَيْــرٍ

فِــيْ هَــذِهِ الــدَّارِ وَالْقِيامَــة

* * *



فَصْلٌ

ويقال للصديقين: أخيار، وخيار، وقد يقال ذلك لعامة الصالحين.

ويقال للصديقين: خيار الخيار، وأخيار الأخيار، وصفوة الصفوة، وخلاصة الخلاصة، وخاصة الخاصة.

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٥ ـ ٤٨].

ولا يختص ذلك بالأنبياء عليهم السلام لأنَّ ذا الكفل مختلف في نبوته، والأقوى أنه غير نبي إلا أنه صديق[١].

---

(١) رجح المصنف أن ذا الكفل ليس بنبي، مع أن القول الأكثر أنه نبي، كما قال الرازي في «مفاتح الغيب» (٢٢/ ١٨٣): وقال الحسن والأكثرون: إنه من الأنبياء عليهم السلام، وهذا أولى لوجوه: **أحدها**: أن ذا الكفل يحتمل أن يكون لقباً، وأن يكون اسماً، والأقرب أن يكون مفيداً، لأن الاسم إذا أمكن حمله على ما يفيد فهو أولى من اللقب. إذا ثبت هذا فنقول الكفل هو النصيب، والظاهر أن الله تعالى إنما سماه بذلك على سبيل التعظيم، فوجب أن يكون ذلك الكفل هو كفل الثواب، فهو إنما سمي بذلك لأن عمله =

روى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، والترمذي وحسنه، وابن حبان، والحاكم وصححاه، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وآخرون من طريق سعيد مولى طلحة، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «كَانَ ذُوْ الكِفْلِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيْلَ»[1].

ورواه ابن مردويه عن نافع، عن ابن عمر، ولفظه: «كَانَ ذُوْ الكِفْلِ مِن بَنِي إِسْرَائِيْلَ لا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ، فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِيْنَاراً عَلَى أَنْ يَطَأَهَا، فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِن امْرَأَتِهِ أَرْعَدَت، وَبَكَتْ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيْكِ؟ أَكْرَهْتُكِ؟ قَالَتْ: لا، وَلَكِنَّهُ عَمَلٌ مَا عَمِلْتُهُ قَطُّ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلا الْحَاجَةُ، فَقَالَ: تَفْعَلِيْنَ أَنْتِ هَذَا وَمَا فَعَلْتِ؟ اذْهَبِي فَهِيَ لَكِ، وَقَالَ: وَاللهِ لا أَعْصِي اللهَ بَعْدَهَا أَبَداً، فَمَاتَ مِن لَيْلَتِهِ، فَأَصْبَحَ مَكْتُوْباً عَلَى بَابِهِ: إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لِلكِفْلِ، أَوْ قَالَ: لِذِي الكِفْلِ»[2][3].

= وثواب عمله كان ضعف عمل غيره، وضعف ثواب غيره، ولقد كان في زمنه أنبياء على ما روي ومن ليس بنبي لا يكون أفضل من الأنبياء.

وثانيها: أنه تعالى قرن ذكره بذكر إسماعيل وإدريس والغرض ذكر الفضلاء من عباده ليتأسى بهم، وذلك يدل على نبوته.

وثالثها: أن السورة ملقبة بسورة الأنبياء، فكل من ذكره الله تعالى فيها فهو نبي.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٣)، والترمذي (٢٤٩٦) وحسنه، وابن حبان في «صحيحه» (٣٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٧٦٥١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٠٩).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٦٦٥).

(٣) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٥/ ٣٨٠): الحديث معروف، وقد=

وروى عبد الرزاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وغيرهم عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: ما كان ذو الكفل نبياً، ولكنه كان في بني إسرائيل رجل صالح يصلي كل يوم مئة صلاة، فتوفي فتكفل له ذو الكفل من بعده، فكان يصلي كل يوم مئة صلاة، فسمي ذا الكفل[1].

روى ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾[ص: ٤٨]؛ قال: رجل صالح غير نبي، تكفل لنبي قومه أن يكفيه أمر قومه، ويقيمهم له، ويقضي بينهم بالعدل، فسمي ذا الكفل[2].

وقال بعض العلماء: سمي ذا الكفل لأنه تكفل بأن لا يغضب، فامتحنه الشيطان، فلم يغضب، ووفى بما كفل.

وروى المفسرون، وابن أبي الدنيا في ذلك آثاراً[3].

= ذكرته في «الحدائق» فجعله الثعلبي أحد الوجوه في بيان ذي الكفل، وهذا غلط لأن ذلك اسمه الكفل، والمذكور في القرآن يقال له: ذو الكفل، ولأن الكفل مات في ليلته التي تاب فيها، فلم يمض عليه زمان طويل يعالج فيه الصبر عن الخطايا، وإذا قلنا: إنه نبي، فإن الأنبياء معصومون عن مثل هذا الحال. وذكرت هذا لشيخنا أبي الفضل ابن ناصر رحمه الله تعالى فوافقني وقال: ليس هذا بذاك.

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٢٧)، والطبري في «التفسير» (١٧/ ٧٥).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٧/ ٧٤). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٦٦١).

(٣) انظر: «مكائد الشيطان» لابن أبي الدنيا (٥١)، و«تفسير الطبري» =

وهذا الفصل يغني عن عقد باب، أو فصل مستقل في التشبه بذي الكفل لأنه في جملة الصديقين والأخيار.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[البينة: ٧ ـ ٨].

قالت عائشة رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله! من أكرم الخلق على الله؟ قال: «يا عائِشَةُ! ما تَقْرَئِينَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[البينة: ٧]؟». رواه ابن مردويه(١).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: أتعجبون من منزلة الملائكة عند الله؟ والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من منزلة ملك، واقرؤوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[البينة: ٧]. رواه ابن أبي حاتم(٢).

استنبط أبو هريرة رضي الله عنه من الآية تفضيل أخيار بني آدم على الملائكة، أو على بعضهم من هذه الآية؛ لأنها في سياق التقسيم بين المؤمنين وأنهم خير البرية، والمشركين وأنهم شرُّ البرية، ولا يكون القسمان موجودين إلا في الثقلين، فأمَّا الملائكة فتمحضوا للإيمان، وأما الشياطين

= (١٧/ ٧٤)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٣٠٠).

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٥٨٩).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٤٥٤).

فتمحضوا للشرك.

وهذه الآية قاضية بأنَّ خيار الناس والخلق أهل الإيمان والعمل الصالح، إلا أنَّ ثمَّ أخباراً وآثاراً ناصَّةً على أن خيار الناس ذوو أعمال خاصة، وقد أحببت أن أورد منها هنا جملة صالحة لمناسبتها لهذا المقام.

فروى الإمام أحمد، والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَفْضَلُ العِبَادِ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ الذَّاكِرُوْن اللهَ كَثِيْرَاً»(١).

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد في «الزهد» عن ابن عباس ﷺ قال: قال موسى عليه السلام: أي ربِّ! أيُّ عبادك أحبُّ إليك؟ قال: أكثرهم لي ذكراً، قال: أي ربِّ! أيُّ عبادك أغنى؟ قال: الراضي بما أعطيته، قال: أي ربِّ! أيُّ عبادك أحكم؟ قال: الذي يحكم على نفسه ما يحكم على الناس(٢).

وروى الإمام أحمد عن أبي عمرو الشيباني رحمه الله تعالى قال:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٧٥)، والترمذي (٣٣٧٦)، ولفظهما: أن رسول الله ﷺ سئل: أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات». قالوا: يا رسول الله! ومن الغازي في سبيل الله؟ فقال: «لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً في سبيل الله، لكان الذاكرون الله أفضل منه درجة».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٨٦)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٨٧).

سأل موسى عليه السلام ربه ﷻ: أيُّ عبادك أحبُّ إليك؟ قال: أكثرهم لي ذكراً، قال: فأي عبادك أغنى؟ قال: أقنعهم بما أعطيته، قال: أي عبادك أعدل؟ قال: من دان نفسه(١).

وروى آدم بن [أبي] إياس عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ موسى عليه السلام قال: أي ربِّ! أيُّ عبادك أتقى؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني، قال: ربِّ! أيُّ عبادك أغنى؟ قال: الذي يقنع بما يؤتى، قال: ربِّ! أي عبادك أفضل؟ قال: الذي يقضي بالحق، ولا يتبع الهوى، قال: ربِّ! أي عبادك أعلم؟ قال: الذي يطلب علم الناس إلى علمه لعله يسمع كلمة تدله على هدى، أو ترده عن ردى، قال: ربِّ! أي عبادك أحب إليك عملاً؟ قال: الذي لا يكذب لسانه، ولا يزني فرجه، ولا يفجر قلبه، قال: ربِّ! ثم أي على أثر هذا؟ قال: قلب مؤمن في خلق حسن.

قال: ربِّ! أي عبادك أبغض إليك؟ قال: قلب كافر في خلق سيء، قال: ثم أي على أثر هذا؟ قال: جيفة بالليل، بطَّال بالنهار(٢).

وفي كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات: ١٣].

وروى البخاري في «الأدب المفرد» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما تعدون الكرم وقد بيَّن الله الكرم؟ فأكرمكم عند الله أتقاكم، وما تعدون

---

(١) ورواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص: ٨١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١٣٩).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٥٤٠).

الحسب؟ أفضلُكم حسباً أحسنُكم خلقاً[1].

وروى في «الصحيح» هو، والنسائي عن أبي هريرة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أكرم؟ قال: «أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاهُمْ»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوْسُفُ نَبِيُّ اللهِ بنُ يَعْقُوْبَ نَبِيِّ اللهِ بْنِ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلِ اللهِ»، قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: «فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُوْنِي؟» قالوا: نعم، قال: «خِيَارُهُم فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُم فِي الإِسْلامِ إِذَا فَقُهُوْا»[2].

وروى الحافظ عبد الغني عن زر بن حبيش رحمه الله: أنَّ ابن مسعود ﷺ قال يوماً لابن أخيه: يا ابن أخي! ترى الناس ما أكثرهم؟ قال: نعم، قال: لا خير فيهم إلا تائب أو تقي.

ثم قال: يا ابن أخي! ترى الناس ما أكثرهم؟ قال: نعم، قال: لا خير فيهم إلا عالم أو متعلم[3].

وروى الحكيم الترمذي عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُكُمُ الَّذِيْنَ إِذَا رُؤُوْا ذُكِرَ اللهُ تَعَالَى لِرُؤْيَتِهِم».

وروى الإمام أحمد، وابن ماجه عن أسماء بنت يزيد رضي الله

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٨٩٩).

(٢) رواه البخاري (٤٤١٢) واللفظ له، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٤٩)، وكذا رواه مسلم (٢٣٧٨).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (١/ ١٦١).

عنها: أنه ﷺ قال: «أَلا أُخبِرُكُم بِخِيَارِكُمْ؟ خِيَارُكُمُ الَّذِيْنَ إِذَا رُؤُوْا ذُكِرَ اللهُ»[1].

وروى أبو نعيم، والخطيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خِيَارُ أُمَّتِي عُلَمَاؤُهَا، وخِيَارُ عُلَمَائِهَا فُقَهَاؤُهَا[2]، أَلا وإِنَّ اللهَ لَيَغْفِرُ لِلعَالِمِ أَرْبَعِيْنَ ذَنْباً قَبْلَ أَنْ يَغْفِرَ لِلجَاهِلِ ذَنْباً وَاحِداً، أَلا وَإِنَّ العَالِمَ الرَّحِيْمَ يَجِيْءُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَإِنَّ نُوْرَهُ قَدْ أَضَاءَ يَمْشِي فِيْهِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، كَمَا يُضِيءُ الكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ»[3].

وروى ابن النجار عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خِيَارُ أُمَّتِي مِن دَعَا إِلَى اللهِ، وحَبَّبَ عِبَادَهُ إِلَيْهِ».

ورواه أبو نعيم، ولفظه: «إِنَّ أَخْيَارَ الصِّدِّيقِينَ مَنْ دَعَا إِلَى اللهِ، وَحَبَّبَ عَبَادَهُ إِلَيْهِ، وَمِنْ شَرِّ الفُجَّارِ مَنْ كَثُرَتْ أَيْمَانُهُ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»[4].

وروى أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خِيَارُ أُمَّتِي

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥٩)، وابن ماجه (٤١١٩).

(٢) في «تاريخ بغداد»: «رحماؤها»، وفي «حلية الأولياء»: «خيارها» بدل «فقهاؤها».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٨٨)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١/ ٢٣٨) وقال: حديث منكر.

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٤٣).

مَنْ دَعَا إِلَى اللهِ، وحَبَّبَ عِبَادَهُ إِلَيْهِ».

وروى أبو يعلى عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الأَجْوَدِ؟ اللهُ الأَجْوَدُ، وأَنَا أَجْوَدُ وَلَدِ آدَمَ، وأَجْوَدُهُمْ مِنْ بَعْدِيْ رَجُلٌ عَلِمَ عِلْمَاً فَنَشَرَ عِلْمَهُ؛ يَبْعَثُهُ اللهُ تَعَالَى أُمَّةً وَحْدَهُ، وَرَجُلٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ فِي سَبِيْلِ اللهِ حَتَّى يُقْتَلَ»(١).

وروى الحكيم الترمذي عن عبدالله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خِيَارُكُمْ مَن ذَكَّرَكُمْ بِاللهِ رُؤْيَتُهُ، وَزادَ فِيْ عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، ورَغَّبَكُمْ فِي الآخِرَةِ عَمَلُهُ»(٢).

ورواه هو وعبد بن حميد، والخرائطي عن ابن عباس ﷺ بلفظ: «خَيْرُ جُلَسَائِكُم»(٣).

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الإخوان» عن الحسن مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الأَصْحَابِ صَاحِبٌ إِذَا ذَكَرْتَ اللهَ أَعَانَكَ، وإِذَا

---

(١) رواه أبو يعلى في «المسند» (٢٧٩٠). وفيه محمد بن إبراهيم كان يضع الحديث، وأيوب بن ذكوان، وهو منكر الحديث، لا يتابع على روايته. انظر: «المجروحين» لابن حبان (١/ ١٦٨)، و(٢/ ٣٠١).

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٣٩).

(٣) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٣٩)، وكذا ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ١٧)، وأبو يعلى في «المسند» (٢٤٣٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٦): رواه أبو يعلى، وفيه مبارك بن حسان، وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح.

نَسِيْتَ ذَكَّرَكَ؛ خِيَارُهُمُ الَّذِيْنَ إِذَا رُؤُوْا ذُكِرَ اللهُ»[1].

وروى الإمام أحمد، والترمذي وحسَّنه، وابن حبان، والحاكم وصححاه، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «الشعب» عن عبدالله ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُم لِصَاحِبِهِ، وخَيْرُ الْجِيْرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُم لِجَارِهِ»[2].

وروى الإمام أحمد، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «الشعب» عن دُرَّة بنت أبي لهب رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ أَقْرَؤُهُم، وأَفْقَهُهُم فِي دِيْنِ اللهِ، وأَتْقَاهُم للهِ، وآمَرُهُم بِالْمَعْرُوْفِ، وأَنْهَاهُم عَنِ الْمُنْكَرِ، وأَوْصَلُهُم للرَّحِمِ»[3].

وروى البخاري، والترمذي عن علي رضي الله عنه، والإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والإمام مالك، وابن ماجه عن عثمان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ»[4].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الإخوان» (ص: ٩٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٧)، والترمذي (١٩٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٥١٨)، والحاكم في «المستدرك» (١٦٢٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٤١).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٣٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٢٥٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٩٥٠).

(٤) رواه الترمذي (٢٩٠٩) عن علي رضي الله عنه.

ورواه البخاري (٤٧٣٩)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٦٩)، وأبو داود=

قال أبو عبد الرحمن ـ يعني: السلمي الراوي عن عثمان ـ: فذاك الذي أقعدني مقعدي هذا؛ وعلم القرآن في زمان عثمان حتى بلغ الحجاج[1].

ورواه ابن ماجه عن سعد، ولفظه: «خِيارُكُمْ»[2].

وروى الطبراني في «الكبير»، وابن الضُّرِّيس، وابن مردويه عن ابن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُم ـ وفي رواية: خِيَارُكُم ـ مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ وأَقْرَأَهُ»[3].

وروى البيهقي في «الشعب» عن أبي أمامة ﷺ زاد فيه: «إِنَّ لِحَامِلِ

= (١٤٥٢)، والترمذي (٢٩٠٧)، وأبو داود الطيالسي في «المسند» (٧٣)، وابن ماجه (٢١١) عن عثمان ﷺ.

قلت: تقدم مراراً عزو المصنف رحمه الله بعض الأحاديث إلى الإمام مالك في «الموطأ»، وهو وهم؛ إذ هو ينقل عن السيوطي في «الجامع» وغيره، ومعلوم أن السيوطي يرمز لأصحاب التخريج، وعنده أن: «ط» للطيالسي، فوهل المصنف عن هذا وظنه الإمام مالك في «الموطأ»، فتكرر هذا مرات عدة، والله أعلم.

وقد تبع المصنفُ السيوطي في عزوه هذا الحديث إلى البخاري عن علي، وإنما هو عن عثمان ﷺ.

(١) رواه الترمذي (٢٩٠٧).

(٢) رواه ابن ماجه (٢١٣).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ١٦١).

الْقُرْآنِ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً يَدْعُوْ بِهَا فَيُسْتَجَابُ لَهُ»[1].

وروى مسلم عن أبي هريـرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ؛ خَيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُم فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوْا»[2].

وفي هذا الحديـث اعتبـار التفضيل بالنسـب والعلم، فإذا انفـردا فالتقديم بالعلم.

وروى الدارمي عن الأحوص بن حكيم، عن أبيه ﷺ قال: سأل رجل رسول الله ﷺ عن الشر؟ فقال: «لا تَسْأَلُوْنِي عَن الشَّرِّ، وسَلَوْنِي عَن الْخَيْرِ» ـ يقولها ثلاثاً ـ ثم قال: «أَلا إِنَّ شِرَارَ الشَّرِّ شِرَارُ العُلَمَاءِ، وإِنَّ خَيْرَ الْخَيْرِ خِيَارُ العُلَمَاءِ»[3].

وروى سيـدي الشيـخ نصـر المقـدسي في كـتـاب «الحجـة» عن جابـر ﷺ: أن النبي ﷺ قال في حـديـث: «وخَيْـرُ أُمَّتِي العُـلَمَـاءُ، ثُمَّ الْمُتَعَلِّمُوْنَ، وطُوْبَى لِمَنْ حَدَّثَ حَدِيْثَـاً حَتَّى يَبْلُغَ فِيَّ، وإِنَّهَا حُجَّةٌ لَكُم عِنْدَ رَبِّكُم يَوْمَ القِيَامَةِ».

والمراد بالعلماء هنـا خيارهم، كما في حديـث حكيم، وإلا فإنَّ علماء السوء شر من الجهلاء.

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢١٢).

(٢) رواه مسلم (٢٦٣٨)، والبخاري (٣٣٠٤).

(٣) رواه الدرامي في «السنن» (٣٧٠) مرسلاً.

وذكر الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» عن محمد بن عيسى الزجاج قال: سمعت أبا عاصم ـ يعني: النبيل ـ يقول: من طلب هذا الحديث فقد طلب أعلى الأمور؛ فيجب أن يكون خير الناس[1].

وروى مسلم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الْمُسْلِمِيْنَ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ ويَدِهِ»[2].

وكان الشيخ العارف بالله سيدي علي بن ميمون المغربي رحمه الله تعالى يفهم أن (من) في الحديث المذكور للسببية؛ أي: من سلم المسلمون بلسانه بالتعليم، والتأديب، والنصيحة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبيده بالتأديب، والذب عن المسلمين في الجهاد، ودفع الصائل، وإزالة المنكر، وقيادة الأعمى، وتنحية الأذى عن الطريق، وغير ذلك.

وهذا الفهم في غاية اللطف، وإن كان خلاف المتبادر من الحديث.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي قلابة رحمه الله: أنه قيل للقمان عليه السلام: أي الناس أعلم؟ قال: من ازداد من علم الناس إلى علمه، قال: فأي الناس أغنى؟ قال: الذي يرضى بما يؤتى، قيل: فأي الناس خير؟ قال: المؤمن الغني، قال القوم: من المال؟ قال: لا، بل من العلم؛ فإن احتاجوا إليه وجدوا عنده علماً، وإن لم يحتج

---

(١) انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (١٣/ ٢٨٨). ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٤/ ٣٦٥).

(٢) رواه مسلم (٤٠)، وكذا البخاري (١٠).

الناس إليه أغنى نفسه[1].

وروى هو في «المسند»، والأئمة الستة غير أبي داود عن أبي سعيد ﷺ: أنَّ النبي ﷺ قال: «أَفْضَلُ النَّاسِ مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ فِي سَبِيْلِ اللهِ بِنَفْسِهِ ومَالِهِ، ثُمَّ مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِن الشِّعَابِ يَتَّقِي اللهَ، ويَدَعُ النَّاسَ مِن شَرِّهِ»[2].

وروى البيهقي في «الشعب» عن أم مبشر رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ عَلَى مَتْنِ فَرَسٍ يُخِيْفُ العَدُوَّ وَيُخِيْفُوْنَهُ»[3]؛ أي: في سبيل الله.

وروى الإمام أحمد، والطبراني في «الكبير» عن أم مالك البَهَزِيَّة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ فِي الفِتْنَةِ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي مَالِهِ يَعْبُدُ رَبَّهُ، ويُؤَدِّي حَقَّهُ، ورُجلٌ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ فِي سَبِيْلِ اللهِ يُخِيْفُ العَدُوَّ، ويُخِيْفُوْنَهُ»[4].

وروى الحاكم في «المستدرك» نحوه عن ابن عباس ﷺ[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٠٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٦)، والبخاري (٢٦٣٤)، ومسلم (١٨٨٨)، والترمذي (١٦٦٠)، والنسائي (٣١٠٥)، وابن ماجه (٣٩٧٨).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٩١).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤١٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥/ ١٥٠). وكذا رواه الترمذي (٢١٧٧) وحسنه.

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٣٨٠).

وروى أبو نعيم عن معاذ ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أَحَبُّ العِبَادِ إِلَى اللهِ تَعَالَى الأَتْقِيَاءُ الأَخْفِيَاءُ؛ الَّذِيْنَ إِذَا غَابُوْا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وإِذَا شَهِدُوْا لَمْ يُعْرَفُوْا، وأُولَئِكَ أَئِمَّةُ الْهُدَى، ومَصَابِيْحُ العِلْمِ»(١).

وعن عبدالله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الْمُسْلِمِيْنَ إِسْلاماً مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُوْنَ مِن لِسَانِهِ ويَدِهِ، وأَفْضَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ إِيْمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وأَفْضَلُ الْمُهَاجِرِيْنَ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، وأَفْضَلُ الْمُجَاهِدِيْنَ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللهِ».

وروى البخاري في «أدبه»، والترمذي، وابن ماجه عن ابن عمر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، ويَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُم، خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لا يُخَالِطُ النَّاسَ، ولا يَصبِرُ عَلَى أَذَاهُم»(٢).

وروى الإمام أحمد، والشيخان، وأبو داود، والترمذي عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ، فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا، وخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ»(٣).

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٥)، وكذا ابن ماجه (٣٩٨٩).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٨)، والترمذي (٢٥٠٧)، وابن ماجه (٤٠٣٢).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤١٦)، والبخاري (٥٨٨٣)، ومسلم (٢٥٦٠)، وأبو داود (٤٩١١)، والترمذي (١٩٣٢).

وسبق حديث أبي أمامة: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالله مَن بَدَأَهُم بِالسَّلامِ»[1].

وروى الطبراني عن أسامة بن شريك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ عِبَادِ اللهِ إِلَى اللهِ أَحْسَنُهُم خُلُقاً»[2].

وروى ابن ماجه، والحاكم في «المستدرك» عن عبدالله بن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ أَحْسَنُهُم خُلُقاً»[3].

وروى البخاري في «الأدب» عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُم إِسْلاماً أَحَاسِنُكُم أَخْلاقاً إِذَا فَقُهُوْا»[4].

وروى الطبراني في «الكبير» عن ابن عمر ﵄، عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ أَحْسَنُهُم خُلُقاً»[5].

وروى أبو نعيم عن يزيد بن ميسرة رحمه الله قال: كان المسيح عليه السلام يقول: إن أحببتم أن تكونوا أصفياء الله، ونور بني آدم فاعفوا عن من ظلمكم، وعودوا من لا يعودكم، وأقرضوا من لا يقرضكم،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٧١).

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٨٦٢٣).

(٤) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٨٥)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٦٩).

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٣٢٦)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٥): فيه من لم يوثق من رجال الكتب.

وأحسنوا إلى من لا يحسن إليكم[1].

وروى الإمام أحمد، والبزار عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خِيَارُكُم أَطْوَلُكُم أَعْمَاراً، وأَحْسَنُكُم أَخْلاقاً»[2].

وروى الحاكم في «المستدرك» عن جابر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «خِيَارُكُم أَطْوَلُكُم أَعْمَاراً، وأَحْسَنُكُم أَعْمَالاً»[3].

وفي كتاب الله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك: ١ ـ ٢].

قال السدي في الآية: أيكم أكثر للموت ذكراً، وله أحسن استعدادا، ومنه أشد خوفاً وحذراً. رواه أبن ابي الدنيا في «الموت»، والبيهقي في «شعب الإيمان»[4].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الكهف: ٧].

قال قتادة في الآية: لنختبرهم أيهم أتم عملاً.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٣٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٠٣)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٢): رواه البزار، وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٢٥٥).

(٤) رواه ابن ابي الدنيا في «الموت» (ص: ١٠٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٧٨٨).

وقال الحسن: أشدهم للدنيا تركاً.

وقال سفيان: أزهدهم في الدنيا. رواها ابن أبي حاتم[1].

فسر قتادة العمل بالباعث عليه وهو تمام العقل، وفسره الحسن وسفيان بما يعين على العمل وهو الزهد، وترك الدنيا كأنهم يشيرون إلى أن العمل المعتد بحسنه ما كان ناشئاً عن العقل التام غير مشوب بمطلوب دنيوي، وكلما كان عقل العامل أتم، وإخلاصه أبلغ كان أحسن.

وحسن العمل هو ما يحبه الله من العباد، وإنما خلق زينة الدنيا وامتحن الخلق بها، وخلق الموت منغصاً والحياة جميلة؛ ليظهر تفاوت العباد في العبادة والعمل الصالح، فاستظهار الأخيار، وتمييز الخيار هو مقصود الله تعالى من الخلق.

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم في «تاريخه» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، فقلت: ما معنى ذلك يا رسول الله؟ قال: «لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَقْلاً، وأَوْرَعُ عَن مَحَارِمِ اللهِ، وأَسْرَعُ فِي طَاعَةِ اللهِ عز وجل»[2].

وأقول ملمحاً بما سبق: [من السريع]

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٦١).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٢/ ٥)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ٢٠٠٦).

أَحْـــسِنْ فَـــإِنَّ اللهَ مَطْلُوْبُـــهُ
مِـنْ خَلْـقِ هَـذا الْخَلْـقِ أَنْ يُحْـسِنُوْا
وَكُلَّمـــا أَحْـــسَنْتَ فِـــيْ طاعَـــةٍ
مِمَّـــا يُجازِيْـــكَ بِـــهِ أَحْـــسَنُ
وَالْعُمْـــرُ إِنْ طـــالَ عَلَـــىْ مُحْـسِنٍ
فَالْفَـــضْلُ فِيْـــهِ ظـــاهِرٌ بَـــيِّنُ
وَإِنْ يَطُـــلْ عُمْـــرُ مُـــسِيْءٍ فَـــلا
تَعْبَـــأْ بِـــهِ إِذْ حالُـــهُ تُحْـــزِنُ
لَـــوْ يَمْلِـــكُ الـــدُّنْيا بِأَطْرافِهـــا
مِـــنْ كُـــلِّ شَـــيْءٍ حَـــسَنٍ يُمْكِـــنُ
فَإِنَّمـــا عُقْبـــاهُ سُـــوْءٌ بِمـــا
دانَ يُـــدانُ الْعَبْـــدُ لا يُغْـــبَنُ
يَحْـــصُدُ مـــا يَـــزْرَعُ، يَكْتـــالُ مـــا
كـــالَ وَيَـــسْتَوْفِيْ كَمـــا يَخْـــزِنُ

وروى الإمام أحمد، والترمذي وحسنه، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «الشعب» عن عبدالله بن بُسْر ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وحَسُنَ عَمَلُهُ»(١).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٩٠)، والترمذي (٢٣٢٩) وحسنه، =

و[رووه][1] والحاكم، وصححه هو، والترمذي، عن أبي بكرة ﷺ بزيادة: «وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ طالَ عُمُرُهُ وَساءَ عَمَلُهُ»[2].

وروى الديلمي عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ الْمُؤْمِنُ الْمُعَمَّرُ».

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد عن طلحة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ أَحَدٌ عِنْدَ اللهِ أَفْضَلُ مِن مُعَمَّرٍ[3] يُعَمَّرُ فِي الإِسْلامِ لِتَهْلِيْلِهِ، وتَكْبِيْرِه، وَتَسْبِيْحِهِ، وتَحْمِيْدِهِ»[4].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن وهب بن منبه رحمه الله قال: قال: داود عليه السلام: رب! أي عبادك أحب إليك؟ فقال: مؤمن حسن الصورة[5]، قال: فأي عبادك أبغض إليك؟ قال: كافر حسن الصورة؛

= والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٢٦٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٥).

(١) غير واضح في «م»، والمثبت من «ت».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٠)، والترمذي (٢٣٣٠) وصححه، والحاكم (١٢٥٦).

(٣) عند الإمام أحمد: «مؤمن» بدل «معمر».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٢٣)، والإمام أحمـد في «المسند» (١/ ١٦٣).

(٥) في «حلية الأولياء»: «الصلاة» بدل «الصورة».

شكر هذا، وكفر هذا، قال: رب! أي عبادك أبغض إليك بعد هذا؟ قال: عبد استخارني في أمر فخرت له، فلم يرض به[1].

*** فائِدَةٌ:**

وفي قوله: «شكر هذا وكفر هذا» إشارة إلى أنه أراد بالكافر كافر النعمة، فيدخل فيه الفاسق، فبطل ما قد يزخرفه الشيطان لأهل الخذلان من الاحتجاج بمثل هذا الأثر على استحسان اللمح إلى المـرد الحسان والنظر، وكذلك الجميل الصورة إذا كان بالغاً، ورضي بمعاشرة الرجال، لذلك كان من أبغض خلق الله تعالى إليه؛ لأنه كفر نعمة الجمال، بل كل من مكن من الاستمتاع بجماله من لا يحل له الاستمتاع به من أمرد بالغ، أو امرأة، كافرٌ لهذه النعمة، غيرُ شاكرٍ لها.

ومن لطيف ما اتفق لي مع بعض خطباء العصر، وعلماء الوقت: أن ذُكِرَ له وأنا حاضر ما يفعله الفسقة من حمل المرد على الشرب من آنية القهوة البنية، ثم يشربون عقب الأمرد ويسمونـه زمزمـة، فأنكرت ذلك، فاعتـرضني الخطيب، وقال لي متعجباً: يا مولانا الشيخ! «سؤر المؤمن شفاء»[2]، فلم أزده في الجواب على أن قلت له: وأين المؤمن؟ فحملت المؤمن في هذا اللفظ على تقدير أنه حديث على أن المراد بـه الكامل الإيمان.

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٥٥).

(٢) قال الشيخ أحمد الغزي في «الجد الحثيث» (ص: ١١٦): ليس بحديث.

وروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها، والطبراني في «الكبير»، وأبو نعيم عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه؛ كلاهما عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللهِ الْمُوَفُّوْنَ الْمُطَيَّبُوْنَ»[1].

وقوله: «الموفون» جمع موفى ـ بضم الميم وفتح الواو مع التشديد، وبإسكان الواو مع التخفيف، والأول أولى ـ: وهو من اتبع ملة إبراهيم حنيفاً حيث وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[النجم: ٣٧].

قال ابن عباس: سهام الإسلام ثلاثون سهماً، لم يتمها[2] أحد قبل إبراهيم؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[النجم: ٣٧]. رواه الحاكم وصححه، وابن مردويه[3].

وفي رواية له قال: وفى بسهام الإسلام كلها، ولم يوفها أحد غيره ـ يعني: قبله ـ قال: وهي ثلاثون سهماً؛ عشرة في براءة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾[التوبة: ١١١] الآيات كلها.

وعشرة في الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾[الأحزاب: ٣٥] الآيات كلها.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٦٨) عن عائشة رضي الله عنها، والطبراني في «المعجم الصغير» (١٠٤٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٩٠) عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

(٢) في «المستدرك»: «يتممها» بدل «يتمها».

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٧٥٣).

وستة في: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[المؤمنون: ١] من أولها الآيات كلها.

وأربعة في ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾[المعارج: ١]، و﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾[المعارج: ٢٦ ـ ٢٧] الآيات كلها، فذلك ثلاثون سهماً؛ فمن وافى الله بسهم منها فقد وافاه بسهم من سهام الإسلام، ولم يوافه بسهام الإسلام كلها إلا إبراهيم عليه السلام؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[النجم: ٣٧][(١)].

فالموفون هم الذين اجتمعت فيهم هذه الخصال، وهم المطيبون ـ بفتح الياء المثناة تحت ـ من طيبه: إذا زكاه؛ أي: المزكون في ألسنة الناس كما زكَّى الله تعالى إبراهيم عليه السلام في ألسنة الناس، وأشار إلى ذلك بقوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾[الشعراء: ٨٤].

قال مجاهد: يعني الثناء الحسن. رواه ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، وغيرهما[(٢)].

فهؤلاء لما كانوا على قدم إبراهيم عليه السلام، فوفوا بما وفى كما وفى، زكَّاهم الله تعالى على ألسنة الناس كما زكاه، وكانوا خيار الناس.

كما روى الإمام أحمد، وابن ماجه، والدارقطني في «الأفراد»، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي، وغيرهم عن أبي زهير الثقفي رضي الله عنه قال:

---

(١) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٦٠) إلى ابن مردويه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٧٨١).

خطبنا رسول الله ﷺ بالبناء، أو البناوة ـ قال: والبناوة في الطائف ـ قال: «يُوْشِكُ أَنْ تَعْرِفُوْا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِن أَهْلِ النَّارِ، وخِيَارَكُم مِن شِرَارِكُم»، قالوا: بم ذاك يا رسول الله؟ قال: «بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ، والثَّنَاءِ السَّيِّءِ؛ أَنْتُم شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ بَعْضُكُم عَلَى بَعْضٍ»[1].

وروى الإمام أحمد، والطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود ﷺ، وابن ماجه عنه قال: قال رجل: يا رسول الله! كيف لي أن أعلم إذا أحسنت، أو أسأت؟ قال النبي ﷺ: «إِذَا سَمِعْتَ جِيْرَانَكَ يَقُوْلُوْنَ أَنْ قَدْ أَحْسَنْتَ فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وإِذا سَمِعْتَهُم يَقُوْلُوْنَ: قَدْ أَسَأْتَ فَقَدْ أَسَأْتَ»[2].

وعن كُلثوم الخزاعي[3]، ولفظه: قال ﷺ: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله! كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أني قد أحسنت، وإذا أسأت أني قد أسأت؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَالَ جِيْرَانُكَ: إِنَّكَ أَحْسَنْتَ فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَإِذَا قَالُوْا: قَدْ أَسَأْتَ فَقَدْ أَسَأْتَ»[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤١٦)، وابن ماجه (٤٢٢٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٧٨)، ، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٢٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٣٣)، وابن ماجه (٤٢٢٣).

(٣) وهو مختلف في صحبته. قال ابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/ ٥٢١): ذُكر في الصحابة، ولا يصح.

(٤) رواه ابن ماجه (٤٢٢٢) عن كلثوم الخزاعي.

واللفظ الأول كان يدل على أن شرط ذلك سماع المشهود له بالإحسان أو بالإساءة، وأما اللفظ الثاني فإنه يدل على أن مجرد شهادة الجيران تكفي، سواء سمع أم لا، وهو كذلك.

والمراد معظم الجيران، أو خيارهم وأتقياؤهم.

وقد سبق عن سفيان: أنَّ الرجل إذا أثنى عليه كل جيرانه كان غير مرضي، ووجهه: أنه يمالىء كل واحد منهم على ما يكون عليه من حَسَن أو قبيح، فلو أنكر على من يقع منه المنكر منهم لغضب منه، فلم يتفقوا على الثناء عليه.

وروى الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح، عن أبي سعيد ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ رَجُلٌ سَمْحُ البَيْعِ، سَمْحُ الشِّرَاءِ، سَمْحُ القَضَاءِ، سَمْحُ الاقْتِضَاءِ»(١).

وروى الشيخان، وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ: أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ له، فهمَّ به أصحابه، فقال رسول الله: «دَعُوْهُ؛ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالاً»، ثم قال: «أَعْطُوْهُ سِنّاً مِثْلَ سِنِّهِ»، قالوا: يا رسول الله! لا نجد إلا أمثلَ من سنه، قال: «أَعْطُوْهُ؛ فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنَكُم قَضَاءً»(٢).

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٥٤٤). وروى نحوه الترمذي (١٣١٩) عن أبي هريرة ﷺ، ولفظه: «إن الله يحب سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء».

(٢) رواه البخاري (٢١٨٣)، ومسلم (١٦٠١).

وقد روي هذا الحديث من طرق، وبألفاظ.

وفي بعض ألفاظه: «إِنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً»[1].

وقال شيخ الإسلام والدي ﷺ عاقداً لهذا الحديث، مورِّياً بالقضاء بمعنى الحكم، وهو فهم لطيف كما تقدم نظيره عن ابن ميمون ﷺ: [من الوافر]

حَكَمْتَ فَلَمْ تَجُرْ فِيْ الْحُكْمِ يَوْماً
وَقَدْ أَحْسَنْتَ فِيْ الْقَرْضِ الأَدَاءَ
فَأَنْتَ مِنَ الْخِيَارِ فَقَدْ رَوَيْنَا
خِيَارُ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءَ

وقلت في حاكم جائر من شأنه الجحود والمطل بالحقوق: [من الوافر]

حَكَمْتَ فَجُرْتَ ثُمَّ جَحَدْتَ حَقًّا
وَلَمْ تُحْسِنْ عَنِ الْقَرْضِ الأَدَاءَ
فَأَنْتَ مِنَ الشِّرَارِ لأَنَّ جَوْراً
وَجَحْداً شَرُّ مَا فِيْ الْمَرْءِ جَاءَ
وَمَفْهُوْمُ الْحَدِيْثِ كَمَا عَلِمْنَا
شِرَارُ النَّاسِ أَسْوَؤُهُمْ قَضَاءَ

---

(١) رواه البخاري (٢٢٦٢).

وروى الطبراني في «الأوسط» عن علي ﷺ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «خِيَارُ أُمَّتِيْ أَحِدَّاؤُهُمْ؛ الذِيْنَ إِذا غَضِبُوْا رَجَعُوْا»[1].

وفي «الكبير» عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الْحِدَّةُ تَعْتَرِي خِيَارَ أُمَتِي»[2].

وروى الديلمي عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الْحِدَّةُ لا تَكُوْنُ إلا فِي صَالِحِيْ أُمَّتِي وَأَبْرَارِهَا، ثُمَّ تَفِيْءُ»؛ أَي: ترجع[3].

وروى ابن عدي عن معاذ بن جبل ﷺ: أن النبي قال: «الْحِدَّةُ تَعْتَرِيْ حَمَلَةَ[4] القُرْآنِ لِغَيْرَةِ[5] القُرْآنِ فِيْ أَجْوافِهِمْ»[6].

وقد تقدم أن حملة القرآن خيار الناس.

والحدة دون سوء الخلق، والفرق بين سوء الخلق والحدة: أن سوء

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٧٩٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٦): فيه يغنم بن سالم بن قنبر، وهو كذاب.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٧١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٦): فيه سلام بن مسلم الطويل، وهو متروك.

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٧٧٥).

(٤) في «الكامل»: «جُمَّاع» بدل «حملة».

(٥) في «الكامل»: «لقوة» بدل «لغيرة»، وفي بعض الكتب: «لعزة».

(٦) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ٦٦) من طريق أبي البختري وهب بن وهب، ثم قال: وهو ممن يضع الحديث.

الخلق لا يسلم صاحبه من الإثم بخلاف الحدة؛ فإنَّه يرجع قبل أن يدركه الإثم، كما قال ﷺ في حديث علي: «الَّذِيْنَ إِذَا غَضِبُوْا رَجَعُوْا»، وفي حديث معاذ: «ثُمَّ تَفِيْءُ»؛ أي: ترجع قبل أن يدركها الإثم.

وفي «القاموس» تفسير الحد والحدة بالنزق، ثم فسر النزق بالطيش والخفة[1]، ولعلهما طيش وخفة مخصوصان بحال الغضب.

لكن يرشد حال المحتد بخلاف سيىء الخلق؛ فإنه يعبِّر على حاله وينتقل من الخفة إلى التهور.

ومن ثم قال النبي ﷺ: «سُوْءُ الخُلُقِ شُؤْمٌ». رواه أبو حفص بن شاهين في «أفراده» عن ابن عمر رضي الله عنهما، والخطيب عن عائشة رضي الله عنها، وزاد فيه: «وَشِرَارُكُمْ أَسْوَؤُكُمْ خُلُقَاً»[2].

وروى الإمام أحمد ورواته رواة الصحيح، والطبراني، وابن حبان في «صحيحه» عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الآخِرَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقَاً، وإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الآخِرَةِ أَسْوَؤُكُمْ أَخْلاقَاً»، الحديث[3].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٣٥٢) (مادة: حدد).

(٢) رواه ابن شاهين في «أفراده» (١/ ٧) عن ابن عمر رضي الله عنه.

ورواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤/ ٢٧٦) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٩٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٢٢١)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٥٥٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢١): رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح.

وهو وما قبله مع حديثي ابن عباس وأنس السابقين في الحدة: يدل على أن بينهما فرقاً، والفرق هو ما ذكرناه؛ لأن المحتد يرجع آخراً عما هم به أو وقع فيه بخلاف سيىء الخلق، كما وقع بيان ذلك فيما رواه الأصبهاني في «الترغيب» عن ميمون بن مهران رحمه الله ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ سُوْءِ الخُلُقِ، وذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَهُ لا يَخْرُجُ مِنْ ذَنْبٍ إِلا دَخَلَ فِيْ ذَنْبٍ»(١).

وروى الطبراني في «الصغير»، والأصبهاني بإسناد ضعيف، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ إِلا لَهُ تَوْبَةٌ إِلا صَاحِبَ سُوْءِ الخُلُقِ؛ فإِنَّه لا يَتُوْبُ مِنْ ذَنْبٍ إِلا عَادَ فِيْ شَرٍّ مِنْهُ»(٢).

وروى الطبراني في «الأوسط» عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِيْ الذِيْنَ إِذَا أَسَاؤُوا اسْتَغْفَرُوا، وإِذَا أَحْسَنُوْا اسْتَبْشَرُوا، وَإِذَا سَافَرُوا قَصَّرُوْا، وأَفْطَرُوْا»(٣)؛ يعني: أخذاً برخصة الله تعالى، وتيسيراً في الدين؛ لأن الدين يسر.

وعليه يحمل ما رواه ابن لال في «مكارم الأخلاق» عن عمر ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «أَفْضَلُ أُمَّتِيْ الذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ بِالرُّخَصِ»(٤).

---

(١) ورواه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (ص: ٨٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٥٥٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٥): فيه عمرو بن جميع، وهو كذاب.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥٥٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٥٧): فيه ابن لهيعة، وفيه كلام.

(٤) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (١٤٤٣).

أي: ولا يتحرجون في دينهم ولا يشادونه.

وليس المراد منه تتبع كل رخصة من كل مذهب؛ فإن هذا حرام، والطريق الموصلة إلى الله تعالى حسنة بين السيئتين، وقصد بين الإفراط والتفريط، وهما الطرفان اللذان قيل فيهما:

كــلا طرفــي قــصدِ الأمــورِ ذَمــيمُ[1]

وروى ابن السمعاني في «ذيل تاريخ بغداد» بسند ضعيف عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الأُمُوْرِ أَوْسَاطُهَا»[2].

وقد أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي قلابة، وهو والبيهقي عن مطرِّف، وابن جرير عنه، وعن يزيد بن مرة الجعفي من طريقهم[3].

وروى أبو داود عن سراقة بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

---

(١) رواه الخطابي في «العزلة» (ص: ٩٧ ـ ٩٨) من قول علي بن غنام. ثم أنشد الخطابي:

تسامح ولا تستوف حقك كله ... وأبق فلم يستوف قط كريم

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور ذميم

(٢) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٣٣٢): رواه ابن السمعاني في «ذيل تاريخ بغداد» بسند مجهول عن علي رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٨٦) عن أبي قلابة، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٦٠١) عن مطرف. وانظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٣٣٢). و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٥٢).

«خَيْرُكُمْ الْمُدَافِعُ عَنْ عَشِيْرَتِهِ مَا لَمْ يَأْثَمْ»[1].

وروى الخطيب عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ لَمْ يَتْرُكْ آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ، ولا دُنْيَاهُ لآخِرَتِهِ، ولَمْ يَكُنْ كَلاًّ عَلى النَّاسِ»[2].

قلت: فيه إشارة إلى أن العبد إذا اكتفى عن الناس ولم يكن كلاًّ على أحد منهم، فلا يضره في آخرته تناول دنياه، وإن كان ترك دنياه لآخرته أفضل إذا قدر على ذلك، واستقامت معه معيشته.

وعلى ذلك فقوله: «ولم يكن كلاًّ على الناس» جملة حالية من الضمير في قوله: «ولا دنياه لآخرته»، والواو للحال لا للعطف؛ فإنَّه لا كلام في تفضيل الزاهدين في الدنيا على الراغبين فيها، كما روى البيهقي في «الشعب» عن الحسن رحمه الله مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ أَزْهَدُكُمْ فِي الدُّنْيَا، وأَرْغَبُكُمْ فِي الآخِرَةِ»[3].

وروى الديلمي عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّكُم إِلى اللهِ أَقَلُّكُمْ طُعْمَاً وأَخَفُّكُمْ بَدَناً».

---

(١) رواه أبو داود (٥١٢٠) وقال: أيوب بن سويد ضعيف.

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤/ ٢٢١). وفيه يغنم بن سالم بن قنبر، قال ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١٤٥): شيخ يضع الحديث على أنس بن مالك ﷺ، روى عنه بنسخة موضوعة، لا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه، إلا على سبيل الاعتبار.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٢١).

وروى أبو حفص بن شاهين، وأبو موسى المديني عن الجذع رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ أُمَّتِيْ الذِيْنَ لَمْ يُعْطَوْا فَيَبطَرُوْا، ولَمْ يُمْنَعُوْا فَيَسْأَلُوْا».

وفي رواية: «ولَمْ يُقتَّرْ عَلَيْهِمْ فَيَسْأَلُوْا»(١).

أي: لم يعطوا من الدنيا ما يبطرهم فيبطروا، ولم يمنعوا مما يحتاجون إليه، ولم يضيق عليهم في معيشتهم فيسألوا، بل رزقهم كفاف، ومعيشتهم على قدر كفايتهم.

كما روى ابن أبي شيبة عن أبي الصَّهباء رحمه الله قال: طلبت المال من حلِّه فأعياني إلا رزق يوم بيوم، فقلت: إنه قد خير لي؛ فأيم الله! ما من عبد أتى برزق يوم بيوم فلم يظن أنه قد خير له إلا كان عاجزاً أو غبي الرأي(٢).

وروى الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ مُؤْمِنٌ فَقِيْرٌ يُعْطَى جُهْدَهُ»(٣).

وهو بفتح الجيم، وضمها، كما في «القاموس»؛ أي: طاقته(٤).

---

(١) ورواه المحاملي في «أماليه» (ص: ٤٠٦)، وذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» (ص: ٤٠٣) من طريق ابن شاهين.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٤٩٠).

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٨٩٣)، ورواه الطيالسي في «مسنده» (١٨٥٢) ولفظه: «أفضل الناس رجل يعطي جهده».

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٣٥١) (مادة: جهد).

فأما أنه يتكلف ما لا طاقة له به فليس هذا من شأن الأخيار؛ لما سبق أنَّ الأتقياء برآء من التكلف.

وروى الإمام أحمد، والترمذي وصححه عن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ وقف على ناس جلوس فقال: «أَلا أُخْبِرُكُم بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟» قال: فسكتوا، فقال ذلك ثلاث مرات، فقال رجل: بلى يا رسول الله أخبرنا بخيرنا من شرنا، قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ ويُؤْمَنُ شَرُّهُ، وشَرُّكُمْ مَنْ لا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلا يُؤْمَنُ شَرُّهُ»[1].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن سفيان بن عيينة رحمه الله قال: قيل للقمان: أي الناس خير؟ قال: المؤمن الذي إن احتيج إليه نفع، وإن استغني عنه اكتفى.

وعن الحسن رحمه الله ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ العِبَادِ إِلى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِه».

وروى القضاعي في «مسند الشهاب» عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ للنَّاسِ»[2].

وقال صاحبنا العلامة شهاب الدين أحمد بن أحمد بن أحمد بن بدر الطيبي إمام الجامع الأموي بدمشق، وابن إمامه تلميحاً بذلك مع قوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «واللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ، مَا كَانَ العَبْدُ فِي

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٧٨)، والترمذي (٢٢٦٣).

(٢) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٢٣٤).

عَوْنِ أَخِيْهِ»[1]، كما رواه مسلم، والأربعة: [من الطويل]

وَخَيْـــرُ عِبــادِ اللهِ أَنْفَعُهُــمْ لَــهُ
رَواهُ عَــنِ الأَثْبــاتِ كُــلُّ نَبــيْهِ
وَإِنَّ إِلَــهَ الْعَــرْشِ جَــلَّ جَلالُــهُ
يُعِــيْنُ الْفَتَــىْ مــا كــانَ عَــوْنَ أَخِيْــهِ

وروى الإمـام أحمـد، وأبـو يعـلى، والحـاكم وصححـه، عـن صهيب ﵁: أنَّ رسـول الله ﷺ قال: «خَيْـرُكُمْ مَنْ أَطْعَـمَ الطَّعَـامَ وردَّ السَّلامَ»[2].

وروى الديلمي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خِيَـارُ أُمَّتِي مَنْ يُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَلَيْسَ فِيْـهِ رِيَاءٌ وَلا سُمْعَـةٌ، ومَنْ أَطْعَمَ طَعَاماً فِيْـهِ رِيَاءٌ وسُمْعَةٌ جَعَلَهُ اللهُ تَعَالى نَاراً فِي بَطْنِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الحِسَاب»[3].

ومن شواهد هذا المعنى حديث عقبة بن عامر ﵁، عن النبي ﷺ قال: «لا خَيْـرَ فِيْ مَنْ لا يُضـيْف». رواه الإمـام أحمـد ورجالـه رجال

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه الإمام أحمـد في «المسنـد» (6/ 16)، والحاكم في «المستـدرك» (7739).

(3) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (2870).

الصحيح إلا ابن لهيعة، وقد اختلف فيه[1].

والمراد من يمتنع عن الضيافة بخلاً وشحاً.

وإذا نفى عنه الخير ثبت الخير لمن يطعم الطعام ويضيف الضيفان.

والضيافة وإكرام الضيف، وإطعام الطعام من أخلاق إبراهيم عليه السلام.

وروى أبو نعيم عن وهب: أنَّ الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: «هل تدري يا داود من أسرع مَرّاً على الصراط؟ الذين يرضون بحكمي وألسنتهم رطبة من ذكري، هل تدري يا داود أي المؤمنين أعظم منزلة عندي؟ الذي هو بما أعطى أشد فرحاً مما حبس، هل تدري أي الفقراء أفضل؟ الذين يرضون بحكمي وبقسمتي، ويحمدونني على ما أنعمت عليهم من المعاش، هل تدري أي المؤمنين أحب إلي أن أطيل حياته؟ الذي إذا قال: لا إله إلا الله اقشعرَّ جلده؛ فإني أكره لذلك الموت كما يكره الوالد لولده»[2].

وروى الترمذي، وابن حبان، والحاكم وصححاه، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْمَلُ المُؤْمِنِيْنَ إِيْمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِم»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٥٥).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٤٦).

(٣) رواه الترمذي (١١٦٢) وصححه، وابن حبان في «صحيحه» (٤١٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (١). وكذا رواه أبو داود (٤٦٨٢).

وروى الترمذي، والحاكم وصححاه، عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ المُؤْمِنِيْنَ إِيْمَانَاً أَحْسَنُهُمْ خُلُقَاً، وأَلطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ»[1].

والأهل: خاصة الرجل من زوجة، وولد، وقريب، وخادم.

وروى ابن حبان في «صحيحه» عن عائشة، وابن ماجه عن ابن عباس، والطبراني في «الكبير» عن معاوية ﵄، عن النبي ﷺ: أنَّهُ قال: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِيْ»[2].

وأخرجه ابن عساكر عن علي ﵁، وزاد فيه: «مَا أَكْرَمَ النِّسَاءَ إِلا كَرِيْمٌ، ولا أَهَانَهُنَّ إِلا لَئِيْمٌ»[3].

وأخرج الحاكم حديث ابن عباس، ولفظه: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِلنِّسَاءِ»[4].

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٢) وصححه، والحاكم في «المستدرك» (١٧٣).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤١٧٧)، وكذا رواه الترمذي (٣٨٩٥) وصححه عن عائشة رضي الله عنها.

ورواه ابن ماجه (١٩٧٧) عن ابن عباس ﵄.

وروى الطبراني الشطر الأول من الحديث في «المعجم الكبير» (٨٥٣) عن معاوية ﵁.

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ٣١٣)، وسنده ضعيف.

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٣٢٧).

وأخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما، ولفظه: «خِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»[1].

والطبراني في «الكبير» عن أبي كَبشة الأَنْماري رضي الله عنه، ولفظه: «خِيَارُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ»[2].

وروى البيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِ ولبَنَاتِهِ»[3].

وروى الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن ثوبان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَفْضَلُ الدَّنَانِيْرِ دِيْنَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلى عِيَالِهِ، ودِيْنَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلى دَابَّتِهِ، ودِيْنَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيْلِ اللهِ»[4].

قال أبو قلابة ـ رحمه الله وهو أحد رواته ـ: بدأ بالعيال، ثم قال: وأي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيال له صغار، ويعفهم

---

(١) رواه ابن ماجه (١٩٧٨).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٣٤١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣٠٣): فيه عمر بن رؤبة، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه جماعة.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٧٢٠).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٨٤)، ومسلم (٩٩٤)، والترمذي (١٩٦٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩١٨٢)، وابن ماجه (٢٧٦٠).

الله به، ويغنيهم الله به[1].

روى أبو الفرج بن الجوزي في «صفوة الصفوة» عن عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى قال: لا يقع موقع الكسب على العيال شيء ولا الجهاد في سبيل الله[2].

وروى غيره عنه أنه كان في الغزو فبات ليلة هو وأصحابه كالِّين من قتال العدو، فقال عبدالله لهم: هل تعرفون أحداً بات في مثل هذا الليل على أفضل من عملنا هذا؟ قالوا: لا، قال: إني لأعرفه؛ رجل استيقظ فنظر إلى عيال له صغار وقد تكشف بعضهم، وتحول بعضهم عن فراشه ـ أي: وساده ـ فأصلح من شأنهم؛ فإنه على عمل أفضل مما نحن فيه.

وروى الديلمي عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِلمَمَالِيْكِ»[3]؛ أي: أكثرهم نفعاً وإحساناً إليهم، وذلك بأن يطعمهم مما يأكل، ويلبسهم مما يلبس، ويرفق بهم، ولا يسيء إليهم، ولا يشتمهم، ويصونهم عن الفاحشة.

فأما من يتخذ المماليك الذكور الحسان المرد للفاحشة فلا خير فيه أصلاً، بل هو شر مالك لمملوك ـ وإن ألبسه أفخر ملبوس، وأطعمه أطيب مطعوم ـ كما هو دأب فسَّاق المالكين مع المماليك في هذه

---

(١) رواه مسلم (٩٩٤).

(٢) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤/ ١٣٩).

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٨٥٤).

الأعصار، وكم من مشتر لمملوك بهذه النية، ومقتن له بها عاد وَبَالُه عليه، وانقلب له عدواً ولو بعد حين، فربما ذهب بماله، وربما سطا على أحد جنى عليه فوصل ضر إلى سيده، أو فَسَقَ بـه فآل أمره إلى سوء، فسيء سيده به.

والتاجر في المماليك ـ ولو واحداً ـ متعرض متسبب في الفسق، فإن باعه لمن يغلب على ظنه أنه يفسق به كان [قيادة][1] وحرم عليه ذلك كما يحرم بيـع العنـب لمن يعصره خمـراً، وإذا سامه منـه تقيٌّ بشيء، وسامه منه فاسق بأكثر منه، فرغب في بيعه للفاسق، فقد أساء وعصى، ولهذا المقتضي الغالب في هذه الأزمنة قال رسول الله ﷺ: «شَرُّ المَالِ[2] فِي آخِرِ الزَّمَانِ المَمَالِيكُ» كما رواه أبو نعيم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما[3].

ومن حمل المملوك على الفاحشة، أو باعه ممن يحمله عليها فقد أساء إليه، وكان سيىء الملكة.

وقد روى الإمام أحمد، والترمذي وحسنه، وابن ماجه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ سَيِّىءُ المَلَكَةِ»[4].

---

(١) غير واضح في «م»، والمثبت من «ت».

(٢) في «حلية الأولياء»: «شر الناس» بدل «شر المال».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٩٤).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٧)، والترمذي (١٩٤٦) وقال: هـذا حديث غريب، وقد تكلم أيوب السختياني وغير واحد في فرقد السبخي من قبل حفظه، وابن ماجه (٣٦٩١).

وسيىء الملكة: من يسيء الصنعة إلى مماليكه كما نقله الأصبهاني في «ترغيبه» عن أهل اللغة في تفسير الحديث.

وفي «القاموس»: ساءَهُ سَوْءاً وسَوَاءً وسَوَاءَةً وسَوَايَةً [وسَوَائِيَةً] ومَسَاءَةً ومَسَائِيَةً: فَعَلَ به ما يَكْرَهُ[1].

ويدخل في ذلك فعل الفاحشة، بل هي أسوء مكروه يفعل بالمملوك.

والسوءة الفاحشة، والخلة القبيحة لأنها تسوء، كما سميت العورة سوءة لأنها تسوء الناظر والمنظور.

فلو قيل: إن سيىء الملكة في الحديث من يفعل الفاحشة بالمملوك لم يبعُد، إلا أن التعميم أولى.

قلت: [من البسيط]

مَنْ رامَ فاحِشَةً مِنْ أَمْرَدٍ مَلَكَهْ
فَذاكَ أَسْوَا عُبَيْدٍ سَيِّءِ الْمَلَكَةْ
فَقَدْ باءَ بِالْعارِ ثُمَّ النَّارِ آخِرَةً
وَوَرَّطَ النَّفْسَ بِالآثامِ فِيْ الْهَلَكَةْ
لا تَعْبَأَنَّ بِما يَلْهُوْ بِهِ زَمَناً
عَلَىْ طَرِيْقٍ مِنَ الْعَمْياءِ قَدْ سَلَكَهْ

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٥٤) (مادة: سوأ).

فَقَـدْ يَـرَىٰ [عبـد][1] فِيْمـا يَـرَىٰ حَزَنـاً

إذا أَدارَ عَلَيْـــــهِ دَهْـــــرُهُ فَلَكَـــــهْ

فَكَـمْ فَتَـىً كـانَ ذا أَصْـلٍ وَذا حَـسَبٍ

فَـصارَ بِالْفِـسْقِ فِـيْ أَقْرانِـهِ هَلَكَـةْ

إِنَّ التَّقِـــيْ لَـــضِياءٌ يُسْتَـــضاءُ بِـــهِ

وَفِيْ الْهَوَىٰ ظُلْمَـةُ الْخِـذْلانِ وَالْحَلَكَـة

فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ عَـنْ سَفْـسافِ كُـلِّ هَـوَىً

حَتَّـــىٰ تَكُـــوْنَ بِمـــا زَكَّيْتَهـــا مَلَكَـــة

وَاتْرُكْ مِـنَ الـذَّنْبِ مـا تَخْـشَىْ عَواقِبَـهُ

إِنَّ الـسَّعِيْدَ مِـنَ الأَشْـخاصِ مَـنْ تَرَكَـه

وَلا تَمِـلْ عَـنِ التَّقْـوَىٰ لِطُـوْلِ مَـدَىً

إِنَّ التُّقَـىٰ فِيْـهِ كُـلُّ الْخَيْـرِ وَالْبَرَكَـة

وَسَـــلْ مِـــنَ اللهِ تَوْفِيْقـاً إِلَـىٰ عَمَـلٍ

حَتَّـىٰ تَكُـوْنَ حَمِيْـدَ الـسَّعْيِ وَالْحَرَكَـة

إِنَّ الْمُوَفَّـــقَ قَـــدْ تَمَّـــتْ سَـــعادَتُهُ

مُـسَدَّدُ الأَمْـرِ فِـيْ الأَفْعـالِ وَالْمَلَكَـة

---

(١) غير واضح في «م»، والمثبت من «ت».

روى الإمام أحمد، والترمذي، وابن حبان، والحاكم ـ وصححاه ـ عن أنس رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً اسْتَعْمَلَهُ»، قيل: كيف يستعمله؟ قال: «يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ المَوْت، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»[(١)].

وروى الشيخان عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: مر رجل على النبي ﷺ، فقال لرجل عنده جالس: «ما رَأْيُكَ فِيْ هَـذا؟» فقال: رجل من أشراف الناس، هـذا حَرِيٌّ إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، فسكت رسول الله ﷺ، ثم مر رجل فقال رسول الله ﷺ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» قال: يا رسول الله! هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلِ هَذَا»[(٢)].

وروى الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك» عن أبي أمامة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَغْبَطَ النَّاسِ عِنْدِيْ لَمُؤْمِنٌ خَفِيْفُ الْحَاذِ ذُوْ حَظٍّ مِنَ الصَّلاةِ، أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وأَطَاعَهُ فِي السِرِّ، كَانَ غَامِضاً فِي النَّاسِ لا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ، وكَانَ رِزْقُهُ كَفَافاً،

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٠٦)، والترمذي (٢١٤٢) وصححه، وابن حبان في «صحيحه» (٣٤١)، والحاكم في «المستدرك» (١٢٥٧).

(٢) رواه البخاري (٦٠٨٢)، قال الحميدي في «الجمع بين الصحيحين» (١/ ٥٥٤): ذكره أبو مسعود في المتفق عليه. وكذا عزاه ابن الأثير إلى مسلم في «جامع الأصول» (٩/ ٢٣١).

عُجِّلَتْ مَنِيَّتُهُ، وقَلَّ تُرَاثُهُ، وقَلَّتْ بَوَاكِيْهِ»[1].

روى ابن أبي الدنيا في «العزلة» عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَعْجَبَ النَّاسِ إِلَيَّ رَجُـلٌ يُؤْمِـنُ بِاللهِ ورَسُوْلِهِ، ويُقِيْمُ الصَّلاةَ، ويُؤْتِيْ الزَّكَاةَ، ويُعَمرُ مَالَهُ، ويَحْفَظُ دِيْنَهُ، وَيَعْتَزِلُ النَّاسَ»[2].

وروى الشيخان عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رجل: أي الناس أفضل يا رسول الله؟ قال: «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِـهِ فِي سَبِيْلِ اللهِ»، قال: «ثم من؟» قال: «رَجُـلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ».

وفي رواية: «يَتَّقِي اللهَ، ويَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»[3].

وقد سبق بلفظ آخر.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن وهب بن منبه قال: قال موسى عليه السلام: «أي ربِّ! أي عبادك أحب إليك؟» قال: «من أُذْكَرُ برؤيته»، قال: «ربِّ! أي عبادك أحـب إليك؟» قال: «الذين يعودون المرضى، ويعزون الثَّكلى، ويشيعون الهلكة»[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٥)، والترمذي (٢٣٤٧)، وابن ماجه (٤١١٧)، والحاكم في «المستدرك» (٧١٤٨).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (ص: ٥١).

(٣) رواه البخاري (٢٦٣٤)، ومسلم (١٨٨٨).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٤).

ويجمع بين هذا وبين ما ورد في فضل العزلة بأن العزلة عند خوف الفتنة، والاختلاط عند حصول الفائدة.

وروى ابن أبي شيبة عن عروة: أنَّ موسى عليه السلام قال: «يا رب! أخبرني بأكرم خلقك عليك» قال: «الذي يسرع إلى هواي إسراع النسر إلى هواه، والذي يَكْلَف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالناس، والذي يغضب إذا انتهكت محارمي غضب النمر لنفسه؛ فإنَّ النمر إذا غضب لم يبال أَكَثُر الناس أم قلوا»(١).

وروى الإمام أحمد، والترمذي عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِساً إِمَامٌ عَادِلٌ، وأَبْغَضُ النَّاسِ إِلى اللهِ تَعَالى وأَبْعَدُهُم مِنْهُ إِمَامٌ جَائِرٌ»(٢).

وروى مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِيْنَ تُحِبُّونَهُم ويُحِبُّوْنَكُم، وتُصَلُّوْنَ عَلَيْهِم وَيُصَلُّوْنَ عَلَيْكُم، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِيْنَ تُبْغِضُوْنَهُم وَيُبْغِضُونَكُم، وتَلْعَنُونَهُم وَيَلْعَنُونَكُم»، قيل: يا رسول الله! أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: «لا، مَا أَقَامُوا فِيْكُمُ الصَّلاةَ، وإِذَا رَأَيْتُم مِنْ وُلاتِكُم شَيْئاً تَكْرَهُوْنَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، ولا تَنْزِعُوا يَدَاً مِنْ طَاعَةٍ»(٣).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٨٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

وفي رواية: «أَلا مَنْ وَلِي عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئَاً مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فَلْيُنْكِرْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلا تَنْزِعُوا يَداً مِنْ طَاعَةٍ»[1].

وروى ابن النجار في «تاريخه» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خِيارُ أُمَّتِيْ مَنْ دَعا إِلَىْ اللهِ وَحَبَّبَ عِبادَهُ إِلَيْهِ، وَشِرارُ أُمَّتِيْ التُّجَّارُ؛ مَنْ كَثُرَتْ أَيْمانُهُ وَإِنْ كانَ صادِقاً»[2].

وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾[فصلت: ٣٣] الآية.

وروى أبو داود، والبيهقي في «السنن» عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خِيارُكُمْ أَلْيَنُكُمْ مَناكِبَ[3] فِيْ الصَّلاةِ»[4].

وروى البيهقي في «الشعب»، والديلمي عن علي ﷺ قال: قال

---

(١) رواه مسلم (١٨٥٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٤).

(٢) روى قريباً منه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٤٣) بلفظ: «إن خيار الصديقين من دعا إلى الله، وحبب عباده إليه، ومن شر الفجار من كثرت أيمانه، وإن كان صادقاً، وإن كان كاذباً لم يدخل الجنة».

(٣) أراد بلين المناكب: لزوم السكينة في الصلاة وأن لا يلتفت فيها، وقيل: أراد به: أن لا يمنع لي من أراد أن يدخل بين الصفوف ليسد الخلل، أو يضيق المكان، فيمكنه من ذلك، ولا يدفعه بمنكبه، لتتراص الصفوف، ويتكاثف الجمع. انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٥/ ٦١١).

(٤) رواه أبو داود (٦٧٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤٩٦٩).

رسول الله ﷺ: «خِيَارُكُمْ كُلُّ مُفْتَنٍ تَوَّابٍ[1]»[2].

وروى الديلمي عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ القَانِعُ، وَشَرُّهُمُ الطَّامِعُ»[3].

وروى الإمام أحمد، وابن ماجه، والترمذي، والحاكم ـ وصححاه ـ عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وخَيْرُ الْخَطَّائِيْنَ التَّوَابُوْنَ»[4].

وروى الطبراني في «الكبير»، والحاكم عن ابن أبي أوفى ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللهِ الَّذِيْنَ يُرَاعُوْنَ الشَّمْسَ، وَالقَمَرَ، وَالنُّجُوْمَ، وَالأَظِلَّةَ لِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى»[5].

---

(١) قال ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٧١): ومعناه الذي يتكرر منه الذنب والتوبة، فكلما وقع في الذنب عاد إلى التوبة، لا من قال: أستغفر الله بلسانه، وقلبه مصر على تلك المعصية، فهذا الذي استغفاره يحتاج إلى الاستغفار.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٢١)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٢٨٦٢). وضعف العراقي إسناد البيهقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١٠٠١).

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٨٨٥) لكن عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ١٩٨)، وابن ماجه (٤٢٥١)، والترمذي (٢٤٩٩) وقال: غريب، والحاكم في «المستدرك» (٧٦١٧).

(٥) رواه الطبراني في «الدعاء» (١٨٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (١٦٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٢٧): رواه الطبراني في «الكبير» والبزار، ورجاله موثقون، لكنه معلول.

وروى الطبراني في «الكبير» ـ أيضاً ـ عن عمران بن حصين رضي الله عنه: أنه ﷺ قال: «إِنَّ أَفْضَلَ عِبـادِ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ الْحَمَّادُوْنَ»(١).

وروى ابن ماجه، وغيره عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ ذُوْ القَلْبِ الْمَحْمُوْمِ(٢)، واللسَانِ الصَّادِقِ»، قيل: قد عرفنا اللسان الصادق، فما القلب المحموم؟ قال: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الَّذِي لا إِثْمَ فِيْهِ، ولا بَغْيَ وَلا حَسَدَ»، قيل: فمنْ على أثره؟ قال: «الَّذِي يَشْنَأُ الدُّنْيَا، ويُحِبُّ الآخِرَةَ»، قيل: فمن على أثره؟ قال: «مُؤْمِنٌ فِي خُلُقٍ حَسَنٍ»(٣).

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «قضاء الحوائج»، وأبو الشيخ عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ عِبـادِ اللهِ إِلى اللهِ مَنْ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْمَعْرُوفُ، وَحُبِّبَ إِلَيْهِ أَفْعَالُهُ»(٤).

وروى ابن أبي شيبة عن يزيد بن ميسرة رحمه الله ـ وكان قد قرأ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٢٤).

(٢) لعل الصواب: «المخموم» بدل «المحموم» بالخاء معجمة، ومن لا يضبط يرويه: «محموم القلب» بالحاء غير المعجمة، يقال: خممت البيت: إذا كنسته، والخمامة مثل الكناسة. انظر: «تصحيفات المحدثين» للعسكري (١/ ٢٤٤).

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢١٦) لكن بلفظ مختصر. وصحح إسناده العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٧١٣). ورواه بلفظ الأصل: البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٢٦٤).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص: ٢٢).

الكتب ـ: إنَّ الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: «إن أحب عبادي إلي الذين يمشون لي في الأرض بالنصيحة، والذين يمشون على أقدامهم إلى الجمعات، والمستغفرون بالأسحار؛ أولئك إن أردت أن أصيب أهل الأرض بعذاب، ثم رأيتهم كففت عذابي، وإنَّ أبغض عبادي إلي الذي يقتدي بسيئة المؤمن، ولا يقتدي بحسنته»[1].

وروى عبد الرزاق عن معمر عن جماعة[2]: أنَّ النبي ﷺ قال: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِيْ إِلَيَّ الْمُتَحَابِّيْنَ فِيَّ، الَّذِيْنَ يَعْمُرُونَ مَسَاجِدِي، وَيَسْتَغْفِرُوْنِي بِالأَسْحَارِ؛ أَوَلَئِكَ الَّذِيْنَ إِنْ أَرَدْتُ خَلْقِي بِعَذَابٍ ذَكَرْتُهُم، فَصَرَفْتُ عَذَابِيَ عَنْ خَلْقِي»[3].

وقوله: «المتحابين في» كذا في نسختي من مصنف عبد الرزاق، وهي نسخة صحيحة قديمة، وهو محمول على أنه صفة لعبادي، وخبر أنَّ ما بعده.

وروى عبدالله بن المبارك في «الزهد» عن خالد بن معدان رحمه الله قال: قال الله تعالى: «إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِي إِلَيَّ الْمُتَحَابُّوْن بِحُبِّي، والْمُعَلَّقَةُ قُلُوْبُهُم فِي الْمَسَاجِدِ، والْمُسْتَغْفِرُوْنَ بِالأَسْحَارِ؛ أَوَلَئِكَ الَّذِيْنَ إِنْ أَرَدْتُ أَهْلَ الأَرْضِ بِعُقُوْبَةٍ ذَكَرْتُهُم، فَصَرَفْتُ العُقُوْبَةَ عَنْهُم بِهِم»[4].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٩٠).

(٢) في «المصنف»: «عن رجل من قريش وغيره».

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٧٤٠).

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٣٩).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن عمار بن ياسر ﷺ: أنَّ أصحابه كانوا ينتظرونه، فلما خرج قالوا: ما أبطأك عنَّا أيها الأمير؟ قال: أما إني سوف أحدثكم أن أخاً لكم ممن كان قبلكم وهو موسى عليه السلام قال: «يا رب حدثني بأحب الناس إليك»، قال: «ولم؟» قال: «لأحبه بحبك إياه»، قال: «عبد في أقصى الأرض، أو في طرف الأرض سمع به عبد آخر في أقصى الأرض أو في طرف الأرض لا يعرفه، فإن أصابته مصيبة فكأنما أصابته، وإن شاكته شوكة فكأنما شاكته، لا يحبه إلا لي، فذلك أحب خلقي إلي»، قال: «يا رب! خلقت خلقاً تدخلهم النار أو تعذبهم؟» فأوحى الله إليه: «كلهم خلقي»، ثم قال: «ازرع زرعاً»، فزرعه، فقال: «اسقه»، فسقاه، ثم قال: «قم عليه»، فقام عليه أو ما شاء الله من ذلك، فحصده، ورفعه، فقال: «ما فعل زرعك يا موسى؟» قال: «فرغت منه ورفعته» قال: «ما تركت منه شيئاً؟» قال: «ما لا خير فيه، أو ما لا حاجة لي فيه»، قال: «كذلك أنا لا أعذب إلا ما لا خير فيه»[1].

ومن لطائف ما يلحق بهذا الباب: ما رواه ابن الأنباري عن الأصمعي قال: خرج أعرابي من أهله مبكراً يغدو في حاجة له، فاجتاز بمسجد تقام فيه الصلاة، فدخل يصلي مع القوم تبركاً بالجماعة، فأطال الإمام القراءة والصلاة حتى استيأس الأعرابي من حاجته، وعلم أن قد فاته الذي غدا في طلبه، فلما قضيت الصلاة وجلس الإمام في محرابه جاءه الأعرابي حتى وقف بين يديه، ثم أنشأ يقول: [من الوافر]

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٨٧).

أَلا خَيْـرُ الأَئِمَّـةِ غَيْـرَ شَـكٍّ أَخَفُّهُـمُ صَـلاةً فِـيْ تَمـامِ
أَتَرْغَبُ فِـيْ وَصِـيَّةِ مَـنْ عَلَيْـهِ صَـلاةُ اللهِ تُقْـرَنُ بِالـسَّلامِ
أَمـا تَخْـشَىْ الإِلـهَ وَتَتَّقِيْـهِ أَمْ اَنْـتَ مُبَـرَّأٌ مِـنْ كُـلِّ ذامِ
لِنَفْسِكَ قُـمْ إِذا صَـلَّيْتَ حَتَّـىْ يَـدُقَّ اللهُ صُـلْبَكَ بِالْقِيـامِ

وروى الشيخان عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِـلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ؛ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ»(١).

وأخرجه الإمام أحمد، والطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، وعن معاوية، والطبراني عن أم هانىء، وأخرجه ابن أبي شيبة عن مكحول مرسلاً، وزاد فيه «ولَوْ عَلِمْتُ أَنَّ مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ رَكِبَتْ بَعِيْراً مَا فَضَّلْتُ عَلَيْهَا أَحَدَاً»(٢).

وروى الإمام أحمد، والنسائي، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة ﵁: أَنَّ النبي ﷺ قال: «خَيْـرُ النِّسَاءِ الَّتِي تَسَرُّهُ إِذَا نَظَرَ - يعني:

---

(١) رواه البخاري (٣٢٥١)، ومسلم (٢٥٢٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣١٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٠١٤) عن ابن عباس ﵄.
ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٤٢) عن معاوية ﵁.
ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٤٣٦) عن أم هانىء رضي الله عنها.
ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٤٠٢) عن مكحول مرسلاً.

الزوج ـ، وتُطِيْعُهُ إِذَا أَمَرَ، ولا تُخَالِفُـهُ فِيْ نَفْسِهَا وَلا مَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ»[1] ـ يعني: ما لم يأمر بمعصية الله ـ، وَلا تَكْمُلُ خِيْرَتُهَا إِلاَّ بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى.

وروى أبو القاسم البغوي في «معجمه»، والبيهقي في «سننه» عن أبي أذينة من أهل مصر ـ قال البغوي: ولا أدري له صحبة أم لا ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ نِسَائِكُمُ الوَلُوْدُ الوَدُوْدُ، الْمُوَاتِيَـةُ الْمُوَاسِيَةُ إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ، وشَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتُ الْمُتَخَيِّلاتُ وهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ، لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلا مِثْلُ الغُرَابِ الأَعْصَمِ»[2].

وسبق تفسير الأعصم في التشبه بالصالحين.

وقوله: «خَيْرُ نِسَائِكُمُ الوَلُوْدُ» يحتمل أن يكون هذا في كل وقت، ويحتمل أن يكون هذا في غير الزمان السوء؛ لما رواه أبو عمرو الداني في «الفتن» عن الأوزاعي معضـلاً رحمـه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي زَمَانٌ خَيْرُ أَوْلادِكُمْ فِيْهِ البَنَاتُ، وخَيْرُ نِسَائِكُمُ العَقِيْمُ، وخَيْرُ دَوابِّكُمُ الْحَمِيْرُ»[3].

وعن معاوية بن يحيى ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ سَنَةُ خَمْسِيْنَ ومِئَةٍ فَخَيْرُ نِسَائِكُمْ كُلُّ عَقِيْمٍ»[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٣٢)، والنسائي (٣٢٣١)، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٨٢).

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٨٢).

(٣) رواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٣/ ٦٧٠).

(٤) رواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٣/ ٦٦٤).

ومن شواهده: ما رواه ابن عساكر في «تاريخه» عن حذيفة ﵁، عن النبي ﷺ: قال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ أَفْضَلُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانُ كُلُّ خَفِيْفِ الْحَاذِ»، قيل: يا رسول الله! ومن خفيف الحاذ؟ قال: «قَلِيْلُ العِيَالِ»[1].

وروى أبو يعلى، والبيهقي في «الشعب»، والخطيب، وابن عساكر عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُم فِيْ الْمِئَتَيْنِ كُلُّ خَفِيْفِ الْحَاذِ»، قيل: يا رسول الله! وما الخفيف الحاذ؟ قال: «الَّذِي لا أَهْلَ لَهُ وَلا وَلَدَ»[2].

والحاذ ـ بالحاء المهملة، والذال المعجمة ـ: الظهر؛ كذا في «القاموس».

وقال: وخفيف الحاذ: قليل المال والعيال[3].

وإنما فسره في الحديث بعدم الولد والأهل لأن خفة الظهر إنما تتحقق بذلك.

وإذا كانت هذه الخيرية لم تتحقق لأحد في المئتين إلا بخفة الحاذ كما دل عليه الحديث ـ وإن كان ضعيفاً ـ فكيف بما بعد الألف بسنين،

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٧/ ٢٩٥).

(٢) أورده ابن حجر في «المطالب العالية» (١٧/ ٦١٧) من طريق أبي يعلى، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٣٥٠)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٦/ ١٩٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٥٥). قال أبو حاتم: هذا حديث منكر. انظر: «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٢/ ٤٢٠).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٤٢٤) (مادة: حوذ).

وقـد غلب الشر على الناس إلا نادراً، فهـذا الزمان حريٌّ بأن يغبط فيـه الموتى فضلاً عن خفيف الحاذ!

وقد روى الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَتْ أُمَرَاؤُكُم خِيَارَكُم، وأَغْنِيَاؤُكُم سُمَحَاءَكُمْ، وأُمُورُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ، فَظَهْرُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا، وإِذَا كَانَتْ أُمَرَاؤُكُمْ شِرَارَكُمْ، وأَغْنِيَاؤُكُم بُخَلاءَكُمْ، وأُمُوْرُكُم إِلى نِسَائِكُمْ، فَبَطْنُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَاهِرِهَا»(١)؛ يعني: إن الموت خير لكم حينئذ من الحياة.

* تَنْبِـيْهٌ:

ما ذكرنـاه في هذا الفصل من الخصال التي وصف رسول الله ﷺ ذويها أنهم خير الناس، أو خيارهم، أو أفضلهم، أو أحبهم إلى الله تعالى ليس بينها تنافر عند العلماء المحققين، ولا تباين عند العلماء الموقنين، بل كان رسول الله ﷺ يخبر عن خيار هذه الأمة وأفاضل الناس مما يليق بالمقـام، ويناسب حال السائل أو المخاطب، وكـان يخبـر عن الخيـر والأفضل تارة من قبل الأخلاق كما في قوله: «أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ أَحَسَنُهُمْ خُلُقاً».

وتارة من قبل الأعمال كما في قولـه: «خِيَارُكُم أَلْيَنُكُمْ مَنَاكِبَ فِي الصَّلاةِ».

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٦٦) وقال: حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث صالح المري، وصالح المري في حديثه غرائب، ينفرد بها، لا يتابع عليها، وهو رجل صالح.

وتارةً من قبل الآداب كما في قوله: «خَيْرُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ وردَّ السَّلامَ».

وتارة من قبل المروءة كما في قوله: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُم لأَهْلِهِ»، «خَيْرُكُمْ أَحْسَنُكُم قَضَاءً»، «خَيْرُ الْجِيْرَانِ خَيْرُهُم لِجَارِهِ»[1].

وتارة من جهة العراقة في الدين كما في قوله: «أَفْضَلُ النَّاسِ مُؤْمِنٌ بَيْنَ كَرِيْمَيْنِ[2]». رواه الطبراني في «المعجم الكبير» من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه[3].

وتارة من جهة كرم الحسب ونزاهة النسب إذا انضم ذلك إلى الإسلام والدين، والفقه ونحوها من الفضائل كما في قوله: «خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلامِ إِذَا فَقُهُوْا». رواه البخاري، وقوله: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ» الحديث.

وتارة من قبل النفع وتعديه إلى غيره كما في قوله: «خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ»[4].

---

(١) تقدم تخريج هذه الأحاديث.

(٢) قال ابن الجوزي في «غريب الحديث» (٢/ ٢٨٨): فيه ثلاثة أقوال؛ **أحدها**: فرسين يغزو عليهما، **والثاني**: الحج والجهاد، **والثالث**: أبوان مؤمنان كريمان. وهذا اختيار أبي عبيد وهو الصحيح.

قلت: وهناك قول رابع: وهو بين أب مؤمن هو أصله وابن مؤمن هو فرعه.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٨٢).

(٤) تقدم تخريج هذه الأحاديث.

وقال بكر بن عبدالله المزني: لـو انتهيت إلى المسجد وهـو ملآن مغص بالرجال فقال لي قائل: أي هؤلاء خير؟ لقلت للسائل: أيهم أنصح لجماعتهم؟ فإذا قال: هذا قلت: هو خيرهم.

ولو انتهيت إلى المسجد يوم الجمعـة وهو ملآن مغص بالرجـال فقال لي قائل: أي هؤلاء شر؟ لقلت: أيهم أغش لجماعتهم؟ فإذا قال: هذا قلت: هو شرهم.

وما كنت لأشهد على خيرهم أنه مؤمن مستكمل الإيمان إذاً لشهدت أنـه من أهل الجنـة، وما كنت لأشهد على شرهم أنـه منافـق عديم من الإيمان إذاً لشهـدت أنـه من أهل النار، ولكـن أخشى على محسنهم، وأرجو لمسيئهم، فما ظنك بمسيئهم إذا خشيت على محسنهم، وما ظنك بمحسنهم إذا رجوت لمسيئهم[1].

وفي المعنى قول محمود الوراق رحمه الله:

أَخافُ عَلَىْ الْمُحْـسِنِ المتَّقِـيِّ ... وَأَرْجُوْ لِذِيْ الْهَفَواتِ الْمُـسِيْ
فَـذَلِكَ خَـوْفِيْ عَلَـىْ مُحْـسِنٍ ... فَكَيْفَ عَلَىْ الظَّـالِمِ الْمُعْتَـدِيْ
عَلَـىْ أَنَّ ذا الزَّيْـغِ قَـدْ يَـسْتَقِيْمُ ... وَيَـسْتَأْنِفُ الزَّيْـغَ قَلْـبُ التَّقِـيْ

وروى أبو نعيم عن ابن مسعود ﷺ قال: كنا عند النبي ﷺ فأقبل راكب حتى أنـاخ بالنبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! إني أتيتك من مسيرة تسع، أضنيت راحلتي، وأسهرت ليلي، وأظمـأت نهاري لأسألك عن

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٢٤).

خصلتين أسهرتاني، فقال له النبي ﷺ: «مَا اسْمُكَ؟» قال: أنا زيد الخيل، قال: «بَلْ أَنْتَ زَيْدُ الْخَيْرِ، فَاسْأَلْ فَرُبَّ مُعْضِلَةٍ قَدْ سُئِلَ عَنْها»، قال: أسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته في من لا يريد؟ فقال له النبي ﷺ: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟» قال: أصبحت أحب الخير وأهله ومن يعمل به، وإن عملت به أيقنت بثوابه، وإن فاتني منه شيء خشيت الله[1]، فقال النبي ﷺ: «هَذِهِ عَلامَةُ اللهِ فِيمَنْ يُرِيْدُ وَعَلامَتُهُ فِي مَنْ لا يُرِيْدُ، وَلَوْ أَرَادَكَ فِي الأُخْرى هَيَّأَكَ لَهَا، ثُمَّ لا يُبَالِي فِي أَيِّ وَادٍ هَلَكْتَ»[2].

فقد أخبر ﷺ أنَّ علامة الله في من يريد ـ أي: يحب ـ من عباده أن يوفقهم للرغبة في الخير وأهله والعمل به، وعلامته في من لا يريد أن يمنعه ذلك، ويخذله عنه، أو يبعثه على الشر وفعله والرغبة في أهله.

فمن رغب في الشر ورغب [عن] الخير وأعمال أهل الخير وأخلاقهم فهو من الأشرار.

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي شيخ قال: قال عيسى بن مريم عليهما السلام: يا صاحب العلم! لا تغتر بالله، ولا تغتر بالناس؛ فإن الغرة بالله تركك أمر الله، والغرة بالناس اتباع أهوائهم.

احذر من الله ما حذرك من نفسه، واحذر من الناس فتنتهم[3]؛ فإن

---

(١) في مصدري التخريج: «حننت إليه» بدل «خشيت الله».

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٧٦)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٦٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩٤): فيه عون ابن عمارة، وهو ضعيف.

(٣) ورواه الدارمي في «السنن» (٦٤٨) لكن من قول بعض الفقهاء.

الأشقياء لا يرغبون فيما سعد به الأخيار قبلهم فيبعدون عن الأمر الذي شقي به من كان قبلهم.

واعلم أن العبد لا يكون من خير الناس وهو يشهد الخيرية من نفسه.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[النجم: ٣٢].

قال القاضي ناصر الدين في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾[النجم: ٣٢]: فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير، أو بالطهارة عن المعاصي والرذائل(١).

روى مسلم، وغيره عن محمد بن عمرو بن عطاء قال: سميت ابنتي بَرَّةَ، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة ـ رضي الله عنها وعن أبويها ـ: إنَّ رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم؛ سُمِّيت بَرَّةَ، فقال رسول الله ﷺ: «لا تزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ، اللهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ البِرِّ مِنْكُم»، فقالوا: بما نسميها؟ قال: «سَمُّوْهَا زَيْنَب»(٢).

قال في «الكشاف»: وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب والرياء، فأما من اعتقد أنَّ ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتأييده، ولم يقصد به الإعجاب والتمدح، لم يكن من المزكين أنفسهم لأن المسرة في الطاعة طاعة، وذكرها شكر، انتهى(٣).

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٥٨).

(٢) رواه مسلم (٢١٤٢).

(٣) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٤٢٦).

وهو حسن، غير أنـه جعل النهي راجعـاً إلى الإعجـاب والرياء، والأولى أن يبقى على ظاهره من أنه نهي عن نفس التزكية.

نعم، يستثنى منها ما كان بنية صالحة كأن يعرف فيسأل، أو يقتدى به، أو يظهر نعمة الله لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[الضحى: ١١].

وروى الطبراني عن أبي الأسود الدؤلي، وزاذان الكندي قالا: قلنا لعلي رضي الله عنه: حدثنا عن أصحابك، فذكر مناقبهم، قلنا: فحدثنا عن نفسك، قال: مهلا، نهى الله عن التزكية، فقال لـه رجل: فإن الله يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[الضحى: ١١]، قال: فإني أحدث بنعمة ربي: كنت والله إذا سئلت أعطيت، وإذا سكت ابتدئت[١].

قال في «الكشاف»: وإنما يجوز مثل هذا إذا قصد به اللطف، وأن يقتدي بـه غيره، وأمن على نفسه الفتنة، والتنزه أفضل، ولو لم يكن فيـه إلا التشبه بأهل الرياء والسمعة لكفى به. انتهى[٢]، وهو كالتتمة لكلامه السابق.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾[النجم: ٣٢]: أي: لا تمدحوها وتثنوا عليها؛ فإنه أبعد عن الرياء وأقرب إلى الخشوع[٣].

فقد علمت بذلك أنَّ شرط الخيرية في العبد أن لا يعتقد في نفسه الخيرية كما قال يوسف عليـه السلام: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠٤٢).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٧٧٤).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (١٧/ ١١٠).

﴿بِالسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾[يوسف: ٥٣].

قال الحسن في قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾[يوسف: ٥٢]: خشي نبي الله عليه السلام أن يكون زكى نفسه؛ قال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾[يوسف: ٥٢]. رواه ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ[(١)].

وروى عبد الرزاق، والإمام أحمد في «الزهد»، وعبد بن حميد، وابن جرير عنه ـ أيضاً ـ قال: إنَّ عيسى ويحيى عليهما السلام التقيا فقال يحيى لعيسى: «استغفر لي، أنت خير مني»، فقال له عيسى: «بل أنت خير مني سلم الله عليك، وسلمت على نفسي»، قال: فعرف والله فضلهما[(٢)].

ذهب بعض المحققين إلى أنه لا يكمل أحد حتى يعنته النقص في نفسه.

وقد روى ابن الجوزي في «صفة الصفوة»: أنَّ الفضيل بن عياض رحمه الله أخذ بيد سفيان بن عيينة رحمه الله وهما بمكة، فقال له: إن كنت تظن أنه بقي على وجه الأرض شر مني ومنك فبئس ما تظن[(٣)].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن وهب بن منبه: أنَّ موسى عليه

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/ ٢١٥٨)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٥٥٠).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٤)، والطبري في «التفسير» (١٦/ ٥٩).

(٣) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٢٤٠)، وكذا رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٠١).

السلام قال لبني إسرائيل: «ائتوني بخيركم رجلاً»، فأتوه برجل، قال: «أنت خير بني إسرائيل؟» قال: «كذلك يزعمون»، قال: «اذهب فائتني بشرهم»، قال: فذهب فجاء وليس معه أحد، فقال: «جئني بشرهم»، قال: «أنا ما أعلم من أحد منهم ما أعلم من نفسي»، قال: «أنت خيرهم»[1].

* **[تنبيه هو خاتمة][2] لهذا الفصل**: خيار هذه الأمة خير من خيار غيرهم، وأفضل من سوى النبيين لمزية هذه الأمة وفضلها لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١١٠].

وروى أبو نعيم عن كعب رحمه الله قال: إنَّ خيار هذه الأمة خيار الأولين والآخرين، إنَّ من هذه الأمة رجالاً إن أحدهم ليخر ساجداً لا يرفع رأسه حتى يغفر له، ولمن خلفه فضلاً عليه.

وكان كعب يتحرى الصفوف المتأخرة رجاء أن يكون من أولئك[3].

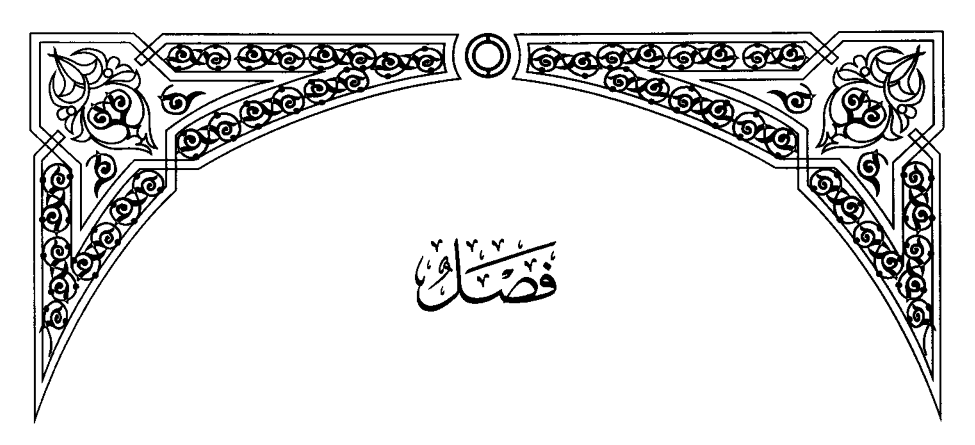
* * *

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٤).

(٢) غير واضح في «م» بمقدار ثلاث كلمات.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٨٨).



فصل

إنما سُميَ الصالحون والصديقون أخياراً وخياراً لفعلهم الخير، وإرادتهم إياه، وإيثارهم له على ما سواه.

والخير ضد الشر، وحقيقة الخير ما يحبه العبد ويختاره، ويرضاه ويحمده، أو يحب منه، ويحمد من فعله أو صفته.

والشر ما يكرهه العبد أو يكره منه.

فالخير والشر إما أن يعود أثرهما على المتصف بهما، أو يكون منه لغيره، فطالب الخير لنفسه وموصله إلى غيره من الأخيار لأنه من أهل الخير، وطالب الشر لنفسه أو مريده لغيره أو موصله إليه من الأشرار لأنه من أهل الشر، وأي عبد مات على إحدى المنزلتين فهو من أهلها، إلاَّ أن الناس متفاوتون في الخير والشر على حسب ما قسم لهم وقدر لهم أو عليهم لقوله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾[الإسراء: ٢٠]، وقوله ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[الأنبياء: ٣٥].

وكل إنسان فهو لاقٍ ما قدمه من خير أو شر ـ قل أو كثر؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ

ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة: ٧ ـ ٨].

وكل عبد فلا يخلو من حركة أو سكون، وحركته إما في خير وإما في شر كما قيل: [من الرجز]

وَإِنَّمَا النَّاسُ جَمِيْعاً عَمَلَة

فِيْ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ جَمِيْعاً فَعَلَة[1]

غير أنَّ الغالب عليهم الشر، والعامل بالخير قليل منهم، كما قال رسول الله ﷺ: «الْخَيْرُ كَثِيْرٌ، ومَنْ يَعْمَلْ بِهِ قَلِيْلٌ»[2].

وفي لفظ: «وَقَلِيْلٌ فَاعِلُهُ»[3]. رواه باللفظ الأول الطبراني في «الأوسط»، وباللفظ الثاني الخطيب؛ كلاهما عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

وفي لفظ للعسكري: «وفَاعِلُهُ قَلِيْلٌ».

وفي لفظ: «ومَنْ يَعْمَلُهُ قَلِيْلٌ»[4].

---

(١) ذكره الماوردي في «أدب الدين والدنيا» (ص: ٢٣٢) من قول أبي العتاهية، لكن الشطر مختلف:

مَا النَّاس إلا آلة مُعْتَمَلَةْ

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٦٠٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٥): فيه الحسين بن عبد الأول، وهو ضعيف.

(٣) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٨/ ١٧٦).

(٤) انظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٣٣٧).

ولبعض المتقدمين: [من الخفيف]

افْعَلِ الْخَيْرَ ما اسْتَطَعْتَ وَإِنْ كا
نَ قَلِيْلاً فَلَسْتَ مُدْرِكَ كُلِّهْ
وَمَتَى تَفْعَلُ الْكَثِيْرَ مِنَ الْخَيْـ
ـرِ إِذا كُنْتَ تارِكاً لأَقَلِّهْ[1]

وقد أمر الله تعالى بفعل الخير وجعله مما يكون موصلاً للفلاح، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الحج: ٧٧].

وروى الإمام أحمد في «الزهد»، وغيره عن زبيد رحمه الله قال: قال ابن مسعود ﷺ: قولوا خيراً تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله[2].

وروي عن أبي الأحوص قال: قال عبدالله ـ يعني: ابن مسعود ـ ﷺ: تعوَّدوا الخير، فإنما الخير بالعادة[3].

روى ابن ماجه، والطبراني، وأبو نعيم، وغيرهم عن معاوية ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «الْخَيْرُ عادَةٌ، وَالشَّرُّ لجاجةٌ، ومَنْ يُرِدِ اللهِ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهُهُ

---

(١) انظر: «مكارم الأخلاق» للخرائطي (ص: ٣٨). وهي لمحمد بن علي المصري.

(٢) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٥٤٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٦٢).

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٧٤٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩١٥٦).

فِي الدِّيْن»[1]؛ أي: يفهمه في الدين.

والتفهم أبلغ من الإفهام، وهو يشعر بتكرار الإفهام، وكأن معناه: يجعل الفقه عادته وديدنه.

روى بعض السلف: عودوا ألسنتكم خيراً.

وقال الشاعر: [من البسيط]

عَوِّدْ لِسانَكَ قَوْلَ الْخَيْرِ وَارْضَ بِهِ
إِنَّ اللِّسانَ لِما عَوَّدْتَ مُعْتادُ
مُوَكَّلٌ بِتَقاضِي ما سَنَنْتَ لَهُ
فِيْ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَانْظُرْ كَيْفَ تَرْتادُ[2]

روى ابن أبي الدنيا عن مالك بن أنس رضي الله عنه قال: مَرَّ بعيسى بن مريم عليهما السلام خنزير، فقال: «مر بسلام»، فقيل له: «يا روح الله! لهذا الخنزير تقول!» قال: «أكره أن أعود لساني الشر»[3].

وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، ومَنْ يَتَحَرَّ

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٢١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٨٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٥٢).

(٢) انظر: «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» لابن حبان (ص: ٥١).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ١٧٧).

الْخَيْرَ يُعْطَهُ، ومَنْ يَتَّقِ الشَرَّ يُوْقَهُ»[1].

والتحري ـ بالحاء المهملة ـ: تعمد الخير، وطلبه لكونه أحرى؛ أي: أحق بأن يطلب.

وروى ابن المبارك في «الزهد» عن أبي جعفر عبدالله بن مسور الهاشمي رحمه الله مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَدْتَ أَمْرَاً فَتَدَبَّرْ عَاقِبَتَهُ؛ فَإِنْ كَانَ خَيْرَاً فَأَمْضِهِ، وإِنْ كَانَ شَرَّاً فَانْتَهِ»[2].

وهذا نهي عن الشر مطلقاً ـ وإن قل ـ، وإرشاد إلى الخير، وإيذان بأنَّ العبد لا ينبغي أن يقدم على أمر لا يعلم أن عاقبته خير أو شر.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الصمت»، والطبراني ـ بإسناد حسن ـ عن أسود بن أصرم ؓ قال: قلت: يا رسول الله! أوصني، قال: «تَمْلِكُ يَدَكَ؟»، قلت: فماذا أملك إذا لم أملك يدي؟ قال: «تَمْلِكُ لِسَانَكَ؟» قال: قلت: فماذا أملك إذا لم أملك لساني؟ قال: «لا تَبْسُطْ يَدَكَ إِلاَّ إِلَى خَيْرٍ، ولا تَقُلْ بِلِسَانِكَ إِلا مَعْرُوْفَاً»[3].

وفي حديثي أبي هريرة، وأبي شريح الخزاعي ؆: أن النبي ﷺ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٦٦٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٨): فيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد، وهو كذاب.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ١٤).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٤٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨١٨). وحسن الهيثمي إسناده في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٠٠).

قال: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرَاً أَوْ لِيَسْكُتْ»[1].

وروى ابن أبي الدنيا عن سفيان الثوري رحمه الله قال: قالوا لعيسى ابن مريم عليهما السلام: «دلنا على عمل ندخل به الجنة»، قال: «لا تنطقوا أبداً»، قالوا: «لا نستطيع ذلك»، قال: «فلا تنطقوا إلا بخير»[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: يا لسان! قل خيراً تغنم، أو اسكت عن شر تسلم[3].

وعن خالد بن أبي عمـران رحمـه الله مرسلاً: أن النبي ﷺ أمسك لسانه طويلاً، ثم قال: «رَحِمَ اللهُ عَبْدَاً قَالَ خَيْرَاً فَغَنِمْ، أَوْ سَكَتَ عَنْ سُوْءٍ فَسَلِمْ»[4].

وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» كذلك، وأبو الشيخ في «الثواب» عن أبي أمامة رضي الله عنه، ولفظه: «رَحِمَ اللهُ عَبْـدَاً قَالَ فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ» ـ بحذف المفعول ـ.

والبيهقي عن أنس، ولفظه: «رَحِمَ اللهُ امْرَأً تَكَلَّمَ فَغَنِمْ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمْ ـ ثلاث مرات ـ»[5].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٦٦).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٦٥).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٧١).

(٥) رواه البيهقي في «شـعب الإيمـان» (٤٩٣٨). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٧٦٩).

وفي كتاب الله: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[النساء: ١١٤].

وروى البيهقي في «الشعب» عن مكحول: أنَّ رسول الله ﷺ قال لمعاذ ﷺ في حديث: «إِنَّكَ بِخَيْرٍ مَا كُنْتَ سَاكِتاً، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَلَكَ أَوْ عَلَيْكَ»(١).

وروى الطبراني في «الصغير»، وأبو الشيخ عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أوصني قال: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهَا جِمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ، وعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْمُسْلِمِيْنَ، وعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ وتلاوةِ كِتَابِهِ فَإِنَّهُ نُوْرٌ لَكَ فِي الأَرْضِ، وذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ، واخزُنْ لِسَانَكَ إلا مِنْ خَيْرٍ، فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ»(٢).

وقوله: «عليك بِتَقْوى اللهِ فَإِنَّهَا جِمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ»؛ أي: كل عمل صالح كما فسر به قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[البقرة: ١٤٨]؛ قال ابن زيد: الأعمال الصالحات. رواه ابن جرير(٣).

وروى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وأبو نعيم، والبيهقي في «الشعب» عن عبدالله بن عكيم قال:

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٩٦٢).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٩٤٩)، وكذا أبو يعلى في «المسند» (١٠٠٠).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٣٠).

خطبنا أبو بكر الصديق ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة؛ فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[الأنبياء: ٩٠](١).

يشبه أن يكون استدل أبو بكر ﷺ بالآية على جميع ما أوصاهم به من التقوى والثناء، وخلط الرغبة بالرهبة من حيث إنَّ المسارعة إلى الخيرات هي التقوى، أو نتيجة التقوى التي هي جماع كل خير.

وقال تعالى ممتناً على إبراهيم وآله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[الأنبياء: ٧٣]؛ أي: وحي نبوة؛ أي: أرسلناهم لفعل الخيرات والدعوة إليها.

ويحتمل أن يكون المراد وحي الإلهام؛ أي: ألهمناهم وألقينا في قلوبهم فعل الخيرات؛ إذ لا يكون فعل الخير إلا بتوفيق من الله تعالى وإلهام، ولذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأله فعل الخيرات.

وروى الترمذي وصححه، ومحمد بن نصر المروزي في كتاب «الصلاة»، والطبراني، والحاكم عن معاذ بن جبل ﷺ قال: احتبس عنَّا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس،

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٣١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٤٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٩٤).

فخرج سريعاً، فثوب بالصلاة، فصلى رسول الله ﷺ، فلما سلم دعا بصوته فقال: «عَلَى مَصَافِّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ» ثم انفتل إلينا، ثم قالَ: «أَمَا إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُم الْغَدَاةَ: إِنِّي قُمْتُ اللَّيْلَةَ فَتَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي، ونَعِسْتُ فِي صِلاتِي حَتَّى اسْتَثْقَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُوْرَة، فقَالَ: يَا مُحَمَّد! قَلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّي، قَالَ: فِيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: لا أَدْرِي، قَالَهَا ثَلاثاً، قَالَ: فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ، فَوُجِدَ بَرْدُ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وعَرَفْتُهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّي، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الدَّرَجَاتِ وَالْكَفَّارَاتِ، فَقَالَ: مَا الدَّرَجَاتِ؟ فَقُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وإِفْشَاءُ السَّلامِ، وَالصَّلاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، قَالَ: صَدَقْتَ، فَمَا الكَفَّارَاتُ؟ قُلْتُ: إِسْبَاغُ الوُضُوْءِ فِي السَّبُرَاتِ، وانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، ونَقْلُ الأَقْدَامِ إِلى الْجُمُعَاتِ، قَالَ: صَدَقْتَ، سَلْ يَا مُحَمَّدْ، قُلْتُ: اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِيْنِ، وأَنْ تَغْفِرَ لِي وتَرْحَمَنِي، وإِذَا أَرَدْتَ بَيْنَ عِبادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ وأَنَا غَيْرُ مَفْتُوْنٍ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وحُبَّ مَنْ أَحَبَّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلى حُبِّكَ».

قال النَّبِيُّ ﷺ: «تَعَلَّمُوْهُنَّ وادْرُسُوْهُنَّ؛ فَإِنَّهُنَّ حَقٌّ»[1].

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٣٥) وصححه، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٤١)، والحاكم في «المستدرك» (١٩١٣).

وروى عبد الرزاق، والترمذي وحسنه، ومحمد بن نصر، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُوْرَةٍ - أَحْسِبُهُ قَالَ: فِي الْمَنَامِ - قَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فَيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: لا - أَيْ: لا أَدْرِي -، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ - أَوْ فِي نَحْرِيْ - فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدْ! هَلْ تَدْرِي فِيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فِي الْكَفَّارَاتِ، والْكَفَّارَاتُ الْمُكْثُ فِيْ الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، والْمَشْيُ عَلَى الأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَات، وإِبْلاغُ الوُضُوْءِ فِي الْمَكَارِهِ، ومَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ، ومَاتَ بِخَيْرٍ، وكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.

وقَلْ يَا مُحَمَّد إِذَا صَلَّيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْخَيْرَاتِ، وتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وحُبَّ الْمَسَاكِيْنِ، وإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غيرَ مَفْتَوْنٍ.

قَالَ: والدَّرَجَاتُ إِفْشَاءُ السَّلامِ، وإِطْعَامُ الطَّعَامِ، والصَّلاةُ بِاللَّيْلِ والنَّاسُ نِيَامٌ»(١).

وقوله في هذه الرواية: «أَسْأَلُكَ الْخَيْرَاتِ» يحتمل أنه أراد التوفيق

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ١٦٩)، والترمذي (٣٢٣٣) وحسنه.
ورواه محمد بن نصر كما في «مختصر قيام الليل» (ص: ٣٣) وقال: وفي الباب عن ثوبان، وابن عباس، ومعاذ بن جبل، وأبي أمامة رضي الله عنهم، وهذا حديث قد اضطربت الرواة في إسناده، وليس يثبت إسناده عند أهل المعرفة بالحديث. قلت: قد صحح هذا الحديث غير واحد من العلماء.

إلى فعل الخيرات؛ أي: الأعمال الموصلة إلى خيرات الآخرة، ويدل عليه رواية معاذ: «فِعْلَ الْخَيْرَاتِ».

ويحتمل أنه أراد: أسألك الخيرات من النعم في الدنيا والآخرة؛ فإن نعم الدنيا لا تتيسر إلا بفضل الله وبكرمه، فلا ينبغي لمن يسرت له أن يشهدها، بل يشهد ميسرها وتيسيره إياها، ومن ثم قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس: ٥٨].

وقد فسر فضل الله بالقرآن، وبالعلم، وبالإسلام.

والأولى التعميم، حتى يدخل فيه الفرح بكل نعمة من حيث إنَّها من الله تعالى.

وقال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]؛ أي: نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة. رواه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، واللالكائي في «السنة» عن ابن عباس رضي الله عنهما[1].

أي: اختباراً لقلوبكم قوة وضعفاً، وصبراً وجزعاً، ورضاً وسخطاً، وهل تشهدون النعم والخير من الله تعالى فتشكروه عليها، وهل تشهدون البلاء منه تمحيصاً فتصبروا عليه، أم تُبطركم النعم وتشغلكم عن المنعم

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٧/ ٢٥)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٥٦٧).

فتكفروها، أم يحملكم الجزع من البلاء على جحد ما سبق من النعم، وسخط قدره الله فيكم، فالخير الدنيوي لا يكون خيراً حقيقةً إلا إذا قاد صاحبه إلى خير الآخرة، وقد سمِّي المال خيراً في قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾[البقرة: ١٨٠] ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾[النور: ٣٣] ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾[ص: ٣٢] ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[العاديات: ٨] إما باعتبار أنه خير عند أهله، وإما باعتبار ما يؤول إليه من الخير إذا أنفقه في وجوه الخير، وأما باعتبار أنه يلهي ويطغي فلا خير فيه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾، ثم قال: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[طه: ١٣١].

وقال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[الكهف: ٤٦].

وقد اشتهر تفسير ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ بالأذكار المشهورة، وسيأتي قريباً.

والأحسن تعميمها في كل عمل صالح، [قال قتادة][1] كل شيء من طاعة الله فهو من الباقيات الصالحات.

وسئل قتادة عن الباقيات الصالحات فقال: كل ما أريد به وجه الله. رواهما ابن أبي حاتم[2].

---

(١) بياض في «م»، والمثبت من «ت».

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٩٩).

وأخرج هو وغيره معنى الأول عن ابن عباس كما سيأتي.

وقال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[الأعلى: ١٦ ـ ١٧].

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾[الضحى: ٤].

وأخرج الطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «دلائل النبوة» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرِضَ عَلَيَّ مَا هُوَ مَفْتُوحٌ لأُمَّتِي بَعْدِي فَسَرَّنِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾[الضحى: ٤]»(١).

كأنه أشار بالآية إلى أنه لا ينبغي السرور بشيء من الدنيا قل أو جلَّ، لأنها فانية، والآخرة خير منها لأنها باقية.

وقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[الأنعام: ٣٢].

خص في هذه الآية خيرية الآخرة بأهل التقوى.

وقال تعالى: ﴿الَّذِى وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٧٢) واللفظ له، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٦١).

عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[الزخرف: ٣١ ـ ٣٥].

قال الحسن رحمه الله تعالى في قوله ﷻ: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾[الزخرف: ٣٣]: لولا أن يكون الناس أجمعون كفاراً فيميلوا إلى الدنيا لجعل الله لهم الذي قال، وقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل ذلك، فكيف لو فعل؟ رواه عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن جرير(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ﴾[المؤمنون: ٥٢ ـ ٥٦].

قال قتادة رحمه الله: مكر بالقوم في أموالهم وأولادهم، فلا تعتبروا الناس بأموالهم وأولادهم، ولكن اعتبروهم بالإيمان والعمل الصالح.

وقال يزيد بن ميسرة رحمه الله تعالى: أجد فيما أنزل الله على موسى عليه السلام: أيفرح عبدي المؤمن أن أبسط له الدنيا وهي أبعد له مني، أو يجزع عبدي المؤمن أن أقبض عنه الدنيا وهو أقرب له مني، ثم تلا: ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم﴾[المؤمنون: ٥٥] الآية. رواهما ابن أبي حاتم(٢).

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٥/ ٦٨). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٣٧٦).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١٠٤).

وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ﴾[القصص: ٧٩]؛ يعني: قارون.

قال قتادة: ﴿فِي زِينَتِهِۦ﴾: في حشمه، ذكر لنا أنهم خرجوا على أربعة آلاف دابة عليهم ثياب حمر، منها ألف بغلة بيضاء، وعلى دوابهم قطائف الأرجوان.

وقال زيد بن أسلم: خرج في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات.

وكان ذلك أول يوم في الأرض رُئيت المعصفرات فيها.

وقال ابن جريج: خرج على بغلة شهباء عليها الأرجوان ومعه ثلاث مئة جارية على بغال شُهُب عليهنَّ ثياب حمر.

وقال السدي: خرج في جَوارٍ بيض على سروج من ذهب، عليهن ثياب حمر وحلي ذهب. رواها ابن أبي حاتم[1].

قال تعالى: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[القصص: ٧٩].

وكانوا أناساً من أهل التوحيد، كما رواه ابن أبي حاتم عن قتادة[2]، إلا أنهم كانوا يريدون الدنيا.

وفيه دليل على أن إرادة الدنيا لا تنقص التوحيد، إلا أنها تناقض المقام في الآخرة.

---

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٩/ ٣٠١٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٣٠١٥).

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾[القصص: ٨٠]؛ أي: عن إرادة الدنيا، وطلب نعيمها، وأنتم مؤمنون، وأعمالكم صالحة، فلا ينبغي لكم أن ترغبوا عن ثواب الله الذي آمنتم به وعملتم رغبةً فيه.

ثم قال تعالى بعد أن ذكر الخسف بقارون: ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾[القصص: ٨٢]؛ أي: قضاءً وقدراً، لا لكرامة توجب البسط فيبسط، ولا لهوان يوجب القدر فيقدر، فلا ينبغي للعبد أن يتحرَّ خلاف ما اختاره الله تعالى له كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[القصص: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[الأحزاب: ٣٦].

فقد يختار العبد البسط في الرزق ويكون فيه سوءه، ولذلك قالوا: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[القصص: ٨٢]؛ أي: لنعم الله تعالى، أو المكذبون لرسله.

قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ ﴾؛ أي: المحمودة وهي عاقبة الخير ﴿لِلْمُتَّقِينَ ﴾[القصص: ٨٣]، وهي الانتهاء إلى الجنة.

ثم قال تعالى عقب ذلك: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾[النمل: ٨٩]؛

أي: أحسن منها، أو خير حاصل لـه منها ـ أي: بسببها ـ، فالخير إنمـا يحصل لعمال الخير بأعمال الخير.

وقد سبق في الحديث أنَّ جماع الخير في التقوى.

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[البقرة: ١٩٧].

روى الطبـراني في «الكبيـر» عـن جريـر ﷺ: أن النبـي ﷺ قـال: «مَنْ يَتَزَوَّدْ فِي الدُّنْيَا ـ يَعْنِي: مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ والتَّقْوَى ـ يَنْفَعْهُ فِي الآخِرَةِ»[١].

روى الإمام أحمد، والبغوي في «معجمه»، والبيهقي في «سننـه» عن رجل من أهل البادية قال: أخـذ بيدي رسول الله ﷺ فجعل يعلمني مما علمه الله، فكان فيما حفظت عنه أن قال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئاً اتِّقَاءَ اللهِ إِلاَّ أَعْطاكَ خَيْراً مِنْهُ»[٢]. قال السخاوي: رجاله رجال الصحيح[٣].

روى أبو نعيم عن الشعبي قال: ما ترك أحد شيئاً لله في الدنيا، إلا عوضه الله في الآخرة ما هو خير منه[٤].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢٧١). قال أبو حاتم: حديث باطل، كما في «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٢/ ١٣٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسنـد» (٥/ ٧٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣٣٥).

(٣) انظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٥٧٧).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣١٢).

وروى هو وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَا تَرَكَ عَبْدٌ شَيْئاً للهِ لا يَتْرُكُهُ إلا لَهُ، إلا عَوَّضَهُ اللهُ مِنْهُ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ فِي دِيْنِهِ وَدُنْيَاهُ»[1].

روى أبو الشيخ في كتاب «الثواب» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الزَّادِ التَّقْوَى، وَخَيْرُ مَا أُلْقِيَ فِي القَلْبِ اليَقِيْنُ».

وروى أبو نعيم عن عبدالله بن بُسر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ العَمَلِ أَنْ تُفَارِقَ الدُّنْيَا وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ»[2].

وروى الترمذي وحسَّنه، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ الدُّعَاءِ [دعاء] يَوْم عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّوْنَ مِنْ قَبْلِي: لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ»[3].

وروى ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ﴾[الكهف: ٤٦]؛ قال: هي ذكر الله: لا إله

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٩٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ٣٧٤).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١١٢).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٨٥) وقال: حديث غريب من هذا الوجه، وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد، وهو أبو إبراهيم الأنصاري المديني، وليس بالقوي عند أهل الحديث.

إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، وتبارك الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله، وصلى الله على رسول الله، والصلاة، والصيام، والحج، والصدقة، والعتق، والجهاد، والصلة، وجميع أعمال الحسنات، وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة[١].

وروى الإمام أحمد، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم وصححاه، عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اسْتَكْثِرُوْا مِنَ البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ»، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: «التَّكْبِيْرُ، وَالتَّهْلِيْلُ، وَالتَّسْبِيْحُ، وَالتَّحْمِيْدُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ»[٢].

وروى ابن النجار في «تاريخه»، والديلمي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الكَلامِ أَرْبَعٌ لا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ؛ لا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ»[٣].

وروى الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه»، والبيهقي في «شعبه» عن سعد بن أبي وقاص ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ الذِّكْرِ

---

(١) ورواه الطبري في «التفسير» (١٥/ ٢٥٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٧٥)، وأبو يعلى في «المسند» (١٣٨٤)، والطبري في «التفسير» (١٥/ ٢٥٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٤٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٨٩).

(٣) ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٧٧)، وابن حبان في «صحيحه» (١٨١٢).

الْخَفِيُّ، وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي»[1].

وروى الحاكم في «تاريخ نيسابور» عن علي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ الدُّعَاءِ الاستِغْفَارُ، وَخَيْرُ العِبَادَةِ لا إِلَهَ إِلا اللهُ»[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن ميمون بن سياه رحمه الله قال: إذا أراد الله بعبد خيراً حبَّب إليه ذكره[3].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن الحسن قال: تفكر ساعة خير من قيام الليل[4].

وروى ابن سعد في «طبقاته» عن أبي الدرداء، وأبو الشيخ في «العظمة» عن ابن عباس قالا: قال رسول الله ﷺ: «تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ»[5].

بل في «العظمة» عن أبي هريرة مرفوعاً: «فِكْرَةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٧٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٠٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٣٦٩).

(٢) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٨٩٧).

(٣) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٠٧).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٧٢).

(٥) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٣٩٢) عن أبي الدرداء ﷺ موقوفاً عليه.
ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٢٩٨) عن ابن عباس ﷺ موقوفاً عليه أيضاً.

سِتِّيْنَ سَنَةً»[1].

وروى الحاكم في «المستدرك»، والرافعي في «تاريخ قزوين» عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ الأَعْمَالِ وَأَقْرَبُهَا إِلى اللهِ الصَّلاةُ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا»[2].

وروى الطبراني في «الكبير» عن ابن عمر رضي الله عنهما، وأبو يعلى، والحاكم عن بريدة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرَاً يُعَلِّمْهُنَّ إِيَّاهُ، ثُمَّ لا يُنْسِيهِ أَبَدَاً؛ قُل: اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقَوِّ فِي رِضَاكَ ضَعْفِي، وَخُذْ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَتِي، وَاجْعَلِ الإِسْلامَ مُنْتَهَى رِضَائِي، اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقَوِّنِي، وَإِنِّي ذَلِيْلٌ فَأَعِزَّنِي، وَإِنِّي فَقِيْرٌ فَارْزُقْنِي»[3].

وروى البيهقي في «الشعب» عن بعض الصحابة رضي الله عنهم: أن النبي ﷺ قال: «العِلْمُ أَفْضَلُ مِنَ العَمَلِ، وَخَيْرُ الأَعْمَالِ أَوْسَاطُهَا، وَدِيْنُ اللهِ بَيْنَ القَاسِيْ وَالغَالِي، وَالْحَسَنَةُ بَيْنَ السَّيِّئَتَيْنِ، لا تَنَالُهَا إِلا بِاللهِ، وَشَرُّ السَّيْرِ الْحَقْحَقَةُ»[4].

وروى أبو الشيخ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٣٠٠).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٧٨)، والرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (٢/ ١٥٢).

(٣) كذا عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧٩) إلى الطبراني عن ابن عمرو رضي الله عنهما، ثم قال: وفيه أبو داود الأعمى، وهو متروك.
وروواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٣١) عن بريدة رضي الله عنه.

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٨٨٧).

«العِلْمُ خَيْرٌ مِنَ العَمَلِ، وَمَلاكُ الدِّيْنِ الوَرَعُ، وَالعَالِمُ مَنْ يَعْمَلُ».

ورواه ابن عبد البر في «العلم» من حديث أبي هريرة دون قوله: «وَالعَالِمُ مَنْ يَعْمَل»(١).

وروى الطبراني في «الكبير» عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قَلَيْلُ العِلْمِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيْرِ العِبَادَةِ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ فِقْهاً إِذَا عَبَدَ اللهَ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً إِذَا أُعْجِبَ بِرأْيِهِ، وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلانِ مُؤْمِنٌ وَجَاهِلٌ، فَلا تُؤْذِي الْمُؤْمِنَ، وَلا تُجَاوِرِ الْجَاهِلَ»(٢).

روى الإمام أحمد، والشيخان عن معاوية، والإمام أحمد، والدارمي، والترمذي وصححه عن ابن عباس، وابن ماجه عن أبي هريرة، والطبراني في «الأوسط» عنه وعن عمر رضي الله عنهم قالوا: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرَاً يُفقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ»(٣).

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٢٣).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٦٩٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٠): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» وفيه إسحاق بن أسيد، قال أبو حاتم: لا يشتغل به.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٩٢)، والبخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية رضي الله عنه.
ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٦)، والدارمي في «السنن» (٢٢٥)، والترمذي (٢٦٤٥) وصححه عن ابن عباس رضي الله عنه.
ورواه ابن ماجه (٢٢٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٤٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٢٨٨) عن عمر رضي الله عنه.

زاد الإمام أحمد في حديث أبي هريرة: «وَإِنَّما أَنا قاسِمٌ وَيُعْطِي اللهُ»[1].

وهذه الزيادة بمعناها في حديث معاوية في رواية لمسلم، وغيره.

وروى الطبراني في «الكبير» حديثه، ولفظه: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرَاً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ وَيُلْهِمْهُ رُشْدَهُ»[2].

وبهذا اللفظ رواه أبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه[3].

وروى البزار حديثه، ولفظه: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرَاً فَقَّهَهُ فِي الدِّيْنِ، وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ»[4].

وروى البيهقي في «الشعب» عن محمد بن كعب رحمه الله مرسلاً، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرَاً فَقَّهَهُ فِي الدِّيْنِ، وَزَهَّدَهُ فِي الدُّنْيَا، وَبَصَّرَهُ عُيُوْبَهُ»[5].

وروى ابن عبد البر عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ دِيْنِكُمْ أَيْسَرُهُ، وَخَيْرُ العِبَادَةِ الفِقْهُ»[6].

---

(١) رواه الإمام أحمد في في «المسند» (٢/ ٢٣٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٤٠).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٠٧).

(٤) رواه البزار في «المسند» (١٧٠٠).

(٥) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٣٥) عن محمد بن كعب مرسلاً.

(٦) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٢١).

وصدْرُه أخرجه الإمام أحمد، والبخاري في «تاريخه» عن مِحْجَنٍ ابن الأدرَع، والطبراني في «الكبير» عنه، وعن عمران بن حصين، وفي «الأوسط» عن أنس رضي الله عنهم[1].

وحديث أنس رواه الضياء المقدسي في «المختارة»[2]، فهو حديث حسن.

وروى أبو الشيخ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ دِيْنِكُمُ الوَرَعُ»[3].

وروى الإمامان؛ مالك، وأحمد، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححاه، عن أسامة بن شَريك رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «خَيْرُ مَا أُعْطِيَ النَّاسُ خُلُقٌ حَسَنٌ»[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٤١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢٩٦) عن محجن بن الأدرع رضي الله عنه.
وروراه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٢٣٠) عن عمران بن حصين رضي الله عنه، وفي «المعجم الصغير» (١٠٦٦) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢٥٦٥).

(٣) وروراه البزار في «المسند» (٢٩٦٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٩٦٠) كلاهما عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٤) رواه الطيالسي في «المسند» (١٢٣٣)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٧٨)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٠٦١)، والحاكم في «المستدرك» (٤١٦).

وفي رواية لابن حبان: قالوا: يا رسول الله فما خير ما أُعطي الإنسان؟ قال: «خُلُقٌ حَسَنٌ»(١).

وروى ابن أبي شيبة عن رجل من جُهينة: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ خُلُقٌ حَسَنٌ، وَشَرُّ مَا أُعْطِيَ الرَّجُلُ قَلْبُ سُوْءٍ فِي صُوْرَةٍ حَسَنَةٍ»(٢).

وروى الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه عن جرير ابن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ»(٣).

وروى الطبراني في «الكبير» بزيادة، ولفظه: «الرِّفْقُ بِهِ الزِّيَادَةُ وَالبَرَكَةُ، وَمَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ»(٤).

وروى الإمام أحمد، والبخاري في «التاريخ»، والبيهقي في «الشعب» عن عائشة، والبزار عن جابر ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٠٦١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٣٦٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٢)، ومسلم (٢٥٢٩)، وأبو داود (٤٨٠٩)، وابن ماجه (٣٦٨٧).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤٥٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٨): فيه عمر بن ثابت، وهو متروك.

بِأَهْلِ بِيْتٍ خَيْرَاً أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها أخرجـه البيهقي في «الشعب» بزيادة، ولفظه: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبِيْدٍ خَيْرَاً رَزَقَهُمْ الرِّفْقَ فِي مَعَاشِهِم، وَإِذَا أَرَادَ بِهِمْ شَرَّاً رَزَقَهُم الْخَرْقَ فِي مَعَاشِهِم»[2].

وروى الدارقطني في «الأفراد» عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرَاً فَقَّهَهُمْ فِي الدِّيْنِ، وَوَقَّرَ صَغِيْرُهُم كَبِيْرَهُم، وَرَزَقَهُمُ الرِّفْقَ فِي مَعِيْشَتِهِم، وَالقَصْدَ فِي نَفَقَاتِهِم، وَبَصَّرَهُمْ عُيُوْبَهُم، فَيَتُوْبُوا مِنْهَا، وَإِذَا أَرَادَ بِهِمْ غَيْرَ ذَلِكَ تَرَكَهُمْ هَمَلاً»[3].

وروى السِّجزي في «الإبانة» عن حيان[4] بن أبي جبلة، والديلمي عن ابن عمر ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ خَيْرَاً أَكْثَرَ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٧١)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٤١٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٥٦٠) عن عائشة رضي الله عنها.
وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٩) إلى البزار من حديث جابر ﷺ.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٥٦١).

(٣) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٩٥٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨/ ٧٨).

(٤) الصواب: «حبان» بدل «حيان». قال ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٢/ ٢٢٠): ذكره عبدان في الصحابة، فوهم، وإنما هو تابعي معروف، وصحف اسمه، وإنما هو بكسر المهملة، بعدها موحدة.

فُقَهَاءَهُمْ، وَأَقَلَّ جُهَّالَهُمْ، فَإِذَا تَكَلَّمَ الفَقِيْهُ وَجَدَ أَعْوَاناً، وَإِذَا تَكَلَّمَ الْجَاهِلُ قُهِرَ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ شَرّاً أَكْثَرَ جُهَّالَهُم، وَأَقَلَّ فُقَهَاءَهُمْ، فَإِذَا تَكَلَّمَ الْجَاهِلُ وَجَدَ أَعْوَاناً، وَإِذَا تَكَلَّمَ الفَقِيْهُ قُهِرَ»[1].

وروى الإمام أحمد، والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ[2] مِنْهُ»[3]؛ أي يستلبه ولداً، أو مالاً، أو منفعة ابتلاء ليصبر، فإذا صبر كان خيراً.

وروى الإمام أحمد، ومسلم عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إِلا لِلمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ»[4].

وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[النساء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[البقرة: ١٨٤].

وروى البيهقي في «السنن» عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ

(١) ورواه المعافى بن زكريا في «الجليس الصالح» (ص: ٤٠٦)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٦٥) عن حبان بن أبي جبلة.
ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٩٥٢) عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) قال النووي في «رياض الصالحين» (ص: ١٨): ضبطوا «يُصَب» بفتح الصاد وكسرها.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٧)، والبخاري (٥٣٢١).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٣٢)، ومسلم (٢٩٩٩).

قال: «خَيْرُ خِصَالِ الصَّائِمِ السِّوَاكُ»[1]؛ أي: حيث يكون مطلوباً.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[الجمعة: ٩ ـ ١١].

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٨٠].

يحتمل أنه إخبار عن خيرية مطلق الصدقة، فإنها من أعمال الخير وخيرها؛ قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾[البقرة: ٢٧٢].

ويحتمل ـ وهو الأقرب ـ أن يكون المعنى: وأن تصدقوا على المعسر ببراءته مما لكم عليه أو من بعضه خير لكم.

وعليه: فخير: أفعل تفضيل؛ أي: خير لكم من الإنظار، ولا يلزم عليه أن لا يكون الإنظار خيراً.

وقد روى مسلم، والترمذي عن أبي مسعود البدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «حُوْسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فلم يُوْجَدْ لَـهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إلا أَنَّـهُ كَـانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَـانَ مُوْسِـراً، وَكَانَ يَأْمُـرُ غِلْمَانَـهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوْا عَنِ الْمُعْسِرِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ، تَجَاوَزُوْا عَنْهُ»[2].

وأما حديث «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال:

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٢٧٢). وكذا ابن ماجه (١٦٧٧).

(٢) رواه مسلم (١٥٦١)، والترمذي (١٣٠٧).

«إِنَّ رَجُلاً لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطْ، وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ، وَكَانَ يَقُوْلِ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِراً فَتَجَاوَزْ عَنْهُ لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، فَلَقِيَ اللهَ، فَتَجَاوَزَ عَنْهُ»[1].

فالمراد: أنه لم يعمل خيراً قط في اعتقاد نفسه، أو في اعتقاد الناس فيه، وإلا فإن التجاوز عن المعسر شامل لإنظاره والإعراض عن مطالبته إلى وقت ميسرته، وشامل لترك الحق له، وهو معنى الصدقة عليه التي هي خير بنص القرآن.

قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[البقرة: ٢٧١]؛ أي: من الإبداء ـ وإن كان في الإبداء خير ـ إلا أن الإخفاء أفضل ـ أي: في صدقة التطوع ـ وأما في الفرض فالإظهار خير من الإخفاء ليقتدي به غيره، وليعلم الناس أنه يؤدي الزكاة فلا يُطعن عليه بمنعها، فيأثم الطاعن.

روى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال في الآية: جعل صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً، وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً ـ قال: ـ وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها[2].

وروى الإمام أحمد، والبزار، والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «الشعب» عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أَدُلُّكَ عَلَى

---

(١) رواه البخاري (٣٢٣٩)، ومسلم (١٥٦٢).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٩٢).

كَنْزٍ مِنْ كُنُوْزِ الْجَنَّةِ؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ؛ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوْزِ الْجَنَّةِ»، قلت: فالصلاة يا رسول الله؟ قال: «خَيْرٌ مَوْضُوْعٌ؛ فَمَنْ شَاءَ أَقَلَّ، وَمَنْ شَاءَ أَكْثَرَ»، قلت: فالصوم يا رسول الله؟ قال: «فَرْضٌ مَجْزِيٌّ»، قلت: فالصدقة يا رسول الله؟ قال: «أَضْعَافٌ مُضَاعَفَةٌ وَعِنْدَ اللهِ مَزِيْد»، قلت: فأيها أفضل؟ قال: «جُهْدٌ مِنْ مُقِلٍّ، وَسِرٌّ إِلَىْ فَقِيْرٍ»(١).

قال الله تعالى: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌ﴾[النساء: ١٢٨].

وقال ﷻ: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾[النساء: ١١٤].

وإذا كان الأمر بذلك خير فأولى أن يكون فعله من الخير، فصنائع المعروف كلها خير.

روى ابن أبي الدنيا في «الصمت» عن يحيى بن أبي كثير رحمه الله قال: خصلتان إذا رأيتهما في رجلٍ فاعلم أنَّ وراءهما خيرٌ منهما؛ إذا كان حابساً للسانه، يُحافظ على صلواته(٢).

وروى [عن] عبد الرحمن بن شُريح رحمه الله قال: لو أن عبداً

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٦٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٧٢١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٧٦). وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٦٠) إلى البزار.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٢٦٤).

اختار لنفسه ما اختار شيئاً أفضل من الصمت[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول في خطبته: ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من كذب يفجر، ومن يفجر يهلك[2].

من الصدق ما استثناه الشرع؛ فإن الكذب فيه ما لم يمكن التعريض، والتورية خير، ففي الصحيح: «لَيْسَ بِالكَذَّابِ الَّذِيْ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَقُوْلُ خَيْرَاً أَوْ يَنْمِي خَيْرَاً»[3].

وروى ابن أبي الدنيا ـ أيضاً ـ عن ميمون بن مهران رحمه الله قال ـ وعنده رجل من قراء أهل الشام ـ: إن الكذب في بعض المواطن خير، فقال الشامي: لا، الصدق في كل موطن خير، فقال: أرأيت لو رأيت رجلاً يسعى وآخر يتبعه بالسيف، فدخل داراً، فانتهى إليك، فقال: رأيت رجلاً؟ ما كنت قائلاً؟، قال: كنتُ أقول: لا، فهو ذاك[4].

بل قالوا: إنَّ الكذب في مثل ذلك واجب، ولو استحلفه حلف.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٢٩٨).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٢٤٢).

(٣) رواه البخاري (٢٥٤٦)، ومسلم (٢٦٠٥) عن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٢٤٦).

وكذلك يستثنى من الصدق ما لا خير فيه؛ كالقذف، والغيبة، والنميمة.

روى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن غَنْم[1]، والطبراني في «الكبير» عن عبادة ﷺ: أنَّ النبي ﷺ قال: «خِيَارُ أُمَّتِي الَّذِيْنَ إِذا رُؤُوْا ذُكِرَ اللهُ، وَشِرَارُ أُمَّتِي الْمَشَّاؤُوْنَ بِالنَّمِيْمَةِ، الْمُفَرِّقُوْنَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، البَاغُوْن للبُرَآءَ الْعَنَتَ[2]»[3].

وروى الأصبهاني في «ترغيبه» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! عَدْلُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبادَةِ سِتِّيْنَ سَنَةً، قِيَامِ لَيْلِهَا وَصِيَامِ نَهَارِهَا، وَيَا أَبَا هُرَيْرَةَ! جَوْرُ سَاعَةٍ فِي حُكْمٍ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ مَعَاصِي سِتِّيْنَ سَنَةً»[4].

ومن شواهده: ما أخرجه الطبراني في «الكبير» بإسناد حسن، و«الأوسط» عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَوْمٌ مِنْ إِمَامٍ

---

(١) عده بعضهم في الصحابة، وبعضهم قال: كان مسلماً على عهد رسول الله ﷺ ولم يره.

(٢) كذا في «م» وفي «المسند»، وفي «مجمع الزوائد»: «للبرآء العيب» بدل «البراء العنت».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٢٧) عن عبد الرحمن بن غنم ﷺ.
وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٩٣) عن عبادة ﷺ. وقال: فيه يزيد ابن ربيعة، وهو متروك.

(٤) ورواه أبو نعيم في «فضيلة العادلين» (ص: ١١٧).

عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّيْنَ سَنَةً، وَحَدٌّ يُقَامُ فِي الأَرْضِ بِحَقِّهِ أَزْكَى فِيْهَا مِنْ مَطَرِ أَرْبَعِيْنَ صَبَاحاً»[1].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: طاعة الله، والرسول، وأولي الأمر، ورد الأمر لهم ﴿خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[النساء: ٥٩].

روى ابن أبي شيبة، والحكيم الترمذي في «نوادره»، والمفسرون، والحاكم وصححه، عن جابر بن عبدالله ﷺ في قوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ قال: هم أولو الفقه وأولو الخير[2].

روى ابن أبي شيبة، وابن جرير عن أبي العالية رحمه الله قال: هم أهل العلم، ألا ترى أنه يقول: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾[النساء: ٨٣][3].

وفيه دليل على أن العالم إذا اختلف عليه أمر من أحكام الله تعالى

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٩٣٢)، وفي «المعجم الأوسط» (٤٧٦٥).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٥٣٣)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٢٦٠)، والطبري في «التفسير» (٥/ ١٤٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤٢٢).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٥/ ١٤٩).

لم يستطع أن يبلغ الحق فيه بفهمه ينبغي أن يردَّه إلى عالمه، وأنَّ ذلك خيرٌ له من ارتكاب التأويل والتكلف.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾[النساء: ٦٦]؛ أي: تصديقاً، كما رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم عن السدي(١).

وفيه إشارة أنَّ من ألقيت إليه الموعظة فعمل بها كان على خير، وأنه إذا عمل بها كان أشد إيماناً بها وتصديقاً لها.

وقال الله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾[البقرة: ٢٦٣].

والقول المعروف لإفادة العلم والإرشاد إلى الخير والنصيحة، فالدلالة على الخير وقولك للسائل: يفتح الله عليك.

قال الضحاك في قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ قال: ردٌّ جميل، يقول: يرحمك الله، يرزقك الله، ولا ينتهره، ولا يغلظ له القول. رواه ابن المنذر(٢).

وروى ابن أبي حاتم عن عمرو بن دينار رحمه الله مرسلاً قال: بلغني أن النبي ﷺ قال: مَا مِنْ صَدَقَةٍ أَحَبُّ إِلى اللهِ مِنْ قَوْلٍ؛ أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٥/ ١٦١)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٩٩٦).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٤٣).

تَعَالَى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾[1].

روى الحاكم وصححه، عن علي ﷺ في قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[التحريم: ٦] قال: علموا [أنفسكم و]أهليكم الخير[2].

روى ابن ماجه عن أبي أمامة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «العَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيْكَانِ فِي الْخَيْرِ[3]، وَلا خَيْرَ فِي سَائِرِ النَّاسِ»[4]؛ أي: بعدهما.

وروى الترمذي وصححه، عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوْتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِيْ النَّاسِ الْخَيْرَ»[5].

وروى البزار عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «مُعَلِّمُ

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٥١٦).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٢٦).

(٣) في «سنن ابن ماجه»: «الأجر» بدل «الخير».

(٤) رواه ابن ماجه (٢٢٨)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٧٥). قال ابن طاهر المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (٣/ ١٥٩٧): ـ فيه ـ عثمان بن أبي العاتكة، وهو ضعيف.

وفيه أيضاً علي بن يزيد الألهاني، قال الذهبي في «المغني في الضعفاء» (٢/ ٤٥٧): ضعفوه وتركه الدارقطني.

(٥) رواه الترمذي (٢٦٨٥) وقال: غريب.

الْخَيْرِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي البَحْرِ»[1].

شامل لتعليم القرآن، والعلم، وتعليم الحرف، والصنائع التي يكف بها العبد وجهه، ويكفي عياله، وقد تقدم حديث: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، وحديث: «فَضْلُ العِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ العِبَادَةِ»، وغيرهما.

وفي كتاب الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة: ٢٦٩].

والحكمة القرآن أو علومه، أو الفقه، أو الإصابة في القول، أو غير ذلك، أقوال[2].

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقرىء الرجل الآية، ثم يقول: تعلمها؛ فإنها خيرٌ لك مما بين السماء والأرض، حتى يقول ذلك في القرآن كله.

رواه ابن أبي شيبة، والطبراني[3].

وروى البزار عن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ البَيْتَ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ القُرْآنُ يَكْثُرُ خَيْرُهُ، وَإِنَّ البَيْتَ الَّذِي لا يُقْرَأُ فِيهِ القُرْآنُ يَقِلُّ خَيْرُهُ»[4].

---

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٤): رواه البزار، وفيه محمد بن عبد الملك، وهو كذاب.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٩٠)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٥٣١).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٦٦٢)، وكذا رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٥٩٩٢).

(٤) رواه البزار في «المسند» (٦٦٧٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٤٠٥): فيه عمر بن نبهان، وهو ضعيف.

وروى الطبراني عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَسِيْرُ الفِقْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيْرِ العِبَادَةِ، وَخَيْرُ أَعْمَالِكُمْ أَيْسَرُهَا»[1].

وروى مسلم، وأبو داود، والترمذي عن أبي مسعود البدري ﷺ: أنَّ رجلاً أتى النبي ﷺ يستحمله، فقال: إنه قد أبدع بي فاحملني، فقال رسول الله ﷺ: «ائْتِ فُلاناً» فأتاه فحمله، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»[2].

وروى ابن حبان نحوه عن ابن مسعود[3].

ورواه البزار مختصراً، ولفظه: «الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ»[4].

ورواه الطبراني بهذا اللفظ عن سهل بن سعد[5].

ورواه ابن أبي الدنيا، والبزار من حديث أنس، وزاد فيه: «واللهُ يُحِبُّ إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ»[6].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٨٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢١): فيه خارجة بن مصعب، وهو ضعيف جداً.

(٢) رواه مسلم (١٨٩٣)، وأبو داود (٥١٢٩)، والترمذي (٢٦٧١) واللفظ له.

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٨٩) و(١٦٦٨) عن أبي مسعود ﷺ.

(٤) كذا عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٦٦) إلى البزار.

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٩٤٥).

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص: ٣٩)، وكذا رواه الترمذي (٢٦٧٠) عن أنس ﷺ، لكن دون الزيادة. وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» =

وهـو بهـذا اللفـظ وهذه الزيادة عند الإمام أحمد، وأبي يعلى في «مسنديهما» عن بريدة[1].

وأورده الضياء المقدسي في «المختارة»[2].

وروى ابن ماجه وغيره عن سهل بن سعد ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ هَذَا الْخَيْرَ خَزَائِنُ، [و]لِتِلْكَ الْخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحاً لِلْخَيْرِ مِغْلاقـاً لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِعَبْـدٍ جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحـاً للشَّرِّ مِغْلاقاً لِلْخَيْرِ»[3].

وروى الإمام أحمد، والحاكم وصححه، عن حذيفة ﷺ قال: سأل رجل على عهد رسول الله ﷺ فأمسك القوم، ثم إن رجلاً أعطاه فأعطى القوم، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ خَيْراً فَاسْتُنَّ بِهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ وَمِثْلُ أُجُوْرِ مَنْ تَبِـعَهُ غَيْرَ مُنْتَقِصٍ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ سَنَّ شَرّاً فَاسْتُنَّ بِـهِ كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهُ وَمِثْلُ أَوْزَارِ مَنِ اتَّبَعَهُ غَيْرَ مُنْتَقِصٍ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئاً»[4].

= (٣/ ١٣٧) إلى البزار، وقال: فيه زياد النميري، وثقه ابن حبان، وقال: يخطيء، وابن عدي، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٥٧) عن بريدة ﷺ. لكن دون الزيادة. ورواه أبي يعلى في «المسند» (٤٢٩٦) لكن عن أنس ﷺ.

(٢) رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢١٩٣) عن أنس ﷺ.

(٣) رواه ابن ماجه (٢٣٨)، وكذا أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٢٩).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٠٦).

وأخرج الإمام أحمد، وابن ماجه نحوه من حديث أبي هريرة(١).

وهو عند الإمامين؛ مالك، وأحمد، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه بمعناه من حديث جرير(٢).

وفي الباب عن واثلة، وأبي جحيفة، وغيرهما(٣).

وروى الخرائطي في «مكارم الأخلاق» عن كعب قال: يؤتى بالرئيس في الخير يوم القيامة فيقال له: أجب ربك، فينطلق إلى ربه لا يحتجب عنه، فيؤمر به إلى الجنة، فيرى منزلته ومنزلة أصحابه الذين كانوا يجامعونه على الخير ويُعينونه عليه، فيقال له: هذه منزلة فلان، وهذه منزلة فلان، فيرى ما أعدَّ الله لهم في الجنة من الكرامة، ويَرى منزله أفضل من منازلهم، ويُكسى حُلَّة من ثياب الجنة، ويُوضع على رأسه تاج، ويغلفه من ريح الجنة، وشرق وجهه حتى يكون مثل القمر، فيخرج فلا يراه أهل ملأ إلا قالوا: اللهم اجعله منهم حتى يأتي أصحابه الذين كانوا يجامعونه على الخير ويُعينونه، فيقول: أبشر يا فلان؛ فإن الله أعد لك في الجنة كذا وكذا، وأبشر يا فلان؛ فإن الله أعدَّ لك في الجنة كذا وكذا، فلا يزال يبشرهم بما أعدَّ الله لهم في الجنة من الكرامة حتى

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٥٢٠)، وابن ماجه (٢٠٤).

(٢) رواه الطيالسي في «المسند» (٦٧٠)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٥٨)، ومسلم (١٠١٧)، والترمذي (٢٦٧٥)، والنسائي (٢٥٥٤)، وابن ماجه (٢٠٣).

(٣) انظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (١/ ١٦٧ ـ ١٦٨).

يعلو وجوههم من البياض مثل ما علا وجهه، فيعرفهم الناس [ببياض] وجوههم[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٤ ـ ٣٥]؛ أي: ذلك المذكور من الإحسان إلى اليتيم، وكف الأذى عنه، والطمع عن ماله، والوفاء بالعهد، وفي الكيل والوزن خير وأحسن تأويلاً؛ أي: عاقبة.

ويحتمل أن تكون الإشارة بذلك إلى أعم من ذلك من التوحيد، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والبراءة من الوأد، والزنا، والقتل بغير حق، والإحسان إلى اليتيم، وما بعده؛ فإنها كلها من الخير.

وروى ابن المبارك، والبخاري في «تاريخه»، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِيْنَ بَيْتٌ فِيْهِ يَتِيْمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِيْنَ بَيْتٌ فِيْهِ يَتِيْمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ، أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيْمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا»، وأشار بالسبابة والوسطى[2].

وروى أبو نعيم عن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ بُيُوْتِكُمْ بَيْتٌ

---

(١) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٣٣٤).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٢٣٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٣٧)، وابن ماجه (٣٦٧٩).

فِيْهِ يَتِيْمٌ مُكَرَّمٌ»[1].

وروى ابن ماجه عن ابن عباس ﵄ قال رسول الله ﷺ: «الْخَيْرُ أَسْرَعُ إِلى البَيْتِ الَّذِي يُؤْكَلُ فِيْهِ مِنْ الشَّفْرَةِ إِلَى سَنَامِ البَعِيْرِ»[2].

وروى البيهقي في «الشعب» عن أبي مالك الأشعري ﵁: أن النبي ﷺ قال: «ستُّ خِصَالٍ مِنَ الْخَيْرِ؛ جِهَادُ أَعْدَاءِ اللهِ بِالسَّيْفِ، وَالصَّوْمُ فِي يَوْمِ الصَّيْفِ، وَحُسْنُ الصَّبْرِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَأَنْتَ مُحِقٌّ، وَتَبْكِيْرُ الصَّلاةِ فِي يَوْمِ الغَيْمِ، وَحُسْنُ الوُضُوْءِ فِي أَيَّامِ الشِّتَاءِ»[3].

وقول: من الخير؛ أي: من الأفضل في الخير؛ إذ شاركها في الخير ما هو دونها؛ كصوم الشتاء، وحسن الوضوء في الصيف، والتبكير إلى الصلاة في يوم الصحو، إلا أن هذه أفضل.

وروى ابن السني، والحاكم وصححه على شرط مسلم، عن جابر ﵁: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذا أَوَىْ إِلَىْ فِراشِهِ ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطانٌ، فَيَقُوْلُ الْمَلَكُ: اخْتِمْ بِخَيْرٍ، وَيَقُوْلُ الشَّيْطانُ: اخْتِمْ بِشَرٍّ، فَإِنْ

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٣٧). قال أبو حاتم: منكر. انظر: «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٢/ ١٧٦).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٣٥٧). وهو ضعيف.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٥٥). وقال: بحر بن كثير ضعيف في الرواية.

ذَكَرَ اللهَ باتَ الْمَلَكُ يَكْلَؤُهُ»[1]؛ أي: يحفظه ويحرسه.

وروى الترمذي، والبيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ حَافِظَيْنِ يَرْفَعَانِ إِلَى اللهِ عز وجل مَا حَفِظَا مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ فَيَجِدُ اللهُ فِي أَوَّلِ الصَّحِيْفَةِ وَفِي آخِرِهَا خَيْرَاً إِلا قَالَ لِلْمَلائِكَةِ عَلَيهِمُ السَّلامُ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي مَا بَيْنَ طَرَفِي الصَّحِيفَةِ»[2].

وروى الطبراني في «الكبير» ـ قال المنذري: وإسناده حسن ـ عن عبدالله بن بُسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اسْتَفْتَحَ أَوَّلَ نَهَارِهِ بِخَيْرٍ وَخَتَمَهُ بِخَيْرٍ قَالَ اللهُ عز وجل لِمَلائِكَتِهِ: لا تَكْتُبُوْا عَلَيْهِ مَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوْبِ»[3].

وروى الخرائطي في «مكارمه» عن محمد بن واسع رحمه الله تعالى قال: من قال حين يُصبح ثلاث مرات: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[الروم: ١٧ ـ ١٩] لم يفته خير كان قبله من

(١) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٦٧٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠١١). وكذا رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢١٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٩٠)، وأبو يعلى في «المسند» (١٧٩١).

(٢) رواه الترمذي (٩٨١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٥٣).

(٣) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١١٢): رواه الطبراني، وفيه الجراح بن يحيى المؤذن، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

الليل، ولم يدركه يومئذٍ شر، ومَنْ قال حين يُمسي: لم يفته خير كان قبله، ولم يدركه ليلته شر.

قال: وكان إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام يقولها ثلاث مرات إذا أصبح، وثلاث مرات إذا أمسى(١).

ما ذكره آخراً ثبت في الحديث المرفوع عن معاذ بن أنس ﵁: أن النبي ﷺ قال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ لِمَ سَمَّى اللهُ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلَهُ الَّذِيْ وَفَّى؟ لأَنَّهُ كَانَ كُلَّمَا أَصْبَحَ وَأَمْسَى قَالَ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾[الروم: ١٧ ـ ١٨]»(٢).

وقد تقدم أن المؤمنين المطيعين خيار الناس، وبينَّا أن وجه خيريتهم أنهم اتبعوا إبراهيم عليه السلام في الوفاء، وهم إنما يوفون الله تعالى ما وعدوه من أنفسهم أن يُطيعوه، فكل طاعة وفاء بخير، وهذا الذكر من أحسن أنواع الخير، وأحسن ما يكون صباحاً ومساءً، وهو قرآن وذكر، ولا شك أن القرآن خير جميع الكلام.

وروى البيهقي في «الشعب» عن علي بن أبي طالب ﵁: أن

---

(١) ورواه الثعلبي في «التفسير» (٧/ ٢٩٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٢١٣).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١/ ٥٢٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٩٢).

النبي ﷺ قال: «مَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ لَهَا عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ تَرَقَّبَ الْمَـوْتَ هَانَتْ عَلَيْـهِ اللَّذَاتِ، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ الْمُصِيبَاتِ»(١).

روى البخاري، وغيره عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال في حديث: «إِنِّي وَاللهِ إِنْ شَاءَ اللهُ لا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرَاً مِنْهَا إِلا كَفَّرْتُ عَنْ يَمِيْنِي وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْر، أَوْ أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْر وَكَفَّرْتُ عَنْ يَمِيْنِي»(٢).

روى الشيخان، وأبو داود، والترمذي، والنسائي عن عبد الرحمن ابن سَمُرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «يَا عَبْـدَ الرَّحْمَـنِ بْنَ سَمُـرَةَ! لا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيْتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرَاً مِنْهَا فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينكَ، وَائْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»(٣).

وهذا الحديث والذي قبله دليل على اختيار خير الخيرين إذا تعارضا.

وقال أبو حبيب الصفدي في «تائتيه»: [من البسيط]

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٦١٨).

(٢) رواه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (١٦٤٩).

(٣) رواه البخاري (٦٢٤٨)، ومسلم (١٦٥٢)، وأبو داود (٢٩٢٩)، والترمذي (١٥٢٩)، والنسائي (٥٣٨٤). لكن رواه أبو داود والنسائي إلى قوله: «أعنت عليها».

وَاتْـرُكِ الْخَيْـرَ عَلَيْـهِ الـشَّرُّ يَرْبُـوْ وَجِـدْ

خَيْـراً سِـواهُ فَكَـمْ لِلْخَيْـرِ وَسْـماتُ

والخير الذي يتولد منه الشر ويربو عليه ـ أي: يزيد بـه ـ ليس إلا الخير الدنيوي المحض، أو الخير الأُخروي الذي لم تصح فيه النية، وهو دنيوي، ولذلك قال النبي ﷺ: «لا يَأْتِي الْخَيْرُ إلا بِالْخَيْرِ»(١).

ففي «الصحيح» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ»، قيل: ما بركات الأرض؟ قال: «زَهْرَةُ الدُّنْيَا»، فقال له رجل: هل يأتي الخير بالشر؟ فصمت النبي ﷺ حتى ظننا أنـه ينزل عليه، ثم جعل يمسح عن جبينه قال: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» قال: أنا، قال أبو سعيد: لقد حمدنا حين طلع ذلك، قال: «لا يَأْتِي الْخَيْرُ إلاَّ بِالْخَيْرِ؛ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِـرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ مَا أَنبَتَ الرَّبِـيعُ يَقْتُلُ حَبَطَاً، أَوْ يُلِمُّ، إلا آكِلَةَ الْخَضِـرَةِ تَأْكُلُ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتُهَا اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ فَاجْتَرَّتْ، وَتَلَطَّتْ وَبَالَتْ، ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِـرَةٌ حُلْوَةٌ؛ مَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ، فَنِعْمَ الْمَعُونَةَ هُوَ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلا يَشْبَعُ»(٢).

وقوله: «لا يأتي الخير إلا بالخير» هو في «الصحيح» مرة.

وفي روايـة الدارقطني أنـه كرره ثلاث مرات، وهـو جواب قـول

---

(١) رواه البخاري (٦٠٦٣)، ومسلم (١٠٥٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٠٦٣).

القائل: «هل يأتي الخير بالشر؟»[1].

وفي رواية: «إِنَّهُ لا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ»[2].

ووقع في رواية سعيد بن منصور عن سعيد المقبري مرسلاً: «أَوَ خَيْرٌ هُوَ؟» ثلاث مرات[3]، وهو استفهام إنكاري؛ أي: إن المال أو ما هو أعم منه من زهرة الدنيا ليس خيراً حقيقياً ـ وإن سُمِّيَ خيراً ـ كما في قوله تعالى حكايةً عن سليمان عليه السلام: ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾[ص: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[العاديات: ٨].

وإنما يكون خيراً حقيقياً فيما يعرض له من الإنفاق في الحق، كما أنه شر حقيقي فيما يعرض له من البخل به عمن يستحقه، والإمساك عن الحق، أو من الإسراف في إنفاقه فيما لم يشرع.

ثم قال: «إِنَّ هَذا الْمالَ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ».

وفي رواية الدارقطني «وَلَكِنَّ هَـذا الْمالَ»؛ أي: وغيره من زينة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[الكهف: ٤٦] «حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ» إشارة إلى أن صورة الدنيا حسنة مؤنقة للنفوس، لاهية كالبقلة الخضراء الحلوة، لكنها قد يحصل منها الضرر، فالعاقل لا يغتر بحسنها وزخرفها خشْيَةً من ضررها وسمِّها، كما أوضح ذلك بقوله: «وَإِنَّ

---

(١) وهو أيضاً مكرر ثلاث مرات في رواية مسلم (١٠٥٢).

(٢) رواه البخاري (١٣٩٦)، ومسلم (١٠٥٢).

(٣) ورواه البخاري (٢٦٨٧).

كُلَّ ما يُنْبِتُ الرَّبِيْعُ»، ونسبة الإنبات إلى الربيع مجازي، والمنبت حقيقةً هو الله تعالى اختبار أو ابتلاء.

«يَقْتُلُ حَبَطا، أَوْ يُلِمُّ».

والحبط ـ بفتح الحاء المهملة، والباء الموحدة، وبالطاء المهملة ـ: انتفاخ البطن من كثرة الأكل.

مَثَّلَ المنغمس في زهرة الدنيا بالدابة التي أصابت مرعى طيباً فلا زالت تأكل حتى امتلأ بطنها وانتفخ، فماتت، أو قاربَتْ أن تموت، ومع حصول الضرر والمحن من الدنيا لأهلها، كذلك يحصل لأهلها، جيل بعد جيل مزيد الرغبة فيها، وشدة المحبة لها لغلبة الهوى على العقل.

وقد قيل: [من الرجز]

وَآفَــةُ الْعَقْــلِ الْهَــوَىْ فَمَــنْ عَــلا
عَلَــىْ هَــواهُ عَقْلُــهُ نــالَ الْعُــلا[1][2]

وهذا قليلٌ في الناس، والأكثرون تغلب أهويتهم على عقولهم، فيميلون مع الدنيا فتميل معهم وبهم، ثم تميل عليهم.

ومن ثم قال بعض الحكماء: عجبت ممن يرى الدنيا، ويرى صَنِيْعها بأهلها، ثم يغتر بها.

---

(١) في «العقد الفريد»: «فقد نجا» بدل «نال العلا».

(٢) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٢/ ١٠٥).

ولقد أخبر الله تعالى عن شدة تعلق الإنسان بالدنيا وزهرتها بحيث تحول بينه وبين طاعة ربه، وذكره وشكره بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٦ ـ ٨]؛ الكنود: الكفور.

روى ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، ورواه عنهم عبد الرحمن وغيره[١]، ورُوِيَ مرفوعاً من حديث أبي أمامة رضي الله عنه[٢].

روى سعيد بن منصور، وابن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن الحسن رحمه الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦] قال: لكفور يعدد المصيبات وينسى النعم[٣].

وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني: الإنسان ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ أي من نفسه ﴿لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: ٧]، قال محمد بن كعب: أي شاهد على نفسه. رواه ابن أبي حاتم[٤].

قلت: وشهادته على نفسه ككنوده، أما عند النظر والتحقيق يرى نفسه مقصراً في الشكر ناسياً للنعم، وأمَّا عند المصائب والشدائد يعلم أنه

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣٠/ ٢٧٨).

(٢) رواه الطبراني في «التفسير» (٣٠/ ٢٧٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٩٥٨).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٣٠/ ٢٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٦١).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٤٥٨).

كان في نعمه لا يشكرها ولا يرعاها، فيعترف بالكُفران، ويُعاتب نفسه على ترك الشكران، ثم يرجع إلى الضراعة ويلوذ بالشفاعة، فإذا رُحِمَ وكُشِفَ عنه البلاء، ثم خول في النعماء عاد إلى الكنادة، وتعرض للنكاية، واغترَّ بالخير، وطلبه لنفسه، وضنَّ به عن أبناء جنسه، ومن ثمَّ قال تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾[فصلت: ٤٩].

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾[فصلت: ٥١].

وهذا حال من غلب عليه الشر ـ وهم الأكثرون ـ بخلاف أهل الخير ـ وهم أقل قليل ـ فإنهم في المصائب والنوائب أقرب إلى الله تعالى في المقاصد والمطالب حتى تحصل لهم منه الفوائد والمطالب، وفي الرخاء والنعماء على وَجَلٍ وإشفَاق من أن يكون ذلك مكراً بهم أو نقصاً مما يرجونه من ثواب الله تعالى، لم يغترُّوا بزخرف الدنيا العاجل، ولا بخيرها المتواتر المتواصل، بل علموا أنها وإن اتصلت إلى انفصال، وطالت إلى زوال، وأنَّ الدار الآخرة هي الحيوان، وإليها مرجع كل إنسان، فإن كان قد زرع في الدنيا خيراً حصد خيراً وكرامة، وإن كان قد زرع شراً حصد شراً وندامة كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ﴾[المزمل: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[آل عمران: ٣٠]؛ أي: فكانت رأفته سبباً في هذا

التحذير، لم يدعكم غفلاً بلا بشير ولا نذير.

قال الحسن رحمه الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾[آل عمران: ٣٠] قال: يسر أحدهم أن لا يلقى عمله ذلك أبداً يكون ذلك مناه، وأما في الدنيا فقد كانت خطيئته يستلذها. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم(١).

وسبب مودته أن لا يرى عمله أنه كشف له عن حقيقة قبحه، وأنَّهُ كان شراً محضاً وإن كان يراه خيراً، كما أن سبب استلذاذه لمعصيته موافقتها لهواه فزينها له الهوى، وزخرفتها له الدنيا حتى عمي عن ضررها، وُحُمِيَ بسُكْر شهوته من شررها، فتمادى في طغيانه، وانغمس في خذلانه، وكلما قربت الآخرة من الخلق كلما بعدت منها أحوالهم، وطالت في الدنيا آمالهم حين طال عليهم العهد حتى كادوا أن ينكروا، بل نسُوا بالكلية الوعيد والوعد، فقست قلوبهم، وتشابهت أسرارهم، فتوافقت أعمالهم، وتشاكلت أشكالهم، فقل الخير فيهم، وكثر الشر منهم لكلمة سبقت من الله تعالى: أن السَّاعة لا تقوم إلا على شرار الناس(٢).

ثم قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ يَنْقُصُ إِلا الشَّرُّ؛ فَإِنَّهُ يُزَادُ فِيْهِ».

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٢٣١)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٦٣١).

(٢) يشير إلى الحديث الذي رواه مسلم (٢٩٤٩) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يرفعه: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق».

رواه الإمام أحمد، والطبراني في «الكبير» بإسناد جيد، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه[1].

[وقد][2] اتفق لي قديماً مع بعض الوجوه الأكابر، وكنت قد رأيت منه ما شاكل أمثاله وأقرانه، وناسب وقته وزمانه أنه قال لي: يا مولانا! ما أكثر الشر في هذا الزمان! فقلت له: لا تعجب من الشر في هذا الزمان فإنه زمانه، ولكن إذا رأيت أحداً يعمل الخير فتعجب منه، فإنَّ هذا هو العجب، فقال لي: صدقت والله.

وقد روي قريباً من هذا المعنى ما رواه أبو نعيم عن المعافى قال: سمعت سفيان يقول: من العجز أن يظنَّ بأهل الشر الخير[3].

قلت: وهذا يحتمل معنيين:

أحدهما: يناسب مَا قدمناه أن زمان الشر لا يطلب من أهله الخير، فإنه لا يكون منهم إلا على وجه تسخيرهم من قبل الله تعالى لمن يشاء من أوليائه لحكمةٍ باهرة خفية أو ظاهرة.

والثاني: أن من كان من عادته الظلم والفسق لا ينبغي أن يُحسن

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٤١)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٤٧٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢٠): فيه أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف، ورجل لم يسم.

(٢) بياض في «م»، والمثبت من «ت».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٥٢).

الظن به ويرجو الخير منه، فإنه إلى الشر أقرب منه إلى الخير؛ فإن التمر والعناب لا يجتنيان من العلقم والصاب[1]، وإن اعتبرت أكثر أهل هـذا الزمان وجدت الشر غالباً عليهم، والسبب ذلك موت الأخيار، وانقطاع الخلف منهم.

روى ابن أبي شيبـة عن الحسن رحمـه الله تعالى قال: من أشراط الساعة، أو من اقتراب الساعة أن يأتي الموت خياركم، فيلقطهم كما يلقط أحدكم أطايب التمر من الطبق[2].

وحاصل هذا التشبيه: أن الملتقط من الطبـق يلتقـط خيـر ما فيـه وأجوده، ثم خير ما بقي، ثم خير ما بقي حتى يبقى شره وأرذله، وكذلك الموت يلتقط خير الناس، ثم خير من بقي منهم وإن كان يأخذ غيرهم، فإنـه ولو أخذ من الأشرار ألوفاً وممن لا غنـاء لهم ألوفاً لا يكاد الناس يحسُّون بهم، ولا يفتقدونهم بخلاف الأخيار إذا مات واحدٌ منهم كأنه لم يمت غيره حتى يرى الناس أنه التقط خير الموجودين، ثم خير من بعدهم، حتى قيل: [من المتقارب]

والْمَـوْتُ نُقَـادُ عَلَـىْ كَفِّـهِ ... جَـواهِرَ يَخْتَـارُ مِنْهـا الْجِيـادَ

وقد ألمَّ النبي ﷺ بهذا المعنى وبينه بمثالٍ عظيم منطبق وصفه على وصفه، فمثل اختيار الموت خيار الناس بالمغربل، يختار خيار الحَب،

(١) الصاب: شجر مر، وقيل: عصارة شجر مرّ.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٣٠٥).

ثم خياره حتى لا يبقى إلا حفالته ورذله، فقال ﷺ: «يَذْهَبُ الصَّالِحُوْنَ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيْرِ أَو التَّمْرِ لا يُبَالِيْهِمُ اللهُ تَعَالَى بَالَةً». رواه الإمام أحمد، والبخاري عن مِرْدَاسٍ الأسلمي رضي الله عنه، والطبراني في «الكبير» عن المستورد بن شداد رضي الله عنه[1].

وأخرج الرامهرمزي في «أمثاله» حديث مرداس، ولفظه: «يَذْهَبُ الصَّالِحُوْنَ أَسْلافَاً الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ حَتَّى لا يَبْقَى إِلا حُثَالَـةٌ كَحُثَالَـةِ التَّمْرِ وَالشَّعِيْرِ لا يُبَالِي اللهُ بِهِم»[2].

المراد بالأسلاف ـ جمع سلف ـ: الفَرَط الذي يتقدم القوم لتهيئة مائهم، وذلك أن الصالح والخير إذا مات تأسف الناس عليه وتألموا لفقده، وإنما يقدمه الله تعالى ليكون سلفاً وفرطاً لأهله، أو لأصحابه، أو للمسلمين بعده.

وقوله: «الأول فالأول»؛ أي: مرتبين يتقدم الخيِّر ثم الخيِّر، والأصلح ثم الأصلح.

وقوله: «حتى لا يبقى» غاية لهذه العادة الجارية والسنة الماضية؛ أي: إنَّ هذه سنة الله تعالى في اصطفاء الأخيار إلى دار القرار حتى لا يبقى

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٩٣)، والبخاري (٦٠٧٠) واللفظ له عن مرداس الأسلمي رضي الله عنه، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٣٠٢) عن المستورد بن شداد رضي الله عنه.

(٢) رواه الرامهرمزي في «أمثال الحديث» (ص: ١٢٦)، وكذا رواه الدارمي في «السنن» (٢٧١٩).

بعدهم من الناس إلا حثالة.

وفي «الصحيح»: حفالة ـ كلاهما بالحاء المهملة، وإحداهما بالمثلثة، والأخرى بالفاء ـ: ما لا خير فيه، أو الردي مما بقي من تمر أو شعير، أو الزؤان[1] ونحوه يكون في الطعام.

وقوله: «لا يُباليهم الله بالة»: فَعْلَة من المبالاة، وهي الاكتراث بالشيء؛ أي: لا يعتني بشأنهم، ولا يكترث بأمرهم، بقوا أو ماتوا.

فهذا من طرق تمحض الناس للشر حتى تقوم عليهم الساعة.

ومن طرقه: أنَّ العبد يسمع بالخير وأهله، ومقامهم وثوابهم، فيرغب في طريقهم، ويتحرى الخير وأعمال الخير، فبينا هو في سيره إذ عرض له شاغل هوى فألهاه، وهذا حال كثير من الناس بل أكثرهم، ولذلك خاطبهم الله تعالى بقوله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾[التكاثر: ١ ـ ٢]، أو مانع منعه عمَّا هو فيه من مرض، أو بلاء، أو حاجة [. . . .][2] ويجزع ويسخط فيهلك، والله تعالى من عادته امتحان عباده بذلك حتى يظهر خالصهم من زيفهم.

روى الترمذي، وغيره عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَحَبَّ قَوْمَاً ابْتَلاهُم، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»[3].

أو تأوُّلٌ يَتَأَوَّلُ به ما لا يحل بما بقربه، ويحِلُّه ويرخص فيه كالمعتزل

---

(١) الزُّؤَانُ: حَب يكون في الطعام، ورديء الطعام أيضاً.

(٢) غير واضح في «م» و«ت» بمقدار كلمة.

(٣) رواه الترمذي (٢٣٩٦) وحسنه، وابن ماجه (٤٠٣١).

عن شر الناس فيتأول أو يؤول له الدخول على الملوك، أو مخالطة التجار أو معاشرة الفجار، فإذا هو قد مُكِر به، فينقلب خيره شراً، أو يرجع يداه منه صِفراً، ولما كان أعظم وجوه التأويل في معاشرة الأشرار قصد نصحهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر رخصَ الشارع ﷺ في ترك ذلك ـ وإن كان في الأصل فرضاً ـ وذلك من باب ترك ما هو أدون الخيرين لتحصيل أعظمهما وخيرهما كما سبقت الإشارة إليه.

روى الإمام أحمد، وابن ماجه، والبيهقي في «الشعب» عن أنس رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله! متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: «إِذَا ظَهَرَ فِيْكُم مَا ظَهَرَ فِي بَنِي إِسْرَائِيْلَ قَبْلَكُم»، قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «إِذَا كَانَ الادِّهَانُ فِي خِيَارِكُم، وَالفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُم[1]، وَتَحَوَّلَ الْمُلْكُ فِي صِغَارِكُم وَالفِقْهُ ـ وفي رواية: والعِلْمَ ـ فِي رِذالِكُمْ»[2].

وفي معنى حديث أنس رضي الله عنه حديث أبي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ رحمه الله قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني رضي الله عنه فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن

---

(١) في «شعب الإيمان»: «شراركم» بدل «كباركم».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٨٧)، وابن ماجه (٤٠١٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٥٥).

ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾[المائدة: ١٠٥] قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال: «بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحّاً مُطَاعاً، وَهَوىً مُتَّبَعاً، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ العَوَامَّ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَابِرُ فِيهِنَّ مِثْلُ القَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ». رواه ابن ماجه، والترمذي، والحاكم وصححاه، وآخرون(١)، وهو حديث ثابت صحيح، من عمل به وفِّق إلى الخير والعمل به.

وروى نعيم بن حماد في «الفتن»، وأبو أحمد العسكري في «المواعظ»، وغيرهما عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تَزَالُ يَدُ اللهِ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ وَفِي كَنَفِهِ مَا لَمْ يَمِلْ قُرَّاؤُهُم إِلَى أُمَرَائِهِم، وَمَا لَمْ يُوَقِّرْ خِيَارُهُم شِرَارَهُمْ، وَمَا لَمْ يُعَظِّمْ أَبْرَارُهُم فُجَّارَهُم، فَإِذَا فَعَلُوْا ذَلِكَ رَفَعَها عَنْهُم، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الفَاقَةَ، وَسَلَّطَ عَلَيهِم جَبَابِرَتَهُم فَسَامُوْهُم سُوْءَ العَذَابِ».

قال: وقال حذيفة: لا يأتهم أمر يضحكون منه إلاَّ رَدِفَهم أمر يشغلهم عن ذلك(٢).

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠١٤)، والترمذي (٣٠٥٨) وحسنه، والحاكم في «المستدرك» (٧٩١٢)، وكذا رواه أبو داود (٤٣٤١).

(٢) وذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ٨٨).

* تَتِمَّةٌ:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنفال: ٧٠].

أراد بالخير الأول الإيمان والإخلاص، وهما لم يكونا إذ ذاك في قلوب الأسارى، وإنما المراد منه الإيمان وقصده، فإن فيهم من كان يتلجلج الإيمان [في قلبه](١)؛ كالعباس ﷺ، فإذا كانت إرادة الكافر للإيمان وقصده إياه مؤثراً في تحصيل الخير، فما ظنك بالمؤمن إذا أراد الخير ونواه؟

[وقد روى](٢) ابن جهضم عن عبدالله ابن الإمام أحمد ﷺ قال: قلت لأبي يوماً: أوصني يا أبه، فقال: يا بني! انْوِ الخير؛ فإنك لا تزال بخير ما نويْتَ الخير(٣).

وروى الدينوري عن عبدالله(٤) بن زبيد ـ يعني: اليامي ـ قال: كان أبي يقول: يا بني! انو في كل شيء تريده الخير حتى خروجك إلى الكناسة(٥).

---

(١) طمس في «م»، والمثبت من «ت».

(٢) طمس في «م»، والمثبت من «ت».

(٣) وانظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١٣٣).

(٤) في «م»: «عبد الرحمن».

(٥) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٥٩٦).

وأخبرنا والدي رحمـه الله تعالى عن مشايخه مشايخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري، وأبي إسحـاق البـرهان بن أبي شـريف، وأبي إسحاق البرهان القلقشندي، والعلامة شهاب الدين القسطلاني، عن شيخ الإسلام أبي الفضل بن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: أنه أنشد لنفسه بعد إملاء حديث: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ» في معناه: [من الرمل]

إِنَّمـا الأَعْمـالُ بِالنِّيَّـةِ فِـيْ ... كُـلِّ أَمْـرٍ أَمْكَنَـتْ فُرْصَـتُهُ

فَانْوِ خَيْـراً وَافْعَـلِ الْخَيْـرَ فَـإِنْ ... لَـمْ تُطِقْـهُ أَجْـزَأَتْ نِيَّتُـهُ

وفي الحديث: «نِيَّةُ الْمُـؤْمِنِ خَيْرٌ[1] مِنْ عَمَلِهِ». رواه البيهقي في «الشعب» عن أنس رضي الله عنه[2].

وهو عند الطبراني في «الكبير» عن سهل بن سعد رضي الله عنه، إلا أنه زاد فيه: «وَعَمَلُ الْمُنَافِقِ خَيْرٌ مِنْ نِيَّتِهِ، [وكلٌّ يعملُ على نيته][3]، فَإِذَا عَمِلَ الْمُؤْمِنُ نـارَ فِي قَلْبِـهِ نُوْرٌ»[4]؛ أي: بسبب نيتـه الخير في عمله بخلاف

(١) في «شعب الإيمان»: «أبلغ» بدل «خير».

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٥٩) وقال: هذا إسناد ضعيف. وذكر السخاوي شواهد له في «المقاصد الحسنة» (ص: ٧٠٢) ثم قال: وهي وإن كانت ضعيفة، فبمجموعها يتقوى الحديث.

(٣) زيادة من «المعجم الكبير».

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبيـر» (٥٩٤٢). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١١٧١).

المنافق فإنه ينوي السوء ـ وإن عمل الخير ظاهراً ـ فيظلم قلبه.

[وروى][1] ابن أبي الدنيا في «الإخلاص والنية» عن مالك بن دينار رحمه الله قال: إنَّ للمؤمن نية في الخير [هي أمامه][2] لا يبلغها عمله [وإن للكافر][3] نية في الشر [هي أمامه][4] لا يبلغها عمله، والله يبلغ بكل ما نوى.

[وعن داود الطائي قال][5]: [رأيت الخير كله إنما][6] يجمعه حسن النية، فكفاك به خيراً وإن لم [تنصب][7][8].

[وروى أبو نعيم عن إبراهيم النخعي قال: إن الرجل ليتكلم بالكلام على كلامه المقت، ينوي به الخير، فيلقي الله له العذر في قلوب الناس حتى يقولوا: ما أراد بكلامه إلا الخير، وإن الرجل ليتكلم الكلام الحسن لا يريد به إلا الخير، فيلقي الله في قلوب الناس حتى يقولوا: ما أراد بكلامه الخير][9].

---

(١) بياض في «م»، والمثبت من «ت».

(٢) طمس في «م»، والمثبت من «ت».

(٣) طمس في «م»، والمثبت من «ت».

(٤) طمس في «م»، والمثبت من «ت».

(٥) طمس في «م»، والمثبت من «ت».

(٦) طمس في «م»، وسقط من «ت»، والمثبت من «قوت القلوب».

(٧) طمس في «م»، و«ت».

(٨) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٢٧٥).

(٩) ما بين معكوفتين طمس في «م»، والمثبت من «ت»، والأثر رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٢٩).

وروى الطبراني ـ بإسنادين أحدهما جيد ـ عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِصُحُفٍ مَخَتَّمَةٍ، فَتُنْصَبُ بَيْنَ يَدَي اللهِ تَعَالَى فَيَقُوْلُ: أَلْقُوا هَذِهِ وَأَلْقُوا[1] هَذِهِ، فَتَقُوْلُ المَلائِكَةُ: وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْنَا إلا خَيْرَاً، فَيَقُوْلُ اللهُ ﷻ: إِنَّ هَذَا كَانَ لِغَيْرِ وَجْهِي وَإِنِّي لا أَقْبَلُ [اليومَ مِنَ العملِ] إلا مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهِي»[2].

وروى ابن أبي الدنيا عن أبي عمران الجون لي رحمه الله تعالى قال: بلغنا أن الملائكة عليهم السلام تصف لكتبها في السماء الدنيا كل عشية بعد العصر، فينادي الملك: «ألق تلك الصحيفة»، وينادي الملك: «ألق تلك الصحيفة»، قال: فيقولون: «ربَّنا! قالوا خيراً وحفظناه عليهم»، قال: فيقول: «إنهم لم يريدوا به وجهي، وإني لا أقبل إلا ما أُريد به وجهي»، قال: وينادي الملك الآخر: «اكتب لفلان بن فلان كذا وكذا»، قال: فيقول: «يا رب! إنه لم يعمله، يا رب! إنه لم يعمله»، قال: فيقول: «إنه نواه، إنه نواه»[3].

[إن][4] حسن النية يؤول إلى خير في الدنيا كما يؤول إلى خير في

---

(١) في «المعجم الأوسط»: «واقبلوا» بدل «وألقوا».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٦٠٣)، و(٦١٣٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٥٠): رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح.

(٣) ورواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٩٦).

(٤) بياض في «م»، والمثبت من «ت».

الآخرة، ومن هنا قيل: العبد محمول على نيته، فكثيراً ما ينوي العبد الخير فيرى الخير، وينوي الشر فيرى الشر.

[ثم إنَّه][1] يثني عليه بما في نيته فربَّ عامل خير يثنى عليه بشر ثناء لأن نيته السوء، ورب مقصر في أعمال الخير يثنى عليه بخير ثناء لأن نيته[2] الخير، فليس كل عمل مقبولاً عند الله ولا مطلقة به ألسنة عباده، ومن ثم قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة: ١٠٥]؛ أي: فسيرى الله عملكم المقصود منكم، الموافق لحقيقة ما في سرائركم.

وقال تعالى: ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[الإسراء: ٨٤].

قال الحسن: أي: على نيته. رواه هناد بن السري، وابن المنذر[3].

والمعنى: أنَّ عمل كل عامل على مقدار شاكلته ونيته في جزائه عند الله تعالى فيما يظهره الله تعالى من حاله على ألسنة الناس، وبهذا الطريق يُطلق الله ألسنة الناس بالثناء على العبد.

وروى الإمام أحمد، وابن أبي الدنيا، وأبو يعلى، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «لَو أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ

---

(١) غير واضح في «م»، والمثبت من «ت».

(٢) لعل الصواب: «نيته».

(٣) رواه هناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٤٤٠)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٣٠).

صَمَّاءَ لَيْسَ لَهَا بَابٌ وَلا كُوَّةٌ لَخَرَجَ عَمَلُهُ لِلنَّاسِ كَائِنـاً مَا كَان»[1]؛ أَيْ: مِنْ خَيْرٍ أَو شَرٍّ.

والكوة ـ بفتح الكاف وضمها ـ: الخرق في الحائط، ويقال بغير هاء، أو يختص المذكر بالكبير، والمؤنث بالصغير كما في «القاموس»[2].

جمع صلى الله عليه وسلم بين الباب والكوة مبالغة في أن لا منفذ لتلك الصخرة الصَّماء التي لو فرض أن الله تعالى خلق فيها آدمياً يعمل ويسَّر عمله لأخرج الله تعالى عمله للناس على ألسنة الناس.

وروى ابن أبي الدنيا وغيره عن عثمان بن عفان ﷺ قال: ما من عبدٍ يسرُّ سريرةً إلا ردَّاه الله رداءها علانية؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر[3].

أي: إن كان ما يسره خيراً فرداؤه بين الناس خير، وإن كان ما يسره شراً فرداؤه شر.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٨)، وأبو يعلى في «المسند» (١٣٧٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٦٧٨)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٧٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٤٠).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٧١٣) (مادة: كوي).

(٣) ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٤٥٨) مع اختلاف في اللفظ.
وروى نحوه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ١٧)، وأبو داود في «الزهد» (١/ ١٠٤) موقوفاً من قول عثمان ﷺ.

استعار الرداء للثناء، والتردية للزوم ذلك الثناء ذلك العبد وسبوغه عليه كما يلزم الثوب لابسه، ويسبغ عليه.

[وروى الدينوري عن مسعر رضي الله عنه: أنه قال:

إذا المـرء أخفـى الخيـر مكتتمـاً لـه
فــلا بــد أن الخيــر يومــاً ســيظهر

ويكــس رداءً بالــذي هــو عامــل
كمـا يرفـع الثـوب الرفيـع المـشهر][1]

وروى الحكيم الترمذي في «نوادره» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ عَبْدٍ صِيتٌ؛ فَإِنْ كَانَ صَالِحَاً وُضِعَ فِي السماء[2]، وَإِنْ كَانَ مُسِيئَاً وُضِعَ فِي الأَرْضِ»[3].

والصيت: الذكر الحسن، واقتصر عليه في «القاموس»[4].

ويحتمل أن يكون في الذكر السيىء أيضاً، والحديث يدلُّ عليه.

ويحتمل أنه أُطلق على الذكر السيىء مجازاً على سبيل التهكم.

---

(١) ما بين معكوفين طمس في «م»، والمثبت من «ت»، والأثر رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥١٢ ـ ٥١٣).

(٢) في «م» و«ت»: «الأرض».

(٣) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٢٦).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٩٩) (مادة: صوت).

وكذلك الثناء هو حقيقة في الخير، ومن أهل اللغة من يقول: هو حقيقة في الشر أيضاً، ومنهم من يقول: مجاز فيه.

وإنما سُمي الصيت صِيْتاً لأن الأصوات ترفع بـه في الناس، وفي طبيعة كل إنسان محبة الثناء الحسن وحسن الصيت.

وإنما يحسن هذا منه إذا أحبَّ أن يكون الثنـاء الحسن دليـلاً على إرادة الله تعالى الخيـر فيحمـد الله تعالى ويشكره، لا على وجـه محبـة المحمدة من الناس وطلب الإقبال لنفسه منهم عليه، فإنَّ هذا يدخل في حدود الرياء، وإذا كان هذا مما جُبل عليه الإنسان، وكماله أن يحبه لإخوانه المؤمنين أيضاً.

كما يدخل ذلك في عموم قوله ﷺ: «لا يَسْتَكْمِلُ عَبْدٌ الإِيْمَانَ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» عن أبي مليكة الذِّماري رضي الله عنه[1].

فإذا علم من أحدٍ خيراً، وعلم أن الثناء عليه بما يعلم منه ينفعه أو يدفع عنه شراً، فقد وجب عليه أن يثني عليه ويعرف حقه.

روى أبـو نعيـم في «الحليـة» عـن أبـي الـدرداء رضي الله عنه قـال: قـال رسول الله ﷺ: «لَنْ تزَالُوا بِخَيْرٍ مَا أَحْبَبْتُمْ خِيَارَكُم وَعَرَفْتُم لَهُم الْحَقَّ[2]؛

(١) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٠٢١).

(٢) في «حليـة الأوليـاء»: «وما قيل فيكم بالحق فعرفتموه» بدل «وعرفتم لهم الحق».

فَإِنَّ العَارِفَ بِالْحَقِّ كَالعَامِلِ بِهِ»[1].

وقولـه ﷺ: «أَنْزِلُـوا النَّاسَ مَنَازِلَهُم»، وهو في «صحيح مسلم»، وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها[2].

لا يجوز لك أن تثني على أهل الشر بالخير؛ فإنَّ هذا جفاء، وعجز، ومُراءاة، وزُور، ونفاق خصوصاً إذا فضلت أهل الشر، وأظهرت مزيتهم على أهل الخير؛ فإنه مكابرة في الفسوق والنفاق، كما حكى الله تعالى ذلك عن أهل الكتاب بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾[النساء: ٥١].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حليـة الأولياء» (١/ ٢١٠) موقوفاً من قول أبي الدرداء ﷺ، ورواه في «أخبار أصبهان» (٢/ ٤٢٦) مرفوعاً.

(٢) ذكره مسلم في «مقدمة صحيحه» (١/ ٦) معلقاً، ورواه أبو داود (٤٨٤٢) وقال: ميمون لم يدرك عائشة رضي الله عنها. وتعقبه ابن الصلاح في «صيانة صحيح مسلم» (ص: ٨٤) فقال: قد حكم الحاكم أبـو عبـدالله الحافظ في كتابه «معرفة علوم الحديث» بصحته، وأخرجه أبـو داود في «سننه» بإسناده منفرداً به، وذكر أن الراوي له عن عائشة رضي الله عنها، ميمون بن أبي شبيب، لم يدركها، وفيما قاله أبو داود توقف ونظر، فإنه كوفي متقدم قد أدرك المغيرة ابن شعبة، ومات المغيرة قبل عائشة رضي الله عنها، وعند مسلم التعاصر مع إمكان التلاقي كاف في ثبوت الإدراك، فلو ورد عن ميمون هذا أنه قال: لم ألق عائشة أو نحو هذا، لاستقام لأبي داود الجزم بعدم إدراكه، وهيهات ذلك، والله أعلم.

* **تَذْنِيبٌ:**

اعلم أنَّ رسول الله ﷺ نص على خيرية أمور من الأمور الدنيوية، إما من حيث إنَّ الخيرية فيها بمعنى الصلاحية والنفع، أو من حيث إنَّ تلك الأمور تكون معينة على أمور الآخرة فوصفت بالخيرية لذلك.

[فمن ذلك][1]: ما رواه أبو داود عن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ النِّكَاحِ أَيْسَرُهُ»[2].

ورواه الحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «السنن»، ولفظه: «خَيْرُ الصَّدَاقِ أَيْسَرُهُ»[3].

ووجهه أن الصداق إذا كان يسيراً على الزوج وصل إلى المرأة عن طِيْبِ نفسه، فتهنأ به ويُبارك لها فيه، وكذلك إذا كان النكاح يسير المؤنة كان أهنأ، وكانت المرأة عند الزوج أحظى، وبذلك تطيب العِشْرة وتتم المعونة بالنكاح على الدين.

[ومن ذلك][4] ما رواه الإمام أحمد، والطبراني في «الكبير» عن سُوَيْدُ بن هُبَيْرَةَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ مَالِ الْمَرْءِ مُهْرَةٌ مَأْمُوْرَةٌ، أَوَ

---

(١) غير واضح في «م»، والمثبت من «ت».

(٢) رواه أبو داود (٢١١٧).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٧٤٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٤١١٠).

(٤) غير واضح في «م»، والمثبت من «ت».

سِكَّةٌ مَأْبُوْرَةٌ»[1].

قال في «القاموس»: أي: مهرة كثيرة النتاج والنسل. والأصل مؤمرة، وإنما هو للازدواج[2]؛ يعني: مع مأبورة؛ أي: مصلحة.

والمهرة: أول ما ينتج من الفرس ومن غيره، أو ولد الفرس[3]، والأول أولى.

وإنما كان هذا لأن المستنتج والزارع ينتظران رحمة الله تعالى وما يفتح منها، والاستنتاج والزراعة أَلْيق بحال المتوكل من التجارة.

ومن ذلك القبيل قوله تعالى حكايةً عن موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

قال مجاهد: من طعام. رواه ابن أبي شيبة وغيره[4].

وإنما كان الطعام خيراً لأنه ينتفع به في بقاء البنية، وبها يقوى العبد على الطاعة، ويكون صلاحه دنيا وأُخرى.

وإذا كان الطعام بتيسير الله تعالى ومحض منته كان خيراً محضاً، ونفعاً صِرفاً، ولذلك لم يتعرض بالسؤال لغير الله تعالى، بل تولَّى إلى

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٦٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٤٧٠).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٤٤٠) (مادة: أمر).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٦١٥) (مادة: مهر).

(٤) ورواه الطبري في «التفسير» (٢٠/ ٥٩).

الظل، وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص: ٢٤]؛ أي: ما اخترته لي وأنزلته عليَّ بلا منة مخلوق، ولا سعي، ولم يقل ذلك حتى اضطر إلى ما يقيم صلبه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما سأل إلا الطعام.

وقال مرة: سأل فلقاً من الخبز يشد بها صلبه من الجوع.

وقال أيضاً: لقد قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص: ٢٤] وهو أكرم خلقه عليه، ولقد افتقر إلى شق تمرة، ولقد لصق بطنه بظهره من شدة الجوع. رواهما ابن أبي حاتم.

وروى الأول ـ أيضاً ـ عنه عبدالله ابن الإمام أحمد، والثاني والثالث ابن المنذر، والثالث سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، والضياء في «المختارة»(١).

وهذا إيماء إلى أن الطعام وغيره مما يحتاج إليه العبد في معاشه لا يكون خيراً إلا إذا كان على قدر الحاجة، وما زاد على الحاجة لا يدل على الكرامة.

ثم قد يكون من الخير أن ييسر الله تعالى ما هو الأنفع في قوام البدن حين صحته والأجلَبُ للشفاء في حال مرضه؛ لأن البدن كلما كان أعدل كان في الطاعة أنشط.

[ومن](٢) هنا كان أحب الطعام إلى النبي ﷺ الثريد من الخبز،

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٤٠٦).

(٢) غير واضح في «م»، والمثبت من «ت».

والثريد من الحيس[1] كما رواه أبو داود، والحاكم وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما[2].

ومحبته للثريد إنما كانت من حيث إنه خير من غيره، وأنفع منه، وأغنى في القوت.

وروى ابن عدي في «الكامل» عن عائشة: أنه ﷺ قال: «خَيْرُ طَعَامِكُم [الخبز، وخير][3] فَاكِهَتِكُمُ العِنَب»[4].

وفي «الصحيح»: «وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيْدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»[5].

وروى الديلمي من حديثه ـ أيضاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ طَعَامِكُمُ البَارِدُ الْحُلوُ، وَخَيْرُ شَرَابِكُم البَارِدُ الْحُلْوُ».

وروى الإمام أحمد، والترمذي، والحاكم وصححه، عن عائشة

---

(١) الحيس: طعام يخلط من سمن وتمر وأقط، وقد يجعل عوض الأقط دقيق أو فتيت.

(٢) رواه أبو داود (٣٧٨٣) وقال: ضعيف، والحاكم في «المستدرك» (٧١١٧).

(٣) هذا الحديث والذي بعده كلاهما موجود على هامش الأصل، وما بين معكوفتين غير واضح، والمثبت من «الكامل».

(٤) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٥/ ١٢٧) وقال: هذا الحديث بهذا الإسناد موضوع.

(٥) رواه البخاري (٣٢٣٠) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وقد تقدم لكن لم يعزه إلى البخاري هناك.

رضي الله عنها: كان أحب الشراب إلى رسول الله ﷺ الحلو البارد[1].

وعنها: كان أحب الشراب إليه العسل[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أحب الشراب إلى رسول الله ﷺ اللبن[3].

رواهما أبو نعيم في «الطب».

وكلٌّ منهما يُوصف بالحلاوة.

[وروى أبو نعيم في «الطب» عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الشراب في الدنيا والآخرة الماء، وصححه الحاكم بنحوه من حديث صهيب رضي الله عنه، ولفظه: «ألا إن سيد الشراب في الدنيا والآخرة الماء»][4].

وروى ابن قتيبة في «غريب الحديث»، والديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الْمَاءِ الشَّبِمُ، وَخَيْرُ الْمَالِ الغَنَمُ، وَخَيْرُ الْمَرْعَى الأَرَاكُ وَالسَّلَمُ»[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٣٨)، والترمذي (١٨٩٥) وقال: والصحيح ما روي مرسلاً، والحاكم في «المستدرك» (٧٢٠٠).

(٢) عزاه السيوطي في «الشمائل الشريفة» (ص: ٥١) إلى ابن السني، وأبو نعيم في «الطب».

(٣) ورواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» (٣/ ٢٩٨).

(٤) ما بين معكوفتين مطموس في «م»، والمثبت من «ت».

(٥) رواه ابن قتيبة في «غريب الحديث» (١/ ٥٤٢).

الشبم - بفتح المعجمة، وكسر الموحدة -: البارد.

والشبم - بفتحتين -: البَرد.

ومن رواه بالفتح فهو على حذف مضاف؛ أي: ذو الشبم.

وصفه بالمصدر مبالغة في برده لأن الماء كلما برد لذَّ وأروى، ومن ثم قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ أُصِحَّ جَسَدَكَ وَأَرْوِكَ مِنَ الْمَـاءِ البَـارِدِ؟». رواه الترمذي، وابن حبان، والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه[1].

وقوله: «خَيْرُ الْمَالِ الغَنَمِ» يجمع بينه وبين قوله: «خَيْرُ الْمَالِ مُهْرَةٌ مَأْمُوْرَةٌ» بأن الغنم خير المهرة المأمورة؛ أي: المنتجة.

وروى البيهقي في «الشعب» عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الإِدَامِ اللَّحْمُ، وَهُوَ سَيِّدُ الإِدَامِ»[2].

[ومن شواهده][3] حديث علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ طَعَامِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ اللَّحْمُ». رواه أبو نعيم في «الطب»[4].

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٥٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٦٤)، والحاكم في «المستدرك» (٧٢٠٣).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٩٠٢).

(٣) غير واضح في «م»، والمثبت من «ت».

(٤) قال ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٤٨): أخرجه أبو نعيم في «الطب النبوي» بسند ضعيف.

ورواه ابن ماجه (٣٣٠٥) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، ولفظه: «سَيِّدُ طَعَامِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَأَهْلِ الْجَنَّةِ اللَّحْمُ».

ولا معارضة بينه وبين حديث أنس: «سَيِّدُ إِدامِكُمُ الْمِلْحُ». رواه ابن ماجه، والحكيم الترمذي[1].

لأن المراد تسييد الملح مطلقاً؛ لأن اللحم لا يتم تأديمه إلا به، فهو إدام مستقل، ومصلح لكل إدام.

أو سيادة الملح من حيث الإصلاح، وسيادة اللحم من حيث الإغناء.

وروى الإمام أحمد، والحاكم، وابن السني، وأبو نعيم؛ كلاهما في «الطب» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُم بِهِ اللَّدُوْدُ[2] والسَّعُوْطُ[3] والْحِجَامَةُ والْمَشِيُّ[4]»[5].

وروى أبو نعيم عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ مَا تَدَاوُيْتُم بِهِ الْحَجْمُ وَالفِصَادُ»[6].

وروى الديلمي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الغِذَاءِ بَوَاكِرُهُ، وَأَطْيَبُهُ أَوَّلُهُ»[7].

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٣١٥)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ١٤٣)، وهو ضعيف.

(٢) اللدود: هو الدواء الذي يصب في أحد جانبي فم المريض.

(٣) السعوط: ما يجعل في الأنف مما يتداوى به.

(٤) المشي: شرِبْتُ مَشُوّاً ومَشِيّاً: إذا شربت مسهلاً.

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٤٧٢)، وكذا رواه الترمذي (٢٠٤٨).

(٦) لم أقف عليه بهذا اللفظ، لكن في البخاري (٥٣٧١)، ومسلم (١٥٧٧) من حديث أنس رضي الله عنه ولفظه: «إِنَّ أَفْضَلَ ما تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ».

(٧) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٩٠٨)، وكذا أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ١٩٩).

وروى الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ، فِيهِ طَعَامٌ مِنَ الطُّعْمِ، وَشِفَاءٌ مِنَ السُّقْمِ»[1].

وروى الإمامان؛ مالك، وأحمد، والترمذي وصححه، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححاه، عن أبي قتادة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ الْخَيْلِ الأَقْرَحُ الأَدْهَمُ الأَرْثَمُ، ثُمَّ الْمُحَجَّلُ الثَّلاثِ مُطْلَقُ اليَمِينِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَدْهَمَ فَكُمَيْتٌ عَلَى هَذِهِ الشِّيَةِ»[2]؛ أي: العلامة.

وهذه الخيرية إما من حيث إنه أقوى وأشد وأثبت، وإما من حيث إنه يتيمن به، ويتبارك به.

والأقرح: الذي في وجهه قُرحة ـ بالضم ـ وهي دون الغرة.

وفيه دليل على أن الأقرح خير من الأغر.

والمحجل: مبيض القوائم الثلاث.

مطلق اليمين شامل لليد والرجل.

والكميت ـ على مثال المُصَغَّر ـ: الذي خالط حمرتَه سوادٌ.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١١٦٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٨٦): ورجاله ثقات.

(٢) رواه الطيالسي في «المسند» (٦٠٤)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٠٠)، والترمذي (١٦٩٦)، وابن ماجه (٢٧٨٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٦٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢٤٥٨).

وروى العقيلي عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ طِيْبِ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيْحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ، وَخَيْرُ طِيْبِ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيْحُهُ»(١).

ووجهه أن الزينة بالنساء أليق.

وروى ابن ماجه، والطبراني في «الكبير»، والحاكم وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ ثِيَابِكُمُ البَيَاضُ؛ فَكَفِّنُوْا فِيْهَا مَوْتَاكُمْ، وَأَلبِسُوْهَا أَحْيَاءَكُم، وَخَيْرُ أَكْحَالِكُمُ الإِثْمِدُ يُنْبِتُ الشَّعْرَ، وَيَجْلو البَصَرَ»(٢).

وروى الطبراني في «الكبير»، وابن حبان، والحاكم وصححاه، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ البِقَاعِ الْمَسَاجِدُ، وَشَرُّ البِقَاعِ الأَسْوَاقُ»(٣).

وروى الإمام أحمد، والبيهقي في «السنن» عن أم سلمة رضي الله

---

(١) رواه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٤٩). وروى نحوه الترمذي (٢٧٨٧)، والنسائي (٥١١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن ماجه (٣٥٦٦) إلى قوله: «أحياءكم»، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٤٢٧)، والحاكم في «المستدرك» (٧٣٧٨).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١٥٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٦). وهو عند مسلم (٦٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «إنَّ أحبَّ البلاد إلى الله مساجدها، وأبغضَ البلاد إلى الله أسواقها».

عنها أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ مَسَاجِدِ النِّسَاءِ قَعْرُ بُيُوتِهِنَّ»[1].

وروى الشيخان، وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ: «لا طِيرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلَ»، قيل: يا رسول الله! وما الفأل؟ قال: «الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُم»[2].

ورويا عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ؛ الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ، الكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ»[3].

قال البغوي: الفأل مهموز، وجمعه فُؤُل[4]، والفأل قد يكون فيما يحسن ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء.

قال: وإنَّما أحبَّ النبي ﷺ الفأل لأن فيه رجاء الخير والعائدة، ورجاء الخير أحسن بالإنسان من اليأس وقطع الرجاء عن الخير[5].

وقال صاحب «القاموس»: الفأل ضد الطِيرَة؛ كأن يسمع مريض: يا سالم، أو طالب: يا واجد، ويستعمل في الخير والشر، وجمعه فؤول

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٩٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٣١).

(٢) رواه البخاري (٥٤٢٢)، ومسلم (٢٢٢٣).

(٣) رواه البخاري (٥٤٤٠)، ومسلم (٢٢٢٤) واللفظ له إلا أنه قال: «الكلمة الحسنة» قبل «الكلمة الطيبة».

(٤) في «شرح السنة»: «فؤول» بدل «فؤل».

(٥) انظر: «شرح السنة» للبغوي (١٢/ ١٧٥).

وأفؤل، انتهى[1].

قلت: ففي عبارته أنَّ للفأل استعمالين ضد الطِيرَة، فلا يكون إلا في الخير، وبمعنى توقع ما يَسُر أو يسوء، فيكون في الخير والشر، وقد أخذ ﷺ في الحديث الأول بالاستعمال الأول، وهو الغالب، وبه يكون الفأل محموداً مطلقاً.

وروى الدينوري في «المجالسة» عن عكرمة رحمه الله تعالى قال: كنا عند ابن عمر وعنده ابن عباس رضي الله عنهم، فمرَّ غراب يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير، فقال ابن عباس: لا خير ولا شر[2].

أشار إلى كراهية التطير، وأنَّ الغراب وكذا كل ما تشاءم الناس به لا ينسب إليه خير ولا شر، أو لا يكون إلا ما قدره الله تعالى من خير أو شر.

وروى البيهقي عن جابر رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «خَيْرُ خَلِّكُم خَلُّ خَمْرِكُمْ»[3]؛ يعني: إنه يكن أزكى طعماً، وأذكى حموضة، وأنفع للأبدان.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٣٤٥) (مادة: فأل).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٦٢).

(٣) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٨) وقال: قال أبو عبدالله: هذا حديث واه، والمغيرة بن زياد صاحب مناكير. قال الشيخ: وأهل الحجاز يقولون لخل العنب: خل الخمر، وهو المراد بالخبر؛ إن صح الخبر إن شاء الله، أو خمراً تخللت بنفسها.

وروى الإمام أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود، وغيرهم، وصححه الحاكم، عن أبي سعيد رضي الله عنه، وأخرجه الحاكم وصححه أيضاً، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الْمَجَالِسِ أَوْسَعُهَا»(1).

وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ(2) الْمَجَالِسِ مَا اسْتُقْبِلَ بِهِ القِبْلَةُ»(3).

وهذه الخيرية من حيث الفضيلة، وهي في الحديث المتقدم من حيث الرفق، وجمع العيال، وتحضير الأثاث.

وروى الإمام أحمد، ومسلم، والنسائي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «الدُّنْيَا كُلُّهَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»(4).

وروى ابن عدي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (3/ 18)، والبخاري في «الأدب المفرد» (1136)، وأبو داود (4820)، والحاكم في «المستدرك» (7705) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

وروواه الحاكم في «المستدرك» (7704) عن أنس رضي الله عنه.

(2) في «المعجم الأوسط»: «أكرم» بدل «خير».

(3) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (8361). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (8/ 59): فيه حمزة بن أبي حمزة، وهو متروك.

(4) رواه الإمام أحمد في «المسند» (2/ 168)، ومسلم (1467)، والنسائي (3232).

لَهْوِ الْمُؤْمِنِ السِّبَاحَةُ، وَخَيْرُ لَهْوِ الْمَرْأَةِ الْمِغْزَلُ»[1].

وإنما كانت السباحة خير لهو المؤمن؛ لأنه تنفعه عند الحاجة إليه، وينبغي أن يكون كذلك لهوه بسهمه وركض فرسه.

وروى البزار، والطبراني في «الأوسط» عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «عَلَيْكُم بِالرَّمْيِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ خَيْرِ لَهْوِكُم»[2].

وروى أبو عوانة عنه ـ موقوفاً ـ قال: «تَعَلَّمُوا الرَّمْيَ؛ فَإِنَّهُ خَيْرُ لَعِبِكُم»[3].

وقال ﷺ: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». رواه الإمام مالك، وابن أبي شيبة، والشيخان، والنسائي، وابن ماجه عن ابن عمر.

وابن أبي شيبة، والشيخان، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن عروة البارقي.

ومسلم، وابن أبي شيبة عن أبي هريرة.

وهما والنسائي عن جرير.

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ١٥٢) وقال: ليس له أصل.

(٢) رواه البزار (١١٤٦) وقال: هذا الحديث هو عند الثقات موقوف. ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٠٤٩).

(٣) رواه أبو عوانة في «المسند» (٦٩٢٤).

والنسائي، عن سلمة بن نفيل، رضي الله عنه[1].

وفي الباب عن غيرهم.

وروى الترمذي، وابن ماجه، وضعفه البيهقي، عن أبي أمامة، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم وصححه، عن عبادة: قالا رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الأُضْحِيَةِ الكَبْشُ الأَقْرَنُ، وَخَيْرُ الكَفَنِ الْحُلَّةُ»[2].

وروى أبو يعلى، وابن حبان في «صحيحه» عن جابر رضي الله عنه قال:

---

(١) رواه الطيالسي في «المسند» (١٨٤٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٤٨٣)، والبخاري (٢٦٩٤)، ومسلم (١٩٧١)، والنسائي (٣٥٧٣)، وابن ماجه (٢٧٨٧) عن ابن عمر رضي الله عنه.
ورواه ابن أبي شيبة «المصنف» (٧٠٦)، والبخاري (٢٦٩٥)، ومسلم (١٨٧٣)، والترمذي (١٦٩٤)، والنسائي (٣٥٧٤)، وابن ماجه (٢٧٨٦) عن عروة البارقي رضي الله عنه.
ورواه مسلم (٩٨٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٤٩٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه مسلم (١٨٧٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٤٨٦) والنسائي (٣٥٧٢) عن جرير رضي الله عنه.
ورواه النسائي (٣٥٦١) عن سلمة بن نفيل رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي (١٥١٧)، وابن ماجه (٣١٣٠)، وروى البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٧٣) الشطر الأول فقط عن أبي أمامة رضي الله عنه.
ورواه أبو داود (٣١٥٦)، والحاكم في «المستدرك» (٧٥٥١) عن عبادة رضي الله عنه.
وروى ابن ماجه (١٤٧٣) عنه الشطر الثاني فقط.

قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ مَا رُكِبَتْ إِلَيْـهِ الرَّوَاحِلُ مَسْجِدِي هَـذَا وَالبَيْتُ العَتِيْقُ»(١).

وروى الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ»، الحديث(٢).

وروى الإمام أحمد، والحاكم وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ يوم تَحْتَجِمُوْن فِيْهِ سَبْعَ عَشْرَةَ، وَتِسْعَ عَشْرَةَ، وَإِحْدَى وَعِشْرُوْنَ»، الحديث(٣).

وروى أبو نعيم عن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نَوْمٌ عَلَى عِلْمٍ خَيْرٌ مِنْ صَلاةٍ عَلَى جَهْلٍ»(٤).

وروى الإمام أحمد، وسعيد بن منصور في «سننه» ـ بسند صحيح كما قال السيوطي(٥) ـ عن محمود بن لَبِيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «اثْنَتَانِ

---

(١) رواه أبو يعلى في «المسند» (٢٢٦٦)، وابن حبان في «صحيحه» (١٦١٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٠١)، ومسلم (٨٥٤)، والترمذي (٤٤٨). وكذا رواه أبو داود (١٠٤٦)، والنسائي (١٣٧٣).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٧٤٧٦). وكذا رواه الترمذي (٢٠٥٣) وحسنه، ولفظه: «إن خير ما تحتجمون فيه يوم سبع...».

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٨٥).

(٥) انظر: «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور» للسيوطي (ص: ٢٠).

يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ مِن الفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُ قِلَّةَ الْمَالِ وَقِلَّةُ الْمَالِ أَقَلُّ لِلْحِسَابِ»[1].

وروى ابن أبي الدنيا في «الموت» عن أبي الدرداء ﷺ قال: ما أهدى إلي أخ هدية أحب إليَّ من السلام، ولا بلغني عنه خبر أحب إليَّ من موته[2].

عن جعفر الأحمر رحمه الله قال: من لم يكن له في الموت خير، فلا خير له في الحياة[3].

وروى ابن المبارك في «الزهد»، وابن أبي شيبة عن الربيع بن خُثيم رحمه الله تعالى قال: ما من غائبٍ ينتظره المؤمن خيرٌ له من الموت[4].

وروى ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا عن مسروق رحمه الله تعالى: ما من شيء خيرٌ للمؤمن من لحدٍ قد استراح من هموم الدنيا، وأمن من عذاب الله تعالى[5].

وروى البيهقي في «شعب الإيمان» عن علي ﷺ قال: التوفيق خير قائد، وحسن الخلق خير قرين، والعقل خير صاحب، والأدب خير

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢٧).

(٢) عزاه السيوطي في «شرح الصدور» (ص: ٢٣) لابن أبي الدنيا.

(٣) عزاه السيوطي في «شرح الصدور» (ص: ٢٢) لابن أبي الدنيا.

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٩٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٨٤٣).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٨٦٥).

ميراث، ولا وحشة أشد من العجب[1].

وروى ابن الجوزي في «الصفوة» عن أبي الحسن بن سمعون رحمه الله قال: الخير كله في هذا الزمان: تركُ ما الناس عليه، ومصُّ النَّوى، وسَفُّ[2] الرمل[3].

وروى أبو بكر بن لال في «مكارم الأخلاق» عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «جُعِلَ الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي الرَّبْعَةِ»[4].

ووَجهه أَن الرَّبْعَةَ أقرب إلى الاعتِدَالِ من الطَّوِيْل ومن القصير؛ لأن اعتِدَالَ الْجَسَدِ يَدل على اعتدَالِ الخلقِ والخلق، ولذلك كان النبي ﷺ رَبعة في الرجال.

ولو قيل: إنَّ الألف واللام في الحديث للعهد، وإن المراد بالربعة هو ﷺ لم يبعد.

وكذلك ينبغي أن تعلم أن خير ما يكون العبد إذا كان كهلاً في سن الأربعين.

ومن هنا تنبأ بها الأنبياء عليهم السلام.

وإذا بلغ المرء الأربعين ولم يعتدل، دلَّ ذلك على فساد مزاجه

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٦٦١).

(٢) أي أكله يابساً.

(٣) رواه ابن الجوزي في «صفوة الصفوة» (٢/ ٤٧٤).

(٤) ورواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٢٩٨).

وسوء خلقه، ومن ثم قيل: إذا بلغ الإنسان الأربعين ولم يغلب خيره على شره فليتجهز إلى النار[1].

وروى أبو يعلى، والطبراني في «الكبير» عن واثلة، والبيهقي في «الشعب» عن أنس، وعن ابن عباس، وابن عدي في «الكامل» عن ابن مسعود رضي الله عنهم: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ شَبَابِكُم مَنْ تَشَبَّهَ بِكُهُولِكُم، وَشَرُّ كُهُولِكُم مَنْ تَشَبَّبَ»[2].

وسيأتي الكلام على ذلك في موضع مبيناً إن شاء الله تعالى.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي المِنهال رحمه الله قال: ما جاور العبد في قبره جارٌ خيرٌ له من استغفار كثير.

وروى ابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» عن أبي قتادة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ مَا يَخْلُفُ الإِنْسَانَ مِنْ بَعْدِهِ ثَلاثٌ؛ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، وَصَدَقَةٌ تَجْرِي يَبْلُغُهُ أَجْرُهَا، وَعِلْمٌ يَنْتَفِعُ بِهِ مَنْ بَعْدِهِ»[3].

---

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنه يرفعه، ولا يصح رفعه. انظر: «اللآلىء المصنوعة» للسيوطي (١/ ١٢٦).

(٢) رواه أبو يعلى في «المسند» (٧٤٨٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٨٣) عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

وروراه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٨٠٥) عن أنس رضي الله عنه، و(٧٨٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنه.

وروراه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١/ ٢٥٤) عن عمر رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن ماجه (٢٤١)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٣).

قلت: وهذا الخير المخلف بعده هنا غير الخير المتروك في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾[البقرة: ١٨٠]؛ فإنَّ الخير في الآية هو المال، أو المال الكثير.

وقد روى ابن أبي شيبة، والمفسرون، وغيرهم، وصححه الحاكم، عن عروة: أنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل على مولى لهم في الموت وله سبعمئة درهم، أو ستمئة درهم، فقال: ألا أوصي؟ قال: لا، إنَّما قال الله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾[البقرة: ١٨٠]، وليس لك كثير مال، فدع مالك لورثتك[1].

ولا تكون الصدقة المتروكة بعده خيراً إلا إذا سلمت من الإثم في جميع ما يتصدق به أولاً، ثم في الإخلاص في التصدق به، ثم في ترك المضاررة لأحد من ورثته من بعده؛ فإنَّ الإضرار في الوصية من الكبائر كما رواه ابن أبي شيبة، والنسائي، وغيرهما عن ابن عباس[2]، فلا خير في الوصية إلا إذا سلمت من ذلك.

وقد روى الأئمة مالك، وأحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أنه مرض مرضاً أُشفيَ

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٩٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٨٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٩٣٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٩٢) موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما.

منه، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقال: يا رسول الله! إن لي مالاً كثيراً، وليس يرثني إلا ابنة لي، أفأتصدق بالثلثين؟ قال: «لا»، قال: فالشطر؟ قال: «لا»، قال: فالثلث؟ قال: «الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ؛ إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ»(١).

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي وحسنه، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْخَيْرِ سَبْعِينَ سَنَةً، فَإِذَا أَوْصَى حَافَ فِي وَصِيَّتِه، فَيُخْتَمُ لَهُ بِشَرِّ عَمَلِهِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بَعَمَلِ أَهْلِ الشَرِّ سَبْعِيْنَ سَنَةً، فَيَعْدِلُ في وَصِيَّتِهِ، فَيُخْتَمُ لـه بِخَيْرِ عَمَلِهِ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ»(٢).

وقال الدينوري: حدثنا إبراهيم الحربي، قال: كتب يعقوب بن داود إلى بعض العباد بالقدوم عليه، فأتى محمد بن النضر الحارثي رحمه الله فاستشاره، وقال: لعل الله أن يقضي ديني، فقال له: لا تفعل؛ لأن تلقى الله تعالى وعليك دَيْنٌ ولك دِيْن، خيرٌ من أن تلقاه وقد قضيت

---

(١) رواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٧٦٣)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٦٨)، والبخاري (٢٥٩١)، ومسلم (١٦٨٢)، وأبو داود (٢٨٦٤)، والترمذي (٩٧٥)، والنسائي (٣٦٢٦)، وكذا ابن ماجه (٢٧٠٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٧٨) واللفظ له، وأبو داود (٦٨٦٧)، والترمذي (٢١١٧) وصححه، وابن ماجه (٢٧٠٤). ولفظ أبي داود والترمذي: «إن الرجل والمرأة ليعملان بطاعة الله ستين سنة، ثم يحضرهما الموت، فيضاران في الوصية، فتجب لهما النار».

دَيْنك، وذهب دِيْنك[1].

ومن لطائف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أخرجه الدينوري ـ أيضاً ـ أنه قال: من اتَّجـر في شيء ثلاث مرات فلم يصب فيـه، فليتحرر منه إلى غيره[2].

قال: وقال لرجلٍ: إذا اشتريـت بعيـراً فاشتره عظيم الخلق، فإن أخطأك خيره لم يخطئك سوقُه[3].

وهو معنى قول الناس: اشتر لنفسك وللسوق[4].

* تَذْيِـيْلٌ:

قد يطلق على أحد الشرين أنَّهُ خير من الآخر؛ بمعنى أنه أهون منه وأخف ضرراً، فإذا كان لابد من ارتكاب أحدهما فارتكاب الأخف خير ـ أي: أولى ـ من ارتكاب الآخر.

وبالجملة: فإطلاق الخير على الأخف مجاز ظاهر، وقد وقع من ذلك كثير في كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

فمن ذلك حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «ما تَقُوْلُوْنَ فِي الزِّنَا؟» قالوا: حرام، حرَّمه الله ورسولـه، فهو

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٢٨).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٠٦)، وكذا رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٢١٣).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٠٦).

(٤) انظر: «مجمع الأمثال» للعسكري (١/ ٨٠).

حرام إلى يوم القيامة، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ خَيْـرٌ لَـهُ مِنْ أَنْ يَزْنِي بِحَلِيْلَةِ جَارِهِ». رواه البخاري في «تاريخه»، والإمام أحمد ـ ورواته ثقات ـ، والطبراني في «الكبير»، و«الأوسط»[1].

وفي رواية: «أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ»[2].

وهي مفسِّرة لمعنى الخيرية في الرواية؛ إذ لا خيرية في الزنا أصلاً.

وكذلك حديث أبي هريـرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُم عَلَى جَمْرَةٍ، فَتَحْرِقَ ثِيَابَـهُ، فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَـهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ». رواه الإمام أحمـد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه[3].

فإنَّ الجلوس على الجمر لا خير فيه عقلاً ولا شرعاً من حيث إنه يعرض لإتلاف ماله وجسده، وقد يؤدي إلى قتل نفسه، إلا أنه أراد أن يُعظم أمر انتهاك حرمة القبر إشارة إلى أن حرمة المسلم ميتاً كحرمته حيَّاً، فلا تنتهك حرمته.

---

(١) رواه البخاري في «التاريخ الكبيـر» (٨/ ٥٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢٥٦)، و«المعجم الأوسط» (٦٣٣٣).

(٢) هذا اللفظ هو لفظ مصادر التخريج السابقة، واللفظ الأول هو للطبراني في «المعجم الكبير».

(٣) رواه الإمام أحمـد في «المسند» (٢/ ٣١١)، ومسلم (٩٧١)، وأبو داود (٣٢٢٨)، والنسائي (٢٠٤٤)، وابن ماجه (١٥٦٦).

وكذلك حديث عبدالله بن مغفَّل رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «لأنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُم بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيْدٍ، خَيْرٌ لَـهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لا تَحِلُّ لَهُ». رواه الطبراني في «الكبير»[1].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «لأَنْ يَجْعَلَ أَحَـدُكُم فِي فِيْهِ تُرَاباً خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ فِي فِيْهِ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ». رواه البيهقي في «الشعب»[2].

وحديثه عن النبـي ﷺ قال: «[قـال داود النبي عليـه السـلام:] إِدْخَالُكَ يَدَكَ فِي فَمِ التِّنِّيْنِ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الْمِرْفَقَ فَيَقْضِـمَهَا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَسْأَلَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ، ثُمَّ كانَ». رواه أبو نعيم[3].

وحديثه عن النبي ﷺ أنه قال: «لأَنْ يَمْتَلِىءَ جَوْفُ الرَّجُلِ قَيْحًا حتى يَرِيَـهُ، خَيْرٌ لـه من أَنْ يَمْتَلِىءَ شِـعْرًا». رواه الإمـام أحمـد، والستة إلا النسائي[4][5].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢١١) لكن عن معقل بن يسار رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣٢٦): رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٧٦٣)، وكذا ابن أبي الدنيا في «الورع» (ص: ٨٤).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٨١).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٨٨)، والبخاري (٥٨٠٣)، ومسلم (٢٢٥٧)، وأبو داود (٥٠٠٩)، والترمذي (٢٨٥١)، وابن ماجه (٣٧٥٩).

(٥) جاء على هامش «م»: «وهو عند البخاري عن ابن عمر، وعند مسلم عن أبي سعيد، وعند الإمام أحمـد من حديثهما بلفظ: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلىء شعراً» ولم يقل: «حتى يريه».

وقوله: «حتى يريه»؛ أي: يفسده، يقال: ورى القيح جوفه: أفسده؛ كذا في «القاموس» بفتح أوله[1].

وهذا يحتمل أن يكون من قبيل ما تقدم.

والمعنى: أنَّ فساد الجوف بالمرض المحسوس في الدنيا أهون من أن يمتلىء شعراً فيُعاقب عليه في الآخرة.

ويحتمل أن يكون المعنى: لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً ودماً ـ أي: يتناوله ـ خيرٌ ـ أي: أهون وأخف إثماً ـ من أن يمتلىء شِعْراً.

والمراد به الشعر المذموم بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾[الشعراء: ٢٢٧]؛ فإنه مستثنى من قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾[الشعراء: ٢٢٤].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ سِحْراً، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْماً». رواه الإمام أحمد، وأبو داود من حديث ابن عباس[2].

وهو عند ابن أبي شيبة من حديث ابن مسعود ﷺ نحوه[3].

والجملة الأخيرة عنده من حديث بريدة ﷺ[4].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٧٢٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٣)، وأبو داود (٥٠١١).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٠١١).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٠٠٨).

وروى ابن عدي عن جابر ﵁: أن النبي ﷺ قال: «لأَنْ يَمْتَلِىءَ جَوْفُ الرَّجُلِ قَيْحاً أو دَماً خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِىءَ شِعْراً مِمَا هَجَيْتَ بِهِ»(١).

وروى الخرائطي في «مساوىء الأخلاق» عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأَنْ يَأْكُلَ أَحَدُكُم مِنْ جِيْفَةٍ حَتىَّ يَشْبَعَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيْهِ الْمُسْلِم»(٢).

وروى هو وابن أبي شيبة، والإمام أحمد في «الزهد»، والبخاري في «الأدب» عن عمرو بن العاص ﵁: أنه مرَّ على بغل ميت وهو في نفر من أصحابه، فقال: والله لأن يأكل أحدكم من هذا حتى يملأ بطنه خير له من أن يأكل من لحم رجل مسلم(٣).

وتمثيل الغيبة بأكل لحم الميت وقع في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾[الحجرات: ١٢].

ولقد عجبت من كثير من العلماء يقولون: إنَّ أكل لحم الميتة لغير المضطر كبيرة، ثم يتوقف في أن الغيبة كبيرة أو يقول: هي صغيرة، وقد ساوى الله تعالى في كتابه بينهما، ولا يفهم من الآية كون أكل الميتة أخف

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٩). وقال ـ بعد أن ذكر عدة أحاديث عن النضر ـ: وهذه الأحاديث بأسانيدها غير محفوظة.

(٢) رواه الخرائطي في «مساوىء الأخلاق» (١/ ١٩٧).

(٣) رواه الخرائطي في «مساوىء الأخلاق» (١/ ٢٠٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٥٣٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٣٦).

من الغيبة، وإنما هو منصوص عليه في الحديث والأثر.

ووجهه أن لحم ميتة يُباح للمضطر بخلاف الغيبة؛ فإنَّ أكل لحم الميتة ذنب بين العبد وبين الله تعالى، فهو من ظلم النفس الذي يُرجى أن يغفر، والغيبة بين العبد وبين أخيه فهو من المظلمة التي لا تترك.

ومن وجه من جعلها صغيرة لكثرة دورانها على الألسنة وتنازع ألسنة الناس إليها.

يرد عليه أنَّ الناس قد تنازعت ألسنتهم إلى التقاذف والفتن، ولا قائل بأنَّ ذلك صغيرة، ولا بأنَّ ذلك يصير بالتهافت فيه صغيرة[1].

وروى عبد الرزاق، والطبراني في «الكبير» عن نوفل بن معاوية، عن أبيه ﷺ: أنَّ النبي ﷺ قال: «لأَنْ يُوتَرَ أَحَدُكُم أَهْلَهُ وَمَالَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَفُوتَهُ وَقْتُ صَلاةِ العَصْرِ»[2]؛ أي: ولم يُصَلِّها.

ويقال: وتره ماله ـ بالمثناة ـ: إن نقصه إياه.

والمعنى: إنَّ نقصان مال المرء وأهله خير له من فوات الصلاة؛ لأنَّ في نقصان المال والأهل ثواب الصبر، واحتمال مشقة البلاء، ثم قد يجمع شمله بهم في الآخرة بخلاف فوات الصلاة؛ فإنَّ فيه فوات ثوابها ولا عوض منه.

---

(١) قد أحسن المصنف رحمه الله في إيراده هذا التنبيه القيم.

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٢٢٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٤٢٩).

وروى الإمام أحمد، والشيخان عن الزبير بن العوام ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ الْجَبَلَ فَيَجِيءَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»[1].

والمعنى: إن ارتكاب مشقة الاحتطاب والاكتساب أخف من ارتكاب ذل السؤال.

أو المعنى: إنَّ الاكتساب بالاحتطاب ونحوه خير من الاكتساب بالسؤال؛ لأنَّ السؤال خطر العاقبة من حيث إنه قد تكون المسألة مأثمة، بل الاكتساب بالنية الصالحة خير وإن كان مع الغنى، أما السؤال مع الغنى فإنه حرام.

وروى الإمام أحمد عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لأَنْ يَلْبَسَ أَحَدُكُم ثَوْباً مِنْ رِقَاعٍ شَتَّى خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ بِأَمَانَتِهِ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ»[2].

وروى البيهقي في «الشعب»، ولفظه: «لأَنْ يَلْبَسَ الرَّجُلُ مِنْ أَلْوَانٍ شَتَّى ـ أَيْ: مُخْتَلِفَةٍ مُتَفَرِّقَةٍ ـ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْتَدِيْنَ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ قَضَاؤُهُ»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٦٧)، والبخاري (١٤٠٢)، ولم أقف على الحديث عند مسلم، ولا على من عزاه إليه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٤٣).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٥٤٧).

ومعناه: إن احتمال مشقة النفس وانقباضها من الثوب الخَلِقِ المرقع ترقيع ضرورة واحتياج أخفُّ وأحمدُ عاقبة من احتمال المنن وارتكاب الديون؛ فإنَّ الأيام تنقضي بالخلق، وينقضي انقباض النفس له بانقضائها، بخلاف الدين، فإنَّ صاحبه سيطلبه، وقد لا يتيسر له وفاؤه، أو يتأخر عن وقت حُلُولِهِ، فيطلبه صاحبه فيخجل المدين لطلبه، وربما شدد عليه فيحصل له مشقة وذل.

وقد جاء في الحكمة: إن الدَّين همٌّ بالليل مذلَّةٌ بالنهار[1].

وقد يموت ولا يوفيه فيتعلق بذمته، فلو اكتفى بالخَلِقِ لكان خيراً مما فعل بنفسه في العافية.

وروى الإمام أحمد، وابن ماجه، والدارمي، وغيرهم عن زيد بن خالد الجهني ﷺ: أنَّ النبي ﷺ قال: «لأَنْ يَقُومَ أَحَدُكُم أَرْبَعِيْنَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَي الْمُصَلِّي»[2].

ووجه الخيرية أنَّ قيامه لا إثم فيه، ولا تخشى عاقبته، بخلاف المرور بين يدي المصلي فإنه يأثم به.

وروى الإمام أحمد، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ قال:

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣١٠٠) عن عائشة ﷺ.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١١٦)، وابن ماجه (٩٤٤). وكذا رواه أبو داود (٧٠١)، والترمذي (٣٣٦) لكن قالا: عن بسر بن سعيد قال: أرسلني زيد بن خالد إلى أبي جهيم يسأله ماذا سمع من رسول الله ﷺ في المار بين يدي المصلي، فقال أبو جهيم، الحديث.

قال رسول الله ﷺ: «حدٌّ يُعْمَلُ بِهِ فِي الأَرْضِ خَيْرٌ لأَهْلِ الأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِيْنَ صَبَاحَاً»(١).

وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»، ولفظه: «حَدٌّ يُقَامُ فِي الأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ مَطَرِ أَرْبَعِيْنَ صَبَاحَاً»(٢).

ووجه خيرية الحد: أنه يردع عن مواقعة الحدود، فتحفظ النفوس والأموال والأعراض، فأما المطر أربعين صباحاً فإنه قد يستغنى عنه بمطرٍ غيره، أو نفعه في عام وإذا لم يكن فقد لا يؤثر عدمه ضرراً، وقد يكون ضرره ارتفاع سعر، أو قلة النبت في موضع دون موضع فيستغنى عمّا فات منه بالاجتلاب من موضع الخصب، أو بزيادة في السعر.

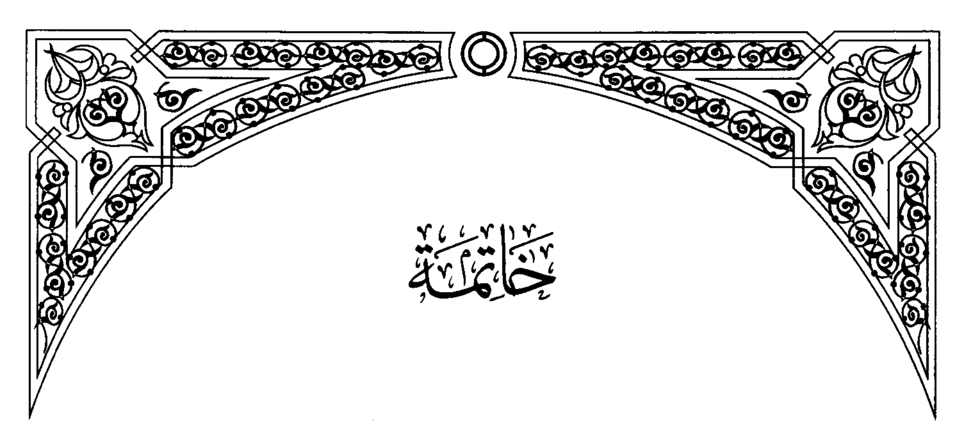
وفي الحديث ترغيب في إقامة الحدود، وأنها من خير أنواع الخير وأنفعها في الدنيا والآخرة.

* * *

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٢)، والنسائي (٤٩٠٤)، وابن ماجه (٢٥٣٨).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٣٩٨).



طلب الخير والرغبة فيه هو المقصود بخلق المخلوقات، وإنما خلق الله الشر ليكمل لأهل الخير خيرهم باجتنابه، وليتمَّ لأهل الشر شرهم باستبقاء الشر أو اجتناب الخير.

وبالشر يكمل ظهور أسماء الله تعالى في مظاهرها؛ كالحليم، والصبور، والمنتقم، ألا ترى أنَّ في خلق الشيطان ـ وهو أبو الشر ـ إظهار حكم اسم الله التواب الرحيم في آدم عليه السلام، وإظهار لعنة الله تعالى في إبليس، وكل ملعون التي هي [. . . .][1] أسمائه الملك، والحكم، والعدل، والمقسط، والعزيز، وغيرها إلى غير ذلك.

ومما يُشير إلى هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[هود: ١١٨]؛ أي: على الحق، أو [إرادة][2] الخير ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[هود: ١١٨]؛ أي: فبعضهم على الحق، وبعضهم على الباطل، وبعضهم يُريد الخير ويفعله، وبعضهم يريد الشر ويفعله، ﴿إِلَّا مَن

---

(١) غير واضح في «م» و«ت».

(٢) غير واضح في «م»، والمثبت من «ت».

رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾[هود: ١١٩]، ولولا اختلافهم لم تتم هذه الكلمة؛ إذ لو كانوا كلهم على الحق والخير لم يدخل جهنم أحد منهم فضلاً عن أن تمتلىء منهم.

وعليه: فقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾[هود: ١١٩] إشارة للاختلاف.

قال الحسن: خلق هؤلاء للجنة، وهؤلاء للنار، وهؤلاء لرحمته، وهؤلاء لعذابه. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[1].

وقال آخرون: إشارة للرحمة؛ أي: ولرحمته خلقهم[2].

وعليه: فالضمير ضمير الجماعة عائدٌ إلى (من) كما يشير إليه ما رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾[هود: ١١٨] قال: أهل الحق وأهل الباطل.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[هود: ١١٩] قال: أهل الحق.

قال: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾[هود: ١١٩] قال: للرحمة[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٤١) واللفظ له، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٩٦). وكذا رواه أبو داود (٤٦١٥) ولفظه: «خلق هؤلاء لهذه، وهؤلاء لهذه».

(٢) هذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة. انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ١٤٤).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ٢٠٩٣ ـ ٢٠٩٥).

ولا شك أنَّ أهل الباطل الذين يموتـون عليـه مشركين لم يخلقوا للرحمة، إنما خُلقوا للعذاب إلا أن يراد رحمة الدنيا فإنَّها شاملة للرزق، والأجل المشترك فيه المؤمن والكافر.

فإذا علمت أنَّ طلـب الخيـر لهـذه المثابـة فقـد روى البيهقي في «الأسماء والصفـات»، وغيـره عن أنس ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «اطْلُبُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُم كُلَّـهُ، وَتَعَرَّضُوْا لِنَفَحَـاتِ رَحْمَـةِ اللهِ؛ فَإِنَّ للهِ ﷻ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِـهِ يُصِيْبُ بِهَا مَنْ يَشَـاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَلُوْا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُم، وَيُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُم»[1].

وقد أخرجه في «الشعب» من حديثه، ومن حديث أبي هريرة ﵄.

وحديث أنس أخرجه ـ أيضاً ـ ابن أبي الدنيا في «الفرج»، والحكيم الترمذي في «نوادره»، وأبو نعيم[2].

وقولـه: «اطلبـوا الخيـر»؛ أي: فتشـوا عـنـه، فإن وجـدتمـوه

---

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٣٢٩)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٢٠).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١١٢١) عن أنس ﷺ. و(١١٢٣) عن أبي هريرة ﷺ وقال: وهذا هو المحفوظ ذون الأول.
ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (ص: ٢٨) لكن عن أبي هريرة ﷺ.
ورواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٩٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٦٢) كلاهما عن أنس ﷺ.

فاتبعوه واعملوا به.

أو المعنى: اطلبوا تيسيره من الله تعالى، وحصوله منه ودوامه.

وهذا الطلب إما أن يكون بالطاعة والشكر لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[النور: ٥٤]؛ أي: لطرق الخير، وقوله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم: ٧]؛ أي: من الخير والنعمة.

وليس للخير تقييد أحسن من الطاعة والكف عن المعصية وهما حقيقة الشكر.

ومن ثم قال شعيب عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾[هود: ٨٤].

وفي قوله: ﴿إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾؛ أي: سعة في الرزق، ورخص في السعر إشارة إلى أن من كان في خير لا يعرضه بالمعصية للزوال، بل يطلب بقاءه بالطاعة.

وإن كان في المعصية استزاده من جنس ذلك الخير كالتطفيف، واختلاس أموال الناس وغصبها، فإنه استزادة في الحس ونقصان في المعنى، أو استزادة في الحال ونقص في المآل، ولذلك قال لهم: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[هود: ٨٦]؛ أي: ما يبقيه في أيديكم من ذلك على وجه الإباحة خير لكم مما تجمعونه أنتم.

وإما أن يكون بالدعاء والسؤال من الله تعالى، سواء في ذلك خير

الدنيا كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص: ٢٤]، وخير الآخرة.

بل قد أمرنا بالدعاء، والدعاء لا ينبغي أن يكون إلا بالخير بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾[الإسراء: ١١]؛ عاب على من يطلب من الله الشر كما يطلب منه الخير.

ومن ثم قد يُستجاب لمن دعا على ولده أو ماله بالشر عقوبة لطيشه وعجلته، وليس ذلك من باب الإحسان والفضل.

ومن هنا تفهم معنى قوله ﷺ في دعاء الاستفتاح المروي في «صحيح مسلم» وغيره: «وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»(١)؛ أي: ليس ينبغي أن يكون متوجهاً طلبه إليك؛ أي: لا ينبغي أن يُطلب منك.

ويكون تقديره: ليس مطلوباً إليك؛ فإنهم يقولون: طلبت إليك؛ أي: رغبت.

ومنه قول أبي الأسود الدؤلي رحمه الله: [من الكامل]

وَإِذا طَلَبْتَ إِلَىْ لَئِيْمٍ(٢) حاجَةً   فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيْكَ وَالتَّسْلِيْمُ

وعندي أنَّ هذا أحسن ما يؤول به الحديث.

---

(١) رواه مسلم (٧٧١) عن علي بن أبي طالب ﷺ.

(٢) كذا في «م» و«ت»، ولعله: «كريم».

وقد حكى النووي في «شرحي مسلم والمهذب» بعد أن قال: إنه مما يجب تأويله، خمسه أقوال ليس هذا منها.

أحدها: لا يتقرب به إليك.

والثاني: لا يضاف إليك على انفراده؛ لا يقال: خالق القردة، بل خالق كل شيء.

والثالث: لا يصعد إليك.

والرابع: والشر ليس شراً بالنسبة إليك.

والخامس: إنه كقولك: فلان إلى بني فلان؛ أي: عداده فيهم[1].

وأما قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾[آل عمران: ٢٦]؛ أي: والشر، كما في قوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[النحل: ٨١]؛ أي: والبرد، فحذف الشر للعلم إيثاراً للأدب، ولأن المحل محل رغبة وطلب؛ أي: بيدك الخير الذي نحن بصدد طلبه لا بيد غيرك، فلا يقدر عليه أحد غيرك، فلا يُطلب إلا منك[2].

وفي «معجم الطبراني الكبير»: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي أَنْ يَرْفَعَ العَبْدُ يَدَيْهِ فَيَرُدَّهُمَا صِفْراً لا خَيْرَ فِيهِمَا، فَإِذَا رَفَعَ أَحَدُكُم يَدَيْهِ فَلْيَقُل: يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ ـ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ـ، ثُمَّ إِذَا رَدَّ يَدَيْهِ فَلْيُفْرِغْ [ذلك]

---

(١) انظر: «شرح مسلم» (٦/ ٥٩)، و«المجموع» للنووي (٣/ ٢٦٣).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٤/ ٥٥).

الْخَيْرَ عَلَى وَجْهِهِ»[1]؛ أي: الخير المتوقع حصوله من الله تعالى برفع يديه وطلبه من الله تعالى؛ إذ لا يطلب منه إلا الخير، ولا يتوقع منه إلا الخير.

ففي رد يديه إلى وجهه ومسحه بهما تفاؤل بأن الخير قد أفرغ على وجهه.

ويجوز أن يكون إفراغاً حقيقياً؛ فإن الصادق الصدوق ﷺ أخبر أن الله تعالى يجعل الخير في يدي عبده إذا رفعهما إليه.

وقد وقع في حديث أنس رضي الله عنه: «إِنَّ رَبَّكُم حَيِيٌّ كَرِيْمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ العَبْدُ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا حَتَّى يَجْعَلَ فِيْهِمَا خَيْرَاً». رواه عبد الرزاق، والحاكم وصححه[2].

وفي حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيْمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرَاً».

وفي لفظ: «يَسْتَحْيِي أَنْ يَبْسُطَ العَبْدُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ فَيَرُدَّهُمَا خَائِبَتَيْنِ». رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي وحسنه، وابن ماجه، والحاكم وصححه[3].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٥٥٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٦٩): فيه الجارود بن يزيد وهو متروك.

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٢٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٣٢).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٣٨)، وأبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦) وحسنه، وابن ماجه (٣٨٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٣١).

ثم إن كل ما تسأل الله تعالى من نعمة في الدنيا والآخرة، أو دفع بلاء فإنه خير، إلا أنه قد جاءت أحاديث بالتنصيص على طلب الخير بلفظه حتى في كل صباح ومساء.

فروى أبو داود عن أبي مالك الأشجعي ﷺ: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُل: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْن، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا اليَوْمِ؛ فَتْحَهُ وَنَصْرَهُ، وَنُوْرَهُ وَبَرَكَتَهُ وَهُدَاهُ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيْهِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، ثُمَّ إِذَا أَمْسَى فَلْيَقُل مِثْلَ ذَلِكَ»[1].

وروى ابن السني في «عمل اليوم والليلة» عن أنس ﷺ: أَنَّ رسول الله ﷺ كان يدعو بهذه الدعوة إذا أصبح وإذا أمسى: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فُجَاءَةِ الْخَيْرِ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ فُجاءَةِ الشَّرِّ»[2].

وروى مسلم عن ابن مسعود ﷺ قال: كان نبي الله ﷺ إذا أَمْسَى قال: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ له، له الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وهو على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ ما في هذه اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ ما بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ من شَرِّ ما في هذه اللَّيْلَةِ وَشَرِّ ما بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ من الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ من عَذَابٍ

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٨٤). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٣٠٢): سنده جيد.

(٢) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٤٠)، وكذا رواه أبو يعلى في «المسند» (٣٣٧١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١١٥): فيه يوسف بن عطية، وهو متروك.

في النَّارِ وَعَذَابٍ في الْقَبْرِ»، وإذا أَصْبَحَ قال ذلك أَيْضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ»[1].

وروى ابن أبي شيبة عن أبي هريرة ﷺ، عن كعب ـ وهو من رواية الصحابة عن التابعين ـ قال: أجد في التوراة من قال حين يصبحُ: اللهمَّ إني أعوذُ باسمِكَ وبكلمَاتِكَ التَّامَّةِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ[2]، اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَعُوْذُ بِاسْمِكَ وَبِكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ مِنْ عَذَابِكَ وَشَرِّ عِبَادِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ مِنْ خَيْرِ مَا تُسْأَل، وَمِنْ خَيْرِ مَا تُعْطِيْ، وَمِنْ خَيْرِ مَا تُبْدِيْ، وَمِنْ خَيْرِ مَا تُخْفِيْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوْذُ بِاسْمِكَ وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا تُجَلِّي بِهِ النَّهَارَ، لَمْ تَطُفْ[3] بِهِ الشَّيَاطِيْنُ وَلا شَيْءٌ[4] يَكْرَهُهُ، وَإِذَا قَالَهُنَّ إِذَا أَمْسَى مِثْلَ ذَلِكَ غَيْرَ أَنَّهُ يَقُوْلُ: مِنْ شَرِّ مَا دَجَى بِهِ اللَّيْلُ[5].

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ للهِ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الشَّهْرِ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ القَدَرِ، وَأَعُوْذُ

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٣).

(٢) في «المصنف»: «من الشيطان وشره» بدل «من الشيطان الرجيم».

(٣) في «المصنف»: «تطق» بدل «تطف».

(٤) في «المصنف»: «لشيء» بدل «شيء».

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٢٩٣).

بِكَ مِنْ شَرِّ يَوْمِ الْحَشْرِ[1].

وروى هو وأبو داود عن قتادة رحمه الله مرسلاً: أن نبي الله ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: «هِلالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، هِلالُ رَشْدٍ وَخَيْرٍ، هِلالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ ـ ثَلاثاً ـ، الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ هلال كَذَا وَكَذَا، وَجَاءَ بِهِلالِ كَذَا وَكَذَا»[2].

ورواه ابن السني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[3].

[وروى أبو داود عن أبي مالك الأشعريِّ رضي الله تعالى عنه [قال]: قال رسول الله ﷺ: «إذا وَلَجَ الرجلُ بيتَه فليقُلْ: اللهمَّ إنِّي أسألكَ خيرَ المُوْلَجِ، وخيرَ المَخْرَجَ، بسم الله وَلَجْنَا، وبسمِ اللهِ خَرَجْنَا، وعلى اللهِ توكَّلْنا، ثمَّ يُسَلِّمُ على أهْلِ بيتِهِ»[4].

وروى أبو داود، والترمذيُّ وحسَّنه، والنسائيُّ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجدَّ ثوباً سمَّاه باسمه عمامةً أو قميصاً، أو رداء ثم يقول: «اللهمَّ لكَ الحمدُ أنتَ كَسَوتَنِيهِ، أسألكَ خيرَهُ وخَيرَ ما صُنِعَ لـه، وأعـوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وشَرِّ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٧٤٤)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٢٩). وفيه راو لم يسمَّ.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٧٤٩) واللفظ له، وأبو داود (٥٠٩٢) وقال: ليس عن النبي ﷺ في هذا الباب حديث مسند صحيح.

(٣) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٥٩٧).

(٤) رواه أبو داود (٥٠٩٦).

ما صُنِعَ له»(١).

قال النوويُّ في «الأذكار»: صحيح(٢).

وروى الحاكم عن بُريدةَ رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل السوقَ قال: «بسمِ اللهِ، اللهمَّ إنِّي أسألك خيرَ هذه السوقِ وخيرَ ما فيها، وأعوذ بكَ مِنْ شَرِّها وشرِّ ما فيها، اللهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ أَنْ أُصيبَ فيها يميناً فَاجِرَةً، أو صَفقةً خاسِرَةً»(٣)](٤).

وروى الترمذي وحسنه، عن أنس ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إني أريد سفراً فزودني، فقال: «زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى»، قال: زودني، قال: «وَغَفَرَ ذَنْبَكَ»، قال: زودني، قال: «وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ»(٥).

وروى النسائي وأبو داود عن صهيب ﷺ: أن النبي ﷺ لم يرَ قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَالأَرَضِيْنَ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِيْنِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ! أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ القَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٧٦٧).

(٢) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ١٨).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٧٧).

(٤) ما بين معكوفتين جاء على هامش «م»، لكنه غير واضح في أكثره، وقد أثبت من «ت».

(٥) رواه الترمذي (٣٤٤٤) وحسنه.

أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيْهَا»[1].

وروى أبو داود، والترمذي وحسنه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعاماً ـ ورواه ابن السني ولفظه: مَنْ أَطْعَمَهُ اللهُ طَعاماً ـ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بارِكْ لَنا فِيْهِ وَأَطْعِمْنا خَيْرًا منه، وإذا سُقِيَ لَبَنًا، فَلْيَقُلْ: اللهم بَارِكْ لنا فيه، وَزِدْنَا منه؛ فإنه ليس شَيْءٌ يُجْزِىءُ من الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إلا اللَّبَنُ»[2].

وروى أبو داود والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم بأسانيد صحيحة[3]، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان إذا رَفَّأَ الإِنْسَانَ، إذا تَزَوَّجَ، قال: «بَارَكَ الله لكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا في خَيْرٍ»[4].

وقوله: «رَفَّأَ» أي هنأ إنساناً، وأصله الترفيه ـ بالفاء ـ؛ أن تقول للمتزوج: بالرفاء والبنين، ثم أطلق على التهنئة.

والرِفاء ـ بالكسر ـ: الالتحام والاتفاق.

وروى أبو داود، وابن ماجه وابن السني بأسانيد صحيحة[5]،

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٨٢٦).

(٢) رواه أبو داود (٣٧٣٠) واللفظ له، والترمذي (٣٤٥٥) وحسنه، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٤٢٥).

(٣) كذا قال النووي في «الأذكار» (ص: ٢٢٣).

(٤) رواه أبو داود (٢١٣٠) واللفظ له، والترمذي (١٠٩١) وصححه، وابن ماجه (١٩٠٥).

(٥) كذا قال النووي في «الأذكار» (ص: ٢٢٣).

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُم امرَأَةً أَو اشْتَرَى خَادِمَاً فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَها وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيْرَاً فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُل مِثْلَ ذَلِكَ»[1].

وينبغي أن يقول ذلك إذا ملك فرساً أو غيره من الدواب، وكذلك إذا ملك داراً، وإذا كان الخادم ذكراً ذكر الضمائر.

وروى الترمذي وحسنه، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه»، وابن السني، والدارقطني في «الأفراد»، والبيهقي في «الشعب» عن أسامة ابن زيد رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوْفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرَاً فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ»[2].

قلت: ووجه تضمن كلامه الثناء أنه حيث طلب له المجازاة بالخير فقد شهد له بالخير.

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيْهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ

---

(١) رواه أبو داود (٢١٦٠)، وابن ماجه (٢٢٥٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٥٥٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٣٥) وحسنه، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٠٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٤١٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٢٤٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٣٧).

بِهِ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيْهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»[1].

وروى الترمذي وصححه، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَسُبُّوا الرِّيحَ؛ فَإِنْ رَأَيْتُم مَا تَكْرَهُوْنَ فَقُوْلُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيْحِ وَخَيْرِ مَا فِيْهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيْحِ وَشَرِّ مَا فِيْهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ»[2].

وروى أبو داود، وابن ماجه بإسناد حسن[3]، [عن أبي هريرة] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرِّيْحُ مِنْ رَوْحِ اللهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَتَأْتِي بِالعَذَابِ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمُوْهَا فَلا تَسُبُّوْهَا».

وفي لفظ: «لا تَسُبُّوْا الرِّيْحَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ رَوْحِ اللهِ تَعَالَى تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَتَأْتِي بِالعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوْهَا فَلا تَسُبُّوهَا، وَاسْأَلُوْا اللهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيْذُوْا بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا»[4].

وأخرجه النسائي، والحاكم وصححه، من حديث أُبيٍّ بنحوه[5].

---

(١) رواه مسلم (٨٩٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٢٥٢) وصححه.

(٣) كذا قال النووي في «الأذكار» (ص: ١٤٢).

(٤) رواه أبو داود (٥٠٩٧)، وابن ماجه (٣٧٢٧). واللفظ الثاني له والأول لأبي داود.

(٥) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٧٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٧٥).

والروح ـ بفتح الراء ـ فسَّره النووي نقلاً عن العلماء برحمة الله بالعباد[1].

ويظهر أنه أعم لقوله: «تَأْتِيْ بِالرَّحْمَةِ وَتَأْتِيْ بِالْعَذابِ».

وفسره في «القاموس» بالراحة والرحمة ونسيم الريح[2].

فلو حمل الحديث على المعنى الأخير، وقد فسَّر في «القاموس» النسيم بنَفَسِ الريح؛ أي تنفسها؛ أي الريح من النفس والنسيم الذي خلقه الله وخزنه عنده ليكون جنداً من جنوده يروحه حيث يشاء، فيكون على قوم رحمة ويكون على قوم عقاباً.

وروى ابن أبي شيبة عن زيد العَمِّي قال: لما رأى يوسف عليه السلام عزيز مصر قال: اللهم إني أسألك بخيرك من خيره، وأعوذ بقوتك من شره[3].

وعن ثابت البُناني رحمه الله قال: كنَّا في مكان لا تنفذه الدواب، فقمت وأنا أقرأ هؤلاء الآيات: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾[غافر: ٣]، قال: فمرَّ بي شيخ على بغلة شهباء، قال: قل: يا غافر الذنب اغفر ذنبي، يا قابل التوب اقبل توبتي، يا شديد العقاب اعف عني عقابي، يا ذا الطَّوْل طُل عليَّ بخير، قال: فقلتها،

---

(١) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ١٤٣).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٢٨٢) (مادة: روح).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٨٨٥).

ثم نظرتُ فلم أره[1].

ورواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» بنحوه[2].

وروى فيه عن هُشيم رحمه الله تعالى قال: كنت يوماً في منزلي، فدخل عليَّ رجلٌ فقال: الحمد لله على كل نعمة، وأستغفر الله من كل ذنب، وأسأل الله من كل خير، وأعوذ بالله من كل شر، ثم خرج فطلب فلم يُوجد، فكنا نراه الخضر عليه السلام[3].

وروى ابن أبي شيبة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان إذا نعق الغراب قال: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك[4].

وعن نافع بن جبير قال: قال كعب لعبدالله بن عمرو: هل تَطَيَّرُ؟ قال: نعم، قال: فما تقول؟ قال: أقول: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا رب [لنا] غيرك.

فقال: أنت أفقه العرب[5].

وروى الطبراني في «الأوسط» عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٨٨٧) لكن عن حماد بن سلمة.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٥٥).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٥٦).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٨٧٢).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٤١١).

«مَا خَابَ مَن اسْتَخَارَ، وَلا نَدِمَ مَن اسْتَشَارَ، وَلا عَالَ مَن اقْتَصَدَ»[1].

وهو - وإن كان ضعيفاً - يُعمل به في فضائل الأعمال.

وروى ابن السُّنِّي - بسند ضعيف - عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَنَس! إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ فَاسْتَخِرْ رَبَّكَ فِيْهِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْظُر إِلى الَّذِي سَبَقَ إِلَى قَلْبِكَ؛ فَإِنَّ الْخَيْرَ فِيْهِ»[2].

قوله: «فَاسْتَخِر رَبَّكَ»؛ أي: اطلب منه الخير فيه.

وروى الترمذي وضعفه، عن أبي بكر ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد الأمر قال: «اللَّهُمَّ خِرْهُ لِي وَاخْتَرْهُ لَهُ»[3]؛ أي: اجعله خيراً.

وفي لفظ: «خِرْ لي، وَاخْتَر لِي»[4].

قال في «القاموس»: خار الله لك في الأمر: جعل لك فيه الخير[5].

وروى البخاري، والأربعة عن جابر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يُعلمنا السورة من القرآن، يقول:

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٦٢٧). من طريق عبد السلام ابن عبد القدوس عن أبيه. قال أبو حاتم: هو وأبوه ضعيفان. انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٦/ ٤٨).

(٢) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٥٥١). قال ابن حجر في «الفتح» (١١/ ١٨٧): وهذا لو ثبت لكان هو المعتمد، لكن سنده واه جداً.

(٣) رواه الترمذي (٣٥١٦) وضعفه.

(٤) هذا هو لفظ الترمذي، واللفظ الأول لم أقف عليه.

(٥) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٤٩٧) (مادة: خير).

«إِذَا هَمَّ أَحَدُكُم بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَع رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيْضَةِ، ثُمَّ لِيَقُل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيْرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيْمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ، وتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوْبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِيْنِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْه لِي وَيَسِّرْه لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيْهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِيْنِي وَمَعَاشِي وعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُر لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ»[1].

قال النووي: الاستخارة مستحبة في جميع الأمور كما صرَّح به نص هذا الحديث الصحيح.

قال: وإذا استخار مضى بعدها لما ينشرح له صدرُه.

قال: ويقرأ في الأولى بعد الفاتحة: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١].

قال: ولو تعذرت عليه الصلاة استخار بالدعاء.

قال: ويستحب افتتاح الدعاء المذكور بالحمد لله والصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ، انتهى[2].

(١) رواه البخاري (١١٠٩)، وأبو داود (١٥٣٨)، والترمذي (٤٨٠)، والنسائي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (١٣٨٣).

(٢) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ٩٦).

قلت: وينبغي إذا استخار الله في أمر أن يرضى بما قدره لـه فيـه، ويعتقد أنَّ الخير فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[القصص: ٦٨].

وروى الحاكم وصححه، عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ اسْتِخَارَتُـهُ إِلَى اللهِ، وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللهِ»[1].

وروي أن مـوسى عليـه السلام قال: «يا رب! مَنْ أبغـض خلقك إليـك؟» قال: «من يتهمني»، قال: «ومن يتهمك يا رب؟» قال: «عبدٌ استخارني في أمر، فإذا أعطيته ما فيه خير دينه ودنياه اتهمني، فظن أني منعته ما سألني بخلاً»[2].

وأنشدوا: [من البسيط]

الْحَمْـــدُ لِلَّـــهِ نِعْـــمَ الْقَـــادِرُ اللهُ
وَالْخَيْــرُ أَجْمَــعُ فِيْمَــا يَحْكُــمُ اللهُ

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٠٣). ورواه الترمذي أيضاً (٢١٥١) ولفظه: «من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له».

(٢) ذكره ابن القيم في «مدارج السالكين» (٢/ ٢٢٢) ولم يعزه لأحد، وقد تقدم بمعناه عن النبي داود عليه السلام.

لِلَّـهِ فِـيْ الْخَلْـقِ مـا اخْتـارَتْ مَـشِيْئَتُهُ
مـا الْخَيْـرُ إِلاَّ الَّـذِيْ قَـدْ خـارَهُ اللهُ

وقال أبو العتاهية: [من الطويل]

تَوَكَّـلْ عَلَـىْ الـرَّحْمَنِ فِـيْ كُـلِّ حاجَـةٍ
أَرَدْتَ فَـإِنَّ اللهَ يَقْـضِـيْ وَيَقْـدُرُ
مَتَـىْ مـا يُـرِدْ ذُوْ الْعَـرْشِ أَمْـراً بِعَبْـدِهِ
يُـصِبْهُ وَمـا لِلْعَبْـدِ مـا يَتَخَيَّـرُ
وَقَـدْ يَهْلِـكُ الإِنْـسانُ مِـنْ وَجْـهِ أَمْنِـهِ
وَيَنْجُـوْ لَعَمْـرُ اللهِ مِـنْ حَيْـثُ يَحْـذَرُ[1]

وروى الشيخان عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُم الْمَوْتَ لِضُرٍّ نزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْراً لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْراً لِي»[2].

وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِيْنِيَ الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِح لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيْهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِح لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لي فِي

---

(١) روى هذه الأبيات: البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٥٢) لكن من قول محمود الوراق.
(٢) رواه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢٦٨٠).

كُلِّ خَيْرٍ، واجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»(١).

وروى ابن أبي شيبة عن عمر بن الخطاب ﵁ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! قُلْ: اللَّهُمَّ اجْعَل سَرِيْرَتِي خَيْراً مِنْ عَلانِيَتِي، وَاجْعَل عَلانِيَتِي صَالِحَةً»(٢).

وروى الحاكم وصححه، والأصبهاني عن ابن عباس ﵄ قال: كان رسول الله ﷺ يدعو يقول: «اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَبَارِكْ لِي فِيْهِ، وَاخْلُف عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لِي بِخَيْرٍ»(٣).

وروى الحاكم وصححه، وغيره عن بُريدة الأسلمي ﵁: أَنَّ النبي ﷺ قال له: «يَا بُرَيْدَةُ! أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرَاً عَلَّمَهُ إِيَّاهُنَّ، ثُمَّ لَمْ يُنْسِهِ إِيَّاهُنَّ أَبَدَاً؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيْفٌ فَقَوِّ فِي رِضَاكَ ضَعْفِي، وَخُذْ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَتِي، وَاجْعَلِ الإِسْلامَ مُنْتَهَى رِضَاي، اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيْفٌ فَقَوِّنِي، وَإِنِّي ذَلِيْلٌ فَأَعِزَّنِي، وَإِنِّي فَقِيْرٌ فَأَغْنِنِي»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٠).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٨٢٤)، ورواه أيضاً الترمذي (٣٥٨٦) بلفظ قريب وقال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٧٨)، وكذا رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٧٢٨).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٣١)، وكذا ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣٥٣) واللفظ له، وعندهما: «فارزقني» بدل «فأغنني».

وروى ابن حبان في «صحيحه»، والبيهقي في «الدعوات» عن هاشم بن عبدالله بن الزبير: أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ أصابته مصيبة، فأتى رسول الله ﷺ، فشكى إليه ذلك، وسأله أن يأمر له بوسْقٍ من تمر، فقال رسول الله ﷺ: «إنْ شِئْتَ أَمَرْتُ لَكَ بوسْقٍ، وَإِنْ شِئْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ هِيَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»، قال: علمنيهن، ومُرْ لي بوسق [فإنِّي ذو حاجةٍ إليه]، قال: «أَفْعَلُ»، قال: «فَقُلْ: اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بالإِسْلام قَاعِدَاً، وَاحْفَظْنِي بِالإِسْلامِ رَاقِدَاً، وَلا تُطِعْ فِيَّ عَدُوّاً وَلا حَاسِدَاً، وَأَعُوذُ بكَ مِنْ شَرِّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي بِيَدِكَ كُلِّهِ»[1].

وروى الحاكم وصححه على شرط مسلم، والبيهقي في «الدعوات» عن ابن مسعود ﷺ: أن النبي ﷺ كان يدعو: «اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بِالإِسْلامِ قَائِمَاً، وَاحْفَظْنِي بالإِسْلام قَاعِدَاً، وَاحْفَظْنِي بِالإِسْلامِ رَاقِدَاً، وَلا تُشَمِّتْ بِي عَدُوّاً وَلا حَاسِدَاً، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ»[2].

وروى أبو داود الطيالسي، والطبراني في «الكبير» عن جابر بن سمرة ﷺ: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ الْخَيْرِ كُلِّهِ

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٩٣٤)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (١/ ١٦٥) واللفظ له. وعندهما: «فارزقني» بدل «فأغنني».

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٢٤)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (١/ ١٦٥).

مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَم، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَم»(١).

وروى الترمذي واللفظ له، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم وقال: على شرط مسلم، عن شداد بن أوس ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّمنا أن نقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَأَسْأَلُكَ عَزِيْمَةَ الرَّشَدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ لِسَاناً صَادِقاً وَقَلْباً سَلِيْماً، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوْبِ».

زاد الحاكم فيه: «وَخُلُقاً مُسْتَقِيْماً»(٢).

وروى ابن ماجه واللفظ له، وابن حبان، والحاكم وصححاه، عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ علَّمها هذا الدعاء: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِن الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنَ

---

(١) روه الطيالسي في «المسند» (٧٨٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠٥٨)، قال ابن طاهر المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (٣/ ١٧٨٣): فيه قيس بن الربيع، وهو ضعيف.

(٢) رواه الترمذي (٣٤٠٧)، والنسائي (١٣٠٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٧٢).

النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرَاً»[١].

وروى الحاكم وصححه، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: هذا ما سأل محمد ﷺ ربه ﷻ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَسْأَلَةِ وَخَيْرَ الدُّعَاءِ، وَخَيْرَ النَّجَاحِ وَخَيْرَ العَمَلِ وَخَيْرَ الثَّوَابِ، وَخَيْرَ الْحَيَاةِ وَخَيْرَ الْمَمَاتِ، وَثَبِّتْنِي وَثَقِّل مَوَازِيْنِي، وَحَقِّقْ إِيْمَانِي وَارْفَعْ دَرَجَتِي، وَتَقَبَّلْ صَلاتِيْ وَاغْفِرْ خَطِيْئَتِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ العُلَى مِنَ الْجَنَّةِ؛ آمِيْنَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَوَاتِحَ الْخَيْرِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، وَالدَّرَجَاتِ العُلَى مِنَ الْجَنَّةِ؛ آمين.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا آتِي، وَخَيْرَ مَا أَفْعَلُ، وَخَيْرَ مَا أَعْمَلُ، وَخَيْرَ مَا بَطَنَ وَخَيْرَ مَا ظَهَرَ، وَالدَّرَجَاتِ العُلَى مِن الْجَنَّةِ؛ آمين»، الحديث[٢].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن الحسن رحمه الله تعالى قال: بلغني أنَّ أبا بكر ﷺ كان يقول في دعائه: اللهم إني أسألك الخير في عافية، اللهم اجعل آخر ما تعطيني الخير ورضوانك، والدرجات العُلى من جنات النعيم[٣].

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٤٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (١٩١٤).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩١١).

(٣) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٣٩) إلى الإمام أحمد في «الزهد».

وروى ابن أبي شيبة عن المطلب بن عبدالله: أنَّ أبا بكر ﷺ كان يقول: اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك.

قال: وكان عمر ﷺ يقول: اللهم اعصمني بحبلك، وارزقني من فضلك، واجعلني أحفظ أمرك[1].

وروى الأصفهاني في «الترغيب» عن أنس بن مالك ﷺ قال: قلَّ ما صلى أبو بكر ﷺ إلا وأنا بين أذنيه، وكان إذا سلَّم قال: اللهم اجعل خير عمري آخره، اللهم اجعل خواتيم عملي رضوانك، اللهم اجعل خير أيامي يوم ألقاك[2].

وروى أبو نعيم عن وهب قال: لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض استوحش لفقد أصوات الملائكة عليهم السلام، فهبط عليه جبريل فقال: «يا آدم! هلا أُعلِّمك شيئاً تنتفع به في الدنيا والآخرة؟» قال: «بلى»، قال: «قل: اللهم أَدِمْ لي النعمة حتى تهنئني المعيشة، اللهم اختم لي بخير حتى لا يضرني هوى، اللهم اكفني مؤنة الدنيا وكل هول في

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٥١٠).

(٢) ورواه أبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٤/ ٢٢٠)، والجرجاني في «الأمالي» (١/ ٣٣٥).

ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٤١١) مرفوعاً. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١١٠): فيه أبو مالك النخعي، وهو ضعيف.

القيامة حتى تدخلني الجنة»[1].

وروى ابن عساكر في «تاريخه» عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي قُدْرَتِكَ، وَأَدْخِلْنِي فِي رَحْمَتِكَ، وَاقْضِ أَجَلِي فِي طَاعَتِكَ، وَاخْتِم لِي بِخَيْرِ عَمَلِي، وَاجْعَل ثَوَابَهُ الْجَنَّةَ»[2].

أخبرنا أبي رحمه الله تعالى عن مشايخه شيوخ الإسلام؛ زكريا، والقلقشندي، وابن أبي شريف، والقسطلاني، عن حافظ الإسلام أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رحمهم الله تعالى أنه أنشدهم لنفسه: [من الطويل]

ثَلاثٌ مِنَ الدُّنْيا إذا هِيَ حُصِّلَتْ
لِشَخْصٍ فَلا يَخْشَى مِنَ الضُّرِّ وَالضَّيْرِ
غِنًى عَنْ بَنِيْها وَالسَّلامَةُ مِنْهُمُ
وَصِحَّةُ جِسْمٍ ثُمَّ خاتِمَةُ الْخَيْرِ[3]

وأخبرنا والدي رحمه الله تعالى قال: أخبرني شيخنا شيخ الاسلام تقي الدين الزرعي ـ يعني: ابن قاضي عجلون ـ أنا الشيخ المسند أبو الحسن علي بن إسماعيل بن بردس البعلي، أنا أبو حفص بن أميلة، أنا

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٨).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧/ ٦٤).

(٣) انظر: «نظم العقيان في أعيان الأعيان» للسيوطي (ص: ٥١).

الفخر بن البخاري، ثنا الموفق بن طبرزذ، أنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكَرُوخي، أنا المشايخ الثلاثة أبو عامر الأزدي، وأبو نصر الترياقي، وأبو بكر الغُورَجِي، قالوا: أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجرَّاحي، أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، أنا الإمام أبو عيسى الترمذي، ثنا عمر بن حفص، أنا عبدالله بن وهب عن عمرو بن الحارث، عن دَرَّاجٍ، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يَشْبَعَ الْمُؤْمِنُ مِنْ خَيْرٍ يَسْمَعُهُ حَتَّى يَكُوْنَ مُنْتَهَاهُ الْجَنَّةَ».

قال الترمذي: «حسنٌ غريب».

وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»[1].

وقلت في معناه: [من السريع]

لَـنْ يَـشْبَعَ الْمُـؤْمِنُ مِـنْ خَيْـرِ يَـسْمَعُهُ مـا دامَ فِـيْ سَـيْرِ
حَتَّـىْ إِلَـى دارِ الرِّضَـا يَنْتَهِـيْ مِـنْ دُوْن مـا بُـؤْسٍ وَلا ضَـيْرِ
مـشاهدة لِلَّــهِ سُـبْحانَهُ لَـيْسَ بِمُحْتـاجِ إِلَـى غَيْـرِ

ومن الفوائد المتممة لما سبق: ما رواه الإمام أحمد في «الزهد» عن حوشب رحمه الله مرسلاً: أنَّ النبي ﷺ كان يدعو: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوْذُ بِكَ مِنْ دُنْيَا تَمْنَعُ خَيْرَ الآخِرَةِ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ أَمَلٍ يَمْنَعُ خَيْـرَ العَمَلِ،

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٠٣).

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ حَيَاةٍ تَمْنَعُ خَيْرَ الْمَمَاتِ»[1].

وروى ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، عن الأسود بن يزيد قال: قرأ عبدالله ـ يعني: ابن مسعود ـ: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]؛ قال: إن الله يقول يوم القيامة: من كان له عندي عهد فلْيَقُم، فلا يقوم إلا من قال هذا في الدنيا؛ قولوا ـ وفي رواية: قالوا: يا أبا عبد الرحمن علمنا قال: قولوا ـ: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة! إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنَّك إن تكِلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاجعله لي عندك عهداً تؤديه إلي يوم القيامة؛ إنَّك لا تُخلف الميعاد[2].

وروى الحكيم الترمذي عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ الصَّلاةِ بَعْدَ مَا سَلَّمَ هَؤُلاءِ الكَلِمَاتِ كَتَبَهُ

---

(١) ورواه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (ص: ٤٨). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١٢٠٥): في إسناده ضعف وجهالة، ولا أدري من حوشب.
قال ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٢١٨): حوشب تابعي، أرسل حديثاً، فذكره بعضهم في الصحابة.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٥٢٦)، والطبراني في «المعجم» (٨٩١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٢٦).
ورواه مرفوعاً الإمام أحمد في «المسند» (٣٩١٦).

لَهَا مَلَكٌ فِي رِقٍّ فَخَتَمَ بِخَاتَمٍ ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، فَإِذَا بَعَثَ اللهُ العَبْدَ مِنْ قَبْرِهِ جَاءَ الْمَلَكُ وَمَعَهُ الكِتَابُ يُنَادِي: أَيْنَ أَهْلُ العُهُوْدِ حَتَّى تُدْفَعَ إِلَيْهِم، وَالكَلِمَاتُ أَنْ تَقُوْلَ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الرَّحْمَنَ الرَّحِيْمَ، إِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي تُقَرِّبْنِي مِنَ الشَّرِّ، وَتُبَاعِدْنِي مِنَ الْخَيْرِ، وَإِنِّي لا أَثِقُ إِلا بِرَحْمَتِكَ، فَاجْعَل رَحْمَتَكَ لِي عَهْداً عِنْدَكَ تُؤَدِّيْهِ إِلَيَّ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيْعَادَ»[1].

وعن طاوس أنه أمر بهذه الكلمات فكتبت في كفنه[2].

وروى الطبراني بسند صحيح، عن الأعمش، عن ابن مسعود ﷺ ـ قيل: ولم يدركه ـ موقوفاً: والذي لا إله غيره، لا يُحسن عبدٌ بالله الظن إلا أعطاه الله ظنه، وذلك لأن الخير في يده[3].

قلت: [من الرمل]

إِنْ تُحَسِّنْ بِإِلَهِ الْعَرْشِ ظَنَّاً ... يُعْطِكَ الْمَظْنُونَ إِحْساناً وَمَنَّا

فِيْ يَدَيْهِ الْخَيْرُ يُعْطِيْ ما يَشاءُ ... قَدْ رَوَيْناهُ صَحِيْحاً فَارْوِ عَنَّا

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٧٢).

(٢) انظر: «الدر المنثور» (٥/ ٥٤٣).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٧٧٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٨): رجاله رجال الصحيح إلا أن الأعمش لم يدرك ابن مسعود.

لا تُرَجِّي الْخَيْرَ إلا مِنْ إِلَهٍ يَقْبَلُ الأَعْمالَ بِالإِحْسانِ مِنَّا
بَدَأَ الْعَبْدَ بِإِنْعامٍ كَثِيرٍ قَبْلَ أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُ ثُمَّ ثَنَّى
ثُمَّ قَدْ أَرْشَدَنا نَسْأَلُ مِنْهُ فَنَنالُ بِالسُّؤْلِ ما نَتَمَنَّى(١)

وروى الطبراني في «الأوسط»، والخطيب في «الجامع» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَنَازَعْتُم إِلَى الْخَيْرِ فَامْشُوْا حُفَاةً؛ فَإِنَّ اللهَ يُضَاعِفُ أَجْرَهُ عَلَى الْمُنْتَعِلِ»(٢).

وهذا يحتمل أن يكون من باب الكرامة.

وفي كتاب الله تعالى: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢].

قال عكرمة: كي تمس قدميك الأرض الطيبة.

وقال ابن أبي نجيح في قوله: ﴿طُوًى﴾: طَأِ الأرض حافياً كما تدخل الكعبة حافياً؛ يقول: من بركة الوادي.

قال: وهذا قول سعيد بن جبير. رواهما عبد بن حميد، وابن أبي حاتم(٣).

---

(١) كذا في «م» و«ت».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤١٨٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/ ٣٧٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٣٣): فيه سليمان بن عيسى العطار كذاب.

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٥٦٠).

وكأنـه فسَّر طوى أنـه اسم عبراني بمعنى: اطوِ الأرض، وطأهـا بقدميك حافيين.

وقيل: [من الطويل]

وَنَمْشِي حُفاةً فِـي ثَراهـا تَأَدُّبـاً نَرَى أَنَّنا نَمْـشِي بِـوادٍ مُقَـدَّسِ

ويحتمل ـ وهو الأظهر ـ أن المعنى في الحديث: إن في نزع النعل والحفاء راحة للقدمين، فيكون أبلغ في التسارع؛ بمعنى: أنكم لا تمهلوا حتى تنتعلوا بل بادروا حفاةً.

والمراد به تمثيل المبالغة في الإسراع إلى الخيـر، وهـو أولى من حمله على ظاهره؛ فإن الانتعال قد يكون أحفظ للقدمين فيكون أمتن في المشي.

وروى الإمامان ابن المبارك وأحمد؛ كلاهما في «الزهد» عن حكيم ابن عمير مرسلاً، قال رحمه الله: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ فُتِحَ لَهُ بَابٌ مِنَ الْخَيْرِ فَلْيَنْتَهِزْهُ؛ فَإِنَّـهُ لا يَدْرِي مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ»[1].

وروى ابـن جـرير في «تهذيـبـه» عـن أبي هريرة رضي الله عنه قـال: قـال رسول الله ﷺ: «مَنْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ فَتَحَ اللهُ لَهُ بَابَ فَقْرٍ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ فَتَحَ بَابَ عَطِيَّةٍ ابْتِغاءً لِوَجْـهِ اللهِ تَعالَى، أَعْطَـاهُ اللهُ خَيْـرَ

---

(١) رواه ابن المبـارك في «الـزهـد» (١/ ٣٨)، والإمـام أحـمـد في «المسنـد» (ص: ٣٩٤).

الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[1].

فأما الجملة الأولى فروى الإمام أحمد، والترمذي وصححه، وابن ماجه عن أبي كبشة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثَلاثٌ أُقْسِمَ عَلَيْهِنَّ: ما نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلا زَادَهُ اللهُ بِهَا عِزّاً، وَلا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ»[2].

وروى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «ثَلاثٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ كُنْتُ لَحَالِفاً عَلَيْهِنَّ: لا يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا، وَلا يَعْفُو عَبْدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ إِلا زَادَهُ اللهُ بِهَا عِزّاً، وَلا يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ»[3].

وإنما كانت المسألة عقوبتها الحرمان والفقر لأنَّه لا ينبغي أن نسأل الخير إلا لمَنْ بيده الخير ويملكه، ولا يملك الخير حقيقةً إلا الله، فمسألة ثوابها حصول الخير المطلوب أو ما يقوم مقامه، ومسألة غيره عقابها عدم الحصول بالكلية أو حصول ما شاء الله أن يحصل منه إما منتقصاً بمَنٍّ، وإما مَشُوباً بشرٍّ، وإما غير مُبارك فيه.

---

(١) رواه الطبري في «تهذيب الآثار» (١/ ٢٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٣١)، والترمذي (٢٣٢٥) وصححه، وروى ابن ماجه (٤٢٢٨) أصل الحديث دون لفظ المؤلف.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٩٣).

فأمَّا ما يأتي العبد من أخيه بغير مسألة ولا شبهة فقد ترى النفوس القوية أنَّ فيه ذُلاً فتأنفُ عن قبوله، وترى أن التنزه عنه خيرٌ من أخذه، وليس كذلك بل في قبوله تنفيذ لحصول غرض أخيه وإدخال للسرور على قلبه، ومعونة له على الطاعة، ثم إن شاء كافأه عليه.

فقد روى مالك ﷺ، عن عطاء بن يسار رحمه الله: أنَّ رسول الله ﷺ أرسل إلى عمر بن الخطاب ﷺ بعطاء فردَّه عمر، فقال له رسول الله ﷺ: «لِمَ رَدَدْتَهُ؟» فقال: يا رسول الله! أليس أخبرتنا أن خيراً لأحدنا أن لا يأخذ من أحدٍ شيئاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكَ عَلَى الْمَسْأَلَةِ، فَأَمَّا مَا كَانَ عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ يَرْزُقُكَهُ اللهُ»، فقال عمر: والذي نفسي بيده لا أسأل أحداً شيئاً، ولا يأتيني شيء من عبد مسلم إلا أخذته[1].

وفي «الصحيحين» عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ عمر قال: كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء، فأقول: أعطه من هو أفقر إليه مني، قال: فقال: «خُذْهُ؛ إِذَا جَاءَكَ مِنَ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرَ مُشْرِفٍ وَلا سَائِلٍ فَخُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ، فَإِنْ شِئْتَ كُلْهُ وَإِنْ شِئْتَ تَصَدَّقْ بِهِ، وما لا فَلا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ»[2].

قال سالم بن عبدالله: فلأجل ذلك كان عبدالله لا يسأل أحداً شيئاً، ولا يردُّ شيئاً أعطيه[3].

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٩٨).

(٢) رواه البخاري (٦٧٤٤)، ومسلم (١٠٤٥).

(٣) رواه مسلم (١٠٤٥).

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح، وأبو يعلى، والطبراني، وابن حبان، والحاكم وصححاه، عن خالد بن عدي الجهني ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ بَلَغَهُ عَنْ أَخِيْهِ مَعْرُوْفٌ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلا إِشْرَافِ نَفْسٍ فَلْيَقْبَلْهُ وَلا يَرُدَّهُ؛ فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللهُ إِلَيْهِ»[1].

وأما الجملة الثانية فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٧٣].

قال قتادة في الآية: محفوظٌ ذلك عند الله عالمٌ به شاكرٌ له، وأنه لا شيء أشكر من الله، ولا أجزى لخير من الله. رواه ابن أبي حاتم[2].

قلت: في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٢٧٢] إشارة إلى أن النفقة لا تكون خيراً إلا إذا كانت لوجه الله تعالى، وما كان لوجه الباقي ينبغي أن يكون باقياً، فلذلك كان ثواب من أعطى لوجه الله تعالى خير الدنيا والآخرة، وحقيقته مقابلته بالخير الدائم في مقابلة الإنفاق للوجه الدائم.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٢٠)، وأبو يعلى في «المسند» (٩٢٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤١٢٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٥١٠٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢٣٦٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٥٤٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[البقرة: ١١٠].

ومن تتمات ما تقدم ـ أيضاً ـ أن التقرب إلى الله تعالى بالخير لا ينبغي أن يكون على سبيل النذر والتحريج عن النفس؛ فإنه قد يفضي إلى الضيق وعدم الوفاء، وقد ذمَّ الله تعالى من ابتدع الرهبانية من أمة عيسى عليه السلام وما رعوها حقَّ رعايتها.

ولذلك جزم النووي في «المجموع» بأن النذر مكروه[1]؛ أي: وإن كان يُصَيِّرُ التطوع فريضة فيعظم به الثواب، ونقله عن نص الشافعي في البويطي لصحة النهي عنه في «صحيح مسلم» وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: أنه نهى عن النذر، وقال: «إِنَّهُ لا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِن البَخِيْل»[2].

وقوله: «لا يأتي بخير» يحتمل وجهين:

الأول: أنَّ النذر لا يأتي بخير لم يقدره الله تعالى؛ إذ لا يأتي بالخير حقيقةً إلا الله كما تدل عليه الرواية الأخرى: «النَّذْرُ لا يُقَدِّمُ شَيْئاً وَلا يُؤَخِّرُهُ، وَإِنَّما يُسْتَخْرَجُ بِـهِ مِنَ الْبَخِيْلِ»، وهو في «البخاري» بنحو هذا اللفظ[3].

---

(١) انظر: «المجموع» للنووي (٨/ ٣٤٢).

(٢) رواه مسلم (١٦٣٩)، وكذا رواه البخاري (٦٣١٥).

(٣) رواه البخاري (٦٣١٤).

والثاني: أن يكون معناه التنفير عن النذر، وأنه قد يكون سبباً لسوء العبد وشره من حيث إنه إذا التزم الطاعة التي لم تُفرض عليه بالنذر، فلم يأتِ بها عصى كما يعصي بترك الفريضة، وقد كان لو تركها قبل النذر لم يعص.

ويشبه أن يكون قوله ﷺ في النذر: «إِنَّـهُ لا يَأْتِي بَخَيْرٍ» على الضد من قولـه ﷺ: «الْحَيَـاءُ لا يَأْتِي إِلا بِخَيْـرٍ»، وهـو في «الصحيحين» من حديث عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ رضي الله عنهما.

وفي رواية لمسلم: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ»[1].

وفي معناه قول الشاعر: [من الوافر]

فَـلا وَاللهِ مَـا فِـيْ الْعَـيْشِ خَيْـرٌ
وَلا الـدُّنْيا إِذا ذَهَـبَ الْحَيَـاءُ[2]

ولا يَرِدُ عليـه أن الحيـاء قـد يمنع من طلب العلم، ولذلك قيل: لا ينال العلم مُستحي[3].

وقد يمنع الحياء من طلب الخير الذي لا يأذن الشارع في تركه لأنا نقول: إنَّ هذا ليس من الحيـاء، بل هـو من باب الجبن وإن سُمي حياءً

---

(١) رواه البخاري (٥٧٦٦)، ومسلم (٣٧).

(٢) البيت لجميل بن المعلى الفزاري، كما في «الحماسة البصرية» (٢/ ١٠).

(٣) تقدم تخريجه.

باعتبار أصل الإطلاق اللغوي؛ فإن حقيقة الحياء: الحِشْمة المتولدة من رؤية الآلاء ورؤية التقصير المانعة من اتباع الهوى فيما لا يُرضي، ولذلك قال ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُوْلَى: إِذَا لَم تَستَحي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»[1].

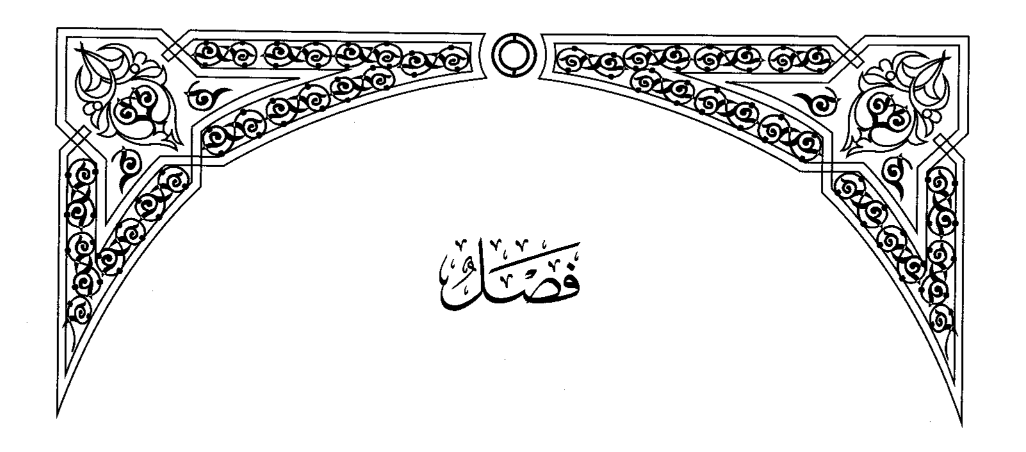
وقال ﷺ: «مَن اسْتَحْيَى مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَليَحْفَظِ البَطْنَ وَمَا حَوى، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِيْنَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَى مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»، كما رواه الإمام أحمد، والترمذي وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه[2].

* * *

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.



فصل

من الأخيار الصديقين الأبدال، ولا يكونون أبدالاً حتى يكونوا صديقين لأنهم بُدلاء عن الأنبياء عليهم السلام، فدلَّ ذلك أنَّ مرتبتهم بعد مرتبة الأنبياء، وهي مرتبه الصديقين كما عرفت، وليس كل صديق بدلاً، ولكنه قابل للبدلية.

واختلفوا في سبب تسميتهم أبدالاً(١):

فقيل: لأنهم بدلاء عن الأنبياء كما علمت.

وقيل: لأنهم يتبدلون في صور ومظاهر، ويتصرفون في أبدال متعددة(٢).

---

(١) وهناك أقوال أخرى في سبب تسميتهم أبدالاً: منها ما رجحه ابن القيم في «طريق الهجرتين» (ص: ٣٧٦) أنهم الذين بدلوا أعمالهم السيئة بالأعمال الحسنة، فبدل الله سيئاتهم التي عملوها إلى حسنات.
وذكر الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٢٦٤) قولاً آخر، وهو أنه كلما مات منهم رجل بدل مكانه آخر.

(٢) انظر: «الحبائك في أخبار الملائكة» للسيوطي (ص: ٢٦٢).

وهذا غير منكر لأنه ممكن، وقد اتفق نظيره في الملائكة فإنهم يتمثلون، فكذلك كُمَّل الصديقين، ولا يتوقف في الإيمان بذلك إلا الذي يتوقف في كرامات الأولياء.

وقيل: سموا أبدالاً؛ لأنَّ أخلاقهم تبدلت اعتباراً بقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

فأحوال الأبدال معتبرة بهذه الآية فأرضُ نفوسهم مُنْدَكَّةٌ مبدلة من الأَمَّارِيَّةِ إلى اللَّوَّامِيَّة إلى الطَّمَأْنِينة، وكذلك سماء قلوبهم مُبدلة من القلبية إلى الروحية إلى السرية، فنفوسهم مطمئنة لأوامر الله تعالى، زاكية تحت أحكامه، وأسرارهم مشغوفة بمحبة الله تعالى، مشغولة بخدمته ليس فيها بقية لما سواه.

وكان أبو العباس المرسي رحمه الله ينشد: [من الكامل]

لَوْ شاهَدَتْ عَيْناكَ يَوْمَ تَزَلْزَلَتْ
أَرْضُ النُّفُوسِ وَدُكَّتِ الأَجْبالُ
لَرَأَيْتَ شَمْسَ الْحَقِّ يَسْطَعُ ضَوْؤُها
حِيْنَ التَّزَلْزُلِ وَالرِّجالُ رِجالُ

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري في جزء له جمع فيه من كلام أستاذه أبي علي الدقاق رحمه الله، وسمعته يقول: إن أردتَ أن تكون من جملة الأبدال فعليك بتبديل الأحوال، وتبديل الأحوال أن تبدل

ما كان من أحوالك من أحوال الأبرار بحال أشرف منه وأكمل من أحوال الأخيار، أما تبديل الأحوال القبيحة بالأحوال الحسنة، فإنه مشروط في أصل التوبة وأعمال البر.

ومما يؤيد القول الأول من هذه الأقوال الثلاثة: ما رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن أبي الدرداء ﷺ قال: إنَّ الأنبياء عليهم السلام كانوا أوتاد الأرض، فلما انقطعت النبوة أبدل الله مكانهم قوماً من أمة محمد ﷺ قال لهم الأبدال، لم يَفْضُلوا الناس بكثرة صومٍ ولا صلاةٍ ولا تسبيح، ولكن بحسن الخلق وبصدق الورع، وحسن النية وسلامة قلوبهم لجميع المسلمين[1].

قلت: في كلام أبي الدرداء ﷺ إيماء إلى القول الثالث ـ أيضاً ـ فإن حسن الخلق بدل عن سوء الخلق، وصدق الورع بدل عن ارتكاب الشُّبَهِ، والتخليط وحسن النية بدل عن العمل بلا قصد أو بالقصد السوء، وسلامة القلوب عن الحقد وإضمار السوء، فإن الاتصاف بهذه الأخلاق تدل عن الانفكاك عن أضدادها.

ويجوز أن تكون تسميتهم أبدالاً للوجهين بل للثلاثة المَحْكِيَّة في الأقوال الثلاثة.

وفي كلام أبي الدرداء ـ أيضاً ـ أن الأوتاد هم الأبدال.

واشتهر في عرف الصوفية أن الأوتاد من الأبرار وهم ثلاث مئة،

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٢٦٢).

وأن الأبدال من المقربين وهم أربعون، وقيل في عدتهم غير ذلك، والله الموفق.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الأولياء» عن أبي الزناد رحمه الله تعالى قال: لما ذهبت النبوة، وكانوا ـ يعني: الأنبياء عليهم السلام ـ أوتادَ الأرض، أَخْلَفَ الله مكانهم أربعين رجلاً من أمة محمد ﷺ يُقال لهم الأبدال، لا يموت الرجل منهم حتى يُنشيء الله مكانه آخر يَخْلُفه، وهم أوتاد الأرض، قلوب ثلاثين منهم على مثل يقين إبراهيم عليه السلام، لم يفضلوا الناس بكثرة الصلاة ولا بكثرة الصيام، ولا بحسن التخشع ولا بحسن الحلية، ولكن بصدق الورع وحسن النية، وسلامة القلوب والنصيحة لجميع المسلمين ابتغاء مرضاة الله تعالى بصبرٍ وخير ولبٍّ حليم، وتواضع في غير مذلَّة... إلى آخر كلامه، وسيأتي[1].

وقد جاء التصريح بأنَّ الأبدال من الصديقين فيما رواه ابن عساكر عن الحسن البصري قال: لن تخلوا الأرض من سبعين صديقاً وهم الأبدال، لا يهلك منهم رجل إلا أخلف الله مكانه مثله؛ أربعون بالشام وثلاثون في سائر الأرضين[2].

وروى الخلال في «كرامات الأولياء»، وابن عساكر عن خالد بن معدان رحمه الله قال: قالت الأرض: كيف تدعني وليس عليَّ نبي؟

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ٢٦).

(٢) روا ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢٩٨).

قال: سوف أفرغ عليكِ أربعين صديقاً بالشام[1].

وهي أنا قد بينا أنَّ الأبدال سموا بذلك لأنهم بُدلاء عن الأنبياء وخلف منهم، ولذلك كان مسكنهم الشام لأنها بلاد الأنبياء عليهم السلام إلا محمداً ﷺ فإنه حجازي مكي، وهو قطب الأنبياء عليهم السلام، ولذلك كان مركز قلب القطب بمكة المشرفة وإن كان ساكناً في غيرها.

وقد قيل: إنه لا يصلي الصلوات الخمس إلا بها.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الأولياء» عن عبدالله بن صفوان قال: قال رجلٌ يوم صفين: اللهم العن أهل الشام، فقال علي رضي الله عنه: لا تسب أهل الشام جماً غفيراً؛ فإنَّ بها الأبدال، فإنَّ بها الأبدال، فإنَّ بها الأبدال[2].

وروى الإمام أحمد وسنده حسن، عن علي رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «الأَبْدَالُ [يكونون] بِالشَّامِ وَهُمْ أَرْبَعُوْنَ رَجُلاً، كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ رَجُلاً؛ يُسْقَى بِهِمُ الغَيْثُ، وَيُنْصَرُ لَهُم عَلَى الأَعْدَاءِ، وَيُصْرَفُ عَنْ أَهْلِ الشَّامِ بِهِمُ العَذَابُ»[3].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢٩٨).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ٣٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١١٢)، وعنده: «وينتصر بهم» بدل «وينصر لهم».

قال ابن الصلاح في «فتاويه» (١/ ١٨٤): وأما الأبدال، فأقوى ما رويناه =

وروى الخلال في «كرامات الأولياء»، والديلمي عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الأَبْدَالُ أَرْبَعُوْنَ رَجُلاً وَأَرْبَعُوْن امْرَأَةً، كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ رَجُلاً، وَكُلَّمَا مَاتَت اِمْرَأَةٌ أَبْدَلَ اللهُ مَكَانها اِمْرَأَةً»[1].

وهذا الحديث فيه أنَّ في النساء أبدالاً، ولا يصح كونهن أبدالاً عن الأنبياء؛ لأن النساء لا نبيَّةَ فيهنَّ على الأصح، وإنما أبدالهن من تبدلت أخلاقهن الحسنة عن أخلاقهن السيئة.

ولا يعارض هذا حديث: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيْرٌ وَلَمْ يَكْمُل مِنَ النِّسَاءِ إلا أَرْبَع»[2]؛ فإنَّ أبدال النسوة باعتبار ما يليق بحالهن، ولا يَبْلُغن من الكمال ما بلغ الرجال إلا قليلاً لغلبة الشهوة والهوى عليهن أكثر من غلبته على الرجال.

وروى الطبراني في «الكبير» عن عوف بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ

= فيهم قول علي ﷺ: أنه بالشام يكون الأبدال، وأيضاً فإثباتهم كالمجمع عليه بين علماء المسلمين وصلحائهم، وأما الأوتاد والنجباء والنقباء، فقد ذكرهم بعض مشايخ الطريقة، ولا يثبت ذلك.

قال ابن القيم في «المنار المنيف» (ص: ٣٦): ومن ذلك أحاديث الأبدال والأقطاب والأغواث والنقباء والنجباء والأوتاد كلها باطلة على رسول الله ﷺ وأقرب ما فيها: «لا تسبوا أهل الشام، فإن فيهم البدلاء، كلما مات رجل منهم أبدل الله مكانه رجلاً آخر» ذكره أحمد، ولا يصح أيضاً.

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٠٥).

(٢) تقدم تخريجه.

أنه قال: «الأَبْدَالُ فِي أَهْلِ الشَّامِ، وَبِهِم يُنصَرُوْنَ وَبِهِم يُرْزَقُوْنَ»[1]؛ أي: أهل الشام هم مظنة الأبدال.

ومن شواهد هذا المعنى حديث عبدالله بن حوالة ﷺ: أن النبي ﷺ قال له: «عَلَيْكَ بِالشَّامِ؛ فَإِنَّهَا خِيْرَةُ اللهِ مِنْ أَرْضِـهِ، يَجْتَبِـي إِلَيْهَا خِيرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ».

الحديث رواه أبو داود، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم وصححه[2].

وقد روى البـزار نحـوه من حـديث أبي الـدرداء، والطبـراني من حديثه، ومن حـديث العـرباض بن سـارية ﷺ، وإسـناداهما حسنان جيدان[3].

وروى الخطيب في «تاريخه» عن أبي بكر الكتاني رحمه الله تعالى قال: «النقباء ثلاث مئة، والنجباء سبعون، والبدلاء أربعون، والأخيار سبعة، والعُمُدُ أربعة، والمغيث واحد، فمسكن النقباء المغرب،

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٦٥)، وعنده: «بهم تنصرون، وبهم ترزقون» بدل «بهم ينصرون، وبهم يرزقون».

(٢) رواه أبو داود (٢٤٨٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٥٦).

(٣) رواه البزار في «المسند» (٤١٤٤)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٢١٧) عن أبي الدرداء ﷺ.
ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٢٥١) عن العرباض بن سارية ﷺ.

ومسكن النجباء مصر، ومسكن الأبدال الشام، والأخيار سائحون في الأرض، والعُمُدُ في زوايا الأرض، ومسكن الغوث مكة، فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء، ثم النجباء، ثم الأبدال، ثم الأخيار، ثم العُمُدُ، فإن أجيبوا وإلا ابتهل الغوث، فلا تتم مسألته حتى تُجاب دعوته»[1].

والنقباء جمع نقيب، وهو العريف والشاهد، وكأنه أطلق النقباء على الأوتاد، وقد سبق أنهم من الأبرار، ويحتمل أنَّ منهم شهداء.

والنجباء جمع نجيب، وهو الكريم؛ سُمَّوا نُجباء لكرمهم وتقدمهم، وهم فوق الأوتاد إلا أنهم لم يبلغوا رتبة الأبدال.

واعلم أنه كما يطلب التشبه بالأنبياء والصديقين، فكذلك يطلب التشبه بالأبدال لأنهم خيار الصديقين كما علمت، وقد تقدم في كلام أبي الدرداء وأبي الزناد جملة من أخلاقهم التي يحسن التشبه بهم فيها مثل: حسن الخلق، وصدق الورع، وحسن النية، وسلامة القلب، والنصيحة للمسلمين ابتغاء مرضاة الله تعالى، ويدخل فيها الدعاء والتوسل إلى الله تعالى في أمورهم كما يشير إليه كلام الكتاني.

وقال أبو الزناد في بقية كلامه السابق في أوصافهم: وعلم ذلك أنهم لا يلعنون أحداً، ولا يؤذون أحداً، ولا يتطاولون على أحد تحتهم ولا يحتقرونه، ولا يحسدون أحداً فوقهم، ليسوا بمتخشعين ولا متهاونين ولا معجبين، لا يحبون الدنيا، ولا يحبون للدنيا، وليسوا اليوم في

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣/ ٧٥).

وحشة وغداً في غفلة[1].

وروى ابن أبي الدنيا، والحكيم الترمذي عن الحسن رحمه الله مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بُدَلاءَ أُمَّتِي لَم يَدْخُلُوْا الْجَنَّةَ بِكَثْرَةِ صَوْمٍ وَصَلاةٍ، وَلَكِنْ دَخَلُوْهَا بِرَحْمَةِ اللهِ، وَسَلامَةِ الصُّدُوْرِ، وَسَخَاوَةِ الأَنْفُسِ، وَالرَّحْمَةِ لِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ»[2].

وروى ابن أبي الدنيا، والخلال عن علي رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن الأبدال فقال: «هُمْ ستُّوْنَ رَجُلاً»، فقلت: يا رسول الله! حلهم لي، قال: «لَيْسُوْا بِالْمُتَنَطِّعِيْنَ ولا بِالْمُبْتَدِعِيْنَ وَلا بِالْمُتَعَمِّقِيْنَ - وقال: الخلال عوض قوله: بالمتعمقين: ولا بِالْمُعْجَبِيْنَ - لَمْ يَنَالُوْا مَا نَالُوْا بِكَثْرَةِ صَلاةٍ وَلا صِيَامٍ وَلا صَدَقَةٍ، وَلَكِنْ بِسَخَاوَةِ الأَنْفُسِ وَسَلامَةِ القُلُوْبِ، وَالنَّصِيْحَةِ لأُمَّتِهِم؛ إِنَّهُم يَا عَلِيُّ فِي أُمَّتِي أَقَلَّ مِنَ الكَبْرِيْتِ الأَحْمَرِ»[3].

وروى ابن عساكر عن الحارث بن رزين رحمه الله أن الأبدال لا يكون منهم متهاون ولا طعَّان[4].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ٢٨)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٢٦٣) واللفظ له.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ١٢)، وعنده: «لأئمتهم» بدل «لأمتهم».

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٣٣٦)، وعنده: «متماوت» بدل «متهاون».

وروى أبو نعيم، وابن عساكر عن ابن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال ـ وذكر الأبدال ـ فقال: «بِهِم يُحْيِي وَيُمِيْتُ، وَيُمْطِرُ وَيُنْبِتُ وَيَدْفَعُ البَلاءَ»(١).

قيل لعبدالله: كيف بهم يُحيي ويُميت؟ قال: لأنهم يسألون الله تعالى إكثار الأمم فيكثرون، ويدعون على الجبابرة فيقصمون، ويستسقون فيسقون، ويسألون فتنبت لهم الأرض، ويدعون فيدفع بهم أنواع البلاء.

وروى ابن عساكر عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ دعاةَ أمتي عَصَبُ اليمنِ، وأبدالُ الشَّامِ، وهم أربعونَ رجلاً، كلَّما هلكَ رجلٌ أبدلَ اللهُ مكانَهَ رجلاً، ليسوا بالمتماوتينَ ولا المُتَهالِكينَ ولا المُتَبارِينَ، لم يبلغوا ما بلغوا بكثرةِ صَومٍ ولا صَلاةٍ، وإنَّما بَلَغُوا ذاكَ بالسَّخَاءِ، وصِحَّةِ القُلُوبِ، والنَّصيحةِ لجميعِ المُسْلمينَ»(٢).

وروى هو والطَّبراني وأبو نعيم، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خِيارُ أُمَّتي في كلِّ قَرْنٍ خمسُ مئةٍ، والأبدالُ أربعونَ، فلا الخمسُ مئةٍ ينقصونَ، ولا الأربعون، كلَّما ماتَ رجلٌ أبدلَ اللهُ مكانَهَ آخرَ» قالوا: يا رسول الله! دلَّنا على أعمالهم،

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٣٠٤).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٦/ ٤٣٥).

قال: «يعفُونَ عمَّنْ ظَلَمَهُم، ويُحْسِنونَ إلى مَنْ أَسَاءَ إِليهِمْ، ويتواسُون فيما آتاهمُ اللهُ»[1].

وروى أبو عبد الرحمن السلمي في «سنن الصوفية» والديلمي، عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه فهو مِنَ الأبدالِ الذين بهم قَوَامُ الدُّنْيا وأهلُها: الرِّضا بالقضاءِ، والصَّبرُ عَنْ مَحارِمِ الله، والغضبُ في ذَاتِ اللهِ»[2].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الأولياء» عن بكر بن خُنيس رحمه الله تعالى مرسلاً، عن النبي ﷺ قال: «علامةُ الأبدالِ أنَّهم لا يلعنونَ شَيئاً»[3].

وهذا معلوم مما تقدم: أن الصدِّيق لا يكون لعاناً، والأبدال من الصديقين.

وروى الأصبهاني في «الترغيب» عن حكيم بن حِزام رضي الله تعالى عنه قال: كان أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه مضجعاً بين إخوانه وقد غطَّى وجهَه، فمر عليهم قِسٌّ سمين، فقالوا: اللهم العنه فما أغلظ رقبته، فقال أبو الدرداء: من هذا الذي لعنتم آنفاً، فأخبروه، فقال: لا تلعنوا أحداً، لا ينبغي للَّعَّان أن يكون عند الله صدِّيقاً[4].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٣٠٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٨).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٤٥٧).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ٢٨).

(٤) ورواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (٣٧٧) وعنده: «حكيم بن جابر» بدل «حكيم بن حزام».

وروى أبو نعيم عن داود بن يحيى بن يمان رحمه الله تعالى قال: رأيت رسول الله ﷺ في النوم، فقلت: يا رسول الله من الأبدال؟ قال: الذين لا يضربون بأيديهم شيئاً، وإنَّ وكيع بن الجراح منهم[1].

وعن أحمد بن أبي الحواري رحمه الله تعالى قال: سمعت أبا سليمان ـ يعني الداراني ـ رضي الله تعالى عنه يقول: لم يبلغ الأبدال ما بلغوا بصوم ولا صلاة، ولكن بالسخاء وشجاعة القلب وسلامة الصدر وذمِّهم أنفسهم عند أنفسهم[2].

وعن بشر بن الحارث رحمه الله تعالى: أنه سُئل عن التوكل فقال: اضطراب بلا سكون، وسكون بلا اضطراب، ثم فسره فقال: اضطراب بلا سكون: رجل ساكن إلى الله بلا حركة وهذا[3] عزيز، وهو صفة الأبدال[4].

وعن معروف الكرخي رحمه الله تعالى قال: من قال في كل يوم عشر مرات: اللهم أصلح أمة محمد، اللهم فرِّج عن أمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، كُتِبَ من الأبدال[5].

وروى الطبراني في «الكبير» عن عبادة بن الصامت[6] رضي الله عنه قال:

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٧١).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٧٤).

(٣) في «ت»: «وهو».

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٥١).

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٦٦).

(٦) في «مجمع الزوائد»: «أبي الدرداء» بدل «عبادة بن الصامت». وللطبراني =

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلمُؤْمِنِيْنَ والْمُؤْمِنَاتِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَاً وَعِشْرِيْنَ مَرَّةً أَوْ خَمْسَاً وَعِشْرِيْنَ مَرَّةً ـ أَحَدَ العَدَدَيْنِ ـ كَانَ مِنَ الَّذِيْنَ يُسْتَجَابُ لَهُم وَيُرْزَقُ بِهِم أَهْلُ الأَرْضِ»[١].

وهذه صفة الأبدال كما علم مما سبق.

وروى الشيخ نصر المقدسي في كتاب «الحجة» عن أحمد بن حنبل رحمه الله: أنه سُئِلَ: هل في الأرض أبدال؟ قال: نعم، قيل: مَنْ هم؟ قال: إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال ما أعرف لله أبدالاً[٢].

وروى الخطيب في كتاب «شرف أصحاب الحديث» عن صالح ابن محمد الرازي أنه قال ـ وسأله رجل ـ: إذا لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال فلا أدري من الأبدال.

وقال: هذا كلام يزيد بن هارون ذكره عن سفيان الثوري[٣].

= في «مسند الشاميين» (٢١٥٥) حديث آخر عن عبادة غير هذا ولفظه: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة». وهو موجود في «الفتح الكبير» للسيوطي (٣/ ١٥٠) قبل حديث أبي الدرداء، فكأن المصنف رحمه الله سبق نظره إليه، فأخطأ في العزو، والله أعلم.

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٠): رواه الطبراني، وفيه عثمان ابن أبي العاتكة، وثقه غير واحد وضعفه الجمهور، وبقية رجاله المسمين ثقات.

(٢) انظر: «مختصر الحجة على تارك المحجة للشيخ نصر المقدسي» (ص: ١١٣).

(٣) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٥٠).

وقال الدينوري في «المجالسة»: ثنا الحارث بن أبي أسامة قال: سُئِلَ يزيد بن هارون وأنا أسمع، فقيل له: مَنْ الأبدال؟ قال: أهل العلم(١).

وروى ابن أبي الدنيا، وأبو نعيم عن أبي عبدالله النباجي رحمه الله تعالى قال: إذا أحببتم أن تكونوا أبدالاً فأحبوا ما شاء الله، ومن أحبَّ ما شاء الله لم يترك من مقادير الله شيئاً إلا أحبه(٢).

زاد في رواية: وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: ما استحثني أحدٌ لحاجة بمثل قوله: ما شاء الله(٣).

ويشهد لما حدث به عن موسى عليه السلام: ما رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن يحيى بن سليم الطائفي، عن من ذكره قال: طلب موسى عليه السلام من ربه تبارك وتعالى حاجة فأبطأت عليه وأكدت، فقال: «ما شاء الله» فإذا حاجته بين يديه؛ قال: «يا رب! أنا أطلب حاجتي منذ كذا وكذا، أعطيتنيها الآن؟» قال: فأوحى الله إليه: «يا موسى! أما علمت أن قولك: ما شاء الله أنجح ما طلبت به الحوائج؟» وقال: الكلمة التي تزجر بها الملائكة الشياطين حين يَسْتَرِقون السمع: ما شاء الله(٤).

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٥).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ٢٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣١٢).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣١٢).

(٤) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ٦٨).

وروى ابن أبي حاتم عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله قال: ما سأل رجلٌ مسألة أنجح من أن يقول: ما شاء الله.

وعن عمرو بن مرة رحمه الله قال: إنَّ من أفضل الدعاء قول الرجل: ما شاء الله[1].

وقد علمت أن الدعاء من أخص أحوال الأبدال، ولهم بهذه الكلمة مزيد خصوصية لأنهم يتشبهون بالملائكة في التبدل والتشكل على قول.

ولهذه الكلمة خصوصية في تصرف الملائكة.

وللأبدال من أُولي العزم من الرسل مواريث، وهذه الكلمة من ميراثهم من موسى عليه السلام.

وروى أبو نعيم، وابن الجوزي في «الصفوة» عن أبي سعيد بن عطاء: أن الجنيد ﷺ رأى فيما يرى النائم قوماً من الأبدال، فسأل: هل ببغداد أحد من الأولياء أو من الأبدال؟ فقالوا: نعم، أبو العباس ابن مسروق، قال: فقلت متعجباً: أبو العباس بن مسروق؟ فقالوا: نعم، أبو العباس بن مسروق من أهل الأنس بالله[2].

وفيه إشارة أن الأنس بالله تعالى من أحوال الأبدال.

وروى الإمام أحمد في «الزهد»، وابن أبي الدنيا، وأبو

(١) وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٩١).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢١٤)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤/ ١٢٨).

نعيم، والبيهقي، وابن عساكر عن جليس وهب بن منبه[1] قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله! أين بُدلاء أمتك؟ فأومأ بيده نحو الشام، قلت: يا رسول الله! أما بالعراق منهم أحد؟ قال: بلى، محمد بن واسع، وحسان بن أبي شيبان، ومالك بن دينار الذي يمشي في الناس بزهد أبي ذر[2].

وفيه إشارة إلى أن الزهد من أحوالهم أيضاً.

وقال حجة الإسلام في «الإحياء»: إنَّ بعضهم قال لبعض العلماء: من كل عمل قد أعطاني الله نصيباً ـ حتى ذكر الحج والجهاد وغيرها ـ، فقال له: أين أنت من عمل الأبدال؟ قال: ما هو؟ قال: كسب الحلال والنفقة على العيال[3].

ونقل أبو طالب المكي في «القوت» عن بعضهم أنه قال في وصف الأبدال: أكْلُهم فاقة، وكلامهم ضرورة، ونومهم غلبة[4].

ونقلاً عن سهل بن عبدالله التستري رضي الله عنه أنه قال: صارت الأبدال أبدالاً بأربعة؛ قلة الكلام، وقلة الطعام، وقلة المنام، واعتزال الأنام[5].

---

(١) في «الزهد»: «عن رجل من صنعاء» بدل «جليس وهب بن منبه».

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣٢٤)، وابن أبي الدنيا في «المنامات» (ص: ٧٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١١٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٣٠١).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٣٢).

(٤) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (١/ ٧٤) عن فزارة الشامي.

(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ٧٦).

وتكلم الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله على هذه الأربعة في «فتوحاته»، ثم أفرد الكلام عليها في مؤلف لطيف سمَّاه «حليه الأبدال»، وحكى فيه وفي «الفتوحات» عن صاحبٍ له كان بمراشانة الزيتون ببلاد الأندلس اسمه عبد المجيد بن سلمة، وكان فقيهاً ورعاً، أنَّه اجتمع برجل من الأبدال في قصة طويلة، وسمَّاه ابن العربي معاذ بن الأشرس، قال عبد المجيد: فقلت: يا سيدي! بماذا تصير الأبدال أبدالاً؟ فقال لي: بالأربعة التي ذكرها أبو طالب المالكي في «القوت»: الصمت، والعزلة، والجوع، والسهر، انتهى[1].

وقال شيخ الإسلام الجد في منظومته المسماة بِـ: «الدرر اللوامع»: [من الرجز]

وَحِلْيَةُ الأَبْدالِ مِثْلُ ما اشْتَهَرْ
صَمْتٌ وَعُزْلَةٌ وَجُوْعٌ وَسَهَرْ

* **تنْبِيْهٌ**:

قال سهل التستري: الخليفة إذا كان صالحاً فهو من الأبدال.

وبعضهم ينقل عنه أنه قال: السلطان إن كان جائراً فهو من الأبدال، وإن كان عادلاً فهو القطب[2].

قال أبو طالب المكي: قوله: «من الأبدال» يعني: أبدال

---

(١) انظر: «الفتوحات المكية» لابن العربي (٢/ ١٠).

(٢) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٢٠٩).

المسلك[1] كما حدثنا عن جعفر الصادق رحمه الله قال: أبدال الدنيا سبعة على مقاديرهم يكون الناس [في كل زمان][2] من العلماء، والعباد، والتجار، والخليفة، والوزير، وأمير الجيش، وصاحب الشرطة، والقاضي وشاهداه[3]، انتهى[4].

[وقسم][5] من ذلك ـ مع ما تقدم ـ الأبدال على قسمين:

ـ **أبدال عن الأنبياء**: وهم أبدال الملكوت، ولا يكونون إلا صديقين مقربين عارفين بالله.

ـ **وأبدال الملك**: وهم أبدال الدنيا لا تقوم عمارة الدنيا إلا بهم ولا بدَّ للناس منهم؛ سُمُّوا أبدالاً لأنهم كلما فقد واحد منهم أبدل مكانه غيره، ثم عيَّن جعفر الصادق مراتبهم، وسماهم الخليفة والوزير، وأمير الجيش وصاحب الشرطة، والقاضي وشاهداه، والعلماء يشترطون في هؤلاء الكمال كل واحد بما يليق به، وهو بالرحمة والعدل والشجاعة.

ثم لكل واحد منهم أوصاف وآداب تليق به، فالكمالُ مشروطٌ فيهم، لكن يكفيهم منه أن يكونوا أبراراً وإن لم يبلغوا درجة الصديقين.

ثم إن كانوا ـ أو أحدهم ـ بخلاف ذلك نفذت أحكامهم للضرورة،

---

(١) في «م» و«ت»: «الملك».

(٢) زيادة من «قوت القلوب».

(٣) في «قوت القلوب»: «وشهوده» بدل «وشاهداه».

(٤) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٢١٠).

(٥) غير واضح في «م» و«ت».

وانقادت الناس لهم خيفة من تفرق الكلمة، فالرعية مأمورون بالطاعة وهم مأزورون بالجور والخروج عن حد الاعتدال في الدين.

وهذا بخلاف القسم الأول ـ أعني: الأبدال عن الأنبياء ـ؛ فإنهم لا يكونون إلا صديقين، وعدتهم أربعون كما سبق، وهؤلاء عدتهم سبعة.

ومن ثم نفهم معنى قول أبي يزيد البسطامي حين قيل له: أنت من الأبدال السبعة؟ فقال: أنا كل الأبدال السبعة[1]؛ لأنَّ الصديق قد استوفى جميع أخلاق الأبرار، والسبعة المشار إليهم قد يتمحضون أبراراً، فالصديق واحد يقوم مقامهم بل يفوق عليهم.

فقوله: «أنا كلُّ السبعة»؛ أي: أنا قائمٌ مقام السبعة، وهذا منه من باب التحديث بالنعمة[2].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٧).

(٢) قال الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٨٩) في ترجمة أبي يزيد البسطامي رحمه الله: سلطان العارفين، وأحد الزهاد، له كلام نافع ونكت مليحة، وجاء عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها، الشأن في ثبوتها عنه، أو أنه قالها في حال الدهشة والغيبة، فتطوى ولا يحتج لها؛ إذ ظاهرها إلحاد؛ مثل: ما النار؟ لأستندنَّ إليها غداً، وأقول: اجعلني فداء لأهلها وإلا بلعتها، ونحو ذلك.

قال السلمي في «تاريخ الصوفية»: توفي أبو يزيد عن ثلاث وسبعين سنة، وله كلام حسن في المعاملات، ثم قال: ويحكى عنه في الشطح أشياء، منها ما لا يصح، أو يكون مقولاً عليه، وكان يرجع إلى أحوال سنية، انتهى.

وأيضاً، فإن العبد إذا قام في مقام الصديقية استغنى عن هؤلاء السبعة؛ لأن من أخلاقه الإنصاف من نفسه، فقد قام منه في كل مقام من الإنصاف ما أغناه عن الاحتياج إلى الخليفة فمن دونه من هؤلاء السبعة؛ لأنَّ هؤلاء السبعة إنما كانوا للتوصل إلى الإنصاف، فقد قام له في كل مقام من إنصافه ما أغناه عن مراجعة أحد من هؤلاء السبعة فيما بينه وبين الخلق، فإنه ينصف من نفسه ويعفو عن حقوقه ويُسامح بها، فلا يحتاج هو ولا من يخالطه إلى أحد من هؤلاء الأبدال، فقد قام مقام السبعة وأغنى نفسه وغيره عنهم كلهم، فبهذا الاعتبار قال أبو يزيد: أنا كل الأبدال السبعة.

* **تَنْبِيهٌ:**

ما تقدم في الأخبار أن الأبدال لم ينالوا ما نالوا لكثرة صلاة ولا كثرة صيام ولا كثرة صدقة، ولكن بالسخاء وسلامة الصدور والنصيحة والرحمة، هذا فيه إشارة إلى أن أعمالهم قلبية وهممهم عليَّة، وإن لم يكن لهم كثير عمل ولا مزيد اجتهاد، وأن نقصان العمل بعد تأدية الفرائض لا يضرُّهم ولا يحط من مرتبتهم.

ويؤيده ما اشتهر حتى كاد أن يكون مجمعاً عليه عند المحققين من الصوفية: أن العارف لا يَضرُّه قلة العمل إذ يكون سره قلبياً وإلا لم يكن متحققاً بالمعرفة، والأبدال رؤوس العارفين.

وقال الجد رضي الله عنه في «الدرر اللوامع»: [من الرجز]

وَصَــــــاحِبُ الْعِرْفَــــانِ لا يُبَـــــالِي

إِذا ابْتُلِـــــــيْ بِقِلَّـــــةِ الأَعْمـــــــالِ

قلت: وقد ظفرت لذلك بدليلٍ من الحديث، وهو ما رواه الطبراني في «الكبير» رحمه الله تعالى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ قال: «يا ابْنَ مَسْعُوْدٍ! أَيُّ عُرَى الإِيْمَانِ أَوْثَقُ؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «أَوْثَقُ عُرَى الإِيْمَان الوِلايَةُ للهِ، وَالْحُبُّ فِي اللهِ، وَالبُغْضُ فِي اللهِ».

ثم قال: «يا ابْنَ مَسْعُوْدٍ!»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «أَتَدْرِي أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فَإِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ أَفْضَلُهُم عَمَلاً إِذَا فَقِهُوْا فِي دِيْنِهِم».

ثم قال: «يَا ابْنَ مَسْعُوْدٍ!»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «أَتَدْرِي أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «أَعْلَمُ النَّاسِ أَبْصَرُهُم بِالْحَقِّ إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ وَإِنْ كَانَ مُقَصِّراً فِي عَمَلِهِ، وَإِنْ كَانَ يَزْحَفُ عَلَى اسْتِهِ زَحْفاً»، الحديث[1].

وقد أخرجه جماعة غير الطبراني؛ منهم عبد بن حميد في «تفسيره»، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وأبو يعلى في «مسنده»، والحاكم في «مستدركه» وصححه، والبيهقي في «شعبه»، وابن عساكر

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٣١).

في «تاريخه»[1].

وهو حديث حسن، وله طرق يعضد بعضها بعضاً.

وقلت في المعنى: [من الخفيف]

أَعْلَمُ النَّاسِ أَبْصَرُ النَّاسِ بِالْحَقِّ
إذا ما رَأَيْتَ فِيْ النَّاسِ خُلْفا
ذاكَ ما ضَرَّهُ كَما قَدْ رَوَيْنا
نَقْصُ أَعْمالِهِ وَلَوْ سارَ زَحْفا

ومن أتمِّ ما وصف به الأبدال: ما أخبرنا شيخ الإسلام الوالد عن أبي يحيى الأنصاري، عن العز بن الفرات الحنفي، عن أبي حفص عمر ابن الحسن المراغي، وجماعة قالوا: أنا الفخر أبو الحسن علي بن أحمد ابن عبد الواحد المقدسي ـ عُرف بابن البخاري ـ عن أبي المكارم أحمد ابن محمد اللبان، وأبي الحسن مسعود بن محمد[2] بن أبي منصور الكمال[3] قالا: أنا أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد، أنا أبو

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٩٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥١٠).

(٢) لعل الصواب: «أبي الحسن مسعود بن أبي منصور بن محمد» كما في «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢١/ ٢٦٨).

(٣) لعل الصواب: «الجمَّال» بدل «الكمال» كما في «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢١/ ٢٦٨).

نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني الحافظ، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد ابن مقسم، نا العباس بن يوسف الشكلي، حدثني محمد بن عبد الملك قال: قال عبد الباري: قلت لذي النون رحمه الله تعالى: صف لي الأبدال، قال: إنك لتسألني عن دياجي الظلم لأكشفها لك، عبد الباري!؛ هم قومٌ ذكروا الله بقلوبهم تعظيماً له لمعرفتهم بجلاله، فهم حجج الله على خلقه، ألبسهم النور الساطع من محبته، ورفع لهم أعلام الهداية إلى مواصلته، وأقامهم مقام الأبطال لإرادته، وأفرغ عليهم الصبر عن مخالفته، وطهر أدرانهم بمراقبته، وطيبهم بطيب أهل معاملته[1]، وكساهم حُلَلاً من نسج مودته، ووضع على رؤوسهم تيجان مسرته، ثم أودعَ القلبَ من ذخائر الغيوب فهي معلقة بمواصلته، فهمومهم إليه ثائرة، وأعينهم إليه بالغيب ناظرة، وقد أعانهم على باب النظر من قُربه، وأحلهم على كراسي أطباء أهل معرفته، ثم قال: إن أتاكم عليلٌ من فقدي فداووه أو مريضٌ من فرقي[2] فعالجوه، أو خائفٌ مني فأمنوه، أو آمنٌ مني فحذروه، أو راغبٌ في مواصلتي فهنؤوه، أو راحلٌ نحوي فزودوه، أو جبانٌ في متاجرتي فشجعوه، أو آيسٌ من فضلي فعِدُوه، أو راجٍ لإحساني فبشروه، أو حَسَنُ ظنٍّ فيَّ[3] فباسطوه، أو محب لي فواظبوه، أو معظمٌ لقدري فعظموه، أو مستوصفكم نحوي فأرشدوه، أو مسيءٌ بعد إحسانٍ فعاتبوه، ومن واصلكم فيَّ فواصلوه، ومن غاب عنكم

(١) في «حلية الأولياء»: «مجاملته» بدل «معاملته».

(٢) في «حلية الأولياء»: «فراقي» بدل «فرقي».

(٣) في «حلية الأولياء»: «بي» بدل «في».

فافتقدوه، ومن ألزمكم جنايةً فاحتملوه، ومن قصر في واجبِ حقي فاتركوه، ومن أخطأ خطيئةً فناصحوه، ومن مرض من أوليائي فعودوه، ومن حزن فبشروه، وإن استجار بكم ملهوفٌ فأجيروه.

يا أوليائي! لكم عاتبت، وفيَّ إياكم رغبت، ومنكم الوفاء طلبت، ولكم اصطفيت وانتخبت، ولكم استخدمت واختصصت لأني لا أحب استخدام الجبارين، ولا مواصلة المتكبرين، ولا مصافاة المخلطين، ولا محاورة[1] المخادعين، ولا قرب المعجبين، ولا مجالسة البطالين، ولا موالاة الشرهين.

يا أوليائي!

جزائي لكم أفضل الجزاء، وعطائي لكم أجزل العطاء، وبذلي لكم أفضل البذل، وفضلي عليكم أفضل الفضل، ومعاملتي لكم أوفى المعاملة، ومطالبتي لكم أشد المطالبة، أنا مُحيي[2] القلوب، وأنا علاَّم الغيوب، أنا مُراقب الحركات، أنا ملاحظ اللحظات، أنا المشرف على الخواطر، أنا العالم بمجال الفكر، فكونوا دُعاة إليَّ لا يفزعنكم دون سلطاني سواي[3]، فمن عاداكم عاديته، ومن والاكم واليته، ومن آذاكم أهلكته، ومن أحسن إليكم جازيته، ومن هجركم قَلَيته[4].

❐ ❐ ❐

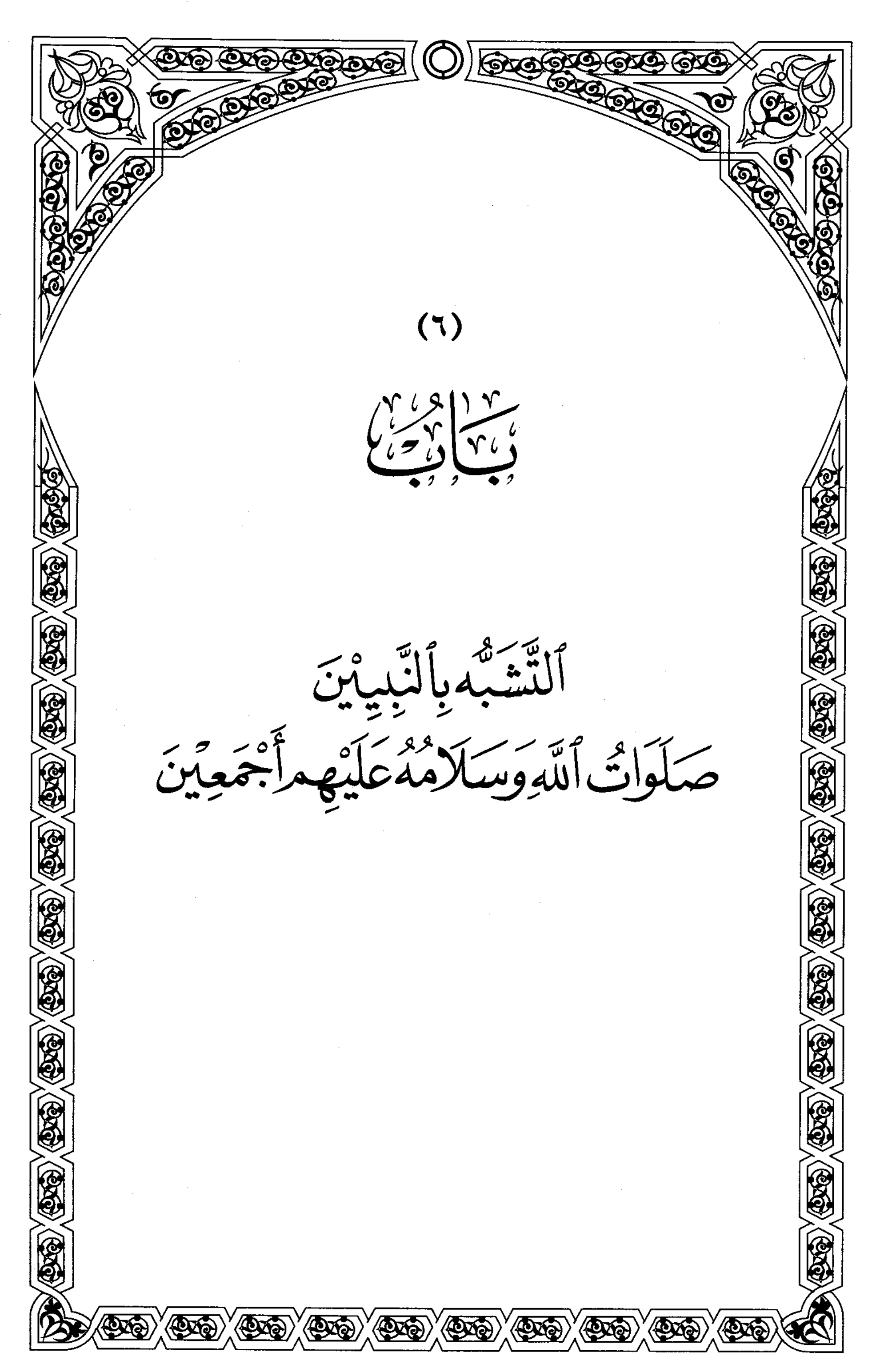
---

(١) في «حلية الأولياء»: «مجاوبة».

(٢) في «حلية الأولياء»: «مجتني».

(٣) في «حلية الأولياء»: «ذو سلطان سوائي» بدل «دون سلطاني سواي».

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٢).



(٦)

بَابُ

التَّشَبُّهُ بِالنَّبِيِّينَ
صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ



اعلم أن الله تعالى ذكر في سورة الأنعام ثمانية عشر نبياً، ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[الأنعام: ٩٠]

وفي «صحيح البخاري» عن مجاهد قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: أسجد في ص؟ فقرأ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ﴾[الأنعام: ٨٤] حتى أتى إلى ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[الأنعام: ٨٤ ـ ٩٠] فقال ابن عباس: نبيُّكم ممن أُمر أن يقتدى بهم[1]، وقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقد تقدم الكلام على ذلك.

ومن المعلوم أنَّ جميع ما ذكرناه من خصال الخير إنما هو مأخُوذٌ من الأنبياء عليهم السلام إما فِعْلاً، وإما قولاً، أمراً، أو إرشاداً، ولا خفاء أن جميع أخلاق الصالحين والشهداء والصديقين مندرجة

(١) رواه البخاري (٣٢٣٩).

تحت أخلاق الأنبياء عليهم السلام، وجميع أخلاق النبيين مندرجة في أخلاق النبي ﷺ كما علمت ذلك مما تقدم.

وقد أثنى الله تعالى على خلقه ﷺ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤]

وروى مسلم عن سعيد بن هشام، قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقُه القرآن[1].

وقد ظهر بذلك أنَّ من عمل بالقرآن العظيم وتَخَلَّق بما فيه كان متشبهاً بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وقد روى وكيع في «تفسيره»: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَفِظَ القُرْآنَ فَقَد أُدْرِجَتِ النُّبُوَّةُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ لا يُوْحَى إِلَيْهِ»[2].

ورواه الطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي من حديث عبدالله ابن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَقَدْ اسْتَدْرَجَ النُّبُوَّةَ بَيْنَ جَنْبَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ لا يُوْحَى إِلَيْهِ، وَمَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ أَحَداً أُعْطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَ فَقَدْ عَظَّمَ مَا صَغَّرَ اللهُ وَصَغَّرَ مَا عَظَّمَ اللهُ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِصَاحِبِ القُرْآنِ أَنْ يَجِدَّ مَعَ مَنْ جَدَّ، وَلا يَجْهَلَ مَعَ مَنْ جَهِلَ وَفِي جَوْفِهِ كَلامُ اللهِ»[3].

---

(١) رواه مسلم (٧٤٦).

(٢) ورواه موقوفاً ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٢٧٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٩٥٣)، وأبو عبيد سلام في «فضائل القرآن» (١/ ١٠٨). ولعل الصواب من رواه موقوفاً.

(٣) ورواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٥٩١).

وقولــه: «من قرأ القـرآن» أي: حـقَّ قراءتـه كما قـال تعـالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[البقرة: ١٢١] لا مجرد إدارته على اللسان مع العمل بخلافه؛ فإنَّ هذا يستوي فيه البر والفاجر.

روى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، وغيرهما عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يأخذون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل؛ قال: فتعلمنا العلم والعمل(١).

وبهذا فسرت الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة: ٢٦٩].

وقوله في رواية وكيع: «من حفظ القرآن» المراد ضبط حدوده، وحلاله وحرامه، والعمل بما فيه، وهذا حقيقه الحكمة.

وقال تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾[يس: ١ ـ ٢] فسمَّى الله تعالى القرآن حكيماً لاشتماله على الحكمة المشار إليها في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة: ٢٦٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الحكمة علم القرآن، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثال ذلك.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٩٢٩)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤١٠).

أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم[1].

وروى الثاني عن أبي الدرداء ﷺ في الآية قال: قراءة القرآن والفكر فيه[2].

وروى ابن جرير عن أبي العالية، وعن إبراهيم قالا: الكتاب والفهم فيه.

وعن ابن عباس قال: الفقه في القرآن[3].

وروى عبد بن حميد عن مجاهد قال: الحكمة الإصابة في القول[4].

ومضمونه أن الإصابة لا تعدو أحكام القرآن.

وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن في الآية قال: الحكمة الورع[5].

والورع مما جاء به القرآن العظيم.

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٨٩)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٥٣١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٥٣٣).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ٩٠).

(٤) وكذا رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٥٣٢)، انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٦٦).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الورع» (ص: ٤٨).

وروى ابن أبي حاتم عن مالك ﷺ قال: قال زيد بن أسلم رحمهما الله تعالى: إنَّ الحكمة العقل.

قال مالك: وإنه ليقع في قلبي أنَّ الحكمة الفقه في دين الله، وأمرٌ يُدخله الله القلوب من رحمته وفضله، ومما يبين ذلك أنك ترى الرجل عاقلاً في أمر الدنيا إذا نظر فيها، وتجد آخر ضعيفاً في أمر دنياه، عالماً بأمر دينه، بصيراً به، يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا، فالحكمة الفقه في دين الله[1].

وروى الشيخان، والنسائي، وابن ماجه عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حَسَدَ إلا فِي اثْنَتَينِ؛ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»[2].

وفيه تلويحٌ أن الحكمة بمعنى الحكم بالحق، ولذلك فسَّرها في «القاموس» بالعدل[3].

وروى ابن أبي حاتم عن مطر الوراق رحمه الله قال: بلغنا أنَّ الحكمة خشية الله والعلم به[4]؛ أي: المعرفة.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٥٣٢).

(٢) رواه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٥٨٤٠)، وابن ماجه (٤٢٠٨).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٤١٥) (مادة: حكم).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٥٣٣).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن خالد بن ثابت الربعي قال: وجدت فاتحة زبور داود: أنَّ رأس الحكمة خشية الرب[1].

وروى ابن المنذر عن سعيد بن جبير رحمه الله قال: الخشية حكمة؛ من خشي الله فقد أصاب أفضل الحكمة[2].

وروى الحكيم الترمذي في «نوادره»، وابن لال في «مكارمه» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللهِ»[3].

وروى القرطبي عن مالك: أن الحكمة السُّنَّة[4].

ولا شك أن السُّنة أقوال النبي ﷺ وأفعاله وأحواله، والعمل بالسُّنة عين التشبه بالنبي ﷺ، وفيه يندرج التشبه بالأنبياء عليهم السلام كما تقدم.

وروى ابن المنذر عن عروة بن الزبير قال: كان يُقال: الرفق رأس الحكمة[5].

وروى أبو نعيم عن يونس بن ميسرة رحمه الله قال: قالت

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٣).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٦٧).

(٣) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ٨٤)، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٤٤) وضعفه.

(٤) انظر «تفسير القرطبي» (١٨/ ٩٢). لكن ذكره عن الحسن، والسدي.

(٥) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٦٧).

الحكمة: يا ابن آدم تلتمسني وأنت تجدني في حرفين؛ تعمل بخير ما تعلم، وتدع شر ما تعلم؟[1]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾[لقمان: ١٢]، ففسر الحكمة بالشكر، والشكر هو الطاعة، والأنبياء عليهم السلام أطوع البشر لله تعالى، فالمطيع كلما ازداد طاعةً لله تعالى كلما كان متشبهاً بالنبيين عليهم السلام مقتدياً بهم.

وروى الإمام أحمد في «الزهد»، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[لقمان: ١٢] قال: العقل والفهم، والإصابة في القول في غير نبوة[2].

وعليه: فقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ على حذف حرف الجر؛ أي: بأن اشكر لله.

وروى ابن عدي وغيره عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الْحِكْمَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ؛ تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الْعُزْلَةِ، وَوَاحِدٌ فِي الصَّمْتِ»[3].

وروى الحاكم، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أنس ﷺ: أَنَّ لقمان كان عند داود عليهما السلام وهو يسرد الدرع، فجعل يفتله هكذا بيده، فجعل لقمان يتعجب ويريدُ أن يسأله وتمنعه حكمته أن

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٥١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٤٩)، والطبري في «التفسير» (٢١/ ٦٧).

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٤٤٢).

يسأله، فلما فرغ منها صبها على نفسه وقال: نعم درع الحرب هذه، فقال لقمان: الصمت من الحكمة وقليلٌ فاعله، كنت أردت أن أسألك، فسكتُّ حتى لقيتني[1].

ولا شك أنَّ الحكمة ممدوحة وهي علوم القرآن أو داخلة في علومه، ولا ينالها العبد إلا بالطاعة والإخلاص فيها، والزهد في الدنيا مع ملازمة الخوف، والعزلة عما لا ينبغي، والصمت عما لا يعني، كما قال ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُم الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْداً فِي الدُّنْيَا وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرِبُوْا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلْقِي الْحِكْمَةَ». رواه ابن ماجه عن أبي خلاد رضي الله عنه[2].

ورواه أبو نعيم، والبيهقي في «الشعب» من حديثه، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنهما[3].

وقال ﷺ: «مَنْ أَخْلَصَ للهِ أَرْبَعِيْنَ صَبَاحاً تَفَجَّرت يَنَابِيْعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِـهِ عَلَى لِسَانِهِ». رواه الإمام أحمد في «الزهد» عن مكحول مرسلاً، ووصله في «الحلية» عنه، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه[4].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٠١).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٤٠٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٢٩) عن أبي خلاد رضي الله عنه.
ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٩٨٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٣٥٩) عن مكحول مرسلاً، ورواه أبو =

وما ذكرناه كله عين ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام، فمن أولى الحكمة لم يفته من مقامات الأنبياء عليهم السلام إلا مفاجأة الملك بالوحي والتشريع والتحدي بالمعجزات، كما قال ﷺ في الحديث السابق: «إلا أَنَّهُ لا يُوْحَى إِلَيْهِ»، وهذا ممنوع منه العبد، فختم النبوة بالنبي ﷺ فلم يبقَ له إلا الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام، والتشبه بهم فيما عدا ذلك ما لم يكن منسوخاً من شرائع الأنبياء، فذلك هو الحكمة المحمودة التي من جاء بها كان متشبهاً بالأنبياء وبالحكماء أيضاً.

ومن خالف ما لم ينسخ من الشرائع فليس بحكيم، فإنما هو متفسق أو متزندق، أو شيطان رجيم، فإن اتفق أنَّه سمعتَ منه كلمة الحكمة الموافقة للكتاب والسنة كتبت عنه مع التبري فيما عداها عنه لقوله ﷺ: «الكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِن، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا». رواه ابن ماجه، والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وابن عساكر من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

= نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٨٩) عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه. قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٤): لم أقف له على إسناد صحيح ولا حسن، إنما ذكر في كتب الضعفاء.

(١) رواه ابن ماجه (٤١٦٩)، والترمذي (٢٦٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: حديث غريب، وإبراهيم بن الفضل المدني المخزومي، يضعف في الحديث من قبل حفظه.

ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٥/ ١٩٢) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وروى العسكري في «أمثاله» عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: خذوا الحكمة ممن سمعتموها، فإنه قد يقول الحكمة غير الحكيم، وتكون الرمية من غير رامٍ[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن الصلاة حضرته وإلى جانبه امرأة ترعى غنماً لها، فأخذ أبو الدرداء مكاناً يُصلي فيه، قالت له المرأة: يا عبدالله! أذهب بك شيء؟ قال: لا والله، قالت: أراك تلتمس، قال: ألتمس مكاناً نقياً أُصلي فيه، قالت: يا عبدالله! والله إن كان قلبك نقياً لا تبالي حيثما صليت، قال أبو الدرداء: خذها أبا الدرداء من غير فقيه[2].

ولا يكون المتكلم بالكلمة الواحدة والكلمتين من الحكماء، ولا ينال الفاسق مقام الحكيم.

روى أبو نعيم عن وهب بن منبه قال: لا يكون البطال من الحكماء، ولا يرث الزناة من ملكوت السماء[3].

ثم إنَّه ليس كل حكيم يخرج من عهدة العمل بمقتضى الحكمة إلا أن حكمته تظهر وعليها النور بقدر عمله بها وإخلاصه فيها وفيه وصدقه فيهما.

---

(١) ورواه ابن أبن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٥٨٨)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل بين الراوي والواعي» (ص: ٤١٩)، وعزاه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٣١٠) إلى العسكري.

(٢) ذكر قريباً منها ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (١/ ١٥٣).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٠).

وقد روى ابن جهضم عن حسين القزاز[1] قال: أربعة أشياء عزيزة في الخلق؛ عالم مستعمل لعلمه، وحكيم ينطق عن فعله[2]، وواعظ ليس له طمع، ومتعبد ليس له علاقة[3].

وروى ابن النجار في «تاريخه» عن المهاجر بن حبيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُوْلُ: إِنِّي لَسْتُ عَلَى كُلِّ كَلامِ الْحَكِيْمِ أُقْبِلُ، وَلَكِن أُقْبِلُ عَلَى هَمِّهِ وَهَوَاهُ، فَإِنْ كَانَ هَمُّهُ وَهَوَاهُ فِيمَا يُحِبُّ اللهُ وَيَرْضَى، جَعَلْتُ صَمْتَهُ حَمْداً للهِ وَوَقَاراً وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ»[4].

وروى ابن جهضم عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال: إن الله يحب العالم المتواضع، ويبغض العالم الجبار، ومن تواضع لله أورثه الله الحكمة[5].

يُشير إلى أن التكبر حجاب لقلوب العلماء عن الحكمة والنطق بها.

ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[الأعراف: ١٤٦] الآية.

---

(١) في «شعب الإيمان»: «يحيى بن الحسين القريشي» بدل «حسين القزاز».

(٢) في «شعب الإيمان»: «قلبه» بدل «عمله».

(٣) ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٨١٦).

(٤) ورواه الدارمي في «السنن» (٢٥٢).

(٥) ورواه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٣٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٤١٧).

وروى أبو الشيخ في «الثواب» عن أبي بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَوَاضَعُوْا لِمَنْ تَعَلَّمُوْنَ مِنْهُ، وَتَوَاضَعُوْا لِمَنْ تُعَلِّمُوْن، وَلا تَكُوْنُوْا مِنْ جَبَابِرَةِ العُلَمَاءِ يَغْلِبُ جَهْلُكُم عِلْمَكُم»[١].

وأين الحكمة مع غلبة الجهل، وإنما يغلب الجهل على العالم إذا تكبر أو تجبر، وكذلك إذا عاشر من لا تليق به عشرته من المبتدعة والفسقة.

كما السلمي في «طبقاته» عن فضيل بن عياض رحمه الله قال: من جلس مع صاحب بدعة لم يُؤتَ الحكمة[٢].

ومن هنا كان أبعد الناس عن الحكمة والنطق بها الملوك لتجبرهم وكثرة مخالطتهم للفساق، فتجدهم بما هم عليه عن الحكمة معرضين، ولها غير متعرضين.

وقد روى الإمامان ابن المبارك وابن حنبل؛ كلاهما في «الزهد» عن خلف[٣] بن حوشب رحمه الله قال: قال عيسى بن مريم عليهما السلام للحواريين: كما ترك لكم الملوك الحكمة فلذلك دعوا لهم الدنيا[٤].

وروى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أنه ذكر لقمان الحكيم

---

(١) ورواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ٣٣٥)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٢٩) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٤).

(٣) في «الزهد» للإمام أحمد: «خالد» بدل «خلف».

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٩٦)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٩٢).

فقال: ما أوتي ما أوتي من أهل ومال، ولا حسب ولا جمال، ولكنه كان رجلاً صمصامة سكِّيتاً، طويل التفكر عميق النظر، لم ينم نهاراً قط، ولم يره أحد يبزق، ولا يبول ولا يتغوط، ولا يغتسل، ولا يعبث ولا يضحك، وكان لا يُعيد منطقاً نطق به إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه، وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا فلم يبكِ عليهم، وكان يغشى السلطان ويأتي الحكماء لينظر ويتفكر ويعتبر، فبذلك أُوتي ما أوتي[1].

وروى ابن أبي الدنيا في «الصمت»، وابن جرير عن عمرو بن قيس قال: مر رجلٌ بلقمان والناس عنده فقال: ألست عبد بني فلان؟ قال: بلى، قال: ألست الذي كنت ترعى عند جبل كذا وكذا؟ قال: بلى، قال: فما الذي بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السكوت عما لا يعنيني[2].

وروى ابن جهضم عن أبي بكر بن أبي داود قال: إذا جالست العلماء والجهال فأنصت لهم؛ فإنَّ في إنصاتك للعلماء زيادة في علمك، وفي إنصاتك للجُّهال سلامة، والزم الصمت تعد حكيماً، عالماً كنت أو جاهلاً.

وروى أبو القاسم القشيري في «رسالته» عن مِمْشاذُ الدينوري

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٥١٢).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٩٦)، والطبري في «التفسير» (٢١/ ٦٨).

قال: الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت والتفكر(١).

وروى أبو نعيم عن الحسن قال: إنَّ أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر، وبالفكر على الذكر حتى استيقظت قلوبهم فنطقت بالحكمة(٢).

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد في «الزهد»، والبيهقي عن سيار أبي الحكم قال: قيل للقمان: ما حكمتك؟ قال: لا أسأل عما قد كفيت، ولا أتكلف ما لا يعنيني(٣).

وروى إسحاق الختلي في «الديباج» عن محمد بن جُحادة قال: أُتيَ لقمان في فائدة قالها، فقيل له: هل لك في أن تكون خليفة؟ قال: إن تُجبرني فسمعاً وطاعة، وإن تُخيرني أَخْتار العافية، فقيل له: وما عليك أن تكون خليفة فتعمل بالحق؟ قال: وإن أعمل بالحق فبالحري أن أنجو، وإن أخطىء الحق أُخطِىءْ طريق الجنة، وإنه من يبع الآخرة بالدنيا يخسرهما جميعاً، وأن أعيش ذليلاً حقيراً أحبَّ إليَّ من أن أعيش قوياً عزيزاً، فشكَرَ الله مقالتَه فغطَّه في الحكمة غطَّةً فأصبح وهو أحكم الناس، وكان يعتاده داود عليه السلام لحكمته، وكان يقول: انظروا إلى رجلٍ أوتي الحكمة ووقيَ الفتنة.

---

(١) رواه القشيري في «رسالته» (ص: ١٥٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٩).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٩٥)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٠٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٨٠٩).

وروى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن أبي مسلم الخولاني رحمه الله مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لُقْمَانَ كَانَ عَبْداً كَثِيْرَ التَّفَكُّرِ، حَسَنَ الظَّنِّ، كَثِيْرَ الصَّمْتِ، أَحَبَّ اللهَ فَأَحَبَّهُ اللهُ فَمَنَّ عَلَيْهِ بِالْحِكْمَةِ، نُوْدِيَ بِالْخِلافَةِ قَبْلَ دَاوُدَ عليه السلام فَقِيْلَ لَهُ: يَا لُقْمَانُ! هَلْ لَكَ أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ خَلِيْفَةً فِي الأَرْضِ، تَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ؟ قَالَ لُقْمَانُ: إِن أَجْبَرَنِي رَبِّي قَبِلْتُ، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِي أَعَانَنِي وَعَلَّمَنِي وَعَصَمَنِي، وَإِنْ خَيَّرَنِي رَبِّي قَبِلْتُ العَافِيَةَ وَلَمْ أَسْأَلِ البَلاءَ فَقَالَتِ الْمَلائِكَةُ [بصوتٍ لا يراهم][1]: يَا لُقْمَانُ لِمَ؟ قَالَ: لأَنَّ الْحَاكِمَ بِأَشَدِّ الْمَنَازِلِ وَأَكْدَرِهَا يَغْشَاهُم الظُّلْمُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَيُخْذَلُ أَوْ يُعَان، فَإِنْ أَصَابَ فَبِالْحَرِيِّ أَنْ يَنْجُوَ، وَإِنْ أَخْطَأَ أَخْطَأَ طَرِيْقَ الْجَنَّةِ، وَمَنْ يَكُوْنُ فِي الدُّنْيَا ذَلِيْلاً خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُوْنَ شَرِيْفاً ضَائِعاً، وَمَن يَخْتَارُ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ فَاتَتْهُ الدُّنْيَا وَلا يَصِيْرُ إِلَى مُلْكِ الآخِرَةِ، فَعَجِبَتِ الْمَلائِكَةُ مِنْ حُسْنِ مَنْطِقِهِ، فَنَامَ نَوْمَةً فَغطَّ بِالْحِكْمَةِ غَطّاً فَانْتَبَهَ فَتَكَلَّمَ بِهَا، ثُمَّ نُوْدِيَ دَاوُدُ عليه السلام بَعْدَهُ بِالْخِلافَةِ فَقَبِلَهَا، وَلَمْ يَشْتَرِطْ شَرْطَ لُقْمَان، فَأَهْوَى فِي الْخَطِيْئَةِ فَصَفَحَ اللهُ عَنْهُ وَتَجَاوَزَ، وَكَانَ لُقْمَانُ يُؤَازِرُهُ بِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، فَقَالَ دَاوُدُ: طُوْبَى لَكَ يَا لُقْمَانُ، أُوْتِيْتَ الْحِكْمَةَ فَصُرِفَتْ عَنْكَ البَلِيَّةُ، وَأُوْتِي دَاودُ الْخِلافَةَ فَابْتُلِيَ بِالذَّنْبِ[2] وَالْفِتْنَةِ»[3].

---

(١) زيادة من «نوادر الأصول».

(٢) في «نوادر الأصول»: «الرزية» بدل «الذنب».

(٣) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٣٧٣).

وروى الختلي عن الفضيل قال: من عامل الله بالصدق ورثه الله الحكمة[1].

وقال الختلي: ثنا أبو عبدالله مردويه الصائغ قال: قال لي عبدالله ابن المبارك رحمه الله: إنَّ الفضيل بن عياض صدق الله، فأجرى الحكمة على لسانه، والفضيل ممن نفعه علمه[2].

وروى ابن جهضم عن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله قال: مثل الحكيم بمنزلة الصياد يصيد العباد من أفواه الشياطين، فالدنيا بحره، والحكمة شبكته، والناس صيده، فلو لم يصِدْ في عمره إلا واحداً لكان قد أتى خيراً كثيراً[3].

وفي حديث «الصحيح»: «لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدَاً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمُرِ النَّعَمِ»[4].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد»، وأبو نعيم عن شُمَيْطِ بن عَجْلاَنَ قال: إنَّ الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: إنك إن استنقذت هالكاً من هَلَكَتِهِ سميتُكَ جِهْبِـذاً[5].

---

(١) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٤١٧).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٣٨٩).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» للشعراني (ص: ١١٨).

(٤) رواه البخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (٢٤٠٦) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٥) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ١٧٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٣٠).

قال في «القاموس»: الجهبذ ـ بالكسر ـ: النقَّاد الخبير[1].

وروى ابن جهضم عن أبي حمزة البغدادي أنه قال: [من المتقارب]

كَــلامُ الْحَكِــيْمِ شِــفاءُ الْقُلُــوْبِ
طَوِيْــلُ الــسَّخاءِ غِيــاثُ الأُمَــمْ

بِنُطْــقِ الْحَكِــيْمِ يُــداوَى الــسَّقِيْمُ
وَصَــمْتُ الْحَكِــيْمِ وِعــاءُ الْحِكَــمْ

حَيــاةُ الْحَكِــيْمِ كَــضَوْءِ الــشُّمُوْسِ
وَمَــوْتُ الْحَكِــيْمِ بَعِيْــدُ الظُّلَــمْ

وروى الأستاذ أبو القاسم في «الرسالة» عن رويم رحمه الله قال: من حكم الحكيم أن يوسع على إخوانه في الأحكام ويضيق على نفسه؛ فإن التوسعة عليهم اتباع للعلم، والتضييق على نفسه من حكم الورع[2].

وعن سهل بن عبدالله التستري رحمه الله قال: لما خلق الله الدنيا جعل في الشبع المعصية والجهل، وجعل في الجوع العلم والحكمة[3].

وروى أبو نعيم عن منصور بن عمار رحمه الله قال: إنَّ الحكمة تنطق في قلوب العارفين بلسان التصديق، وفي قلوب الزاهدين بلسان

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٤٢٤) (مادة: جبذ).
(٢) رواه القشيري في «رسالته» (ص: ٥٥).
(٣) رواه القشيري في «رسالته» (ص: ١٧٨).

التفضل[1]، وفي قلوب العباد بلسان التوفيق، وفي قلوب المريدين بلسان التفكر[2]، وفي قلوب العلماء بلسان التذكير.

قال: ومن جَزِعَ من مصائب الدنيا تحولت مصيبته في دينه[3].

وروى ابن جهضم عن إبراهيم الخواص رحمه الله قال: إنَّ الحكمة تنزل من السماء فلا تسكن قلباً فيه أربعة أشياء؛ الرُّكون إلى الدنيا، وهمُّ غدٍ، وحب فضول الدنيا، وحسد أخ[4].

وعن أبي عبدالله بن الجلاء رحمه الله قال: إنَّ الله ينطق بالحكمة في كل زمان بما شاكل أعمال ذلك الزمان.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن محمد بن جحادة رحمه الله قال: قال لقمان: يأتي على الناس زمان لا تقرُّ فيه عين حكيم[5].

وروى أبو نعيم عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ عُلَمَاؤُهَا فِتْنَةٌ[6] وَحُكَمَاؤُهَا فِتْنَةٌ[7]، تَكْثُرُ الْمَسَاجِدُ وَتَقِلُّ[1] الْقُرَّاءُ حَتَّى لا يَجِدُوْنَ عَالِمَاً إِلا الرَّجُلَ

---

(١) في «حلية الأولياء»: «التفضيل» بدل «التفضل».

(٢) في «حلية الأولياء»: «التفكير» بدل «التفكر».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٢٧).

(٤) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٢٦).

(٥) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٠٤).

(٦) في «مسند الفردوس»: «ميتة» بدل «فتنة».

(٧) في «مسند الفردوس»: «ميتة» بدل «فتنة».

بَعْدَ الرَّجُلِ»(٢).

ولعل المراد بالحكماء في هذا الحديث من يتظاهرون بالنطق بالحكمة، أو الحكماء حقيقة، إلا أنهم قد تقتضي الحكمة أن يظهر منهم ما يُوجب الافتتان بهم لفساد الزمان كأن يروا منكراً فيسكتون عنه لعذر، فيحسبهم بعض من يراهم أنهم أقروه أو يدخلوا في شيء من الرُّخص لحكمة، فيغترَّ بهم من يراهم فيقتدي بهم ولم يعرف طريق القدوة، أو يُعاشر أحدهم بالمعروف من لا بد له من معاشرته، فيظن بعض من يراهم أنَّ ذلك تساهل في الدين أو تهاون في الأمر.

وقد روى الحاكم في «تاريخه»، وأبو الشيخ عن ابن المبارك معضلاً، [عن أبي فَاطِمَةَ الإِيادِيِّ] قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ بِحَكِيْمٍ مَنْ لَمْ يُعَاشِرْ بِالْمَعْرُوْفِ مَنْ لا يَجِدُ مِنْ مُعَاشَرَتِهِ بُدّاً حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَخْرَجاً»(٣).

---

(١) كلمة «وتقل» ليست في «مسند الفردوس»، ولا في «كنز العمال».

(٢) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨٦٨٣).

(٣) ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨١٠٤)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٥٢٤٣).

قال البيهقي في «الأربعون الصغرى» (ص: ١٦٨): هذا هو المحفوظ عن محمد بن الحنفية من قوله، وقد روي بإسناد ضعيف عن أبي فاطمة الأنماري عن النبي ﷺ.

وأخرجه أبو نعيم، والديلمي من قول محمد بن الحنفية رحمه الله تعالى[1].

وقال الشيخ عبد القادر بن حبيب الصفدي رحمه الله في «تائيته»:

[من البسيط]

إِنَّ الْحَكِيْمَ الَّذِيْ يُعْطِيْ لِكُلِّ مَقَا
مٍ مَا يَلِيْقُ بِهِ مِنْ غَيْرِ خَلْطَاتِ

وروى الحاكم في «المستدرك» وصححه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حَكِيْمَ إِلا ذُو تَجْرِبَةٍ، وَلا حَلِيْمَ إِلا ذُو عَثْرَةٍ»[2].

وهذا من حيث الغالب، وقد يمنُّ الله تعالى على عبدٍ بالنطق بالحكمة والعمل بها من غير تجربة، ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[مريم: ١٢]، والمراد بالحُكم الحكمة؟

وروى أبو نعيم، وابن مردويه، والديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[مريم: ١٢] قال: «أُعْطِيَ الفَهْمَ وَالعِبَادَةَ وَهُوَ ابنُ سَبْعِ سِنِيْنَ»[3].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٦٢)، وكذا رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٨٨٩).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٧٩٩). وكذا رواه الترمذي (٢٠٣٣) وحسنه.

(٣) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٧١٦٨). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٤٨٤).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» وغيره عن معمر بن راشد رحمه الله قال: بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى بن زكريا عليهما السلام: اذهب بنا نلعب، قال: ما للعب خُلقت[1]، فهو قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[مريم: ١٢][2].

وروى عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة[3] قال: جاء الغلمان ليحيى ابن زكريا فقالوا: اخرج بنا نلعب، فقال: ما للعب خُلِقْت، قال: فأنزل الله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[مريم: ١٢][4].

ورواه ابن عساكر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً[5].

وروى الحاكم في «تاريخه» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ الغِلْمَانُ لِيَحْيَى بنِ زَكَرِيَّا: اذْهَب بِنَا نلعَبْ، فَقَالَ يَحْيَى: أَلِلَّعِبِ خُلقْنَا؟ اذْهَبُوْا نُصَلِّي؛ فَهُوَ قَوْلُه تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]»[6].

وروى ابن أبي حاتم عنه موقوفاً، والبيهقي في «شعبه» مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَحْتَلِمَ فَهُوَ مِمَنْ أُوتِيَ

---

(١) في «الزهد»: «خلقنا» بدل «خلقت».

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٩٠).

(٣) في «تفسير عبد الرزاق» لا يوجد: «عن قتادة»، إنما أوقفه على معمر.

(٤) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (١/ ١٢٠).

(٥) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٤/ ١٨٣).

(٦) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٥) إلى الحاكم في «تاريخه».

الْحُكْمَ صَبِيًّا»[1].

وروى البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضمَّني النبيُّ ﷺ إلى صدره وقال: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ»[2].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن عبد الوهاب ابن غيث[3] المكي قال: قال لقمان لابنه: يا بُنَي! جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك؛ فإنَّ الله ليحيي [القلوب][4] بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء[5].

وروى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ لُقْمَانَ قَالَ لابْنِهِ: يَا بُنَي! عَلَيْكَ بِمُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ وَاسْتَمِعْ كَلامَ الْحُكَمَاءِ؛ فَإِنَّ اللهَ يُحْيِي الْقَلْبَ الْمَيِّتَ بِنُوْرِ الْحِكْمَةِ كَمَا يُحْيِي الأَرْضَ الْمَيْتَةَ بِوَابِلِ الْمَطَرِ[6].

وروى أبو نعيم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْحِكْمَةُ

---

(1) ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٩٤٩) مرفوعاً.

(2) رواه البخاري (٣٥٤٦).

(3) في «الزهد»: «عبيدالله بن عمر بن عبد الوهاب بن محمد المكي» بدل «عبد الوهاب بن غيث المكي».

(4) زيادة من «الزهد».

(5) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ١٠٧).

(6) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨١٠). وضعف السيوطي إسناده في «الدر المنثور» (٦/ ٥١٢).

تَزِيْدُ الشَّرِيْفَ شَرَفَاً، وَتَرْفَعُ العَبْدَ الْمَمْلُوْكَ حَتَّى تُجْلِسَهُ مَجَالِسَ الْمُلُوْكِ»[1].

ورواه آخرون من كلام لقمان.

وقال الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾[النحل: ١٢٥].

فكما أنَّ العبد ينبغي له أن يتلبس بالحكمة ينبغي له أن يدعو بها لأنها أحكم في اجتلاب النفوس إلى طاعة القدوس، وأبلغ في جذب الأرواح إلى جناب الفتاح، والدعاء إلى الله تعالى بالحكمة خلق من أخلاق الله تعالى.

وقد قالت الملائكة عليهم السلام: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[البقرة: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾[التين: ٨].

وقال تعالى حكايةً عن عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[المائدة: ١١٨].

وفي قرنه ـ سبحانه ـ بين العزيز والحكيم إشارة إلى أن الحكمة يعزُّ ذووها، أو من شأن الحكمة أن يكون صاحبها عزيزاً كما يُشير إليه ـ أيضاً ـ حديث أنس المذكور آنفاً.

وكما أنَّ إلقاء الحكمة خلق رباني فتلقيها وقبولها والاستماع إليها

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٧٣). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١١).

خلق نبوي، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[البقرة: ٣٤] وليس من كلام الله تعالى إلا حكيم، وسبق في الحديث «الكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ».

وكلما كان قلب المؤمن قابلاً لتلقي الحكمة كان أقرب لوراثة الحكمة النبوية، وكلما كانت القلوب أصفى كانت للحكم أصغى كما قال ذو النون المصري رحمه الله تعالى: إنَّ الطبيعة الطيبة التقية هي التي تكفيها من العظة رائحتها، ومن الحكمة إشارتها، فأما القلوب القاسية فإنَّها عن قبول الحكمة قاصية، كما أنَّ الأرض السبخة لا تحفظ الماء، ولا تنبت الكلأ.

كما قيل: [من البسيط]

إذا قَسا الْقَلْبُ لَمْ تَنْفَعْهُ مَوْعِظَةٌ

كَالأَرْضِ إِنْ سَبِخَتْ لَمْ يَنْفَعِ الْمَطَرُ[1]

وأقبح ممن يسمع الحكمة ولا يقبلها من يسمع كلام الحكيم فلا يحفظ عنه إلا شر ما يسمع منه، وقد مثله ﷺ بمثالٍ عجيب، فقال: «مَثَلُ الَّذِي يَجْلِسُ يَسْمَعُ الْحِكْمَةَ وَلا يُحَدِّثُ عَنْ صَاحِبِهِ إِلا شَرَّ مَا يَسْمَعُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى رَاعِياً فَقَالَ: يَا رَاعِي اجْزُرْ لِي بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِكَ، قَالَ: اذْهَبْ فَخُذْ بِأُذُنِ خَيْرِهَا شَاةً، فَذَهَبَ فَأَخَذَ بِأُذُنِ كَلْبِ الغَنَمِ». رواه الإمام أحمد، وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[2].

---

(١) البيت لابن عائشة كما في «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢/ ٨).

(٢) تقدم تخريجه.

وعلى من يعلِّم الحكمة أن لا يلقنها إلى غير أهلها كما روى الإمام أحمد في «الزهد» عن عكرمة قال: قال عيسى بن مريم للحواريين: يا معشر الحواريين! لا تُلْقُوا اللؤلؤ للخنزير فإنه لا يصنع به شيئاً، ولا تعطوا الحكمة من لا يُريدها فإنَّ الحكمة أحسن من اللؤلؤ، ومن لا يريدها شر من الخنزير[1].

وعلى من يعلِّمها ويمليها ومن يسمعها ويستمليها أن لا يقصدا غير وجه الله تعالى، ولا يتطلعا لغرض نفساني ولا غرض دنياوي.

وروى أبو نعيم عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[البقرة: ٤١] قال: لا تأخذ على ما علمت أجراً؛ فإنَّما أجر العلماء والحكماء على الله.

قال: وهم يجدونه مكتوباً عندهم: يا ابن آدم علم مجاناً كما عُلمت مجاناً[2].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن عمران الكوفي قال: قال عيسى بن مريم عليهما السلام للحواريين: لا تأخذوا من الناس على ما تعلمون إلا مثل ما أعطيتموني[3].

وروى الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٩٣).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٢٠).

(٣) ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٩٦).

«الْهَدِيَّةُ تُعْوِرُ عَيْنَ الْحَكِيْمِ»[1].

والمعنى أنها تعور عين بصيرته، فتبرز حكمته كاسفة.

وقد انتهى الكلام على الحكمة والتشبه بالحكماء، وقد علمت أنه داخل في التشبه بالأنبياء عليهم السلام.

وقد استغنينا بذلك عن عقد باب أو فصل للتشبه بالحكماء.

واعلم أن التشبه بالأنبياء والحكماء والصديقين والشهداء في هذا الزمان في غاية العزة والقلة لا يكاد يتفق أصلاً، وإن اتفق وقوعه في كل قرن أو قريب منه من أحد فإنه يكون غريباً.

وعلى كل حال فالخير في هذه الأمة لا ينقطع ببركة نبيها ﷺ وإن كثر الخبث، ولكن يتضاعف أجر التمسك بالدين في هذه الأحايين أضعافاً كثيرة.

وقد روى الترمذي، وابن ماجه، وغيرهما عن أبي أمية الشَّعباني قال: سألت أبا ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قلت: يا أبا ثعلبة! كيف تقول في هذه الآية: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[المائدة: ١٠٥]؟» قال: أما والله لقد سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحّاً مَطَاعاً، وَهَوَىً مُتَّبَعاً، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ العَوَامَّ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَبْرِ، الصَّبْرُ فِيْهِنَّ مِثْلُ القَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلعَامِلِ فِيْهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٩٦٩).

خَمْسِيْنَ رَجُلاً يَعْمَلُوْنَ مِثْلَ عَمَلِهِ»(١).

وزاد أبو داود في روايته: قيل: يا رسول الله! أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال: «بَلْ أَجْرُ خَمْسِيْنَ مِنْكُم»(٢).

وروى الخطيب من حديث سعيد بن زيد ـ وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ـ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وأقبل على أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

ورواه الحارث بن أبي أسامة عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأسامة بن زيد رضي الله عنهما: أنَّ النبي ﷺ قال: «أَقْرَبُ النَّاسِ مِنَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ طَالَ جُوْعُهُ وَعَطَشُهُ وَحُزْنُهُ فِي الدُّنْيَا، الأَخْفِيَاءُ الأَتْقِيَاءُ الَّذِيْنَ إِنْ شَهِدُوا لَمْ يُعْرَفُوْا، وَإِنْ غَابُوْا لَمْ يُفْتَقَدُوا، تَعْرِفُهُم بِقَاعُ الأَرْضِ، وَتَحُفُّ بِهِم مَلائِكَةُ السَّمَاءِ، نَعِمَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا، وَنَعِمُوا بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، افْتَرَشَ النَّاسُ الفُرُشَ وافْتَرَشُوْا الْجِباهَ وَالرُّكَبَ، ضَيَّعَ النَّاسُ صُنْعَ النَبِيِّيْنَ وَأَخْلاقَهُم وَحَفِظُوْا هم، تَبْكِي الأَرْضُ إِذَا فَقَدَتْهُم، وَيَسْخَطُ اللهُ عَلَى كُلِّ بَلْدَةٍ لَيْسَ فِيْهَا مِنْهُم أَحَدٌ، لَمْ يَتَكَالَبُوْا عَلَى الدُّنْيَا تَكَالُبَ الكِلابِ عَلَى الْجِيَفِ، أَكَلُوْا الفِلَقَ وَلَبِسُوْا الْخِرَقَ، شُعْثاً غُبْراً، يَرَاهُمُ النَّاسُ يَظُنُّوْنَ بِهِم دَاءً وَمَا بِهِم دَاء، يُقَالُ: قَدْ خُوْلِطُوْا وَذَهَبَتْ عُقُوْلُهُم، وَلَكِنْ نَظَرَ القَوْمُ بِقُلُوْبِهِم إِلَى أَمْرٍ أَذْهَب عَنْهُمُ الدُّنيا، فَهُم عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا يَمْشُوْن بِلا عُقُوْلٍ، عَقَلُوْا حَيْثُ ذَهَبَتْ عُقُوْلُ

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤).

(٢) رواه أبو داود (٤٣٤١).

النَّاسِ، لَهُمُ الشَّرَفُ فِي الآخِرَةِ، يَا أَسَامَةُ! إِذَا رَأَيْتَهُم فِي بَلْدَةٍ فَاعْلَم أَنَّهم أَمَانٌ لِتِلْكَ البَلْدَةِ، لا يُعَذِّبُ اللهُ تَعَالَى قَوْماً هُمْ فِيْهِم، عَسَى أَنْ تَنْجُو بِهِم، إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ وَبَطْنُكَ جَائِعٌ وَكَبِدُكَ ظَمْآنٌ فَإِنَّكَ تُدْرِكُ بِذَلِكَ شَرَفَ الْمَنَازِلِ، وَتَحُلُّ مَعَ النَّبِيِّيْنَ، وَتَفْرَحُ بِقُدُوْمِ رُوْحِكَ الْمَلائِكَةُ، وَيُصَلِّي عَلَيْكَ الْجَبَّارُ»[1].

وروى ابن أبي شيبة عن أُبي بن كعب ﷺ قال: عليكم بالسبيل والسنة؛ فإنه ليس عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشيته فمسته النار أبداً، وليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الله فاقشعرَّ جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها ريح، فتحاتَّت ورقها عنها إلا تحاتت خطاياه كما يتحاتُّ عن هذه الشجرة ورقها، وإن اقتصاداً في سنَّة وسبيل خيرٌ من اجتهاد في غير سنة وسبيل، فانظروا أعمالكم فإن كانت اقتصاداً واجتهاداً أن تكونوا على منهاج الأنبياء وسنتهم[2].

١ ـ فمنها: العلم وطلبه، والرحلة في طلبه والاستزادة منه.

قال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد: ٩].

---

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٣٤٧) عن سعيد بن زيد ﷺ. قال الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (ص: ٢٣٤): رواه الخطيب مطولاً عن سعيد بن زيد، وهو موضوع، وأكثر رجال إسناده لا يعرفون.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٥٢٦).

وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه: ١١٤].

وقال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[النساء: ١١٣].

وقال: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[البقرة: ٣١].

وقال في الخضر عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[الكهف: ٦٥].

وقال في داود عليه السلام: ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾[البقرة: ٢٥١].

وقال فيه وفي أبيه داود عليهما السلام: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[الأنبياء: ٧٩].

وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[النمل: ١٥ ـ ١٦].

وقال تعالى حكاية عن موسى والخضر عليهما السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[الكهف: ٦٦].

وقال تعالى حكايةً عن يوسف عليه السلام: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾[يوسف: ٣٧].

وجميع الأنبياء عليهم السلام علماء بأحكام الله تعالى، عارفون بصفاته تعالى، وعنهم يُورث العلم ويؤخذ.

وفي الحديث المتقدم: «إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِيْنَاراً وَلا دِرْهَماً، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ»(١).

---

(١) تقدم تخريجه.

وقال ابن عباس ﵄: إنَّ سـليمان عليه السـلام خُيِّر بين العلم والمال والملك، فاختار العلم، فأعطي المال والملك[1].

وروى الطبراني في «الأوسط» من حديثه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ جَاءَهُ أَجَلُهُ وَهُوَ يَطْلُبُ العِلْمَ لَقِيَ اللهَ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّيْنَ إِلا دَرَجَةُ النُّبُوَّةِ»[2].

وروى الدينوري في «المجالسة» عن معن بن بجير رحمه الله قـال: أوحـى الله إلى داود عليه السـلام: «يا داود! اتخذ نعلين من حديـد وعصا من حـديـد، واطلب العلم حتى تنخرق نعلاك وتنكسر عصاك»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ دَرَجَةِ النُّبُوَةِ أَهْلُ العِلْمِ وَأَهْلُ الْجِهَادِ، أَمَّا أَهْلُ العِلْمِ فَدَلُّوا النَّاسَ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَأَمَّا أَهْلُ الْجِهَادِ فَجَاهَدُوا بِأَسْيَافِهِم عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُل». رواه

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٩٧٥)، وذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٤) عن ابن المبارك. قال الزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار» (٣/ ٤٢٨): ذكره ابن عبد البر في كتاب العلم هكذا من غير سند وذكره أبو شجاع الديلمي في كتاب الفردوس عن ابن عباس مرفوعاً على اصطلاحه في حذف اسمه عليه السلام.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٤٥٤).

(٣) تقدم تخريجه.

أبو نعيم في «فضل العالم العفيف» عن ابن عباس رضي الله عنهما[1].

وأورده أبو طالب المكي في كتاب «القوت» من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه[2].

ومن لطائف النكت: ما رواه الخطيب عن أبي صالح بن محمد البغدادي قال: كان ببغداد شاعران أحدهما صاحب حديث والآخر معتزلي، فاجتاز بي المعتزلي يوماً فقال لي: يا بني! كم تكتب يذهب بصرك، ويحدودب ظهرك، ويزداد فقرك؟ ثم أخذ كتابي وكتب عليه:

[من مجزوء الكامل المرفل]

إِنَّ الْقِـــراءَةَ وَالتَّفَــــقْـ ـــقُـهَ وَالتَّـشاغُلَ بِــالْعُلُوْمِ
أَصْــلُ الْمَذَلَّـــةِ وَالإِضــا قَـــةِ وَالْمَهانَـــةِ وَالْهُمُـــوْمِ

قال: ثم ذهب وجاء الآخر، فقرأ هذين البيتين، فقال: كذب عدو نفسه، بل يرتفع ذكرك، وينتشر علمك، ويبقى اسمك مع اسم رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة، ثم كتب هذين البيتين: [من مجزوء الكامل المرفل]

إِنَّ التَّـــشاغُلَ بِالـــدَّفا تِـــرِ وَالْكِتابَـــةِ وَالدِّراسَــــة
أَصْـــلُ التَّفَقُّـــهِ وَالتَّـــزَهْ هُــدِ وَالرِّئاسَــةِ وَالــسِّياسَة[3]

---

(1) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٢): رواه أبو نعيم في «فضل العالم العفيف» عن ابن عباس رضي الله عنهما، بإسناد ضعيف.

(2) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (١/ ٢٤١).

(3) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٩/ ٣٢٣).

٢ ـ ومنها: تعليم العلم وإفادته، وإرشاد الناس إلى الخير.

روى الدينوري وأبو نعيم عن ابن مسعود ﷺ قال: إنَّ معاذاً كان أمة قانتاً، فقال رجلٌ: يا أبا عبد الرحمن ما الأمة؟ قال: الذي يعلم الناس الخير، فقال: وما القانت؟ قال: الذي يطيع الله.

ثم قال ابن مسعود للرجل: إنا كنا نشبِّهه بإبراهيم عليه السلام[١].

ورواه أبو نعيم عن فروة بن نوفل الأشجعي قال: قال ابن مسعود ﷺ: إنَّ معاذ بن جبل ﷺ كان أمةً قانتاً لله حنيفاً، فقيل: إنَّ إبراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً، فقال: هل تدري ما الأمة وما القانت؟ فقلت: الله أعلم، قال: الأمة الذي يُعلم الخير، والقانت المطيع لله ولرسوله، وكان معاذ بن جبل يُعلم الناس الخير، وكان مطيعاً لله ولرسوله[٢].

وروى الإمام أحمد في «الزهد»، والبيهقي عن عبد العزيز بن ظبيان رحمه الله قال: قال المسيح عليه السلام: من تعلَّم وعمل وعلَّم فذاك يُدعى عظيماً في ملكوت السماء[٣].

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٩٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٣٠).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٣٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٩٩).

٣ ـ ومنها: النطق بالحكمة.

قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[صٓ: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[مريم: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾[آل عمران: ٨١].

اللام في قوله: «لما آتيتكم» توطئة للقسم؛ لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف كأنه استحلفهم بما آتاهم من الكتاب والحكمة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وينصروه إن بُعِثَ وهم أحياء.

ففي الإقسام بالحكمة على هذا الأمر العظيم تفخيم لأمر الحكمة، وجميع الأنبياء ينطقون بالحكمة، ولم يكن لقمان نبياً ولكن كان حكيماً، فأثنى الله عليه باسمه في القرآن العظيم كما أثنى على الأنبياء عليهم السلام بأسمائهم، ولقد قال: ألا إنَّ يد الله على أفواه الحكماء، لا يتكلم أحدهم إلا ما هيَّأ الله له. رواه الإمام أحمد في «الزهد» عن عبدالله بن زيد قال: قال لقمان؛ فذكره[1].

وقد أشبعنا الكلام في الحكمة في صدر هذا الباب.

٤ ـ ومنها: النصيحة.

قال الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٥١٦).

وعن هود عليه السلام: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[الأعراف: ٦٨].

وعن صالح وشعيب عليهما السلام: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾[الأعراف: ٧٩] و[الأعراف: ٩٣].

وفي الحديث الصحيح: «الدِّيْنُ النَّصِيْحَة»(١)، وهي كلمة جامعة لجملة إرادة الخير.

وروى عبدالله بن المبارك، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» عن أبي أمامة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «أَحَبُّ مَا يَعْبُدُنِي بِهِ عَبْدِي النُّصْحُ لِي»(٢).

وروى أبو الحسن بن جهضم عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله: أنه ساح في بداية أمره، فلقيه [رجل] حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فقال له: يا غلام! من أين وإلى أين؟ قال إبراهيم: من الدنيا إلى الآخرة، قال له: يا غلام أنت جائع؟ قال: نعم، فقال لي الشيخ: فصلى ركعتين خفيفتين وسلم، فإذا عن يمينه طعام وعن شماله ماء، قال: فقال: كُلْ، فأكلت بقدر شبعي، وشربت بقدر رِيي، فقال لي الشيخ: اعقل وافهم، لا تحزن ولا تستعجل؛ فإنَّ العجلة من الشيطان، وإياك والتمرد على الله تعالى؛ فإنَّ العبد إذا تمرَّد على الله

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٩٦)، وكذا رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٨٧): فيه عبيدالله بن زحر عن علي بن يزيد، وكلاهما ضعيف.

أورث الله قلبه الظلمة والضلالة مع حرمان الرزق، ولا يبالي الله في أي وادٍ هلك، يا غلام! إنَّ الله تعالى إذا أراد بعبدٍ خيراً جعل له في قلبه سراجاً يفرق به بين الحق والباطل والناس فيهما متشابهون، يا غلام! إني معلمك اسم الله الأكبر ـ أو قال: الأعظم ـ، فإذا أنت جُعْتَ فادع الله حتى يُشبعك، وإذا عطشت فادع الله حتى يرويك، وإذا جالست الأخيار فكن لهم أرضاً يطؤونك؛ فإن الله يغضب لغضبهم ويرضى لرضاهم، يا غلام! خذ كذا حتى آخذ كذا، قال إبراهيم: فلم أبرح، فقال الشيخ: اللهم احجبني عنه واحجبه عني، فلم أدرِ أين ذهب، فأخذت في طريقي ذلك، وذكرت الاسم الذي علمني، فلقيني رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب، فأخذ بحجزتي وقال: حاجتك ومن لقيت في سفرك هذا؟ قلت: شيخاً من صفته كذا وكذا، وعلمني كذا وكذا، فبكى، فقلت: أقسمت عليك بالله مَنْ ذاك الشيخ؟ فقال: ذاك إلياس عليه السلام أرسله الله إليك ليعلمك أمر دينك، فقلت له: فأنت يرحمك الله مَنْ أنت؟ قال: أنا الخضر[1].

وهذه الحكاية من لطائف نصائح الأنبياء عليهم السلام، وفيها إشارة إلى حياة إلياس والخضر[2] عليهما السلام.

---

(١) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٢٢٨).

(٢) قال الحافظ ابن حجر في ختام «الزهر النضر في أخبار الخضر» (ص: ١٦٢): والذي تميل إليه النفس، من حيث الأدلة القوية خلاف ما يعتقده العوام، من استمرار حياته، ولكن ربما عرضت شبهة من جهة كثرة الناقلين للأخبار الدالة على استمراره، فيقال: هب أن أسانيدها واهية، =

والذي عليه المحققون أنَّ أربعة من الأنبياء أحياء إلى قيام الساعة؛ اثنان في السماء وهما إدريس وعيسى عليهما السلام، واثنان في الأرض وهما إلياس والخضر عليهما السلام[1].

وقد روى أبو حفص بن شاهين عن خصيف رحمه الله قال: أربعة من الأنبياء أحياء؛ اثنان في السماء: عيسى وإدريس، واثنان في الأرض: الخضر وإلياس، فأما الخضر فإنه في البحر، وأما صاحبه فإنَّه في البر[2].

= إذ كل طريق منها لا يسلم من سبب يقتضي تضعيفها، فماذا يصنع في المجموع؟ فإنه على هذه الصورة قد يلتحق بالتواتر المعنوي الذي مثَّلوا له بجود حاتم.

فمن هنا مع احتمال التأويل في أدلة القائلين بعدم بقائه، كآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾[الأنبياء: ٣٤] وكحديث: «رأس مئة سنة». وغير ذلك مما تقدم بيانه.

وأقوى الأدلة على عدم بقائه، عدم مجيئه إلى رسول الله ﷺ.

وانفراده بالتعمير، من بين أهل الأعصار المتقدمة بغير دليل شرعي.

والذي لا يتوقف فيه الجزم بنبوته، ولو ثبت أنه ملك من الملائكة لارتفع الإشكال، كما تقدم، والله أعلم.

(١) قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٤٢): روى أبو بكر النقاش: أن محمد بن إسماعيل البخاري سئل عن الخضر وإلياس هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون هذا، وقد قال النبي ﷺ: «لا يبقى على رأس مئة سنة ممن هو على ظهر الأرض أحد».

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٢٩٣): رواه ابن شاهين بسند ضعيف، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٤٣٢).

٥ ـ **ومنها ـ وهو من أخص أعمالهم وأغلب أحوالهم ـ: الدعاء إلى الله والإرشاد إليه.**

قال الله تعالى حكايةً عن نوح عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾[نوح: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾[فصلت: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾[يوسف: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾[الأحزاب: ٤٦]. والآيات في ذلك كثيرة.

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن العوام بن حوشب رحمه الله قال: ما أشبه الحسن ـ يعني: البصري ـ إلا بنبي أقام في قومه ثلاثين عاماً يدعوهم إلى الله عَجَلَّ[1].

٦ ـ **ومنها: التوحيد، والإسلام، والإيمان، والإحسان.**

وهذا هو الدين الواحد الذي أجمع عليه الأنبياء عليهم السلام، وهو المشار إليه في قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «إِنَّا نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ أَوْلادُ عَلاَّت، أُمَّهَاتُهُم شَتَّى وَدِيْنُهُم وَاحِدٌ»[2]؛ يعني: التوحيد والإيمان.

---

(١) انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٦/ ١٠٥)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤/ ٥٧٢).

(٢) رواه البخاري (٣٢٥٨)، ومسلم (٢٣٦٥) واللفظ له، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وروى الترمذي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: أنه قال: «خَيْرُ الدُّعَاءِ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّوْنَ قَبْلِي: لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ»(١).

وقال الله تعالى في إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾[آل عمران: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[البقرة: ١٣٠ ـ ١٣١].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾[البقرة: ٢٨٥].

وروى الدينوري وأبو نعيم عن سفيان الثوري رحمه الله قال: لما جاء البشير إلى يعقوب عليه السلام قال: على أي دينٍ تركت يوسف عليه السلام؟ قال: على الإسلام، فقال: الآن تمت النعمة(٢).

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٨٥) وقال: غريب من هذا الوجه، وحماد بن حميد ليس بالقوي عند أهل الحديث.

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢١٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٦٧).

٧ ـ ومنها: **شهود الأفعال من الله تعالى على وجه الحكمة.**

روى الدينوري عن أبي سليمان الداراني رحمه الله قال: بينما عيسى عليه السلام يمشي في يومٍ صائف وقد مسَّه حرُّ الشمس والعطش، فجلس في ظل خيمة، فخرج إليه صاحب الخيمة فقال: يا عبدُ! قم من ظلنا، فقام عيسى فجلس في الشمس، وقال: ليس أنت الذي أقمتني، إنما أقامني الذي لم يُرد أن أُصيب من الدنيا شيئاً(١).

وروى ابن أبي حاتم، وأبو نعيم، وابن عساكر عن يزيد بن ميسرة رحمه الله قال: لما ابتلى الله تعالى أيوب عليه السلام بذهاب المال والأهل والولد فلم يبقَ له شيء أحسنَ الذكرَ والحمدَ لله رب العالمين، ثم قال: أحمدك رب الذي أحسنت إلي، قد أعطيتني المال والولد فلم يبقَ من قلبي، شعبة إلا قد دخلها ذلك، فأخذت ذلك كله مني وفرغت قلبي، فليس يحوله بيني وبينك شيء، لو يعلم عدوي إبليس الذي صنعت إليَّ حَسَدني، فلقي إبليس من هذا شيئاً منكراً(٢).

٨ ـ ومنها: **القيام بالحقوق وتأدية الأمانات.**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾[الأحزاب: ٧٢]؛ يعني: آدم

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٧٧).

(٢) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٣٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ٦٢).

عليه السلام كما قال ابن عباس، وأبو العالية، وأبو حازم، وابن جريج، ومجاهد، وقتادة، وعامة المفسرين مع تفسيرهم الأمانة بالدين وتأدية الفرائض[1].

وروى إسحاق الختلي، ومن طريقه الأصفهاني في «الترغيب» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَدَاءُ الْحُقُوْقِ وَحِفْظُ الأَمَانَاتِ دِيْنِي وَدِيْنُ النَّبِيِّيْنَ مِنْ قَبْلِي»، الحديث[2].

* **تَنْبِيْهٌ:**

الأنبياء عليهم السلام معصومون لا يجوز في حقهم منع الحقوق ولا الخيانة أصلاً، بل يحرم عليهم خائنة الأعين زيادةً في إكرامهم، ومبالغة في تحققهم بالعدل والإنصاف.

وقد روى أبو داود، والنسائي، وغيرهما، وصححه الحاكم ـ قال ابن حجر: وإسناده صالح ـ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حديثاً فيه قصة الذين أمر رسول الله ﷺ بقتلهم يوم فتح مكة، وأن منهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وأنَّ عثمان رضي الله عنه استأمن له النبي ﷺ فأبى أن يبايعه ثلاثاً ثم بايعه، ثم قال لأصحابه: «أَمَا كَانَ فِيْكُم رَجُلٌ رَشِيْدٌ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٤ ـ ٥٧)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٦/ ٤٢٧ ـ ٤٢٩).

(٢) ورواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٤٢٣). قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٥/ ٤٥٦): موضوع.

يَقوْمُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدَي عَنْهُ فَيَقْتُلَهُ»، قالوا: وما يُدرينا ما في نفسك يا رسول الله، هلاَّ أومأتَ إلينا بعينك، قال: «إِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِنَبِـيٍّ أَنْ يَكُوْنَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ»[1].

وفي حديث آخر أخرجه أبو داود، والترمذي عن أنس ﷺ في قصة رجل من الكفار كان نذر بعض الصحابة أن يضرب عنقه، ثم جاء الرجل تائباً، فأمسك النبي ﷺ لا يبايعه، وتوقف الذي كان نذر عن قتله، فلما رأى رسول الله ﷺ أنه لا يفعل شيئاً بايعه، فقال الرجل: نذري؟ فقال: «إِنِّي لَمْ أُمْسِكْ عَنْهُ مِنْذُ اليَوْم إِلا لِتُوْفِي بِنَذْرِكَ»، فقال: يا رسول الله! ألا أومضت إلي؟ فقال: «إِنَّهُ لَيَسَ لِنَبِـيٍّ أَنْ يُومِضَ»[2].

وفي حديث أخرجه ابن سعد عن سعيد بن المسيب ـ مرسلاً ـ في قصة ابن أبي سرح وتوقف النبي ﷺ عن مبايعته ليقتله أنصاري كان نذر أن يقتله، ثم قال رسول الله ﷺ للأنصاري: «فَهَلا وَفَّيْتَ بِنَذْرِكَ»، قال: يا رسول الله! انتظرتك فلم تُومض لي، فقال: «الإِيْمَاءُ خِيَانَةٌ، وَلَيْسَ لِنَبِـيٍّ أَنْ يُوْمِىءَ»[3].

يقال: أومض الرجل: أشار إشارةً خفية كما في «القاموس»[4].

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٥٩)، والنسائي (٤٠٦٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤٣٦٠).

(٢) رواه أبو داود (٣١٩٤) واللفظ له، وروى الترمذي (١٠٣٤) أصل الحديث مختصراً.

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٤١).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٨٤٧) (مادة: ومض).

٩ ـ ومنها: القضاء بالحق.

قال الله تعالى في داود عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[ص: ٢٠]؛ أي: علم القضاء؛ قاله السُّدِّي، وغيره.

وقال قتادة: البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه. رواهما ابن جرير(١).

وقال تعالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[ص: ٢٦].

وقال: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾[الأنبياء: ٧٨].

وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[المائدة: ٤٤].

وإنما يحصل التشبه في ذلك بالأنبياء عليهم السلام بالعدل والحكم بالحق عن علم، والتجنب عن الجور والميل إلى أحد المتخاصمين مع كف النفس عن أموالهما، وما ينجر إليه من قبل أحد منهما من هدية أو مساعدة في أمر، أو إعارة جاه، أو مزيد إكرام، ومع عدم الخوف والخشية من أحدهما أو ممن يتجوه به أحدهما أو ينتسب إليه، ولا بد للقاضي من قطع طمعه عن الدنيا في قضائه بالكلية مع ملازمة الآداب

---

(١) رواهما الطبري في «التفسير» (٢٣/ ١٣٩ ـ ١٤٠). ولفظ قتادة: وفصل الخطاب: البينة على الطالب واليمين على المطلوب.

والحذر مما يحذر.

وهذا في زماننا هذا ضالة لا توجد، ويكفيك أن ابن عمر رضي الله عنه قد امتنع عن تولية القضاء، والعازم عليه فيه عثمان بن عفان رضي الله عنه، والمقضي بينهم الصدر الأول والسلف الصالح لثقل أعباء القضاء كما سيأتي إن شاء الله تعالى في التشبه بأهل الكتاب.

وقد روى أبو داود، والترمذي وحسنه، وابن ماجه، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ وُلِّيَ القَضَاءَ أَوْ جُعِلَ قَاضِيَاً بَيْنَ النَّاسِ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّيْنٍ»[1].

قال المنذري: ومعنى قوله: «فقد ذبح بغير سكين»: أن الذبح بالسكين يحصل به راحة الذبيحة بتعجيل إزهاق روحها، فإذا ذُبحت بغير سكين كان فيه تعذيب لها.

وقيل: إن الذبح لما كان في ظاهر العُرف وغالب العادة بالسكين دلَّ عدول رسول الله ﷺ عن ظاهر العُرف والعادة إلى غير ذلك ليعلم أنَّ مراده ﷺ بهذا القول ما يخاف عليه من هلاك دينه دون هلاك بدنه؛ ذكره الخطابي[2].

وقلت: وظهر لي في قوله ﷺ: «مَنْ وُلِّي القَضَاءَ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّيْنٍ» أنَّه مذبوح بالألسنة وإن عدل، وجرح اللسان كجرح اليد؛ فإنَّ

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٧١)، والترمذي (١٣٢٥) وحسنه، وابن ماجه (٢٣٠٨)، والحاكم في «المستدرك» (٧٠١٨).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» (٣/ ١١١).

قوله: «من ولي القضاء» شامل لمن وليه فعدل، ومن وليه فلم يعدل، فأما ذبح القاضي غير العادل فظاهر؛ لأن الناس يطلقون ألسنتهم فيه، ومن ورائه عذاب الله تعالى وهو أهلٌ لذلك لجوره وظلمه، وأما العادل فإنه مذبوح بلسان المحكوم عليه، لأن المنقادين إلى الحق والرجاعين إليه قليل، فقلَّ من يحكم عليه قاضٍ إلا قال: جار عليَّ القاضي ووقع فيه، فهذا وجه ذبحه، على أن العدل الآن مع العلم في غاية العِزَّة.

ومما اتفق في زماننا: أن رجلاً دخل جامع دمشق، فذبح نفسه بسكين عظيمة كانت في يده ووقع ميتاً، فوقف الناس عليه ينظرون إليه وفيهم قاضٍ كان أول ما ولي القضاء، فجعل يتعجب من الرجل كيف ذبح نفسه، فقال له بعض الظرفاء: يا مولانا! ليس العجب من هذا فقد ذبح نفسه بسكين، إنما العجب ممن ذبح نفسه بغير سكين.

١٠ ـ ومن أعمال الأنبياء عليهم السلام: مصابرة العبادة.

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾[ص: ٤٥].

قال ابن عباس: الأيدي: القوة في العبادة، والأبصار: الفقه في الدين. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم(١).

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٣/ ١٧٠)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٢٤٦). وكذا رواه البخاري (٤٥٢٩).

وروى عبدالله ابن الامام أحمد في «زوائد الزهد» عن كعب قال: كان لإبراهيم عليه السلام بيت يتعبَّد فيه[1].

وقال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾ [سبأ: ١٣].

قال ثابت البناني رحمه الله تعالى: بلغنا أنَّ داود عليه السلام جزَّأ الصلاة على بيُوته على نسائه وولده، فلم يكن يأتي ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان قائم من آل داود يُصلي، فعمتهم هذه الآية: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[سبأ: ١٣][2].

وقال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾[طه: ١٣٢].

﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾[الشرح: ٧ ـ ٨].

وقال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[طه: ١٤].

وروى ابن أبي حاتم والديلمي عن عائشة رضي الله عنها قالت: ظلَّ رسول الله ﷺ صائماً ثم طوى[3]، ثم ظلَّ صائماً ثم طوى، ثم ظل صائماً، قال: «يَا عَائِشَةُ! إِنَّ الدُّنْيَا لا تَنْبَغِي لِمُحَمَّدٍ وَلا لآلِ مُحَمَّدٍ، يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللهَ لَمْ يَرْضَ مِنْ أُولِي العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ إِلا بِالصَّبْرِ عَلَى

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٨٩).

(٣) في «تفسير ابن أبي حاتم» «ثم طواه».

مَكَرُوْهِهَا، والصَّبْرِ عَنْ مَحْبُوْبِـهَا، ثُمَّ لَمْ يَرْضَ مِنِّي إِلا أَنْ يُكَلِّفَنِي مَا كَلَّفَهُم، فَقَالَ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[الأحقاف: ٣٥]، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَصْبِـرَنَّ كَمَا صَبَرُوا جُهْدِي، وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ»[1].

١١ ـ ومنها: إقامة الصلاة، والمحافظة عليها وعدم التهاون بها.

قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[طه: ١٤].

وقال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩]؛ يعني: زكريا عليه السلام.

روى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد في «الزهد»، وأبو نعيم عن كعب رحمه الله قال: إنَّ إبراهيم عليه السلام قال: يا رب! إنه ليحزنني أني لا أرى أحداً في الأرض يعبدك غيري، فأنزل الله ﷻ إليه ملائكةً يصلون معه[2].

وروى أبو نعيم عن وهب رحمه الله قال: قرأت في بعض الكتب التي نزلت من السماء: أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه الصلاة والسلام: «أتدري لم اتخذتك خليلاً؟» قال: «لا يا رب»، قال: «لذل مقامك بين يدي في الصلاة»[3].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن شهر بن حوشب رحمه الله

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٢٩٧)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٨٦٢٨) مختصراً.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٥٩).

قال: خرج داود عليه السلام إلى البحر في ساعة يصلي فيها، فنادته ضفدعة فقالت: يا داود! إنك حدَّثت نفسك أنك قدست في ساعة ليس يذكر الله فيها غيرك، وإني في سبعين ألف ضفدع كلها قائمة على رجل تُسبح الله تعالى وتقدسه[1].

*** تَنْبِيهٌ:**

روى ابن أبي شيبة عن أبي العالية رحمه الله: أنه سُئِلَ: بأي شيءٍ كان الأنبياء عليهم السلام يستفتحون الصلاة؟ قال: بالتوحيد والتسبيح والتهليل[2].

وروى عبد الرزاق عن أبان قال: لم يُعْطَ التكبير أحد إلا هذه الأمة[3].

وروى ابن مردويه عن أبي هريرة ﷺ قال: قلنا: يا رسول الله! كيف نقول إذا دخلنا الصلاة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[المدثر: ٣]، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نفتتح الصلاة بالتكبير[4].

*** فَائِدَةٌ:**

الصلوات الخمس على هذا الأسلوب الذي كلفت به هذه الأمة خاصة بها، وصلاة العشاء على الخصوص خاصة بهذه الأمة؛ بدليل

---

(١) ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٧٤٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٤٦٣).

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ٢٩٦).

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٢٥).

ما رواه الطبراني في «معاجمه الثلاثة» عن المنكدر ﷺ: أنَّ النبي ﷺ خرج ذات ليلة وقد أخر صلاة العشاء حتى ذهب من الليل هنيهة أو ساعة، والناس ينتظرون في المسجد، فقال: «ما تَنْتَظِرُوْنَ؟» قالوا: ننتظر الصلاة، قال: «أَما إِنَّكُمْ لَنْ تَزالُوْا فِيْ صَلاةٍ ما انْتَظَرْتُمُوْها»، ثم قال: «أَما إِنَّها صَلاةٌ لَمْ يُصَلِّها أَحَدٌ مِمَّنْ كانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ». وذكر الحديث(١).

وأول من صلَّى آدم عليه السلام، ثم أول من أنزل عليه الأمر بالصلاة ذات الأفعال وبالخشوع فيها والمداومة عليها، كما سيأتي في القسم الثاني من الكتاب.

وروى ابن أبي حاتم عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[مريم: ١١]؛ قال: البُكرة صلاة الفجر، وعشياً صلاة العصر(٢).

وقد تواردت الآثار بأنَّ الأمم ـ أو أكثرهم ـ كانوا يصلون أول النهار وآخره، إلا أنها ليست مشتملة على جميع ما اشتملت عليه صلاة هذه الأمة بجميع أركانها المعروفة، وشروطها المحفوظة، وأبعاضها المذكورة، وهيئاتها المعروفة.

*** فائِدَةٌ أُخْرى:**

روى عبد الرزاق عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ قال:

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٣٦٠)، و«المعجم الأوسط» (٧٤٦٧)، و«المعجم الصغير» (٩٦٧).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٦٦٤).

خرجت في عين[1] آدم شأفةٌ ـ يعني: بثرة ـ، فصلَّى صلاة فانحدرت إلى صدره، ثم صلى صلاةً فانحدرت إلى الحقو، ثم صلى صلاةً فانحدرت إلى الكف، ثم صلى صلاةً فانحدرت إلى الإبهام، ثم صلى صلاة فذهبت[2].

وروى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهد» عن عبدالله بن عمرو ـ أيضاً ـ قال: إن آدم عليه السلام خرجت به شأفة في إبهام رجله، ثم ارتفعت إلى أصل قدميه، ثم ارتفعت إلى ركبتيه، ثم ارتفعت إلى حقويه، ثم ارتفعت إلى أصل عنقه، فقام فصلى فنزلَتْ إلى منكبيه، ثم صلى فنزلت إلى حقويه، ثم صلَّى فنزلت إلى ركبتيه، ثم صلى فنزلت إلى قدميه، ثم صلَّى فذهبت[3].

قال في «القاموس»: الشأفة: قرحة تخرج في أصل القدم، فتُكوى فتذهب، وإذا قُطعت مات صاحبها[4].

وعليه: فتكون الشأفة في العين مستعارة من الشأفة التي في القدم، سُميت باسمها لتشابههما.

والمراد بها البثرة كما فسرها الراوي في أثر عبد الرزاق، ويجمع

---

(١) في «المصنف»: «عنق».

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٤٦).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٣٢٠).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٠٦٣) (مادة: شأف).

بينه[1] وبين أثر ابن المبارك بأنهما واقعتان اتفقنا لآدم فحدَّث عبدالله بن عمرو تارة بقصة البثرة التي خرجت في عين آدم، وتارة بقصة الشأفة التي خرجت لـه في إبهـام رجـله، وفي الواقعتين استشفى آدم عليه السلام بالصلاة.

وفيه: أنَّ الصلاة تدفع البلاء، وتشفي من السَّقم، وتُبرىء العاهات، وأنَّ التداوي بالصلاة عادة نبوية.

١٢ ـ ومنها: الفزع عند الأمور المهمة إلى الصلاة، وطلب الرزق والحاجة بها.

روى الإمام أحمد في «الزهد»، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن ثابت ـ هو البناني ـ مرسلاً قال: كان النبي ﷺ إذا أصاب أهله خصاصة نادى أهله بالصلاة: «صَلُّوْا صَلُّوْا»[2].

قال ثابت: وكانت الأنبياء عليهم السلام إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة[3].

قلت: ومما يدلُّ على ما ذكره ثابت ما ذكرناه آنفاً عن آدم في

---

(١) قلت: إذا ثبت أن ما في «مصنف عبد الرزاق»: «عنق» وليس «عين» فتكون الحادثة واحدة، رواها عبد الرزاق مختصرة، ورواها ابن المبارك بتمامها، فلا إشكال حينئذ بين الروايتين، والله أعلم.

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣١٨٥).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣١٨٥).

الاستشفاء بالصلاة من الشأفة.

وروى سعيد بن منصور، والطبراني في «الأوسط»، وأبو نعيم، والبيهقي في «الشعب» بسند صحيح، عن عبدالله بن سلام ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا نزلت بأهله شدة أو ضيق أمرهم بالصلاة، وتلا: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[طه: ١٣٢][1].

قلت: لعل الحكمة في ذلك أنَّ الصلاة معراج المؤمنين إلى الله تعالى، وهي طريقهم للدخول عليه ﷻ، والقُرب منه كما في الحديث: «الصَّلاةُ قُرْبانٌ»[2]، بل قال تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾[العلق: ١٩]، فالصلاة وسيلة العبد إلى الله تعالى بلا واسطة، لا يحتاج معها إلى ترجمان ولا إلى شفيع.

وإنما قال: ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[طه: ١٣٢]؛ لأنَّ من طلب حاجة من ملك احتاج إلى الصبر لا لضيق خزانة الملك، ولا لعدم نفوذ أمره فيها، لكن لمهابة الملك ورعاية الأدب، فكيف بملك الملوك لا هيبة ولا جلالة ولا عظمة إلا له ﷻ، والعبد أحرى بسلوك الأدب معه - سبحانه - منه مع غيره، ومن ثم قال تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ﴾[البقرة: ١٥٣].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٨٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٧٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣١٨٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٩٩)، وابن حبان في «صحيحه» (١٧٢٣) عن جابر بن عبدالله ﷺ.

١٣ ـ ومنها: الطهارة للصلاة.

بل مطلق الطهارة والنظافة خلق نبوي، والأنبياء أولى بها من غيرهم، وكان الأولى تقديم الطهارة على ذكر الصلاة لأنها مقدمتها وشرطها إلا أنه كذلك اتفق الإملاء.

وفي «الصحيح»: حديث اغتسال موسى عليه السلام مستتراً[١].

وروى أبو نعيم عن سباع الموصلي رحمه الله تعالى قال: قال داود عليه السلام: إلهي! أمرتني أن أُطهر لكَ يديَّ ورجليَّ بالماء لصلاتي، فبما ذا أُطهر لك قلبي؟ قال: فأوحى الله إليه: «بالغموم والهموم»[٢].

١٤ ـ ومنها: وضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة.

روى ابن أبي شيبة عن أبي الدرداء ﷺ قال: من أخلاق النبيين وضع اليمين على الشمال في الصلاة[٣].

وعن الحسن رحمه الله مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «كَأَنِّيْ أَنْظُرُ إِلَى أَحْبَارِ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ وَاضِعِيْ أَيْمَانِهِمْ عَلَىْ شَمَائِلِهِمْ فِيْ الصَّلاَةِ»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٢٧٤) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٩٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٩٣٦).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٩٣٧).

١٥ ـ ومنها: صلاة الضحى.

روى الديلمي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كَانَتْ صَلاَةُ الضُّحَىْ أَكْثَرَ صَلاَةِ دَاوُدَ».

وروى الطبراني عن ابن عباس ﷺ قال: كنت أمرُّ بهذه الآية ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾[ص: ١٨] فما أدري ما هي حتى حدثتني أم هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها: أنَّ النبي ﷺ دخل عليها يوم الفتح، فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلَّى الضحى، ثم قال: «يَا أُمَّ هَانِىء! هَذِهِ صَلاَةُ الإِشْرَاقِ»[١].

١٦ ـ ومنها: الصلاة عند زوال الشمس.

روى البزار عن ثوبان ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ كان يحب أن يُصلي بعد نصف النهار، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله! إني أراك تحب الصلاة هذه الساعة؟ قال: «تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَنْظُرُ اللهُ تَعَالَىْ بِالرَّحْمَةِ إِلَىْ خَلْقِهِ، وَهِيَ صَلاَةٌ كَانَ يُحافِظُ عَلَيْهَا آدَمُ وَنُوْحٌ وَإِبرَاهِيْمُ وَمُوْسَىْ وَعِيْسَىْ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ»[٢].

قلت: ويحتمل أن تسبيح داود بالعشي كان في هذه السَّاعة لأن العشي والعشية ما بعد الزوال إلى آخر النهار.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٤٠٦).

(٢) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢١٩): رواه البزار، وفيه عتبة بن السكن، قال الدارقطني: متروك، وقد ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: يخطىء ويخالف.

١٧ ـ **ومنها: تعظيم يوم الجمعة.**

روى الحلبي في «فوائده»، وأبو نعيم عن كعب رحمه الله تعالى قال: كان داود النبي عليه السلام يصوم يوماً ويفطر يوماً، فإذا وافق صومه يوم الجمعة أعظم فيه الصدقة ويقول: إنَّ صيامه يعدل خمسين ألف سنة كطول يوم القيامة، وكذلك سائر الأعمال تُضاعف فيه[١].

١٨ ـ **ومنها: قيام الليل.**

وتقدم في الحديث: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِيْنَ قَبْلَكُمْ»[٢]، والأنبياء أفاضل الصَّالِحِين.

وروى الشيخان، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن عبدالله ابن عمرو رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «أَحَبُّ الصَّلاَةِ إِلَىْ اللهِ صَلاَةُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَىْ اللهِ تَعَالَى صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُوْمُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَكَانَ يَصُوْمُ يَوْمَاً وَيُفْطِرُ يَوْمَاً»[٣].

وروى ابن أبي الدنيا، والبيهقي في «البعث» عن مِسعر بن كدام رحمه الله قال: لما قيل لآل داود: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾[سبأ: ١٣] لم تأتِ عليهم ساعة إلا وفيهم مُصلي[٤].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٨٢).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (١٠٧٩)، ومسلم (١١٥٩)، وأبو داود (٢٤٤٨)، والنسائي (١٦٣٠)، وابن ماجه (١٧١٢).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ٢٨٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٥٢٤).

وروى الفريابي، وابن أبي حاتم عن مجاهد رحمه الله قال: قال داود لسليمان: قد ذكر الله الشكر فاكفني قيام النهار أكفك قيام الليل، قال: لا أستطيع، قال: فاكفني إلى صلاة الظهر، فكفاه[1].

وفيه إشارة إلى أنَّ داود عليه السلام وكان شيخاً كان يقوم الليل وبقية النهار، فهو أقوى على الطاعة من سليمان وهو شاب، وكان مقتضى قوة الشباب وجَلَدِه أن يكون سليمان أقوى إلا أن هذا جاء على أن الشيخ ينبغي أن يكون أقوى يقيناً وأقصر أملاً وأرغب في الطاعة، فبذلك يأتي من العبادة بما لم يأتِ به الشاب.

وقد روى ابن ماجه، وابن أبي الدنيا، والبيهقي في «الشعب» عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمَانَ بنِ دَاوُدَ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ: يَا بُنَيَّ! لاَ تُكْثِرِ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَإِنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ بِاللَّيْلِ تَدَعُ الرَّجُلَ فَقِيْراً يَوْمَ القِيَامَةِ»[2].

وقد قيل: [من الهزج]

تَعَوَّدْ سَهَرَ اللَّيْلِ فَإِنَّ النَّوْمَ خُسْرانُ

وقال آخر: [من الخفيف]

يا طَوِيْلَ الرُّقادِ وَالْغَفَلاتِ كَثْرَةُ النَّوْمِ تُوْرِثُ الْحَسَراتِ

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٦/ ٦٨٠).

(٢) رواه ابن ماجه (١٣٣٢)، وابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ٥٠١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٤٦).

إِنَّ فِـيْ الْقَبْـرِ إِنْ نَزَلْـتَ إِلَيْـهِ   لَرُقَـاداً يَطُـوْلُ بَعْـدَ الْمَمَـاتِ
وَمِهَـاداً مُمَهَّـداً لَـكَ فِيْـهِ   بِـذُنُوْبٍ عَمِلْـتَ أَوْ جَنَّـاتِ
أَأَمِنْتَ الْبَيَـاتَ مِـنْ مَلَـكِ الْمَـوْ   تِ وَكَـمْ نَـالَ آمِنـاً بِـبَيَاتِ[1]

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن ثابت ـ يعني: البناني رحمه الله تعالى قال: كان داود النبي عليه السلام يُطيل الصلاة من الليل، فيركع الركعة ثم يرفع رأسه إلى أديم السماء، ثم يقول: إليك رفعتُ رأسي يا عامر السماء نظرَ العبيدِ إلى أربابها[2].

وروى أبو نعيم عن سفيان بن عيينة قال: رأيت منصور بن المعتمر ـ يعني: في المنام ـ فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: كدت أن ألقى الله بعمل نبي، قال سفيان: إن منصوراً أقام ستين سنة يقوم ليلها ويصوم نهارها[3].

وروى الدينوري عن أحمد بن أبي الحواري، عن علي بن أبي الحسن قال: شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام ليلةً شبعة من خبز الشعير، فنام عن جزئه حتى أصبح، فأوحى الله إليه: يا يحيى! هل وجدت داراً خيراً لك من داري، وجواراً خيراً لك من جواري؟ لو

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (١/ ٣٥٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٨٨).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٤١).

اطلعت في الفردوس اطلاعةً لذاب جسمك، وذهبت نفسك اشتياقاً، ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعةً لبكيت الصديد بعد الدموع، ولبست الحديد بعد المسوح(١).

١٩ ـ ومنها: الصدقة، والخروج عما يشغل عن طاعة الله تعالى لوجه الله تعالى.

قال الله ﷻ حكاية عن إخوة يوسف عليهم السلام: ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾[يوسف: ٨٨].

وروى أبو عبدالله بن خفيف الشيرازي في كتاب «شرف الفقراء» عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ احتذى نعلاً فأعجبه حسنها، فسجد وقال: «تَواضَعْتُ لِرَبِّي كَيْلا يَمْقُتَنِي»، ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه، ثم أمر علياً أن يشتري نعلين سبتيتين حمراوين(٢)(٣).

وقال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾[ص: ٣٠ ـ ٣١]؛ يعني الخيل، وكانت ألف فرس ورثها من أبيه أو غنمها، وقيل: عشرين ألفاً،

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٤٩٧)، وكذا رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ٢٣٠).

(٢) في «إحياء علوم الدين»: «جرداوين» بدل «حمراوين».

(٣) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٦٤): أخرجه أبو عبدالله ابن خفيف في «شرف الفقراء» من حديث عائشة بإسناد ضعيف.

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾[ص: ٣٢]؛ يعني: المـال عن ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾[ص: ٣٢]؛ يعني: عن الصلاة[١].

قال علي ﷺ: الصلاة التي فرط فيها سليمان صلاة العصر[٢].

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ﴾[ص: ٣٢]؛ يعني: الشمس كما دلَّ عليها قوله: بالعشـي ﴿بِٱلۡحِجَابِ﴾[ص: ٣٢]؛ يعني: غـربت، ﴿رُدُّوهَا﴾[ص: ٣٣]؛ يعني: الخيل ﴿عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾[ص: ٣٣].

روى الطبراني، وابن مردويه بإسناد حسن، عن أبي بن كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ في الآية: «قَطَعَ سُوْقَهَا وَأَعنَاقَهَا بِالسَّيْفِ»[٣].

قال العلماء: فعل ذلك تقرباً إلى الله تعالى، وكان ذلك مباحاً في شريعته كما أُبيحت لنا بهيمة الأنعام.

قال الحسن وغيره: فعوضه الله خيراً من الخيل الريح غُدوها شهرٌ ورواحها شهرٌ تجري بأمره رُخاءً حيث أصاب[٤].

وفي «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبي ﷺ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٥٤)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ١٧٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٦١٢)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ١٠١).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٩٩٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٩): فيه سعيد بن بشير، وثقه شعبة وغيره، وضعفه ابن معين وغيره، وبقية رجاله ثقات.

(٤) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٤٥).

كان عليه خميصة معلَّمة، فصلَّى وهي عليه، فلما فرغ من صلاته نزعها وقال: «أَلْهَتْنِي»؛ يعني: عن الصلاة[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ عمر خرج إلى حائط له، فرجع وقد صلَّى الناس العصر، فقال: إنما خرجت إلى حائطي فرجعت وقد صلَّى الناس، حائطي على المساكين صدقة.

قال ليث رحمه الله تعالى: إنما فاتته في الجماعة؛ أي: لم تفته بالكلية، إنما فاتته الجماعة فيها كما يدل عليه سياق الحديث.

٢٠ ـ ومنها: تلاوة كتاب الله تعالى.

وما من نبي أُنزل عليه كتاب أو أُوحيَ إليه بما في كتاب إلا قام بتلاوته، وأخبار داود عليه السلام في تلاوة الزبور على بني إسرائيل مشهورة.

وفي حديث: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَقَدْ اسْتُدْرِجَتِ النُّبُوْةُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يُوْحَىْ إِلَيْهِ». رواه الطبراني من حديث ابن عمرو[2].

وروى الإمام أحمد عن معاذ بن أنس رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ كُتِبَ مَعَ الصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ، وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيْقاً»[3].

---

(١) رواه البخاري (٣٦٦)، ومسلم (٥٥٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٦٢): رواه أحمد، وفيه زبان بن فائد، وهو ضعيف.

٢١ ـ ومنها: الصيام.

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[البقرة: ١٨٣].

قيل: أول من كُتب عليه الصيامُ آدم عليه السلام.

قال في «عوارف المعارف»: وروي أنَّ آدم عليه السلام لما أُهبط إلى الأرض اسودَّ جسده من أثر المعصية، فلما تاب الله عليه أمره أن يصوم أيام البيض، فابيضَّ ثلث جسده بكل يوم صام حتى ابيضَّ جميع جسده بصيام أيام البيض(١).

وروى الطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «الشعب» بإسناد حسن، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «صَامَ نُوْحٌ الدَّهْرَ إِلاَّ يَوْمَ الفِطْرِ وَالأَضْحَىْ، وَصَامَ دَاوِدُ نِصْفَ الدَّهْرِ، وَصَامَ إِبْرَاهِيْمُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، صَامَ الدَّهْرَ وَأَفْطَرَ الدَّهْرَ»(٢)؛ أي: كُتب له ثواب صيام الدهر لأنَّ كل ثلاثة أيام بثلاثين يوماً في الثواب، وأفطر الدهر؛ أي: أفطر معظم الدهر.

وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٦٢)، وورد ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه، كما رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (١٣٨٣).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٨٤٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٩٥): فيه أبو قنان، ولم أعرفه.

رســول الله ﷺ: «صُوْمُوْا يَوْمَ عَاشُوْرَاءَ، يَوْمٌ كَانَتِ الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهُمُ السَّلاَمُ تَصُوْمُهُ فَصُوْمُوْهُ»[1].

وروى الترمذي وقال: حسنٌ صحيح، وابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحيهما»، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، عن الحارث الأشعري رضي الله عنه ـ وليس له في الكتب الستة سوى هذا الحديث ـ: أنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىْ أَمَرَ يَحْيَىْ بنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ أَنْ يَعْمَلُوْا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِىءَ بِهَا، قَالَ عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ: إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا، وَتَأْمُرَ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ أَنْ يَعْمَلُوْا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُم وَإِمَّا أَنْ آمُرَهُمْ، فَقَالَ يَحْيَىْ: أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِيْ بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِيْ أَوْ أُعَذَّبَ.

فَجَمَعَ النَّاسَ فِيْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَامْتَلأَ وَقَعَدُوْا[2] عَلَىْ الشُّرَفِ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِيْ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوْا بِهِنَّ:

أَوَلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوْا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوْا بِهِ شَيْئَاً، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَىْ عَبْدَاً مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِيْ وَهَذَا عَمَلِيْ فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَىْ غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُوْنَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٩٣٥٥).

(٢) في «سنن الترمذي»: «وتعدوا» بدل «وقعدوا».

وَإِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلاَةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلاَ تَلْتَفِتُوْا؛ فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِيْ صَلاَتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ.

وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ؛ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِيْ عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيْهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيْحُهَا، وَإِنَّ رِيْحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيْحِ الْمِسْكِ.

وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ؛ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ، فَأَوْثَقُوْا يَدَهُ إِلَىْ عُنُقِهِ وَقَدَّمُوْهُ لِيَضْرِبُوْا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيْ نَفْسِيَ مِنْكُمْ بِالقَلِيْلِ وَالكَثِيْرِ، فَفَدَىْ نَفْسَهُ مِنْهُمْ.

وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوْا اللهَ؛ فَإِنَّ مَثَلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِيْ أَثَرِهِ سِرَاعاً حَتَىْ أَتَىْ عَلَى حِصْنٍ حَصِيْنٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ العَبْدُ لاَ يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنْ الشَّيْطَانِ إِلاَ بِذِكْرِ اللهِ».

قال النبي ﷺ: «وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ أَمَرَنِيْ اللهُ تَعَالَى بِهِنَّ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَالجِهَادُ، وَالهِجْرَةُ، وَالْحَجُّ[1]، وَالجَمَاعَةُ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قَيْدَ شِبْرٍ فَقَدَ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنِ ادَّعَىْ دَعْوَى الجَّاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَاءِ[2] جَهَنَّمَ».

فقال رجل: يا رسول الله! وإن صلَّى وصام؟ فقال: «وَإِنْ صَلَّىْ

---

(١) قوله: «والحج» ليس في مصادر التخريج.

(٢) في مصادر التخريج: «جثا» بدل «جثاء».

وَصَامَ، فَادْعُوْا بِدَعْوَىْ اللهِ الَّذي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِيْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ عِبَادَ اللهِ»[1].

و«جثاء جهنم» بالجيم والمثلثة: جمع جُثوة ـ بالضم ـ، وهو الشيء المجموع، كما في «النهاية»[2]؛ أي: من جماعات جهنم.

٢٢ ـ ومنها: تعجيل الفطر وتأخير السحور.

روى الطبراني في «الأوسط» بسند صحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّا مَعْشَرَ الأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُعَجِّلَ فِطْرَنَا وَأَنَّ نُؤَخِّرَ سُحُوْرَنَا، وَأَنْ نَضَعَ أَيْمَانَنَا عَلَىْ شَمَائِلِنَا فِيْ الصَّلاَةِ»[3].

وأخرجه في «الأوسط»، و«الصغير» من حديث ابن عمر نحوه، لكن بسند ضعيف[4].

وفي موطأ الإمام مالك عن عبد الكريم بن أبي المخارق، قال: من

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٦٣) وقال: حسن صحيح، وابن خزيمة في «صحيحه» (٩٣٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٥٣٤).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ٢٣٩).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٨٨٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٥٥): رجاله رجال الصحيح.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٠٢٩)، و«المعجم الصغير» (٢٧٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٥٥): فيه عمر بن عبدالله بن يعلى، وهو ضعيف.

عمل النبوة تعجيل الإفطار، والاستيناء بالسحور[1]؛ يعني: تأخيره.

٢٣ ـ ومنها: إيثار الجوع.

ومن زعم من أحوال الأنبياء عليهم السلام خلاف ذلك فقد افترى.

وقد كان عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى يقسم بالله تعالى: أنَّ الله تعالى ما صان[2] أحداً إلا بالجوع، ولا مشوا على الماء إلا بالجوع، ولا طُويت لهم الأرض إلا بالجوع، ولا والاهم الله تعالى إلا بالجوع[3].

وروى الخطيب في «تلخيص المتشابه» عن أنس ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «الْبِسُوْا الصُّوْفَ، وَكُلُوْا فِيْ أَنْصَافِ البُطُوْنِ؛ فإِنَّهُ جُزْءٌ مِنَ النُّبُوَّةِ»[4].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «التهجد» عن عون رحمه الله قال: كان لبني إسرائيل قيِّم يقوم عليهم، فيقول: لا تأكلوا كثيراً؛ فإنكم إذا أكلتم كثيراً نِمْتُم كثيراً، وإذا نمتم كثيراً صليتم قليلاً[5].

ولم يكن ذلك في بني إسرائيل إلا أخذاً من سيرة أنبيائهم عليهم السلام.

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ١٥٨).

(٢) في «قوت القلوب»: «صافى» بدل «صان».

(٣) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٢٨٨).

(٤) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٣٩).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «التهجد وقيام الليل» (ص: ٥٠٢).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن وهب رحمه الله تعالى قال: إنَّ إبليس أتى إلى يحيى بن زكريا عليهما السلام قال: إني أُريد أن أُصادقك، قال: أعوذ بالله منك ما تستطيع مني؟ قال: أشهيك الطعام والشراب، قال يحيى: فإن الشبع من الطعام، والري من الشراب عليَّ حرام حتى ألقى الله ﷻ.

وعن ثابت البناني رحمه الله تعالى قال: إنَّ إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام، فرأى عليه معاليق من كل شيء، فقال له: ما هذه المعاليق التي أراها عليك؟ قال: هذه الشهوات التي أُصيب بها بني آدم، فقال له يحيى عليه السلام: هل لي فيها شيء؟ قال: لا، قال: فهل تُصيب مني شيئاً؟ قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة والذكر، قال: هل غير ذا؟ قال: لا، قال: لا جرم والله لا أشبع أبداً[1].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «التهجد» عن علي بن أبي الحر[2]: أنَّ يحيى عليه السلام شبع ليلةً شبعةً من خبز شعير، فنام عن جزئه حتى أصبح، فأوحى الله ﷻ إليه: «يا يحيى! هل وجدت داراً خيراً لك من داري، أو جِواراً خيراً لك من جواري وعزتي؟ يا يحيى! لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعةً لذاب جسمك وزهقت نفسك اشتياقاً، ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعةً لبكيت الصديد بعد الدموع،

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٦).

(٢) في «أ» و«م» و«ت»: «الحسن»، والصواب المثبت.

وللبست الحديد بعد المسوح»[1].

وروى الخطيب في «تلخيص المتشابه» عن أنس ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «الْبَسُوْا الصُّوْفَ وَكُلُوْا فِيْ أَنْصَافِ البُطُوْنِ، فَإِنَّهُ جُزْءٌ مِنَ النُّبُوَّةِ»[2].

وقال القرطبي، وغيره: يروى أن يوسف عليه السلام كان لا يشبع من طعامٍ في سِنِي القحط، فقيل له: أتجوع وبيدك خزائن الأرض؟ فقال: «أخاف إن شبعت أن أنسى الجائع»[3].

وقد أخرجه البيهقي في «الشعب» عن الحسن البصري رحمه الله[4].

وروى الخطيب في «رواة مالك» عن جابر ﷺ قال: كان يوسف عليه السلام لا يشبع، فقيل له: «ما لك لا تشبع وبيدك خزائن الأرض؟» فقال: «إني أخاف أن أشبع فأنسى الجائع»[5].

[وقد ذكر][6] الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في «الإحياء»

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ٢٣٠)، وقد تقدم لكن عزاه هناك للدينوري فقط.

(٢) تقدم قريباً.

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ٢١٩).

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٨٣).

(٥) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٥٢) إلى الخطيب في «رواة مالك».

(٦) في «م» غير واضح، ولعل الصواب ما أثبت.

ما في الجوع من الفوائد، وما في الشبع من الآفات[1].

[وأوصل][2] شيخ الإسلام الجد آفات الشبع إلى خمسين آفة نظمها في قصيدة له ذكرتها في كتاب «منبر التوحيد».

و[نظمت][3] في بعض فوائد الجوع: [من الكامل]

فِـــيْ الْجُـــوْعِ عَـــدُّ فَوائِـــدٍ عَـــنْ حَـــصْرِها
عَجَـــزَ الْبَيـــانُ وَبـــاءَ بِالتَّقْـــصِيْرِ

مِـــنْ بَعْـــضِها كَـــسْرُ الْهَـــوَى وبكَـــسْرِهِ
فَـــوْزُ الْفَتَـــىْ بِعَـــوارِفِ التحبيـــرِ

وَصَـــفا الْقُلُـــوْبِ وَحِفْظُهـــا فِـــيْ سِـــرِّها
مِـــنْ عِلَّـــةِ التَّكْـــدِيْرِ وَالتَّـــأْثِيْرِ

وَإِدامَـــةُ الـــسَّهَرِ الَّـــذِيْ هُـــوَ مَقْـــصِدٌ
فِـــيْ شَـــرْعِ أَهْـــلِ الْجِـــدِّ وَالتَّـــشْمِيْرِ

وَسَـــلامَةُ الْجَـــسَدِ الَّـــذِيْ هُـــوَ مَرْكَـــبٌ
لِلْقَـــصْدِ مِـــنْ عِلَـــلٍ وَمِـــنْ تَغْيِيْـــرِ

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ٨٤).

(٢) في «م» غير واضح، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) في «م» غير واضح، ولعل الصواب ما أثبت.

وَهُـــوَ الْمُـــذَكِّرُ بِـــالْفَقِيْرِ وَحالِـــهِ
وَلَـــرُبَّ خَيْـــرٍ جـــاءَ فِـــيْ التَّـــذْكِيْرِ
وَبِـــهِ عَلَـــى الإِيْثـــارِ تَحْـــصُلُ مُكْنَـــةٌ
تَبْـــدُوْ لَطائِفُهـــا لِكُـــلِّ بَـــصِيْرِ
وَعَلَـــىْ الْعِبـــادَةِ أَيُّ عَـــوْنٍ لِلْفَتَـــىْ
فِـــيْ ضِـــمْنِهِ بَـــلْ أَيُّمـــا تَيْـــسِيْرِ
وَبِـــهِ انْحِـــسامُ مَـــوادِ كُـــلِّ ضَـــرُوْرَةٍ
تَـــأْتِيْ مِـــنَ الـــشَّيْطانِ لِلتَّغْرِيْـــرِ
وَالْمَـــرْءُ فِـــيْ مُـــؤَنٍ وَفِـــيْ تَقْلِيْلِـــهِ
طَـــرْحٌ لِمـــا يَـــدْعُوْ إِلَـــىْ التَّكْثِيْـــرِ
فَـــارْجِعْ فُـــؤادَكَ لِلْوَفـــا مُتَعَرِّضـــاً
فَاسْـــلُكْ سَبِـــيْلَ مُحَقِّـــقٍ وَخَبِـــيْرِ
وَاعْلَـــمْ بِـــأَنَّ الْجُـــوْعَ فِـــيْ شَـــرْعِ الْـــوَلا
مِفْتـــاحُ بـــابِ الْخَيْـــرِ عَـــنْ تَحْرِيْـــرِ

٢٤ ـ ومن أعمال الأنبياء عليهم السلام: فطر يوم الفطر ويوم الأضحى.

وهو واجبٌ في شريعتنا.

روى ابن ماجه، والطبراني، والبيهقي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «صَامَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ الدَّهْرَ إِلاَ يَوْمَ الفِطْرِ وَالأَضْحَى»(١).

٢٥ ـ ومنها: التضحية وإهداء الهدي.

روى الإمام أحمد، وابن ماجه، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي، والأصبهاني عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قلنا ـ وفي رواية قالوا ـ: يا رسول الله! ما هذه الأضاحي؟ قال: «سُنَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ»، قالوا: فما لنا فيها يا رسول الله؟ قال: «بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَسَنَةٌ»، قالوا: والصوف؟ قال: «بِكُلِّ شَعْرَةٍ مِنَ الصُّوْفِ حَسَنَةٌ»(٢).

وروى الأصبهاني عن محمود بن عمرو: أن النعمان بن أبي فاطمة رضي الله عنه اشترى كبشاً أعين أقرن، وأنَّ النبي ﷺ رآه فقال: «كَأَنَّ هَذَا الكَبْشَ الَّذِيْ ذَبَحَ إِبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ»، فعمد معاذ بن عفراء رضي الله عنه فاشترى كبشاً أعين أقرن، فأهداه إلى النبي ﷺ، فضحَّى به(٣).

---

(١) رواه ابن ماجه (١٧١٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٨٤٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٨)، وابن ماجه (٣١٢٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٠٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٦٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٣٣٧). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٩٩): رواه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد، قال الحافظ: بل واهية، عائذ الله هو المجاشعي، وأبو داود هو نفيع بن الحارث الأعمى، وكلاهما ساقط.

(٣) ورواه المصيصي في «جزئه» (ص: ٩٨)، وابن المقرىء في «معجمه» (٢/ ١٤٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٣): رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات.

والأعين: الواسع العين.

٢٦ ـ ومنها: الاعتكاف في البيت الحرام وغيره من المساجد.

قال الله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[البقرة: ١٢٥].

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان ويقول: «هَذَا دَأْبُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ»(١).

٢٧ ـ ومنها: الحج إلى البيت الحرام، وتأدية مناسكه كما هو مقرر في الشريعة.

روى الأزرقي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه كان يقول: حج آدم عليه السلام يقضي المناسك، فلما حجَّ قال: يا رب! إنَّ لكل عاملٍ أجراً، قال الله تعالى: «أما أنت يا آدم فقد غفرت لك، وأما ذريتك فمن جاء منهم هذا البيت فباء بذنبه غفرت له»(٢).

وعن عثمان بن ساج قال: أخبرني سعيد: أنَّ آدم عليه السلام حجَّ على رجليه سبعين حجة ماشياً، وأن الملائكة لقيته بالمأزمين(٣)،

---

(١) روى البخاري (١٩١٦) الشطر الأول منه، ولم أقف على الشطر الثاني، وهو موضع الشاهد.

(٢) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٤٣).

(٣) المأزمان: جبلان بين عرفات والمزدلفة بينهما طريق، هذا معناهما عند =

فقالوا: «بر حجك يا آدم، قد حججنا قبلك بألفي عام»[1].

وقال تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾[الحج: ٢٧].

وروى الأزرقي عن محمد بن إسحاق قال: لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت الحرام جاء جبريل عليه السلام فقال: «طُفْ به سبعاً»، فطاف به سبعاً هو وإسماعيل عليهما السلام يستلمان الأركان كلها في كل طواف، فلما أكملا سبعاً صلَّيا خلف المقام ركعتين، قال: فقام معه جبريل، وأراه المناسك كلها؛ الصفا والمروة، ومنى، ومزدلفة، وعرفة، قال: فلما دخل منى وهبط من العقبة برز له إبليس، فقال له جبريل: «ارمه»، فرماه بسبع حصيَّات، فغاب عنه إبليس، ثم برز له عند الجمرة الوسطى، فقال له جبريل: «ارمه»، فرماه بسبع حصيات، فغاب عنه إبليس، ثم برز له عند الجمرة السفلى، فقال له جبريل: «ارمه»، فرماه بسبع حصيات مثل حصى الخذف، فغاب عنه إبليس، ثم مضى إبراهيم في حجه وجبريل يُوقفه على المواقف ويُعلمه المناسك حتى انتهى إلى عرفة، فلما انتهى إليها قال له جبريل

= الفقهاء، فقولهم على طريق المأزمين: أي الطريق التي بينهما، وأما أهل اللغة فقالوا: المأزم الطريق الضيق بين الجبلين، وذكر الجوهري قولاً آخر، فقال: المأزم أيضاً موضع الحرب، ومنه سمي الموضع الذي بين مزدلفة وعرفة مأزمين.

(١) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٤٥).

عليه السلام: «أعرفت مناسكك؟» قال إبراهيم عليه السلام: «نعم».

قال: فسميت عرفات بذلك لقوله: «أعرفت مناسكك؟».

قال: ثم أمر إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج، فقال إبراهيم: «يا رب! ما يبلغ صوتي؟»

قال الله تعالى: «أذِّن وعليَّ البلاغ».

قال: فعلا على المقام وأشرف به حتى صار أرفع من الجبال وأطول منها، فجمعت له الأرض يومئذٍ سهلها وجبلها، وبرَّها وبحرها، وجنها وإنسها حتى أسمعهم جميعاً، فأدخل أصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه يَمَناً وشَاماً، وشرقاً وغرباً، وبدأ بشق الأيمن فقال: «أيها الناس! كُتب عليكم الحج إلى البيت العتيق، فأجيبوا ربكم»، فأجابوه من تحت البحور السبعة، ومن المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أقطار الأرض كلها: «لبيك اللهم لبيك».

قال: وكانت الحجارة على ما هي اليوم ـ يعني: من الصلابة واليبس ـ إلا أنَّ الله أراد أن يجعل المقام آية، وكان أثر قدميه ـ يعني: إبراهيم ـ في المقام إلى اليوم.

قال: أفلا تراهم اليوم يقولون: لبيك اللهم لبيك.

قال: فكلُّ من حجَّ إلى اليوم فهم ممن أجاب إبراهيم عليه السلام، وإنما حجهم على قدر إجابتهم يومئذ، فمن حجَّ حجتين فقد كان أجاب مرتين أو ثلاثاً فثلاثاً على هذا.

قال: وإنَّ قدمي إبراهيم عليه السلام آية، وذلك قوله تعالى:

﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾[الآية: ٩٧] الآية.

وقال: بلغني أنَّ آدم عليه السلام كان استلم الأركان كلها قبل إبراهيم.

قال: وحجَّه إسحاق وسارة من الشام.

قال: وكان إبراهيم يحجه كل سنة على البُراق.

قال: وحجت بعد ذلك الأنبياء عليهم السلام والأمم[1].

وروى ابن أبي شيبة، وابن جرير عن مجاهد رحمه الله: أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حجَّا وهما ماشيان[2].

وروى عبد بن حميد عنه قال: قيل لإبراهيم عليه السلام: «أذن في الناس بالحج»، قال: «يا رب! كيف أقول؟» قال: «قل: لبيك اللهم لبيك»، فكان إبراهيم أول من لبى[3].

وروى الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم وصححه، عن زياد بن مربع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كُوْنُوْا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ هَذِهِ؛ فَإِنَّكُمُ اليَوْمَ عَلَى أَدَبٍ مِنْ أَدَبِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ»[4].

---

(١) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٦٦ ـ ٦٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥٧٥٩)، والطبري في «التفسير» (١٧/ ١٤٦).

(٣) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٤) إلى عبد بن حميد.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٣٧)، والترمذي (٨٨٣) وصححه، والنسائي (٣٠١٤)، وابن ماجه (٣٠١١).

وروى ابن أبي شيبة عن عامر بن واثلة قال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن السعي بين الصفا والمروة، فقال: فعله إبراهيم عليه السلام[1].

وروى الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «كَأَنِّيْ أَنْظُرُ إِلَىْ مُوْسَىْ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِيْ هَذَا الوَادِيْ مُحْرِماً بَيْنَ قَطْوَانَتَيْنِ[2]»[3].

وروى أبو يعلى عن أنس، وهو والطبراني عن أبي موسى رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «لَقَدَ مَرَّ بِالرَّوْحَاءِ[4] سَبْعُوْنَ نَبِيّاً - مِنْهُمْ نَبِيُّ اللهِ مُوْسَى - حُفَاةً عَلَيْهِمُ العباءُ، يَؤُمُّوْنَ بَيْتَ اللهِ العَتِيْقَ»[5].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٠١٠). وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٣٨) إلى وكيع.

(٢) القطوانية: عباءة بيضاء قصيرة الخمل، والنون زائدة.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٢٥٥)، وفي «المعجم الأوسط» (٦٤٨٧)، وكذا رواه أبو يعلى في «المسند» (٥٠٩٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٢١): رواه أبو يعلى والطبراني في «الأوسط» وإسناده حسن.

(٤) الروحاء: موضع بين مكة والمدينة.

(٥) رواه أبو يعلى في «المسند» (٤٢٧٥) عن أنس رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٢٠): فيه سعيد بن ميسرة، وهو ضعيف.
ورواه أبو يعلى في «المسند» (٧٢٣١)، عن أبي موسى رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٢٠): رواه أبو يعلى والطبراني في «الكبير» وفيه يزيد الرقاشي، وفيه كلام.

وروى الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «صَلَّى فِيْ مَسْجِدِ الْخَيْفِ سَبْعُوْنَ نَبِيَّاً؛ مِنْهُمْ مُوسى، كَأَنِّيْ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِ عَبَاءَتَانِ قَطْوانتَانِ[1] وَهُو مُحْرِمٌ عَلَىْ بَعِيْرٍ مِنْ إِبِلِ شَنُوْءَةَ مَخْطُوْمٍ بِخِطَامِ لِيْفٍ لَهُ ضَفِيْرَتَانِ»[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عنه: أن رسول الله ﷺ مر بوادي الأزرق فقال: «أيُّ وادٍ هذا؟» قالوا: هذا وادي الأزرق، قال: «كَأَنِّيْ أَنْظُرُ إلى مُوْسَىْ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَهُوَ هَابِطٌ مِنْ الثَنِيَّةِ وَلَهُ جُؤارٌ»، ثم أتى على هرشى[3] قال: «أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟» قال: ثَنِيَّة هرشى، قال: «كَأَنِّيْ أَنْظُرُ إِلَىْ يُوْنُسَ بْنِ مَتَّىْ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ عَلَىْ نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوْفٍ خِطَامُ نَاقَتِهِ خلبةٌ وَهُوَ يُلَبِّيْ»؛ قال هشيم: يعني ليف[4].

وعنه أيضاً قال: لمَّا مرَّ النبي ﷺ بوادي عسفان[5] حين حج قال: «يا أَبا بَكْرٍ أَيُّ وادٍ هَذا؟» قال: وادي عسفان، قال: «لَقَدْ مَرَّ بِهِ هُوْدٌ وَصَالِحُ عَلَيْهِمَا السَلاَمُ عَلَى بَكَرَاتٍ[6] حُمْرٍ خُطْمُهَا اللِّيْفُ، أُزُرُهُمُ

---

(١) في «المعجم الأوسط»: «قطرانيتان» بدل «قَطْوانتَانِ»

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٤٠٧).

(٣) هَرشَى: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يُرى منها البحرُ.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢١٥)، وكذا رواه مسلم (١٦٦).

(٥) عُسْفان ـ بضم العين وسكون السين المهملتين ـ: موضع على مرحلتين من مكة.

(٦) البكرات جمع بكرة ـ بسكون الكاف ـ وهي الفتية من الإبل.

العبَاءُ، وَأَرْدِيَتُهُمُ النِّمَارُ[1]، يُلَبُّوْنَ يَحُجُّوْنَ البَيْتَ»[2].

وروى الأزرقي عن وهب بن منبه رحمه الله قال: خطب صالح عليه السلام الذين آمنوا معه فقال: إنَّ هذه دار سَخِطَ الله عليها وعلى أهلها فاظعنوا منها؛ فإنها ليست لكم بدار، قالوا: رأينا لك تبع، فمُرنا نفعل، قال: تلحقون بحرم الله وأمنه، لا أرى لكم دونه، فأهلُّوا من ساعتهم بالحج، ثم أحرموا في العباء، وارتحلوا قلصاً حمراء مخطمة بحبال الليف، ثم انطلقوا آمِّين البيت الحرام حتى وردوا مكة، فلم يزالو بها حتى ماتوا، فتلك قبورهم في غربي الكعبة بين دار الندوة وباب بني هاشم.

قال: وكذلك فعل هود ومن آمن معه، وشعيب ومن آمن معه[3].

وعن عطاء بن السائب رحمه الله: أنَّ إبراهيم عليه السلام رأى رجلاً يطوف بالبيت فأنكره، فسأله: من أنت؟ قال: من أصحاب ذي القرنين، قال: وأين هو؟ قال: هو ذا بالأبطح، فتلقاه إبراهيم واعتنقه، فقيل لذي القرنين: لم لا تركب؟ قال: لم أكن لأركب وهذا يمشي»، فحجَّ ماشياً[4].

---

(١) النمار جمع نمرة: وهي كساء مخطط.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٣٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٢٠): فيه زمعة بن صالح، وفيه كلام وقد وثق.

(٣) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٧٣).

(٤) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٧٤).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن عطاء ـ يعني: ابن أبي رباح ـ قال: طاف موسى بالبيت وبين الصفا والمروة وهو يقول: «لبيك»، فأجابه ربه تبارك وتعالى: «لبيك يا موسى، ها أنا ذا لديك»، قال: وعليه جبة قطوانية، وفي رواية: وهو في عباءة قطوانية[1].

وتقدم في التشبه بالملائكة عليهم السلام: أنَّ آدم وإبراهيم عليهما السلام كانا يقولان في طوافهما: «الباقيات الصالحات»[2].

وروى الأزرقي عن عثمان بن ساج معضلاً، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَقَدْ مَرَّ بِفَج الرَّوْحَاءِ سَبْعُوْنَ نَبِيّاً عَلَىْ نُوْقٍ حُمْرٍ خُطُمُهَا اللِّيْفُ، لَبُوْسُهُمْ العبَاءُ، وَتَلْبِيَتُهُمْ شَتَّىْ؛ مِنْهُمْ يُوْنُسُ بْنُ مَتَّىْ، قَالَ: فَكَانَ يُوْنُسُ يَقُوْلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: لَبَّيْكَ فَرَّاجَ الكُرَبِ، وَكَانَ مُوْسَىْ عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَقُوْلُ: لَبَّيْكَ أَنَا عَبْدُكَ لَدَيْكَ لَبَّيْكَ، قَالَ: وَتَلْبِيَةُ عيسى: لَبَّيْكَ أَنَا عَبْدُكَ ابْنُ أَمَتِكَ بِنْتِ عَبْدَيْكَ لَبَّيْكَ»[3].

وروى المزكي في «جزئه» وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «يَلْتَقِي الخضرُ وَإلِيَاسُ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ فِيْ كُلِّ عَامٍ فِيْ الْمَوْسِمِ، فَيَحْلِقُ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ رَأْسَ صَاحِبِهِ، وَيَتَفَرَّقَانِ عَنْ هَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٧٣).

بِسْمِ اللهِ مَا شَاءَ اللهُ، لاَ يَسُوْقُ الْخَيْرَ إِلاَّ اللهُ، مَا شَاءَ اللهُ لاَ يَدْفَعُ الشَّرَ إِلاَّ اللهُ، مَا شَاءَ اللهُ مَا كَانَ مِنْ نعمةٍ فَمِنَ اللهِ، مَا شَاءَ اللهُ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ».

قال ابن عباس: من قالهنَّ حين يُصبح وحين يُمسي ثلاث مرات أمَّنه الله من الغرق والحرق والسَّرق.

قال عطاء: وأحسبه قال: ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب[1].

قال السيوطي: وورد اجتماع الخضر وإلياس عليهما السلام في كل عام في الموسم عن أنس ﷺ. أورده الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسند ضعيف، انتهى[2].

وذكر ابن الجوزي في «مثير الغرام الساكن» عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: يجتمع في كل يوم عرفة بعرفة جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر عليهم السلام، فيقول جبريل: ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، فيرد عليه ميكائيل: ما شاء الله كل نعمة من الله، فيرد عليهما إسرافيل: ما شاء الله الخير كله من الله، فيرد عليهم الخضر: ما شاء الله لا يدفع السوء إلا الله، ثم يفترقون فلا يجتمعون إلى قابل

---

(١) ورواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣٢٨) وقال: وهذا الحديث بهذا الإسناد منكر.

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٤٣٤). قال ابن القيم في «المنار المنيف» (ص: ٦٧): الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد.

في مثل ذلك اليوم[1].

وروى إسحاق الختلي في «ديباجه» عن داود بن يحيى مولى عوف الطَّفَاوي، عن رجل كان مرابطاً في بيت المقدس وبعسقلان قال: بينا أنا أسير بوادي الأردن إذا أنا برجل في ناحية الوادي قائم يُصلي، وإذا سحابة تظلُّه من الشمس، فوقع في قلبي أنه إلياس النبي عليه السلام، قال: فسلمت عليه وانفتل من صلاته فردَّ عليَّ السلام، فقلت: مَنْ أنت رحمك الله؟ قال: فلم يردَّ عليَّ شيئاً، فأعدتُ القول مرَّتين فقال: أنا إلياس النبي، قال: فأخذتني رعدة شديدة وخِفْتُ على عقلي أن يذهب، فقلت: إن رأيت رحمك الله أن تدعو لي حتى يُذهب الله عني ما أجد حتى أفهم، فدعا لي بثمان دعوات: يا بر يا رحيم، يا حيُّ يا قيوم، يا حنَّان يا منان، يا هيا شرا هيا، قال: فذهب عني ما كنت أجد، فقلت: إلى مَنْ بُعِثْت؟ قال: إلى أهل بعلبك، قال: فهل يُوحى إليك اليوم؟ قال: منذ بُعثَ محمد ﷺ خاتم النبيين فلا، قلت: كم من الأنبياء في الحياة؟ قال: أربعة؛ أنا والخضر في الأرض، وإدريس وعيسى في السماء، قلت: فهل تلتقي أنت والخضر؟ قال: نعم، كل عام بعرفات، قلت: فما حديثكما؟ قال: يأخذ من شعري، وآخذ من شعره، قلت: فكم الأبدال؟ قال: هم ستون رجلاً؛ خمسون

---

(١) رواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٣٩) وقال: باطل. ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/ ٤٢٧). وقال المزي في «تهذيب الكمال» (١٣/ ٣١٥): حديث منكر وإسناد مجهول.

ما بين عريش مصر إلى شاطىء الفرات، ورجلان بالمصيص، ورجل بأنطاكية، وسبعةٌ في سائر الأمصار، بهم تسقون الغيث، وبهم تنصرون على العدو، وبهم يقيم الله أمر الدنيا حتى إذا أراد أن يهلك ـ يعني: الدنيا ـ أماتهم جميعاً[1].

* **تَنْبِيْهٌ لَطِيْفٌ:**

روى الخطيب في «تاريخه» بسند ضعيف، عن يحيى بن أكثم: أنه قال في مجلس الواثق: من حلق رأس آدم عليه السلام؟ فتعايا الفقهاء عن الجواب، فقال الواثق: أنا أحضر من يُنبئكم عن الخبر، فبعث إلى علي بن محمد بن جعفر بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وعن آبائه، فسأله، فقال: حدثني أبي عن جدي، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمِرَ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَنْ يَنْزِلَ بِيَاقُوْتَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ، فَهَبَطَ بِهَا فَمَسَحَ رَأْسَ آدَمَ، فَتَنَاثَرَ الشَّعْرُ عَنْهُ، فَحَيْثُ بَلَغَ نُوْرُهَا صَارَ حَرَماً»[2].

٢٨ ـ ومن أخلاق الأنبياء عليهم السلام وأعمالهم: التوسل بالنبي ﷺ.

روى الحاكم وقال: صحيح الإسناد، عن النبي ﷺ قال: «لَمَّا اقْتَرَفَ

---

(١) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩/ ٢١٥). قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٣١٣): في إسناده جهالة ومتروكون.

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٥٦). قال السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٣٧): فيه من لا يعرف.

آدمُ الْخَطِيْئَةَ قَالَ: يَا رَبِّ! أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ لَمَا غَفَرتَ لِي، فَقَالَ اللهُ: يَا آدَمُ! وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّداً وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ، وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوْحِكَ، رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَىٰ قَوَائِمِ العَرْشِ مَكْتُوْباً: لاَ إِلَهَ إِلاَ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ، فَعَرَفْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلاَ أَحَبَّ الخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لأَحَبُّ الخَلْقِ إِلَيَّ؛ إِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدَ غَفَرْتُ لَكَ، وَلَوْلاَ مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ»[1].

وقال طائفة من المفسرين: إن الكلمات التي تلقاهن آدم عليه

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٧٢) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب ﷺ. وكذا رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤٨٩) وقال: تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه، وهو ضعيف. وقال شيخ الإسلام في «التوسل والوسيلة» (ص: ٨٥): ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه، فإنه نفسه قد قال في كتاب «المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم»: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه، قلت ـ الكلام لشيخ الإسلام ـ: وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيراً، ضعفه أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والدارقطني وغيرهم، وقال أبو حاتم بن حبان: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك من روايته، من رفع المراسيل وإسناد الموقوف، فاستحق الترك. وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهذا مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث، وقالوا: إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث.

السلام عن ربه فتاب عليه هي قوله: يا رب! أسألك بحق محمد لما غفرت لي[1].

٢٩ ـ ومنها: بر الوالدين.

قال تعالى في يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾[مريم: ١٤].

وقال حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾[مريم: ٣٢].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن وهب بن منبه رحمه الله: أنَّ موسى عليه السلام سأل ربه ﷻ فقال: «يا رب! بمَ تأمرني؟» قال: «بأن لا تشرك بي شيئاً»، قال: «وبمه؟» قال: «بر والدتك»، قال: «وبمه؟» قال: «وبر والدتك»، قال وهب: البر بالوالد يزيد العمر، والبر بالوالدة يثبت الأجل[2].

وعن عمرو بن ميمون قال: رأى موسى عليه السلام رجلاً عند العرش، فغبطه بمكانه فسأل عنه، فقالوا: «نخبرك بعمله؛ لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ولا يمشي بالنميمة، ولا يعقُّ والديه»، قال: «أي رب! ومن يعقُّ والديه؟» قال: «يستسب لهما حتى يُسبَّا»[3].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٨٤). قال الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٤٥): والذي يدل عليه كتاب الله أن الكلمات التي تلقاهن آدم من ربه هن الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متنصلاً بقيلها إلى ربه معترفاً بذنبه وهو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[الأعراف: ٢٣].

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٦٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٦٧).

وروى الدينوري عن وهب قال: بلغني أن الله تعالى قال للعزيز عليه السلام: «بر والديك؛ فإنَّ من برَّ والديه رضيتُ عنه، وإذا رضيت باركت، وإذا باركت بلغت الرابعة من النسل»[1].

وروى الأصبهاني في «الترغيب» عنه ـ أيضاً ـ قال: إنَّ في الألواح التي كتب الله ﷻ لموسى عليه السلام: «يا موسى! وقر والديك؛ فإنَّ من وقَّر والديه مددت في عمره ووهبت له ولداً يبرُّه، ومن عقَّ والديه قصَّرت من عمره ووهبت له ولداً يعُقه»[2].

قلت: وجاءت أحاديث عن النبي ﷺ بأن البر والصلة يزيدان في العمر[3].

قال المحققون من العلماء: ومعنى زيادة العمر ومده بذلك أنَّ الله تعالى يُبارك في عمر البار والواصل بأن يوفقه لصرفه في الطاعة وعدم التكدير بالمعاصي والهموم والمصائب، كما أنَّ معنى نقص العمر وتقصيره بالعقوق والقطيعة بأن يخذله فيصرف عمره في المعاصي وفيما لا يُجديه، أو يبتليه بالمصائب والهموم من غير تلق منه لها بالرضا والصبر، وإلا فإنَّ الآجال مقسومة[4]، والله الموفق.

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٩٢).

(٢) ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٥٦٤).

(٣) منها: ما رواه البخاري (١٩٦١)، ومسلم (٢٥٥٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه».

(٤) انظر: «شرح مسلم» للإمام النووي (١٦/ ١١٤)، وقد ذكر أقوالاً أخرى.

٣٠ ـ ومنها: العفو والاحتمال، ومقابلة السيئة بالحسنة.

قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[يوسف: ٩٢].

وروى الخرائطي، وأبو نعيم عن عكرمة رحمه الله قال: قال الله تعالى: «يا يوسف! بعفوك عن إخوتك رفعت لك ذكرك في الذاكرين»[١].

وروى ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ لما فتح مكة صعد المنبر فحمد الله وأثنى، ثم قال: «يَا أَهْلَ مَكَّةَ! مَاذَا تَظُنُّوْنَ؟ مَاذَا تَقُوْلُوْنَ؟» قالوا: نظن خيراً ونقول خيراً في ابن عمٍّ كريم قد قدرت، قال: «فَإِنِّيْ أَقُوْلُ كَمَا قَالَ أَخِيْ يُوْسُفُ: لاَ تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ»، فخرجوا كأنما نُشروا من القبور، فدخلوا في الإسلام[٢].

وروى الخرائطي عن الوليد بن مسلم قال: قال يوسف بن يعقوب عليهما السلام لإخوته الأسباط لمَّا حضرته الوفاة: «يا إخوتاه! إني لم أنتصف لنفسي من مظلمةٍ ظلمتها في الدنيا، وإن كنت أُظهر الحسنة وأرضى بالسيئة فذلك زادني في الدنيا، يا إخوتي! إني شاركت

---

(١) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص: ٨٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٣٦).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٥٧٨).

آبائي في صالح أعمالهم فأشركوني في قبورهم»[1].

وروى الإمام أحمد وغيره عن ابن مسعود ﷺ قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي نبياً من الأنبياء، ضربه قومه فهو ينضح، وفي رواية: فهو يمسح الدم عن جبينه، ويقول: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[2].

وعن عبيد بن عمير رحمه الله تعالى قال: كان قوم نوح عليه السلام يضربونه حتى يُغشى عليه فإذا أفاق قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون[3].

وروى الدينوري عن ابن المبارك قال: بلغني أنَّ عيسى بن مريم عليهما السلام مرَّ بقومٍ فشتموه، فقال خيراً، ومر بآخرين فشتموه وزادوا، فزادهم خيراً، فقال رجلٌ من الحواريين: كلما زادوك شراً زدتهم خيراً كأنك تغريهم بنفسك؟ فقال عيسى عليه السلام: كل إنسان يُعطي ما عنده[4].

وهذا في معناه المثل السائد: وكل وعاءٍ بالذي فيه ينضح.

---

(١) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص: ٨٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٣٢)، وأبو يعلى في «المسند» (٥٢١٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٠).

(٤) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٦١).

وقلت: [من الطويل]

وَكَـمْ قائِـلٍ مـا لِـيْ أَرَى الْقَـوْمَ تَقْـدَحُ
عَلَيْـكَ وَتُثْنِـيْ أَنْـتَ خَيْـراً وَتَمْـدَحُ

فَقُلْـتُ لَهُـمْ عَنِّـيْ فَـإِنَّ سَـلِيْقَتِيْ
أَبَـتْ كُـلَّ خُلْـقٍ بِالأَنَاسِـيِّ يَقْـبُحُ

وَكُـلُّ فَتَـىً يُبْـدِيْ الَّـذِيْ فِيْـهِ مُنْطَـوٍ
وَكُـلُّ إِنَـاءٍ بِالَّـذِيْ فِيْـهِ يَنْـضَحُ

٣١ ـ ومنها: الحلم وحسن الخلق

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[هود: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾[الصافات: ١٠١].

قال القاضي ناصر الدين البيضاوي: وقلما نعت الله نبياً بالحلم لعزةٍ وجوده غير إبراهيم وابنه عليهما السلام[١].

وقوله: نعت ـ بالنون أوله، والمثناة فوق آخره ـ أي: وصف.

وعبارة «الكشاف»: وقيل: ما نعت الله الأنبياء عليهم السلام بأقل مما نعتهم بالحلم، وذلك لعزة وجوده[٢].

وروى العسكري في «أمثاله» عن الحسن قال: هو والله أحسن

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٠).

(٢) انظر: «تفسير الكشاف» للزمخشري (٤/ ٥٥).

منك رداء وإن كان رداؤك حبرة رجل رداه الله الحلم، فإن لم يكن حلم ـ لا أبا لك ـ فتحلم؛ فإنه من تشبه بقوم لحق بهم(١).

وفي وصف النبي ﷺ في التوراة: سبق حلمه جهله، ولا يزيده شده الجهل عليه إلا حلماً(٢). رواه ابن حبان، والطبراني، والحاكم، وغيرهم عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه.

وتقدم عن ابن مسعود رضي الله عنه: انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه.

وروى أبو نعيم عن محمد بن جحادة قال: كان الشعبي من أولع الناس بهذا البيت: [من الرمل]

لَيْسَتِ الأَحْلامُ فِيْ حَالِ الرِّضَا
إِنَّمَا الأَحْلامُ فِيْ حَالِ الْغَضَبْ(٣)

وروى الخطيب عن أنس رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «كَادَ الحَلِيْمُ أَنْ يَكُوْنَ نَبِيَّاً»(٤).

---

(١) كذا عزاه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ١٨٤) إلى العسكري في «أمثاله».

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٨٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥١٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (٦٥٤٧)، عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٢٧).

(٤) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥/ ٣١٠). قال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٧٣٣): حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، ويزيد الرقاشي متروك.

وروى الطبراني عن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: يَا خَلِيْلِي! حَسِّن خُلُقَكَ وَلَوْ مَعَ الكُفَّارِ تَدْخُلْ مَعَ الأَبْرَارِ، وَإِنَّ كَلِمَتِي سَبَقَتْ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ أَنْ أُظِلَّهُ تَحْتَ عَرْشِيَ، وَأَنْ أَسْقِيَهُ مِنْ حَظِيْرَةِ القُدْسِ، وَأَنْ أُدْنِيْهُ مِنْ جِوَارِيْ»(١).

وروى ابن أبي الدنيا في «العقل»، عن شراحبيل أبي عثمان، عن حماد رجل من أهل مكة قال: لمَّا أُهبط آدم عليه السلام إلى الأرض أتاه جبريل عليه السلام بثلاثة أشياء؛ بالدين، والعقل، وحسن الخلق، فقال: إن الله مخيرك واحداً من الثلاثة، فقال: يا جبريل! ما رأيت أحسن من هؤلاء [إلا] في الجنة؟ فمدَّ يده إلى العقل فضمَّه إليه، فقال لذينك: اصعدا، فقالا: لا نفعل، قال: أتعصياني؟ قالا: «لا نعصيك، ولكنا أمرنا أن نكون مع العقل [حيثما كان]»، فصارت الثلاثة إلى آدم عليه السلام(٢).

٣٢ ـ ومنها: العود على النفس باللائمة إذا جهل أحدٌ عليهم.

علماً منهم أنَّ المؤمن لا يُصاب بشيء يكرهه إلا بذنب وما يعفو الله أكثر، وهم وإن كانوا معصومين من الذنوب إلا أنهم قد يعدون على أنفسهم خلاف الأولى ذنباً، أو يعد عليهم ذلك ونحوه ذنباً لعلو مقامهم.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥٠٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٠): فيه مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي، وهو ضعيف.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «العقل وفضله» (ص: ٣٧).

روى أبو نعيم عن سعيد الجريري قال: بينا داود عليه السلام على باب مجلسه جالس ومعه جليس له من بني إسرائيل إذ مرَّ به رجل فاستطال عليه، فغضب له جليسه الإسرائيلي، فقال له داود: لا تغضب؛ فإني قد علمت من أين أتيت، إني قد علمت أني قد أحدثت فيما بيني وبين ربي حدثاً، فسلَّط عليَّ هذا، فدعني حتى أدخل وأتصل إلى ربي من الحدث الذي كان مني حتى يعود هذا فيُقبِّل أسفل قدمي، قال: فدخل فصلى ركعتين، واعتذر إلى ربه من الحدث الذي كان منه، ثم عاد إلى مجلسه، وعاد الرجل نادماً، فأكبَّ يُقَبل رِجْلَ داود، وقال: يا نبي الله! اغفر لي، فقال داود: اذهب فقد علمت من أين أتيت(١).

٣٣ ـ ومنها: السَّخاء.

روى أبو الشيخ في كتاب «الثواب» عن عمر بن الخطاب ﵁ قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىْ بَعَثَ حَبِيْبِي جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِلَىْ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيْمُ! إِنِّي لَمْ أَتَّخِذْكَ خَلِيْلاً عَلَىْ أَنَّكَ أَعْبَدُ عِبَادِيْ، وَلَكِنِّي اطَّلَعْتُ عَلَىْ قُلُوْبِ الْمُؤْمِنِيْنَ فَلَمْ أَجِدْ قَلْبَاً أَسْخَىْ مِنْ قَلْبِكَ»(٢).

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٠٣).

(٢) عزاه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٦٠) إلى أبي الشيخ والطبراني وأشار إلى ضعفه، ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٢١٧) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه.

وروى ابن أبي حاتم عن عبيد بن عمير ﷺ قال: كان إبراهيم عليه السلام يضيف الناس، فخرج يلتمس إنساناً يضيفه فلم يجد أحداً يضيفه، فرجع إلى داره فوجد فيها رجلاً قائماً، فقال: يا عبدالله! مَنْ أدخلك داري؟ قال: دخلتها بإذن ربها، قال: ومَنْ أنت؟ قال: ملك الموت، أرسلني ربي إلى عبدٍ من عباده أُبشره بأنَّ الله تعالى قد اتخذه خليلاً، قال: فمن هو؟ فوالله إن أخبرتني به ثم كان بأقصى البلاد لآتينه ثم لا أبرح له جاراً حتى يفرق بيننا الموت، قال: ذلك العبد أنت، قال: أنا؟ قال: نعم، قال: فلم اتخذني خليلاً؟ قال: إنك تُعطي الناس ولا تسألهم[1].

٣٤ ـ ومنها: الضيافة وإكرام الضيف.

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على إبراهيم ولوط عليهما السلام بإكرام الضيف ورعاية حقه.

روى ابن أبي الدنيا في كتاب «قِرى الضيف» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كَانَ أَوَّلُ مَنْ أَضَافَ الضَّيْفَ إِبْرَاهِيمَ»[2].

وروى الأصبهاني في «الترغيب» من طريقه، وأبو نعيم عن عكرمة رحمه الله قال: كان إبراهيم عليه السلام يُكنى أبا الضيفان، وكان لقصره

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١٠٧٥).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «قرى الضيف» (٥)، وكذا البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٦١٥).

أربعة أبواب، زاد في رواية: لئلاً يفوته أحد[1].

وروى ابن عساكر عن أبي حازم رحمه الله قال: لما دخل موسى على شعيب عليهما السلام إذا هو بالعشاء [مهيأ] فقال له شعيب: كُل، قال موسى: أعوذ بالله، قال: ولمَ، ألست بجائع؟ قال: بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة على الأرض ذهباً، قال: لا والله ولكنها عادتي وعادة آبائي؛ نُقري الضيف ونطعم الطعام، فجلس موسى وأكل[2].

*** فائِدَةٌ:**

روى ابن أبي شيبة عن السدي رحمه الله قال: أول من ثرد الثريد إبراهيم عليه السلام[3].

وروى ابن سعد عن الكلبي قال: إبراهيم عليه السلام أول من أضاف الضيف، وأول من ثرد الثريد، وأول من رأى الشيب، وكان قد وسع عليه في المال والخدم[4].

وروى الديلمي عن نبيط بن شريط ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٣٦).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٣٤)، وكذا رواه الدارمي في «السنن» (٦٤٧).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٨١٧).

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٧).

«أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْخُبْزَ المُبَلْقَس إِبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ»[1].

* تَنْبِيْهٌ:

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي الزنباع رحمه الله قال: كان شاب يمشي مع الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى، فمرَّ بمنزله فعرَّض عليه الشاب، فقال: يا ابن أخي! لعلك من العارضين؟ قال: يا أبا بحر! وما العارضون؟ قال: الذين يُحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا، يا ابن أخي! إذا عرض لك الحق فاقصد، والْهَ عما سوى ذلك[2].

فينبغي أن يحذر الإنسان من هذه الخصلة أن يعرض الدعوة على أخيه وهو في نفسه لا يقصد أن يضيفه حقيقة؛ فإن هذا ليس من أخلاق الكرام فضلاً عن أخلاق النبوة، وهذا يتفق كثيراً من جهلاء الناس ويسمونه التجمل، وليس هذا من التجمل في شيء بل هو رياء وتصنع، وليس من أخلاق الأنبياء الرياء ولا التصنع أصلاً ولا من أخلاق الصالحين.

❐ ❐ ❐

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٣). لكنه قال: «أول من أضاف الضيف إبراهيم» وكذا رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٢٠١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٣٥).



فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة

تابع

(٤)

باب

التشبه بالشهداء

(٥)

باب

التشبه بالصديقين رضي الله تعالى عنهم

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة
٣٣ ـ ومنها: السَّخاء	٥٧٣
٣٤ ـ ومنها: الضيافة وإكرام الضيف	٥٧٤
ـ فائدة	٥٧٥
ـ تنبـيه	٥٧٦
* فهرس الموضوعات	٥٧٧